



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة طيبة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

# أثر السياق في توجيه المعنى

(دراسة تطبيقية في صحيح مسلم)

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الدكتوراة في تخصص ( فقه اللغة )

إعداد الطالبة

مريم وصل الله صامل الرحيلي

المحاضرة بقسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية

إشراف

الأستاذ الدكتور : ناجح عبد الحافظ مبروك عبيد

الأستاذ بكلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية

العام الجامعي

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الشكر والتقدير

خالص الحمد وجزيله لله، كما يليق بجمال وجهه وعظيم سلطانه، على ما أنعم ويسر وأتم .

أوليتني نعمًا أبوحُ بِشكرِها      وكَفَيْتَنِي كُلَّ الْأُمُورِ بِأسْرِها  
فَلأشكُرُكَ مَا حَيَّتُ وَإِنْ أُمْتُ      فَلتَشكُرُكَ أعظمي في قَبْرِها

وصلاة وسلامًا على خير البشرية، معلم الناس الخير، اللهم اجزه عن أمة الإسلام خير الجزاء.  
ثم أسمى آيات الشكر والعرفان إلى من كانا لي العون ومصدر العطاء المتدفق، والدي الحبيين  
وشكري لهما لا يكافئ صنيعهما:

لو كُنْتُ أعْرِفُ فَوْقَ الشكرِ مَزلَةً      أعلى مِنَ الشكرِ عِنْدَ اللَّهِ فِي الثَّمَنِ  
إِذَا مَنَحْتُكَهَا مِنِّي مَهْنَدَةً      شكْرًا عَلَى صُنْعِ مَا أولَيْتَ مِن حَسَنِ

ثم لم يكن البحث ليرى النور لولا أن أمده المولى - عز وجل - بالدكتور: ناجح عبدالحافظ  
مبروك، الذي طالما تفاعلت باسمه أن يكمل الله أعمالنا بالنجاح، ويحفظنا بحفظه، ويبارك أعمالنا، ومن  
عادته ألا ينتظر الشكر من أحد بل يلتمس الدعاء الجاري على ألسنة طلابه بإخلاص  
فدعأونا له أن يؤتبه الله في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة.

ثم ينبغي لي أن أسجل عظيم شكري وتقديري لرفيق دربي، الذي وقف معي في هذا  
البحث، ولا أجد ما أجزيه به إلا الدعاء أن يحفظه الله ويرعاه.

ومن باب الاعتراف بالفضل لأهله، أتقدم بالشكر الجزيل للدكتور الفاضل: علي القرني، الذي  
أشار عليّ بهذا الموضوع، وقدم للباحثين الكثير، فجعله الله خير عونٍ للعلم وطالبيه، ونفع الله به وبعلمه.  
وللجنة المناقشة أجزل الشكر وأوفره على قبول مناقشة هذا البحث، وإثرائه بالملاحظات المفيدة  
ليقوى بناؤه، ويزداد نفعه بإذن الله .

والشكر لكليتنا العامرة متمثلة في عميدها وإدارتها ومكبتها والدراسات العليا فيها.

ثم الشكر موصول لكل من مدّ لي يد العون والمساعدة وعلى رأسهم د. عليان الظبي الذي سهل  
لي الكثير، وأدعو الله أن يلبسه لباس الصحة والعافية.

وفي الختام: أدعو الله أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأن يرفعني به في الآخرة، فإن  
أحسن فتسدّد من الله، وإن أخطأت فحسي أنني أخلصت القصد، وبذلت أقصى الجهد، وما توفّقي  
إلا بالله، عليه توكلت، وإليه أنيب.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الباحثة

مریم وصل الله الرحيلي

الْقَدَمَةُ



## ب المقدمة

ووقع اختيار الباحث لصحيح مسلم لما حاز عليه من المكانة اللائقة بين مصنفات الحديث، ونال قدرًا عالياً من التقدير والعناية .

والناظر في صحيح مسلم يجد أحاديث كثيرة للسياق دور في توجيه معانيها وذلك لأن السياق: " قوة تحرك التركيب، فينبعث من إشعاعاته ما يلائم"<sup>(١)</sup> بما يشير إليه من إظهار المعنى وتأكيده أو ترجيح معنى على آخر.

ولأهمية صحيح مسلم، وما يتصف به من سهولة تناول الأحاديث، والتحرز في الألفاظ وحسن الوضع، وجودة الترتيب فإن بعض العلماء يفضلونه على صحيح البخاري من هذه الناحية. قال ابن حجر-رحمه الله-(ت: ٥٨٢هـ): "حصل لمسلم في كتابه حظ عظيم مفرط لم يحصل لأحد مثله، بحيث إن بعض الناس كان يفضل على صحيح محمد بن إسماعيل؛ وذلك لما اختص به من جمع الطرق، وجودة السياق، والمحافظة على أداء الألفاظ كما هي من غير تقطيع ولا رواية بمعنى"<sup>(٢)</sup>.

فإثراءً للمعرفة الإنسانية عامة، وإيضاحاً لدور علماء العربية الأجلاء في أصالة بحثهم وضرهم بحظ وافر في علوم عصرهم، ستضرب الباحثة-إن شاء الله تعالى-أمثلة تطبيقية من الحديث النبوي الشريف - على سبيل المثال لا الحصر- تظهر كيف يكون للسياق دور قوي في فهم معاني ألفاظ الحديث الشريف، مؤيدة ذلك بما جاء عنهم.

ثم إن هذه الدراسة لا تقف عند حد بيان أثر السياق في الجانب الصوتي فقط، وإنما تتخذ من مستويات اللغة جميعها من أصوات وصرف ونحو ودلالة منهالاً عذباً تستقي الدراسة منه، وتستمد من دقائقها ما يثري جوانب توظيفها ونطاقات عملها. فهي تبدأ ببيان أثر السياق في المستوى الصوتي (الفونولوجي) بما للسياق من أثر بارز في توجيه معنى التركيب باختلاف الصوت (الفونيم) إما بتعدد الرواية في الحديث النبوي الشريف، أو بالقيمة التعبيرية للصوت المفرد (الفونيم) مقارنة له بلفظ آخر مغاير للصوت في تركيب آخر، ثم أثره على (التنغيم) وتضافرها معاً لبيان المعنى، ثم تعرج الدراسة على تفاعل السياق مع المستوى الصرفي (المورفولوجي) للوصول إلى معاني الوحدات الصرفية للأفعال المزيدة والمشتقات فيدل

(١) دلالات التراكيب (دراسة بلاغية)، د. محمد أبو موسى، ( القاهرة: مكتبة وهبة، ط: ٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م)

ص: ٣٨٣.

(٢) تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، (دار الفكر للطباعة والنشر، ط: ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) ١٠/١١٤.

السياق على معانيها الجزئية التي تنفرد بها كل وحدة صرفية، والمعاني المشتركة التي تتداخل فيما بين هذه الوحدات، وعلى معاني الصيغ الصرفية للزمن الفعلي وتبادل هذه الصيغ التي وضعها القدماء للمعاني. ويلقي السياق بظلاله على المستوى التركيبي (النحوي) ليظهر الأساس النبوي للجملة، وما يلحق هذا الأساس من الذكر والحذف والتقدم والتأخير وعود الضمير، ومتعلق الجار والمجرور، والأوجه الإعرابية، ونوع الاستثناء، وغير ذلك من التفصيلات بما يخدم المعنى ويرز المقصود، ويضيء السياق أخيراً المستوى الدلالي بما فيه من غموض في علاقاته الدلالية من ترادف واشترك لفظي وتضاد ليجلي معانيها .

لأن هذه المستويات كل لا يتجزأ وتصبُّ جميعها في قالب واحد ألا وهو النظام اللغوي: "وهو النظام الذي يصل بين هذه النظم جميعاً على الرغم من استقلالها الظاهري ونحن إذا كنا سنقف أمام كل نظام من هذه النظم على حدة، فليس معنى ذلك أن أي نظام منها منفصل عن الآخر، وإنما كان هذا الفصل بغرض الدراسة فقط" (١).

### أسباب اختيار الموضوع:

جاء اختيار الباحثة لموضوع أثر السياق في توجيه المعنى "دراسة تطبيقية في صحيح مسلم للعدة أمور؛ لعل من أهمها :

- ١- جدة الموضوع وحداثته حيث لم تقم -في حدود علم الباحثة- دراسة علمية متخصصة في مجال بحث أثر السياق في توجيه المعنى في الحديث النبوي الشريف.
- ٢- الوقوف على فصاحة الحديث من جهة اللغة، ودور السياق في إبراز صور من هذه الفصاحة في ضوء دراسة تطبيقية في صحيح مسلم.
٣. المكانة العلمية والأهمية البالغة التي حظي بها كتاب صحيح مسلم.
٤. إبراز دور علمائنا العرب في نظرية السياق، وبيان أسبقيتهم لهذا العلم .
- ٥- الاهتمام بالدراسات اللغوية التي توظف اللغة توظيفاً دلاليًا.
- ٦- الدفاع عن حبيب الأمة -صلى الله عليه وسلم- في ظل الأحداث الراهنة مما يبرز جوانب مضيئة من سيرته .

## أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

- ١- خدمة الأصل الثاني من أصول اللغة العربية، وهو الحديث النبوي الشريف لننال شرف العيش مع لغة خير الأنام .
- ٢- الوصول إلى حقيقة نؤمن بها جميعاً، وهي أن ننسب الفضل لأهله، والعلم لمرجعه في أن نظرية السياق نظرية عربية من حيث التطبيق، وليست نظرية غربية، ومسألة فيرثية .
- ٤ . الإسهام في إبراز العلاقة القوية بين اللغة والأحكام الشرعية، وثمره التقاء علوم اللغة بالفقه وأوجه التطبيق العملي.

## منهج البحث:

اعتمدت الدراسة في هذا البحث على منهجين هما: الوصفي والتحليلي، وهي تمزج بين كل واحد منهما، حسب ما يتطلبه البحث، وقد استأثر التحليلي بالنصيب الأكبر معتمدة فيه على الاستقراء، متوخية في ذلك الحكم الدقيق الموثق. منطلقاً من فرضية البحث وتساؤلاته، وهي العلاقة بين السياق وتحديد المعنى في الحديث الشريف، وقد مزجت الدراسة بين المسلكين النظري والتطبيقي .

وأما أهم ملامح هذا المنهج الذي يسير عليه البحث فهي على النحو التالي :

- ١- جمع الأحاديث المرادة في الدراسة-على سبيل المثال لا الحصر-من صحيح الإمام مسلم معتمدةً في ترقيمها على ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.
- ٢ . تقسيم هذه الأحاديث على مستويات التحليل الأربع (الصوتية ، الصرفية ، النحوية ، الدلالية ) بحسب أثر السياق في توجيه معانيها.
- ٣ . الترجيح بين الآراء المختلفة للغويين والأصوليين التي تبين أثر السياق في توجيه معنى الأحاديث .
- ٤ . ربط دراسة السياق في صحيح مسلم بالدراسات اللغوية الحديثة .
- ٥-الاعتماد في شرح الأحاديث على كتب الشروح للمتقدمين والمتأخرين من علماء الحديث.



- ٦- الاعتماد على الكتب التي تناولت الأحاديث من الوجهة الفقهية، أو الأصولية؛ لأن هذا مما يعين على فهم الحديث فهمًا دقيقًا.
- ٧- ذكر المناسبة أو المقام الذي كان سببًا في ورود الحديث مما يخدم المجال الثاني (سياق الحال)، ومن ذلك ذكر الحديث كاملاً.
- ٨- عزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية .
- ٩- توثيق الأحاديث بذكر الجزء والصفحة ورقم الحديث من صحيح مسلم (موضع الدراسة)، وإذا لم توجد فيها فأوثقها من بقية كتب السنة .
- ١٠- توثيق الشواهد الشعرية والنثرية والأمثال من مصادرها الأصلية، وإن لم توجد فبالرجوع إلى كتب اللغة والأدب، وضبطها بالشكل، وإكمال أنصاف الأبيات في الحاشية .
- ١١- شرح المفردات الغريبة في الحديث النبوي الشريف.
- ١٢- عمل الفهارس الشاملة .

### الدراسات السابقة :

- لم أقف على مصنف أفرد هذا الموضوع بدراسة مستقلة على صحيح مسلم-محل الدراسة- ولا على أي من كتب الأحاديث الأخرى، وكل الدراسات التي عثرت عليها تناولت دلالة السياق عامة، والسياق القرآني خاصة .
- ومن تلك المؤلفات في السياق عامة :
- ١ . السياق وأثره في الدرس اللغوي (دراسة في ضوء علم اللغة الحديث)، وهي رسالة دكتوراه مقدمة لكلية الدراسات العليا بالجامعة الأردنية، للدكتور إبراهيم محمود خليل تحدث فيها عن السياق والدرس اللغوي الحديث من خلال مستويات التحليل اللغوي: (الأصوات والدلالات، والتراكيب النحوية، والأسلوبية).
  - ٢- دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث (دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنوية التركيبية في ضوء نظرية السياق) للدكتور عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، تناول فيه مفهوم الدلالة والمعنى والسياق في التراث العربي، ونظرية السياق عند الغرب، وتعرض للوحدات الصوتية والصرفية والنحوية وعلاقتها بالسياق.

٣ . نظرية السياق بين القدماء والمحدثين للدكتور عبد النعيم خليل، تحدث فيها عن السياق عند القدماء، حيث تعرض للسياق عند النحويين واللغويين والبلاغيين والمفسرين، ثم تناول السياق في النظرية اللغوية الحديثة والمعاصرة .

٤ . دلالة السياق، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية اللغة العربية في جامعة أم القرى للدكتور ردة الله بن ردة الطلحي، تحدث فيها عن مفهوم السياق في التراث العربي، والدراسات الغربية الحديثة.

### ومن المؤلفات في السياق القرآني :

١- السياق وأثره في توجيه المعنى في تفسير الطبري، للدكتور: محمد بنعدة، رسالة دكتوراه من كلية الآداب بجامعة محمد بن عبد الله بالمغرب، وتركزت الرسالة على بيان السياق ومفهومه وعناصره من خلال اعتماده على تفسير ابن جرير الطبري . وقد قسم الباحث الرسالة إلى مدخل في مفهوم السياق وأهميته وأربعة فصول:

الفصل الأول: السياق بين القدماء والمحدثين.

الفصل الثاني : السياق عند الطبري من خلال تفسيره: وعرض فيه لمصطلحات

السياق وقواعد عامة في السياق عند ابن جرير.

الفصل الثالث : عناصر السياق المقالي عند الطبري، وعرض فيه للدلالات

الصوتية، والصرفية، والمعجمية، والنحوية من خلال تفسير الطبري.

الفصل الرابع : عناصر السياق المقامي عند الطبري، وقد عرض فيه لعناصر السياق

المقامي وهي عنده : المرسل، والمتلقي، وسبب النزول، وقصص الأنبياء وأخبار الأمم، واستحضار البعدين الزماني والمكاني في التأويل .

٢- الخطاب القرآني (دراسة في العلاقة بين النص والسياق) مثل من سورة البقرة للدكتورة خلود إبراهيم سلامة العموش، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية اللغة العربية في الجامعة العربية. وقد قسمت الباحثة الرسالة إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

الفصل الأول: الإطار النظري للدراسة، وعرضت فيه لحدود نظرية النص والسياق

والخطاب.

الفصل الثاني: الخطاب القرآني في سورة البقرة بين حدود النص وآفاق السياق وقد

ركّزت فيه على العلاقة بين النص والسياق في الخطاب القرآني في سورة البقرة.

الفصل الثالث: الخطاب القرآني في سورة البقرة: دراسة في العلاقة بين النص والسياق

في كتب علوم القرآن والتفسير وأصول الفقه وإعراب القرآن ، والكتب الحديثة العربية والغربية.

٣- أثر السياق في النظام النحوي مع تطبيقات على كتاب (البيان في غريب القرآن) لابن

الأنباري، وهي رسالة دكتوراه مقدمة لكلية اللغة العربية في جامعة أم القرى إعداد الدكتور: نوح الشهري، وقد قسّم الباحث الرسالة إلى تمهيد في النحو والمعنى، وتعريف بابن الأنباري وكتابه، وأربعة فصول:

الفصل الأول: مكونات المعنى، وركّز الباحث فيه على أصول الألفاظ، والبنية الصرفية، والتصورات، وقصد المتكلم، والسياق.

الفصل الثاني : مكونات النظام النحوي. وركّز فيه الباحث على الإعراب ونظرية العامل ، والمعاني النحوية ، ونظام الجملة.

الفصل الثالث : مكونات السياق القرآني . وركّز فيه على تحديد مكونات السياق وقواعد توجيه السياق القرآني .

الفصل الرابع : تطبيقات سياقية على النظام النحوي. وقد ركّز فيه على أثر السياق في الإعراب والعامل، ومعاني الأدوات والحروف، وعود الضمير، والحذف والتقدير، والتعليق. وقد تميزت الرسالة بأنها دراسة لغوية متخصصة من خلال كتاب مهم متعلق بالقرآن لأحد علماء اللغة.

٤- السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى إعداد الدكتور: سعيد بن محمد الشهراني.

وقد قسّم الباحث الرسالة إلى بابين:

الباب الأول: الدراسة النظرية للسياق القرآني، وركّز فيه الباحث على تعريف السياق وعناية العلماء به، ثم عرّف بالمدرسة العقلية، وموقفهم من السياق القرآني.

الباب الثاني : الدراسة التطبيقية للسياق القرآني، وركز فيه الباحث على بيان أثر السياق في تفاسير المدرسة العقلية في جانب الاعتقاد، وكشف المعاني، وعلوم القرآن، والأحكام الفقهية. وتميزت الرسالة بدراستها لمنهج المدرسة العقلية، وأظهر الباحث عناية أصحاب المدرسة بالسياق في التفسير.

5 دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير من خلال تفسير ابن جرير الطبري للشيخ: عبدالحكيم القاسم رسالة دكتوراه مقدمة لقسم القرآن وعلومه في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود، وقد قسم الباحث الرسالة إلى قسمين :

القسم الأول: الدراسة النظرية، وفيها التعريفات المتعلقة بالسياق.

القسم الثاني: الدراسة التطبيقية، وقد أبرز فيها منهج ابن جرير الطبري وعنايته بالسياق. ثم إن هذا البحث ليس منفصلاً عن الدراسات السابقة، وإنما هو حلقة من سلسلة البحث العلمي سيحاول الانتقاء من مباحث السياق ما يراه مناسباً للدراسة المرتبطة بالحدوث ومسائله.

على أنني في أثناء الكتابة في هذا الموضوع واجهتني جملة من الصعوبات تمحور أهمها في هذا الحديث النبوي الشريف، فإن تناول بعض تراكيبه بالنظر والتحليل أورث في داخلي خوفاً أخذ النفس من أقطارها، فكنت أقدم رجلاً وأؤخر أخرى؛ خشية من زلل القلم، وقصور الفهم. فاجتهدت ما استطعت فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان. وما توفيقني إلا بالله أرحم الراحمين.

## خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة وفهارس فنية متنوعة، وهي كالتالي :

**المقدمة:** تشتمل على أهمية الموضوع، ودوافع اختياره، وأهدافه، مع عرض موجز للدراسات السابقة المتصلة به، ومنهج البحث، وخطته، والصعوبات التي واجهت الباحثة، ثم أبين فصول الدراسة .

## التمهيد: السياق والمعنى وصحيح مسلم وفيه ثلاثة مباحث :

### المبحث الأول :السياق وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف السياق لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: أهمية السياق.

المطلب الثالث: السياق في الدراسات اللغوية.

### المبحث الثاني :المعنى، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف المعنى لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: المعنى في الدراسات اللغوية.

### المبحث الثالث:صحيح مسلم، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بمؤلف الصحيح.

المطلب الثاني: التعريف بصحيح مسلم.

المطلب الثالث: مميزات صحيح مسلم.

## الفصل الأول

أثر السياق في المستوى الصوتي (الفونولوجي) في صحيح مسلم وفيه  
ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول: أثر السياق في توجيه الاختلافات الصوتية.
- المبحث الثاني: أثر السياق في القيمة التعبيرية للصوت المفرد .
- المبحث الثالث: أثر السياق في التنعيم.

## الفصل الثاني

أثر السياق في المستوى الصرفي (المورفولوجي) في صحيح مسلم وفيه  
ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: أثر السياق في الوحدات الصرفية للأفعال المزيدة.
- المبحث الثاني: أثر السياق في الوحدات الصرفية للمشتقات.
- المبحث الثالث: أثر السياق في صيغ الزمن الفعلية.

## الفصل الثالث

أثر السياق في التراكيب النحوية في صحيح مسلم وفيه ستة مباحث :

- المبحث الأول: أثر السياق في الحذف والتقدير وفيه أربعة مطالب:  
المطلب الأول: أثر السياق في حذف حروف المعاني.
- المطلب الثاني: أثر السياق في حذف الأسماء (الخبر، المضاف، المفعول  
الصفة، الحال...).

- المطلب الثالث: أثر السياق في حذف الأفعال (الماضي، المضارع، الأمر)
- المطلب الرابع: أثر السياق في حذف الجمل (جملة الشرط، جملة القسم...)

- المبحث الثاني: أثر السياق في التقديم والتأخير في إطار الجملة .
- المبحث الثالث: أثر السياق في التعلق (الجار والمجرور).
- المبحث الرابع: أثر السياق في عود الضمير.
- المبحث الخامس: أثر السياق في الترجيح بين الأوجه الإعرابية.
- المبحث السادس: أثر السياق في تعيين نوع الاستثناء.

### الفصل الرابع

أثر السياق في العلاقات الدلالية في صحيح مسلم وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : أثر السياق في الترادف وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: الترادف في الحروف.
- المطلب الثاني: الترادف في الأسماء.
- المطلب الثالث: الترادف في الأفعال.

المبحث الثاني: أثر السياق في المشترك اللفظي وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: الاشتراك في الحروف.
- المطلب الثاني: الاشتراك في الأسماء.
- المطلب الثالث: الاشتراك في الأفعال.

المبحث الثالث: أثر السياق، في الأضداد وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: الأضداد في الحروف.
- المطلب الثاني: الأضداد في الأسماء.
- المطلب الثالث: الأضداد في الأفعال.

# ل المقدمة

الخاتمة: تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث، والمقترحات، والتوصيات .

## الفهارس الفنية وتشمل :

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث النبوية والآثار.

فهرس الأمثال.

فهرس الشواهد الشعرية.

فهرس المواد اللغوية.

فهرس الأعلام.

فهرس الطوائف والقبائل.

فهرس المصادر والمراجع .

فهرس المحتويات.

وأخيراً أسأل الله عز وجل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يوفقني لما فيه الخير والسداد .



# التمهيد

السياق والمعنى وصحيح مسلم وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : السياق .

المبحث الثاني : المعنى .

المبحث الثالث : صحيح مسلم .

# المبحث الأول

## السياق وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف السياق لغة واصطلاحًا .

المطلب الثاني : أهمية السياق .

المطلب الثالث : السياق في الدراسات اللغوية .

## المطلب الأول

## تعريف السياق لغة واصطلاحاً

من الأهمية بمكان بيان المفهوم اللغوي للألفاظ؛ لأنه يقودنا إلى معناها الاصطلاحي ويوضحه، فمن المعاني اللغوية للسياق قول ابن فارس - رحمه الله - (ت: ٣٩٥هـ): "السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدو الشيء، يقال: ساقه يسوقه سوقاً. والسوقة: ما استيق من الدواب. ويقال: سقت إلى امرأتي صداقها... والساق للإنسان وغيره، والجمع سوق؛ إنما سميت بذلك لأن الماشي ينساق عليها"<sup>(١)</sup>.

وقال الجوهري - رحمه الله - (ت: ٣٩٨هـ): "ويقال: ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحدة أي بعضهم على إثر بعض ليست بينهم جارية"<sup>(٢)</sup>.

ولعل ابن منظور - رحمه الله - (ت: ٧١١هـ) جمع الكثير ممن قبله عن المعنى اللغوي للسياق حيث جاء في لسان العرب: "ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقاً وسياًقاً، وهو سائقٌ وسواقٌ... وسواقٌ يسوق بهن، أي: حاد يحدو الإبل فهو يسوقهن بحدائهن، وسواقٌ الإبل يقدمها، ومنه: «رُويداً سوقك بالقوارير»<sup>(٣)</sup>، وقد انسقت وتساققت الإبل تساققاً إذا تتابعت، وكذا تقاودت فهي متقادوة ومتساققة... والمساوقة: المتابعة كأن بعضها يسوق بعضاً... وساق إليها الصداق والمهر سياًقاً وأساقه، وإن كان دراهم أودنانير؛ لأن أصل

(١) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، (دار الكتب العلمية) مادة: (س وق).

(٢) تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر الجوهري، اعتنى بها: مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي (لبنان):

بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط: ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م) مادة: (س وق).

(٣) صحيح مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٤هـ -

١٩٥٤م) ٤/١٨١١، رقم الحديث: (٢٣٢٣). ونص الحديث: عن أنس بن مالك رضي الله عنه . أن النبي صلى الله

عليه وسلم - أتى على أزواجه، وسواق يسوق بهن يقال له: أنجشة. فقال: "وبحك يا أنجشة! رويداً سوقك بالقوارير".

الصادق عند العرب الإبل، وهي التي تساق؛ فاستعمل ذلك في الدرهم والدينار وغيرها" (١).  
 وممن تنبه لسياق الكلام الزمخشري-رحمه الله- (ت: ٥٣٨هـ) عندما تحدث عن المعاني  
 المجازية للسياق حيث قال: "وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يساق الحديث وهذا  
 الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده" (٢).  
 وقد أشارت المعاجم الحديثة إلى معنى التابع ومنها المعجم الوسيط الذي جاء فيه  
 : "وساق الحديث: سرده وسلسله، وإليك يساق الحديث: يوجّه، .. وساقه: تابعه وسأيره وجاراه  
 .. وانساق: تبع غيره، وانساق: انقاد، وتساوقت الماشية ونحوها: تابعت وتزاحمت في السير" (٣).  
 من مجموع النصوص السابقة يظهر أن مادة سوق تدور حول معنى التابع والاتصال  
 كسوق الإبل، وساق الإنسان المهر، وساق الحديث، وهذا التابع لا يكون فيه انقطاع ولا  
 انفصال؛ فهو متتابع إلى أن يصل إلى غاية محددة.

### مفهوم السياق اصطلاحًا:

من الأجدر قبل أن نتعرض لمفهوم السياق اصطلاحًا أن نبين أن للسياق نوعين  
 هما: السياق اللغوي (سياق النص)، والسياق غير اللغوي (سياق الحال) أو السياق الخارجي.  
 تقول بروس أنغام: "السياق يعني واحدًا من اثنين: أولاً: السياق اللغوي وهو ما يسبق الكلمة  
 وما يليها من كلمات أخرى، وثانيًا: السياق غير اللغوي: أي الظروف الخارجية عن اللغة التي

(١) لسان العرب، محمد بن منظور، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، (لبنان: بيروت: دار  
 إحياء التراث العربي-مؤسسة التاريخ العربي، ط: ٣، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م) مادة: (س وق).

(٢) أساس البلاغة، جار الله الزمخشري، تحقيق: الأستاذ عبد الرحيم محمود، (لبنان: بيروت: دار المعرفة  
 ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) ص: ٢٢٥.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، قام بالإخراج: د. إبراهيم أنيس وآخرون، وأشرف على الطبع: حسن  
 علي عطية وآخرون (ط: ٢) مادة: (س وق).

يرد فيها الكلام" (١).

وإذا كان السياق الذي يقابل المصطلح الإنجليزي (context) يراد به: "المحيط اللغوي الذي تقع فيه الوحدة اللغوية سواء أكانت كلمة أو جملة في إطار من العناصر اللغوية أو غير اللغوية" (٢).

فإن السياق اللغوي هو: "دراسة النصّ من خلال علاقات ألفاظه بعضها ببعض، و الأدوات المستعملة للربط بين هذه الألفاظ، و ما يترتب على تلك العلاقات من دلالات جزئية و كليّة" (٣).

فالسّياق اللغوي يقصد به السّياق الداخلي الذي يعنى بالنظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم الذي يشمل الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة، ويتسع ليشمل القطعة كلها والكتاب كله (٤).

والسياق غير اللغوي هو: مجموع العوامل، والظروف الاجتماعية، وخاصة الثقافية التي تحيط بالمتكلم والسامع (٥).

ويطلق عليه بعض المحدثين سياق الموقف وهو: "السياق الذي جرى في إطاره التفاهم بين شخصين، ويشمل ذلك زمن المحادثة، ومكانها، والعلاقة بين المتحادثين، والقيم المشتركة بينهما، والكلام السابق للمحادثة" (٦).

(١) دلالة السياق، د. ردة الله بن ردة الطلحي، ( مكة المكرمة: جامعة أم القرى: معهد البحوث، ١٤٢٤هـ) ص: ٥١. نقلاً عن الزمن والجهة في اللغة العربية واللغة الإنجليزية، بروس أنغام، ضمن السجل العلمي للندوة الأولى لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ١/١٣٩.

(٢) دلالة السياق ص: ٥١.

(٣) منهج السياق في فهم النص، د. عبدالرحمن بودرع، ( وزارة الأوقاف القطرية: منشورات كتاب الأمة، العدد: ١١١، محرم ١٤٢٧هـ - فبراير ٢٠٠٦م) ص: ٢٠١.

(٤) ينظر: دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمه وقدم له وعلق عليه: د. كمال بشر. (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، ط: ١٢) ص: ٦٨.

(٥) كتاب اللغة والدلالة آراء ونظريات، عدنان بن ذريل، ص: ١٦٠.

(٦) د. محمد علي الخولي، في كتابه معجم علم اللغة النظري، (مكتبة لبنان)، ص: ٢٥٩. وينظر: علم اللغة (مقدمة

للقارئ العربي)، محمود السعمران، (لبنان: بيروت: دار النهضة العربية) ص: ٣٣٩.

وعلى الرغم من أن البحث سيركز - إن شاء الله تعالى - على السياق اللغوي إلا أنه لا يستطيع أن يتجاهل سياق الحال، وسيدمج بين السياقين من أجل إبراز أهمية السياق اللغوي ووظيفته في توجيه المعنى وذلك لأنه: " لا قيمة للمفردات أو العبارات بعيدة عن سياقها، فلا بد من دراسة المفردات والعبارات التي يوجهها المتكلم داخل السياق، ومن خلال الظروف المحيطة به، ومن خلال زمان ومكان التخاطب، لكي تتضح مقاصد المتكلم والمعاني المطلوب إيصالها للمخاطب والتي يرمي إليها المتكلم"<sup>(١)</sup>.

وليس المقصود من ذلك أن الكلمات المفردة لا معنى لها؛ بل هي تتضمن المعاني المعجمية، ولكن قيمتها تظهر ويتعين المراد منها إذا كانت في سياق ما خاصة المشتركة المعاني.

(١) التصور التداولي للخطاب اللساني عند ابن خلدون، نعمان بوقره، (مجلة الرافد، يناير، ٢٠٠٦م) ص: ٨٣.

## المطلب الثاني

### أهمية السياق

يعد السياق من أهم العوامل وأكثرها أثراً في تحديد المعنى؛ حيث تظهر أهميته في توجيه الكلمة المتعددة المعاني لمعنى واحد وصرفها عن المعاني الأخرى، وقد تناول سيوييه -رحمه الله- (ت: ١٨٠هـ) هذه القضية في أول كتابه تحت عنوان: "هذا باب اللفظ للمعاني"، يقول: "اعلم أنّ من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين. وسترى ذلك إن شاء الله تعالى" ثم قال في معرض حديثه عن هذه القضية: "واتفاق اللفظين والمعنى مختلف، قولك: وَجَدْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْمُؤَجَّدَةِ، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة. وأشبه هذا كثير" (١).

وهذه المعاني لا يظهر الفرق بينها إلا من خلال السياق، وفي هذا دلالة واضحة على الاهتمام المبكر بموضوعات علم الدلالة، والالتفات إلى السياق في الدراسات اللغوية وتظهر أهميته فيما يلي: .

١- إنّ للفظ معناه خارج السياق، وعند إدماجه في التركيب يكون له معنى آخر فكلمة (مس)، قد تكون بمعنى الإدراك بحاسة اللمس، و قد تكون بمعنى النكاح، و قد تكون بمعنى الجنون، و قد يراد بها كل ما نال الإنسان من أذى، و السياق هو الذي يعين المعنى المراد.

- ففي قوله تعالى: ﴿أَنْتَ أَتَىٰ يَكُونُ لِي عُزُّكُمْ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ (٢). فالمس هنا بمعنى "النكاح".

- وقوله عز وجل: ﴿الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ (٣) بمعنى "الجنون".

(١) الكتاب، سيوييه، تحقيق: عبد السلام هارون، (عالم الكتب، ط: ٣، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، ٢٤/١، وينظر: المقتضب، محمد المبرد، تحقيق: حسن حمد، مراجعة: د. أميل يعقوب، (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، ٢٤/١.

(٢) سورة مريم آية: ٢٠.

(٣) سورة البقرة آية: ٢٧٥.

- ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ ﴾<sup>(١)</sup> - ﴿ ذُو قُوًا مَسَّ سَقَرَ ﴾<sup>(٢)</sup>. فهنا بمعنى " كل ما يصيب الإنسان من أذى"<sup>(٣)</sup>.

ومن ذلك الحرف جاء لعدة معانٍ ففي حديث موسى والخضر قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: « وَجَاءَ عُصْفُورٌ حَتَّى وَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ ثُمَّ نَقَرَ فِي الْبَحْرِ. فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنَ الْبَحْرِ »<sup>(٤)</sup>.  
حرف السفينة: جانب شِقِّها، وحرف كل شيء ناحيته كحرف الجبل والنهر والسيف وغيره<sup>(٥)</sup>.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هَكَذَا أَنْزَلْتُ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَأَقْرَأُوا مَا تَيْسَّرَ مِنْهُ »<sup>(٦)</sup>.

كل كلمة تقرأ على وجوه من القرآن تسمى حرفاً، يقال: يقرأ هذا في حرف ابن مسعود أي: في قراءة ابن مسعود.

وقوله "على سبعة أحرف" يعني سبع لغات من لغات العرب، قال الأزهري -رحمه الله- (ت: ٣٧٠هـ): "وهذه الأحرف السبعة التي معناها اللغات غير خارجة من الذي كتب في مصاحف المسلمين التي اجتمع عليها السلف المرضيئون والخلف المتبعون فمن قرأ بحرفٍ لا يخالف المصحف بزيادة أو نقصان أو تقديم مؤخر، أو تأخير مقدّم، وقد قرأ به إمام من أئمة القراء المشتهرين في الأمصار فقد قرأ بحرفٍ من الحروف السبعة التي نزل القرآن بها، ومن قرأ بحرفٍ شاذٍّ يخالف المصحف، وخالف بذلك جمهور القراء المعروفين فهو غير مصيب وهذا

(١) سورة البقرة آية: ٨٠.

(٢) سورة القمر آية: ٤٨.

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاي، (لبنان: بيروت: دار

المعرفة) ص: ٤٦٧، مادة (م س).

(٤) صحيح مسلم: ٤/ ١٨٥٠ رقم الحديث (٢٣٨٠)

(٥) ينظر: تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، إشراف: محمد مرعب، علّق عليه: عمر سلامي، عبدالكريم حامد

(لبنان: بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط: ١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م) مادة: (ح ر ف).

(٦) صحيح مسلم: ١/ ٥٦٠ رقم الحديث: (٨١٨).



مذهب أهل العلم الذين هم القدوة، ومذهب الراسخين في علم القرآن قديماً وحديثاً<sup>(١)</sup>.  
فلولا السياق الذي وجه معاني الحرف داخل التركيب؛ لظن القارئ أن الكلمة بمعنى واحد.

٢- يقود السياق ألفاظاً متعددة لمعنى واحد تلتقي فيه، ومن ذلك الظلم والجور والاعتداء يرجعها السياق لمعنى واحد وهو وضع الشيء في غير موضعه، من ذلك أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « مَنْ افْتَطَعَ شِبْرًا مِّنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا طَوَّفَهُ اللَّهُ إِثْمًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ »<sup>(٢)</sup>.  
"الظلم عند أهل اللغة، وكثير من العلماء: وضع الشيء في غير موضعه المختص به؛ إما بنقصان أو بزيادة، وإما بعدول عن وقته أو مكانه"<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « بَيْنَا رَاعٍ فِي غَنَمِهِ عَدَا عَلَيْهِ الدُّبُّ فَأَخَذَ مِنْهَا شَاءً فَطَلَبَهُ الرَّاعِي حَتَّى اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الدُّبُّ فَقَالَ لَهُ: مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبْعِ؟ يَوْمَ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي ». فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « فَإِنِّي أَوْمِنُ بِذَلِكَ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ »<sup>(٤)</sup>.

عدا عدواً: ظلم وجار، وقولهم: ( عدا عليه فضربه بسيفه ) من الظلم، والعادي الظالم، وأصله من تجاوز الحد من الشيء،..... والاعتداء والتعدي والعدوان: الظلم... وعدا عليه عدواً وعداءاً وعدواناً وعدواناً كله: ظلمه<sup>(٥)</sup>.

وعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ أَنَّ أُمَّهُ بِنْتَ رَوَاحَةَ سَأَلَتْ أَبَاهُ بَعْضَ الْمَوْهَبَةِ مِنْ مَالِهِ لِابْنَتِهَا، فَالْتَوَى بِهَا سَنَةً ثُمَّ بَدَا لَهُ، فَقَالَتْ: لَا أَرْضِي حَتَّى تُشْهَدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَيَّ مَا وَهَبْتَ لِابْنِي. فَأَخَذَ أَبِي بِيَدِي وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ، فَاتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّ هَذَا بِنْتَ رَوَاحَةَ أَحَبَّهَا أَنْ أُشْهَدَكَ عَلَيَّ الَّذِي وَهَبْتُ لِابْنَتِهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « يَا بَشِيرُ أَلَمْ تَكْ وَلَدٌ سِوَى هَذَا ». قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ: « أَكُلُّهُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هَذَا ». قَالَ: لَا. قَالَ: « فَلَا

(١) تهذيب اللغة مادة (ح ر ف).

(٢) صحيح مسلم: ٣/١٢٣٠، رقم الحديث: (١٦١٠).

(٣) المفردات في غريب القرآن ص: ٣١٥ مادة (ظ ل م).

(٤) صحيح مسلم: ٤/١٨٥٧ / ١٨٥٨ رقم الحديث (٢٣٨٨).

(٥) ينظر: لسان العرب مادة (ع د و).

تُشْهِدُنِي إِذَا قَائِي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرِ»<sup>(١)</sup>.

أي: لا أشهد على ظلم. فالجور هو الميل عن الاستواء والاعتدال<sup>(٢)</sup>.

والذي فصل بين هذه المعاني للكلمة الواحدة السياق الذي وردت فيه، و في ذلك يقول فندريس: "الذي يعين قيمة الكلمة في كل الحالات إنما هو السياق، إذ إن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديداً مؤقتاً، والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليه"<sup>(٣)</sup>.

٣- للسياق دور كبير في ترجيح بعض المعاني على بعضها الآخر، ولا تقتصر وظيفته على التحقق من المعنى المقصود؛ بل تتجاوزه إلى صنع المعنى المراد ونقل المعنى إلى معاني أخرى قد تكون مضادة لمعنى الأصل في بعض الأحيان مثل قسط فهي تعني في الأساس العدل ونقلت للمعنى المضاد الجور ففي قوله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ حَكَمًا مُقْسِطًا؛ فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنزِيرَ، وَيَضَعَ الْجُزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ»<sup>(٤)</sup>.

المقسط هنا بمعنى العادل، يقال: أقسط يقسط إقساطاً فهو مقسط إذا عدل، وقسط يقسط قسطاً فهو قاسط إذا جار<sup>(٥)</sup>.

٤ - كما يضرب السياق بسهم وافر في بيان معاني الوحدات الصرفية خاصة المتشابهة منها التي تختلف في معانيها، فمن ذلك: أسماء الزمان والمكان تصاغ من الثلاثي على وزن (مفعل) بفتح العين، نحو (مذهب، ومشرب، ومخرج ومقتل ومكتب) - إلا في حالتين، فإنهما يكونان

(١) صحيح مسلم ١٢٤٣/٣، رقم الحديث: (١٦٢٢).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس القرطبي، تحقيق: محي الدين ويب ستو وآخرون، (دمشق: بيروت: دار ابن كثير): ٧٠/١١.

(٣) اللغة، فندريس، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، ص: ٢٣١.

(٤) صحيح مسلم: ١٣٥/١ رقم الحديث: (١٥٥).

(٥) صحيح مسلم بشرح الإمام النووي المسمى (المنهاج)، محي الدين النووي، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيبا (لبنان: بيروت: دار المعرفة) ٣٦٧/٢.

فيهما على وزن (مفعِل) بكسر العين<sup>(١)</sup>، وفي كل ما تقدم لا نستطيع التفرقة بين أسماء الزمان والمكان إلا بالسياق وهو الذي يحدد المراد ويعيّن المقصود<sup>(٢)</sup>.

ومن احتمال الوحدات الصرفية لمعنيين متضادين كأن تكون الصيغة بمعنى الفاعل والمفعول نحو: شكور، غفور بمعنى: شاکر، غافر، ورسول بمعنى: مُرسَل. وكذلك صيغة فاعل الدالة على الفاعل في: سمیع وعليم وقدير، وعلى المفعول في: كحيل، وطريد، وجريح، وصيغة فاعل بمعنى مفعول في مثل قوله تعالى: ﴿ فَهَوَ فِي عَيْشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾<sup>(٣)</sup>. أي مرضية، ولولا السياق ما توصل إلى معناها. ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة: " اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ . فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَّغْنَا فَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ " <sup>(٤)</sup>.

فشكور بمعنى شاکر على الدوام والثبوت، وهذا دأب الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

٥- يؤثر السياق على مستوى التراكيب فقد أشاد د. محمد حماسة<sup>(٥)</sup> بأهمية السياق في الوصول إلى (المعنى النحوي الدلالي) فقال: " ولا تكون للعلاقة النحوية ميزة في ذاتها، ولا للكلمات المختارة ميزة في ذاتها، ولا لوضع الكلمات المختارة في موضعها الصحيح ميزة في ذاتها ما لم يكن ذلك كله في سياق ملائم ". كما أشار إلى التبادل بين العناصر النحوية والدلالية للوصول إلى المعنى المراد، " فكما يمد العنصر النحوي العنصر الدلالي بالمعنى الأساسي في الجملة يمدّ العنصر الدلالي العنصر النحوي كذلك ببعض الجوانب التي تساعد على تحديده

(١) الحالتان هما: من المضارع المكسور العين، و معتل الفاء، ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: أحمد شمس الدين، (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م) ٣/٢٨٦.

(٢) ينظر: دلالة السياق وأثرها في الأساليب العربية، محمد أبو السعود، (مجلة كلية اللغة العربية بأسبوط، العدد:

٧، السنة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م) ص: ٥٠٧ - ٥٠٩.

(٣) سورة الحاقة آية: ٢١.

(٤) صحيح مسلم: ١/ ١٨٤-١٨٥ رقم الحديث (١٩٤).

(٥) النحو والدلالة، (مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي)، (القاهرة: دار غريب، ط: ١، ١٩٨٣ م) ص: ٩٨.

وتمييزه، فبين الجانبين أخذ وعطاء وتبادل تأثير مستمر. فلا يمكن بحال نكران تأثير دلالة سياق النص اللغوي وسياق الموقف الملابس له على العناصر النحوية من حيث الذكر والحذف، والتقلص والتأخير وغيرها<sup>(١)</sup>.

٦- كما تظهر أهمية سياق الحال في فوائدها: الوقوف على المعنى، وتحديد دلالة الكلمات، وإفادة التخصيص، ودفع توهم الحصر، وردّ المفهوم الخاطيء.. وغيرها<sup>(٢)</sup>.  
أو كما قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١هـ): "السياق يرشد إلى تبين الجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته، فانظر إلى قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾<sup>(٣)</sup>. كيف تجرد سياقه يدل على أنه الدليل الحقيق<sup>(٤)</sup>".

وهذا يوصل إلى نتائج باهرة يبينها السياق كما قال أولمان: "إن نظرية السياق-إذا طبقت بحكمة- تمثل الحجر الأساس في علم المعنى، وقد قادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة في هذا الشأن"<sup>(٥)</sup>.

وستظهر هذه النتائج والثمار في خاتمة هذا البحث إن شاء الله تعالى.

(١) ينظر: النحو والدلالة : ص: ١١٣.

(٢) ينظر: سياق الحال في الدرس الدلالي (تحليل وتطبيق)، فريد عوض حيدر، (مكتبة النهضة المصرية)، ص: ٣٠-

(٣) سورة الدخان آية: ٤٩.

(٤) بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزية، تحقيق: علي محمد العمران، إشراف: بكر عبدالله أبو زيد، (مكة المكرمة: دار

عالم الفوائد، ط: ١، ١٤٢٥هـ) ١٣/٤..

(٥) دور الكلمة في اللغة ص: ٧٣.

## المطلب الثالث

## السياق في الدراسات اللغوية

إن فضل السبق في الكشف عن أثر السياق وأهميته في تحديد المعاني يعود إلى المتقدمين من اللغويين العرب، فقد أولوه عناية فائقة؛ خاصة عند الافتقار إلى قرائن أخرى معتبرة في فهم المراد من آية كريمة، أو حديث شريف، أو كلام العرب، ومع ذلك لم يصل إلينا - حسب علمي - مؤلف يفرد السياق بالتصنيف، أو التبويب كسبيل منهجي للتعريف به، و بأهميته وأنواعه وأركانه، وكان تناولهم له من حيث أثره في توجيه المعاني والأحكام. وكل هذه التطبيقات كانت متناثرة في دراساتهم وبحوثهم.

ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال أقوال العلماء الذين اهتموا بنظرية السياق ودورها البارز في فهم المعنى. فمن ذلك ما روى مسلم بن يسار - رحمه الله - (ت: ١٠٠هـ) عن أبيه حين قال وهو يدعو إلى ضرورة الاهتمام بالسياق: "إذا حدثت عن الله؛ فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده" (١).

وهذا دليل على أن علماء العرب عرفوا قيمة السياق منذ وقت مبكر يرجع إلى القرن الأول الهجري، وهذا صالح بن كيسان - رحمه الله - (ت: ١٤٠هـ) يستند إلى السياق في تحديد المراد بالنفس في قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ (٢) فيقول: "إنما يراد بهذا الكافر، اقرأ ما بعدها يدلك على ذلك" (٣).

ونثبت هذا سبق بالنظر بإمعان إلى ما جاء عند اللغويين العرب فهذا الخليل بن أحمد - رحمه الله - (ت: ١٧٥هـ) يظهر في آرائه صورة جلية على أنه من أوائل اللغويين الذين

(١) والرواية كما جاءت في التفسير: (قال أبو عبيد: حدثنا معاذ عن ابن عون عن عبد الله بن مسلم بن يسار عن أبيه قال: إذا حدثت... تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، (لبنان: بيروت: دار المعرفة، ط: ٣، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) ص: ٧.

(٢) سورة ق آية: ٢١.

(٣) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، محمد الطبري. تحقيق: مكتب التبيان للدراسات الإسلامية وتحقيق التراث (حسن أبو الخير وآخرون، (القاهرة: دار ابن الجوزي، ط: ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م): ٤٥٨/٢٤.

اعتمدوا على السياق بنوعيه اللغوي وغير اللغوي في دراسته للتركيب :

فمن أمثلة اعتماده على " السياق اللغوي " ما عرض في تحليله لقول الشاعر:

فَلَوْ كُنْتُ ضَبِيًّا عَرَفْتُ قَرَابِي  
وَلَكِنَّ زَنْجِيًّا عَظِيمُ الْمَشَافِرِ<sup>(١)</sup>

والنصب أكثر في كلام العرب كأنه قال: ولكن زنجياً عظيماً المشافر لا يعرف قرابتي؛

ولكنه أضمر هذا كما يُضمر ما بني على الابتداء نحو قوله عز وجل: ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ

مَعْرُوفٌ ﴾<sup>(٢)</sup> أي: طاعةٌ وقولٌ معروفٌ أمثل<sup>(٣)</sup>.

حذف اسم لكن ضرورة والتقدير: ولكنك زنجي، ويجوز نصب زنجي بلكن على إضمار

الخبر، والتقدير: ولكن زنجياً عظيماً المشافر لا يعرف قرابتي. ومعنى كلام الخليل أن حذف الخبر

لعلم السامع به أي دل عليه السياق اللغوي. وغيرها كثير.

وكان الخليل - أيضاً - يدرك سياق الحال وأثره في حذف الفعل. ومن ذلك قولك لرجل

رأيته سدد سهماً: القرطاس، أي: أصبت القرطاس، فأنت تتوقع له أن يصيب القرطاس،

وقولك لرجل رأيته قاصداً إلى مكان، أو طالباً أمراً: مرحباً وأهلاً، أي: أدركت ذلك وأصبت

<sup>(٤)</sup>، ولم تصرح بالفعل لدلالة الحال عليه؛ ولأن كل ما يحيط بظرف القول يشير إليه؛ ولكنك

حذفت الفعل في القول الأول جوازاً، وحذفته في الثاني وجوباً لكثرة الاستعمال زيادة على دلالة

الحال<sup>(٥)</sup>.

ويسير سيبويه على خطى أستاذه حيث أدرك قيمة السياق بنوعيه (اللغوي وغير اللغوي)

في صوغ العرب لكلامهم فقال: " ومن كلامهم أن يجعلوا الشيء في موضع على غير حاله في

سائر الكلام "<sup>(٦)</sup>.

وهو يستعين "بالسياق اللغوي" بكثرة في بيان أحد العناصر المحذوفة في التركيب ، فمن

(١) البيت للفرزدق في ديوانه (لبنان: بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م) ص: ٤٨١ .

(٢) سورة محمد آية: ٢١ .

(٣) الكتاب: ١٣٥/٢ .

(٤) ينظر: المرجع السابق: ١/ ١٤٨-١٤٩ .

(٥) مكانة الخليل بن أحمد في النحو العربي، د. جعفر عبابنة، (الأردن: عمان: دار الفكر) ص: ١١٧ .

(٦) الكتاب: ٥١/١ .

ذلك الاستغناء عن تكرار (كلّ) في قول الشاعر:

أَكُلُّ امرئٍ تَحْسِينِ امرأً  
ونارٍ تَوْقُدُ بالليلِ ناراً<sup>(١)</sup>

بجر (نارٍ) والتقدير (وكلّ نارٍ) وذلك: "لذكرك إياه في أوّل الكلام، ولقلة التباسه على المخاطب"<sup>(٢)</sup>.

فقد ارتكز على السياق اللغوي للدلالة على العنصر المحذوف في الجملة الثانية، وجعل ذكر العنصر الأول سبباً في عدم التباس المعنى على المخاطب. كما أشار سيبويه في مواضع شتى من كتابه إلى طرق الأداء اللغوي المصاحبة للتركيب، كالنبر والتنغيم.<sup>(٣)</sup>

وجاء في تحليله لأسباب حذف الفعل والفاعل في العربية: حالة ما إذا علمت أن الرجل مستغنٍ عن لفظك بما تضرر لفعل، يقول في ذلك: "وذلك قولك إذا رأيت رجلاً متوجّهاً وجهة الحاج قاصداً في هيئة الحاج، فقلت: مكة وربّ الكعبة، حيث زكنت أنه يريد مكة، كأنك قلت: يريد مكة والله... ولو رأيت أناساً ينظرون الهلال وأنت منهم بعيد فكبروا لقلت: الهلال وربّ الكعبة، أي: أبصروا الهلال."<sup>(٤)</sup>

فسيبويه حين يعرض لهذه الأنماط التعبيرية المسموعة عن العرب يستعيد السياق غير اللغوي الذي ولدت فيه والملابسات التي رافقت عملية التعبير، وأسهمت في توجيهها واختيار الصيغ الملائمة لها.

وبهذا السبق الزمني والعلمي من الخليل وسيبويه على ما جاء في الدراسات اللسانية الحديثة عند العرب عدّهما الدكتور محمد سالم صالح: "إنهما بحق رائدي النظرية السياقية إذ طبقا عملياً وبإحكام جميع عناصر هذه النظرية مع أدق تفاصيلها، ولم يتركا - تقريباً - شيئاً مما عرفته الدراسات الاجتماعية الحديثة إلا ومارسناه تطبيقاً في الكتاب"<sup>(٥)</sup>.

(١) البيت من البحر المتقارب لأبي دؤاد الأيادي في ديوانه، نشر: جوستاف جرونيام، ترجمة: إحسان

عباس، (لبنان: بيروت: منشورات مكتبة الحياة، ط: ١، ١٩٥٩م) ص: ٣٥٣.

(٢) الكتاب: ٦٦/١.

(٣) ينظر على سبيل المثال باب الندبة، الكتاب: ٢٢٠/٢.

(٤) المرجع السابق: ٢٥٧/١.

(٥) (أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية ودور هذه النظرية في التوصل إلى المعنى)، ص: ١٧-١٨.

ويشير إلى ذلك السبق لسيبويه الدكتور نهاد الموسى بقوله: "فوجدته منذ ذلك العهد المبكر يفرغ إلى السياق والملابسات الخارجية وعناصر المقام، ليردّ ما يعرض في بناء المادة اللغوية من ظواهر مخالفة إلى أصول النظام النحوي طالبا للاطراد المحكم. وهو يوافق فيما صدر عنه في الكتاب ملحوظات كثيرة مما تنبني عليه الوظيفة ومناهج " التوسيع " أو اللغويات الخارجية بعبارة " دي سوسير"، كما أشبهت ملحوظاته ملحوظات اللغويين الاجتماعيين" (١).

ومن اللغويين الذين أسهموا بدور بارز في إيضاح دور السياق ما جاء عند الإمام الشافعي -رحمه الله- (ت: ٢٠٤هـ): "الصنف الذي يبين سياقه معناه" (٢) حيث استعان بالسياق اللغوي لبيان المحذوف؛ ومثّل لذلك: بقوله تعالى: ﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي

كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ  
يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا  
يَفْسُقُونَ ﴿٣﴾

وذكر أن الله -سبحانه وتعالى- لما قال: "إذ يعدون في السبت" دل على أنه إنما أراد أهل القرية؛ لأن القرية لا تكون عادية ولا فاسقة بالعدوان في السبت ولا غيره، وإنما أراد بالعدوان أهل القرية الذين بلاهم بما كانوا يفسقون" (٤).

وهذا المبرد -رحمه الله- (ت: ٢٨٥هـ) يركز على ضرورة أن يكون في السياق ما يعين المراد من معاني الألفاظ المشتركة قائلًا: "وكل من آثر أن يقول ما يحتمل معنيين فواجب عليه أن يضع ما يقصد له دليلاً؛ لأن الكلام وضع للفائدة" (٥).

(١) ينظر: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، نهاد الموسى، (عمان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠م) ص: ٨٨، ٩٦.

(٢) الرسالة، محمد الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر (دار الفكر)، ص: ٦٢.

(٣) سورة الأعراف آية: ١٦٣.

(٤) الرسالة ص: ٦٢، ٦٣.

(٥) ما اتفق لفظه واختلف معناه، المبرد، تحقيق: عبدالعزيز الميمني، (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٥٠هـ) ص: ٨.



وعرض اللغوي البارع ابن جني - رحمه الله - (ت: ٣٩٢هـ) لدور السياق اللغوي في أداء المعنى يقول: " قد حذفت العرب الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته" (١).

وفي معرفته بالسياق غير اللغوي يقول: "فالغائب ما كانت الجماعة من علمائنا تشاهده من أحوال العرب ووجوهها، وتضطرّ إلى معرفته من أغراضها وقصودها... ومن ذلك:

تَقُولُ وَصَكَّتْ وَجْهَهَا بِيَمِينِهَا أَبْعَلِي هَذَا بِالرَّحَى الْمُتَقَاعِسُ (٢)

فلو قال حاكياً عنها: أبعلي هذا بالرحى المتقاعس؟! من غير أن يذكر صكّ الوجه لأعلمنا بذلك أنها كانت متعجّبة منكيرة؛ لكنّه لما حكى الحال فقال: (وصكّت وجهها) علم بذلك قوّة إنكارها، وتعاضّم الصورة لها، هذا مع أنك سامع لحكاية الحال، غير مشاهد لها، ولو شاهدتها لكنت بما أعرف، ولعظم الحال في نفس تلك المرأة أبين" (٣).

ثم قال في موضع آخر: "وقال لي بعض مشايخنا - رحمه الله - أنا لا أحسن أن أكلم إنساناً في الظلمة" (٤).

كل ذلك يدل بوضوح وجلاء كشهادة علمية وتاريخية أمينة على هذا التمييز عند اللغويين العرب.

أما اللغويون المحدثون العرب فعناصر " السياق اللغوي " المكونة للحدث اللغوي عندهم ما يلي:

أولاً: الوحدات الصوتية والصرفية والكلمات التي يتحقق بها التركيب والسبك.

ثانياً: طريقة ترتيب هذه العناصر داخل التركيب.

ثالثاً: طريقة الأداء اللغوي المصاحبة للجمل أو ما يطلق عليه التطريز الصوتي، و ظواهر

(١) الخصائص: لأبي الفتح ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، (لبنان: بيروت: دار الكتاب العربي) ٣٦٠/٢.

(٢) البيت لهذلول بن كعب العنبري في شرح ديوان الحماسة، المرزوقي، تحقيق: أحمد أمين، (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٧م) ص: ٦٩٦، والقعس: نقيض الحذب، وهو خروج الصدر ودخول الظهر. لسان العرب مادة: (ق) ع س.

(٣) الخصائص، ١/٢٤٥، ٢٤٦.

(٤) المرجع السابق: ١/٢٤٧.

هذا الأداء المصاحب المتمثلة في النبر والتنغيم والفاصلة الصوتية أو الوقف<sup>(١)</sup>.

وقد تعرض الدكتور حلمي خليل في كتابه (العربية وعلم اللغة البنيوي) للسياق بالتحليل والتطبيق وانتهى إلى أن السياق عند فيرث ينقسم إلى نوعين :

(أ) السياق اللغوي: **linguistic context** ويتمثل في العلاقات الصوتية والفونولوجية والمورفولوجية والنحوية والدلالية .

(ب) سياق الحال: **context of situation** ويمثله العالم الخارج عن اللغة بما له من صلة بالحدث اللغوي ويتمثل في الظروف الاجتماعية والبيئة النفسية والثقافة للمتكلمين أو المشتركين في الكلام<sup>(٢)</sup>.

أما اللغويون المحدثون العرب، فيظهر في كتاباتهم تأثرهم في دراسة السياق بنظرية " فيرث " السياقية؛ لأنهم تلقوا هذا العلم على يديه - بشكل مباشر أو غير مباشر - ومن أمثلة هؤلاء الدكتور تمام حسان، و الدكتور كمال بشر، و الدكتور محمود السعران ... وغيرهم، و يبدو ذلك واضحًا في مؤلفاتهم العلمية<sup>(٣)</sup>.

أما اللغويون الغربيون فقد تعددت عندهم المناهج اللغوية لدراسة المعنى منها: النظرية الإشارية التي قالوا بها كلٌّ من (أوجدن و ريتشاردز)، والنظرية التصورية أو العقلية لـ(جون لوك)، والنظرية السلوكية التي قدمها (بلومفيلد) إلى علم اللغة<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: أثر الوقف على الدلالة التركيبية، د. محمد جيلص، (دار الثقافة العربية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، ص: ١٥ - ١٧، ٢٤.

(٢) ينظر: العربية وعلم اللغة البنيوي (دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث)، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ط ١: ١٩٨٨م) ص: ١٣١ - ١٣٧.

(٣) ينظر على سبيل المثال: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان عن أستاذه فيرث، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٥٥م).

ص: ٢٥١، وكلام د. كمال بشر في كتاب دراسات في علم اللغة ص: ٦٤، ٦٦، ود. محمود السعران في كتاب علم اللغة "مقدمة للقارئ العربي" ص: ٣٤١، ٣٤٩.

(٤) ينظر: علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، (القاهرة: عالم الكتب، ط: ٢، ١٩٨٨م) ص: ٥٤ - ٦٧.

ومع ذلك لم تعطِ هذه المناهج بمجموعها صورة واضحة المعالم عن فكرة السياق، والذي حدد فكرة السياق وجعلها نظرية هو العالم اللغوي (فيرث) حيث قدم السياق على أنه إطار منهجي يمكن تطبيقه على الأحداث اللغوية<sup>(١)</sup>.

وجعل بالمر السياق: "جزء من أدوات عالم اللغة مثله مثل الفصائل النحوية التي يستخدمها"<sup>(٢)</sup>.

ومن الغربيين الذين كانت لهم لفتات رائعة في هذا المجال ستيفن أولمان الذي يقول: "إن نظرية السياق . إذا طبقت بحكمة - تمثل حجر الأساس في علم المعنى. وقد قادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة في هذا الشأن. فقد قدمت لنا وسائل فنية حديثة لتحديد معاني الكلمات، فكل كلمتنا تقريباً تحتاج على الأقل إلى بعض الإيضاح المستمد من السياق الحقيقي، سواء أكان هذا السياق لفظياً أم غير لفظي. فالحقائق الإضافية المستمدة من السياق تحدد الصور الأسلوبية للكلمة، كما تعد ضرورية في تفسير المشترك اللفظي"<sup>(٣)</sup>.

لذلك "لعل من الإنصاف القول بأن هؤلاء الغربيين قد صاغوا هذه الفكرة في شكل نظرية قابلة للتطبيق على جميع أنواع المعنى من صوتية وصرفية ونحوية واجتماعية، و وضعوا لها من المعايير والإجراءات ما يجعلها تقف على قدم المساواة مع بقية النظريات التي تتناول المعنى بالتحليل والتفسير"<sup>(٤)</sup>.

من خلال ما سبق يتبين بما لا يدع مجالاً للشك أن العرب هم الذين أسسوا هذه النظرية، وبنوا لها الأركان الثابتة في التطبيق، وكانت ماثلة أمامهم، وجاء الغرب ليصوغها كمصطلح ونظرية مبوبة وأفردوا لها في التأليف .

(١) دلالة السياق، ردة الله الطلحي ص: ١٩٠ نقلاً عن: اللغة ونظرية السياق ص: ٢٣.

(٢) المرجع السابق ص: ١٩٠.

(٣) دور الكلمة في اللغة، ص: ٦٢.

(٤) دلالة السياق، ردة الله الطلحي، ص: ١٦٥.

# المبحث الثاني

## المعنى ؛ وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : تعريف المعنى لغة واصطلاحًا .
- المطلب الثاني : المعنى في الدراسات اللغوية .

## المطلب الأول

## تعريف المعنى

## تعريف المعنى في اللغة :

بيّن الفيروزبادي للمعنى دلالة عامة واوية اللام هي الإخراج والإظهار من عنوت الشيء: أخرجته وأظهرته. ثم يلتفت إلى الفعل اليائي اللام. عنيت بالقول كذا أعني عناية: قصدت وأردت، ثم يحدد الصيغة (المعنى) أي: الفحوى، ومعنى الكلام ومعناته واحد<sup>(١)</sup>.

ويسرد ابن فارس في أول المادة دلالتها سواءً أكانت واوية اللام أو يائية فالمعنى الأول: القصد للشيء بانكماش فيه وحرص عليه، والثاني دالّ على خضوع وذلّ، والثالث ظهور الشيء وبروزه ومنه عنيان الكتاب وعنوانه وتفسيره أنه البارز منه إذا ختم.

ويذكر ابن فارس ليحدد ما يدل عليه المعنى بشكل عام: « فالمعنى هو القصد الذي يبرز ويظهر في الشيء إذا بحث عنه » ثم يشرحه بعبارة أخرى، يقال: هذا معني الكلام ومعني الشعر أي الذي يبرز من مكنون ما تضمنه اللفظ<sup>(٢)</sup>. وقد يراد بالمعنى القصد والمراد<sup>(٣)</sup>.

أما الأزهري فيذكر نقلاً عن الليث اشتقاق عنوان كتاب من المعنى، ثم يورد دلالة العناية في المادة عنى: "عناي هذا الأمر يعني عناية فأنا معنيّ به، وقد اعتنيت بأمره، يقول عن الليث: ومعنى كل شيء محتته وحاله التي يصير إليه أمره وبعدها يقول الأزهري: والمعنى والتفسير والتأويل واحد"<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: القاموس المحيط مادة: (ع ن ي).

(٢) مقاييس اللغة مادة: (ع ن ي).

(٣) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس، تحقيق: أحمد حسن بسج (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م) ص: ١٩٨-١٩٩.

(٤) تهذيب اللغة مادة: (ع ن ي).

وذكر ابن منظور: "عنوت الشيء: أبديته به، وعنوته: أخرجته وأظهرته، وعنا النبت  
يعنو: إذا ظهر، وعنيت بالقول كذا: أردت، ومعنى كل كلام ومعناته ومعينته: مقصده"<sup>(١)</sup>.

مما سبق يظهر أن المعنى يدور حول الظهور تارة والقصد تارة أخرى.

المعنى اصطلاحاً:

عرّف الجرجاني - رحمه الله - (ت: ٨١٦ هـ) المعاني بأنها: الصورة الذهنية من حيث إنها  
وُضِعَ بإزائها الألفاظ<sup>(٢)</sup>.

أمّا اللغويون المحدثون فقد اختلفوا اختلافاً كبيراً في تعريف المعنى والمراد منه لاختلاف  
مناهج البحث في اللغة عندهم، فمنهم من نَهَجَ منهج العقليين أو النفسيين، ومنهم من سلك  
طريق السلوكيين، وآخرون اختاروا ماسمونه: "المنهج اللغوي"<sup>(٣)</sup>.

فكل منهج من مناهج دراسة المعنى ينظر إليه بما يخالف المنهج الآخر.

(١) لسان العرب مادة (ع ن ي).

(٢) كتاب التعريفات، الشريف الجرجاني، (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ٣، ١٤٠٨ هـ -

١٩٨٨) ص: ٢٢٠ م.

(٣) دور الكلمة في اللغة، الهامش ص: ٨٠.

لذا جعلوا لهذا المعنى الذي يؤديه التعبير صفات يتصف بها، فالجملة لا بد أن تفيد معنى ما وإلا كانت عبثًا، ومن هذه الصفات:

١- أن لا يكون المعنى الذي يؤديه التعبير لا فائدة فيه لكونه مبتدلاً معلوماً لكل أحد كقولك: (الليل مظلم والنهار مضيء) و (النار حارة والثلج بارد) فهذا مما لا فائدة فيه.

قال سيبويه: "وإذا قلت: كان رجل ذاهبًا، فليس في هذا شيء تُعلمه كان جهله، ولو قلت: كان رجل من آل فلان فارسًا حسن؛ لأنه قد يحتاج إلى أن تعلمه أن ذلك في آل فلان وقد يجهله. ولو قلت: كان رجل في قوم عاقلًا لم يحسن؛ لأنه لا يستنكر أن يكون في الدنيا عاقل وأن يكون من قوم، فعلى هذا النحو يحسن ويقبح" (١).

٢- أن لا يكون الكلام متناقضًا حيث منع النحاة نحو: (ما قمت إلا قيامًا) و(ما عاث إلا مفسدًا) لتناقضه بالنفي والإثبات (٢).

قال سيبويه: "ولو قال: ما كان مثلك أحد، أو ما كان زيد أحدًا كان ناقضًا؛ لأنه قد عُلم أنه لا يكون زيد ولا مثله إلا من الناس" (٣).

فإن كان في التعبير قرينة تصرفه عن ظاهره، وتسلمه من التناقض صح وذلك نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ (٤) فقد قدروا الظن موصوفًا بصفة أي: عظيمًا أو ضعيفًا أو نحو ذلك (٥).

٣- أن يكون التعبير صحيحًا من الناحية اللغوية جاريًا على سنن الكلام الفصيح. فالمعنى ينبغي أن يؤدي بتعبير سليم، وليس لك أن تقول: (إذا كان المعنى مفهومًا فلا عبرة باللفظ) بلا

(١) الكتاب: ١/٥٤.

(٢) ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، محمد بن الصبان، (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م): ٢/١٤٤.

(٣) الكتاب: ١/٥٥.

(٤) سورة الجاثية آية: ٣٢.

(٥) الهمع: ١/٢٢٣.

لابد أن يتوصل إلى المعنى المطلوب بتعبير صحيح فصيح. إلى غير ذلك من الأمور التي عدها اللغويون شرطاً لصحة المعنى<sup>(١)</sup>.

وقد ظهرت عناية اللغويين قديماً وحديثاً بالمعنى حيث إن علاقة اللفظ بمعناه عند اللغويين تحتمل أكثر من وجه، فقد تكون نوعاً من التطابق التام بين اللفظ والمعنى، بحيث لا يحتمل اللفظ الواحد إلا معنى واحداً، وقد يحتمل اللفظ الواحد أنواعاً من المعاني، والمعنى الواحد ألفاظاً عديدة، وقد أشار (ابن فارس) في ملحوظة جامعة لأنواع هذه العلاقات بين اللفظ ومعناه بقوله: "ويسمى الشيطان المختلفان بالاسمين المختلفين، وذلك أكثر الكلام كرجل وفرس، وتسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد، نحو عين الماء وعين السحاب ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة، نحو السيف والمهند والحسام"<sup>(٢)</sup>.

وقال في موضع آخر: "ومن سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد، سموا الجون للأسود والجون للأبيض"<sup>(٣)</sup>.

فابن فارس يحدد بهذه الملاحظة علاقة اللفظ بمعناه في مستويات أربعة هي:

- ١- ألفاظ ذات معاني مختلفة كرجل وفرس وهو أكثر الكلام.
- ٢- اللفظ الواحد يطلق على معاني متعددة ومتنوعة كعين الماء وعين السحاب، وهو ما يسمى بالمشترك اللفظي.
- ٣- ألفاظ متعددة ومتباينة تطلق على معنى واحد كالسيف والمهند والحسام، وهو ما يسمى بالترادف.
- ٤- اللفظ الواحد يطلق على معنيين مختلفين متناقضين كإطلاق لفظ الجون على الأبيض والأسود، وهو ما يسمى بالتضاد.

وللعرب عبارات بارعة تظهر مدى اهتمامها بالمعاني يقول ابن جني: (في الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني): "وذلك أن العرب كما تعنى بألفاظها

(١) ينظر: الجملة العربية والمعنى، د. فاضل صالح السامرائي، (الأردن: عمان: دار الفكر: ط: ١،

١١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م) ص: ٧-١١.

(٢) المزهري: ١/٣٦٩.

(٣) المرجع السابق: ١/٣٨٧.



فتصلحها وتهذبها وتراعيها وتلاحظ أحكامها بالشعر تارة وبالخطب أخرى، وبالأسجاع التي تلتزمها وتتكلف استمرارها، فإن المعاني أقوى عندها وأكرم عليها، وأفخم قدرا في نفوسها<sup>(١)</sup>. ويقول الغزالي-رحمه الله-(ت: ٥٠٥ هـ) وهو من الأصوليين "فاعلم أن كل من طلب المعاني من الألفاظ ضاع وهلك، وكان كمن استدبر المغرب وهو يطلبه، ومن قرر المعاني أولا في عقله ثم أتبع المعاني الألفاظ فقد اهتدى"<sup>(٢)</sup>.

وسار المحدثون على منوال سابقهم يقول د. محمود عبد السلام: "اللجوء في تخريج الأمثلة إلى المعنى اتجاه محمود في التحليل النحوي، يرى للأمثلة بعدين، بعدا ظاهرا سطحيا... وبعدا آخر كافيا عميقا وهو المعنى، والمعنى هنا يكون مسئولا عن تقديم النموذج النحوي المعين للمثال المحتمل"<sup>(٣)</sup>.

ويقول د. تمام حسان: "وإذا كان مجال هذا الكتاب هو الفروع المختلفة لدراسة اللغة العربية الفصحى، فلا بد أن يكون المعنى هو الموضوع الأخص لهذا الكتاب؛ لأن كل دراسة لغوية، لا في الفصحى فقط؛ بل في كل لغة من لغات العالم لا بد أن يكون موضوعها الأول والأخير هو المعنى، وكيفية ارتباطه بأشكال التعبير المختلفة، فالارتباط بين الشكل والوظيفة هو اللغة وهو العرف وهو صلة المبنى بالمعنى، وهذا النوع من النظر إلى المشكلة يمتد من الأصوات إلى الصرف إلى النحو إلى المعجم إلى الدلالة"<sup>(٤)</sup>.

وقد اختلف الباحثون و تفاوتوا في حصر عدد المعاني المحتملة للكلمة . و ذكر الدكتور تمام حسان ثلاثة أنواع عدّها أهم أنواع الدلالة و هي:

١- المعنى المطلق (المعنى المعجمي) ويقصد به المعنى الذي أعطى للكلمة بالوضع ويصلح لأن يسجله المعجم ، ويمكن تحليل طبيعة هذا المعنى المعجمي إذا نظرنا في طبيعة العلاقة بين المنطوق والمدلول .

(١) الخصائص: ١/٢١٥.

(٢) المستصفي في علم الأصول، محمد الغزالي، تحقيق: عبد السلام الشافعي، (لبنان: بيروت: دار الكتب

العلمية، ط: ١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م) ص: ٨١.

(٣) الفعليات، د. محمود عبد السلام شرف الدين، (مصر: القاهرة: ١٩٨٠ م) ص: ١٠٥.

(٤) اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، (المغرب: الدار البيضاء، دار الثقافة) ص: ٩.

٢- المعنى الوظيفي أي المعنى المنسوب إلى الوظيفة التي يرى أنها " معنى الصوت ومعنى الحرف ومعنى المقطع ومعنى الظاهرة الموقعية من ظواهر الكلام ثم هي معنى الأدوات والملحقات والصيغ ثم هي معنى الأبواب النحوية .. " ومن ذلك أن المعنى الوظيفي يشمل المعاني الصوتية ( بأنواعها ) والصرفية والنحوية .

٣- المعنى المقصود ( المعنى الاجتماعي ) ويفهم من جملة كلام الدكتور تمام أن المراد به جملة ما يستفاد من المقال ( وظيفيا كان أو معجميا ) مضافا إليه ما يستفاد من عناصر السياق<sup>(١)</sup> وقد أطلق على هذا " المعنى " مصطلح المعنى الدلالي وجعله مكونا من المعنى المقالي والمعنى المقامي<sup>(٢)</sup> .

كذلك ظهر هذا الاهتمام عند اللغويين الغربيين يقول كريستال: " إن الكلام عن التحليل اللغوي من غير الإشارة إلى المعنى كوصف طريقة صنع السفن من غير إشارة إلى البحر"<sup>(٣)</sup> . وقال شارلز فرايز: " لقد كان من المؤسف أن ندرس اللغة دون عناية بالمعاني وكأنها أصوات مجردة"<sup>(٤)</sup> .

وإذا توجهنا نحو المدرسة الاجتماعية السياقية التي حمل لواءها اللغوي الإنجليزي فيرث وجدناه يؤكد على الوظيفة السياقية للغة حيث ربط بين فكرة السياق والمعنى، فذهب إلى أن فكرة السياق يمكن أن تتمدد وتتسع في إطار تجريدي عام لدراسة المعنى، وكان يرى أنه على عالم اللغة إذا أراد أن يصل إلى المعنى الدقيق للحدث اللغوي أو الكلامي أن يبدأ بالكشف

(١) ينظر: مناهج البحث في اللغة ص ١٢٢ .

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها ص ٣٣٩ .

(٣) منزلة المعنى في النحو العربي، د. لطيفة النجار، رسالة دكتوراه بالجامعة الأردنية مقدمة إلى قسم اللغة العربية (١٩٩٥م) ص: ٣٥ .

(٤) السياق وأثره في الدرس اللغوي ( دراسة في ضوء علم اللغة الحديث ) د. إبراهيم محمود خليل، (رسالة دكتوراه مقدمة إلى قسم اللغة العربية بالجامعة الأردنية) ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م) ص: ١٣٦ .

عن الوحدات اللغوية المكونة له، أي: الوحدات الصوتية والفونولوجية، والمورفولوجية والعلاقات النحوية ومحاولة تطويعها وفقاً لخصائصها التركيبية وهذا الذي يعيننا في البحث.

حيث نظر إلى السياق على أنه جزء أصيل في عملية التحليل اللغوي، واعتبر دراسة البنية اللغوية مقطوعة عن سياقها ذا تأثير واضح على تعدد المعنى وغموضه، وإذا كان الأمر كذلك فإن دراسة معاني الكلمات والألفاظ تتطلب تحليلاً للسياقات والمواقف التي ترد فيها، سواء أكانت سياقات لغوية أو ثقافية أو عاطفية، حيث يقول: "إن الوحدات الحقيقية للغة ليست الأصوات ولا طريقة الكتابة أو المعاني، ولكنها العلاقات التي تمثلها هذه الأصوات والأساليب والمعاني... أي العلاقات المتبادلة أو المشتركة داخل السلسلة الكلامية والصيغ الصرفية والنحوية"<sup>(١)</sup>.

وقال جون لونز ليبين عن مفهوم فيرث للمعنى بأنه: "عبارة عن مزيج من العلاقات السياقية والصوتية والنحوية والمعجمية والدلالية"<sup>(٢)</sup>.

إذن علم الدلالة " يدرس العلاقة بين الرمز اللغوي ومعناه، ويدرس تطور معاني الكلمات تاريخياً وتنوع المعاني والمجاز اللغوي والعلاقات بين كلمات اللغة"<sup>(٣)</sup>.

وكل لفظ في اللغة يحيل إلى معنى ما، وهذا المعنى يظل غامضاً إلى درجة ما، ولا يتضح إلا عن طريق ملاحظة استعماله في سياق معين، والواقع أن الاهتمام بالمقام أو السياق ضروري للوصول إلى المعنى الدقيق؛ لأن الكلمة إذا أخذت منعزلة عن السياق محتملة لصنوف من المعاني.

هكذا كانت نظرة اللغويين لعلاقة المعنى بالسياق، فهي علاقة قوية، فالمعنى والسياق حقيقتان متحدتان، فالعناية بأحدهما عناية بالآخر، والاهتمام يجب أن يقسم بالتساوي بينهما إذ ليست منزلة المعنى دون منزلة السياق والعكس صحيح.

(١) علم الدلالة بين النظر والتطبيق، د. أحمد نعيم الكراعين، (لبنان: بيروت: ط: ١، ١٤١٣هـ-

١٩٩٣م) ص: ٩١، ٩٠.

(٢) المرجع السابق ص: ٩١.

(٣) ينظر: معجم علم اللغة النظري ص: ٢٥١.

# المبحث الثالث صحيح مسلم، وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التعريف بمؤلف الصحيح.
- المطلب الثاني: التعريف بصحيح مسلم.
- المطلب الثالث: ١ ميزات صحيح مسلم.

## المطلب الأول التعريف بمؤلف الصحيح

من مفاخر العرب والمسلمين الخالدة على مر الزمن، ومن مآثرهم التي لا تنضب، الإمام مسلم -رحمه الله تعالى- العالم الجليل الذي سجل في تاريخ الإنسانية صفحة تسطع أنوارها على مدى الأجيال بمداد علمه الغزير الذي استمر مدة حياته، وبعد وفاته . وسيقف البحث -إن شاء الله تعالى- على نبذة يسيرة عن حياة هذا العالم الجليل مؤلف الجامع الصحيح حيث لا مجال للبسط في ذلك؛ خاصة أن كتب التراجم قد أفاضت في الحديث عنه والإشادة بصحيحه.

هو: الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ أبو الحسين. وهو عربي قشيري نسبة إلى بني قشير إحدى القبائل العربية المعروفة. ولد سنة: ٢٠٦هـ، كما رجحه كثير من العلماء بنيسابور<sup>(١)</sup>، وهي إذ ذاك مركزاً زاخراً بثقافات متنوعة لاسيما في علوم الحديث. نشأ في بيئة علمية. فقد كان والده الحجاج بن مسلم من المشيخة. أقبل على سماع الحديث منذ صغره فطاف على شيوخ بلده، واغترف من كل ألوان المعرفة فيها ولم يكتف بلون واحد. وكان -رحمه الله- بزازاً<sup>(٢)</sup>.

وأما عن صفاته الخلقية فكان تام القامة، أبيض الرأس واللحية<sup>(٣)</sup>. وأما الخلقية فكثيرة منها: "أنه ما اغتاب أحداً في حياته، ولا ضرب ولا شتم"<sup>(٤)</sup>، وكان كثير الإحسان إلى الناس حتى وصفه الذهبي -رحمه الله- (ت: ١٣٤٧هـ) بأنه: (محسن نيسابور)<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمائه من الإسقاط والسقط، عثمان بن الصلاح، تحقيق: موفق بن عبد الله، (لبنان: بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط: ٢، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م) ص: ٥٥، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس، (لبنان: بيروت: دار صادر، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) ص: ١٩٤/٥ - ١٩٥.

(٢) تهذيب التهذيب ١٠/١١٥ و البز: ضرب من الثياب، والبزاة: حرفة البزاز. ينظر: تهذيب اللغة مادة: (ب ز).

(٣) المرجع نفسه. ١٠/١١٥.

(٤) فتح الملهم شرح صحيح مسلم، شبير أحمد الديوبندي، (الهند: مكتبة الحجاز) ١/١٠٠.

(٥) العبر في خبر من غير، الذهبي، تحقيق: أبو هاجر محمد زغلول، (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية) ١/٣٧٥.

أما عن عقيدته فقد كان من كبار أئمة أهل السنة والجماعة؛ فقد ذكر الإمام أبو عثمان الصابوني - رحمه الله - (ت: ٤٤٩ هـ) في كتابه علامات أهل السنة ومن بينها حبهم لأئمة السنة وعلمائها، فذكر أسماء بعض العلماء الذين يعد حبهم من علامات أهل السنة، ومنهم الإمام مسلم<sup>(١)</sup>.

وأما بالنسبة للعصر الذي عاش فيه مسلم فإنه عاش في القرن الثالث الهجري (٢٠٦-٢٦١ هـ). ولقد شهد هذا القرن (قمة ما بدأه الصحابة ومن بعدهم من الأئمة من أجل المحافظة على السنة من حيث التدوين والنقد والتأليف فيهما)<sup>(٢)</sup>، وهو العصر الذهبي للسنة عصر كبار المحدثين وحذاق الناقدين ومهرة المؤلفين<sup>(٣)</sup>، من أمثال: إسحاق بن راهويه (ت: ٢٣٨ هـ)، وأحمد بن حنبل (ت: ٢٤٤ هـ)، والبخاري (ت: ٢٥٦ هـ) - رحمهم الله - وغيرهم كثير.

وكان الإمام مسلم ممن رحلوا لطلب العلم منها ما كان في موطنه نيسابور خاصة، وبلاد خراسان عامة، كما ورحل أيضاً إلى مكة والمدينة، والبصرة وبغداد والكوفة، والشام ومصر، وغيرها من بلدان العالم الإسلامي<sup>(٤)</sup>.

ومن هنا فقد أفاض العلماء في الإشادة بفضله، وإمامته في علم الحديث، وحسن تصنيفه فهذا أستاذه إسحاق بن راهويه يقول عنه: "أي رجل يكون هذا"<sup>(٥)</sup> وقال إسحاق بن منصور - رحمه الله - (ت: ٢٥١ هـ) لمسلم: "لن نعدم الخير ما أبقاك الله للمسلمين"<sup>(٦)</sup>.

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث، ص: ١١٠.

(٢) المدخل إلى توثيق السنة، رفعت فوزي، (مصر: مؤسسة الخانجي، ط: ١، ١٩٧٨ م) ص: ٦٢.

(٣) الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، محمد أبو زهو، (لبنان: بيروت: دار الكتاب العربي) ص: ٣٦٧.

(٤) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، صالح السمر، (مؤسسة الرسالة، ط: ٦، ١٤٠٩ هـ -

١٩٨٩ م) ١٢/٥٥٨، تهذيب الأسماء واللغات، يحيى بن شرف النووي، (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية) ٩١/٢.

(٥) ينظر: العبر: ١/٣٧٥.

(٦) ينظر: الصيانة ص: ٦٣-٦٤، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف المزي، تحقيق: د. بشار عواد، (مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٩٩٨ م) ٢٧/٥٠٥، وسير أعلام النبلاء: ١٢/٥٦٣.

وقد ازدادت مكانة مسلم واشتهرت بعد تأليفه (الصحيح)، وحصل له فيه حظ عظيم لم يحصل لأحد مثله<sup>(١)</sup>، فرفعه الله به إلى مناط النجوم، وصار إماماً حجة يبدأ ذكره ويعاد في علم علم الحديث وغيره من العلوم<sup>(٢)</sup>.

وكان الإمام مسلم حريصاً على التزود بالعلم من ينابيعه المختلفة، حيث تلقى العلم عن جموع من العلماء، فشيخه في الصحيح وحده مائتان وعشرون شيخاً<sup>(٣)</sup>.

ومن شيوخه: الإمام البخاري، وهو من أجلّ شيوخه، لكن مسلماً لم يرو له في صحيحه؛ ولعل ذلك لكون لقيه إياه وملازمته له بشكل كبير كان بعد إتمامه ل: (صحيحه)، ومن شيوخه أيضاً: يحيى بن يحيى بن بكير النيسابوري، الإمام الحافظ شيخ خراسان، وأبو زرعة الرازي، ومحمد بن المثني، وقتيبة بن سعيد، ومحمد بن بشار، وغيرهم كثير.

ولما شاع علمه في الآفاق قصده طلاب العلم و تتلمذ على يديه عدد كبير من الأئمة الأعلام ومنهم عدد كبير من الحفاظ. وقد ذكر منهم الذهبي ستة وعشرين حافظاً<sup>(٤)</sup>. ومن هؤلاء التلاميذ: أبو بكر بن خزيمة، وأبو حاتم الرازي، وأبو عوانة الأسفراييني، والترمذي وغيرهم كثير<sup>(٥)</sup>.

ويشهد بعلمه مؤلفاته منها المطبوع وهي :

١- الأسامي والكنى، ورد باسم (الأسماء والكنى)، و(الكنى والأسماء).

٢- التمييز: كتاب نفيس يبين منهج المحدثين في نقد الأحاديث، طبعت قطعة منه بتحقيق الدكتور محمد الأعظمي.

٣- رجال عروة بن الزبير: نشر في مجلة المجمع العلمي بدمشق مجلد ٥٤ الجزء الأول صفحة ١٠٧ وما بعدها.

(١) ينظر: تهذيب التهذيب: ١٠ / ١١٤.

(٢) ينظر: الصيانة ص: ٦١.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٢ / ٥٥٨-٥٦١.

(٤) تذكرة الحفاظ، الذهبي، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي، (دار إحياء التراث العربي) ص: ٥٦٧-٩١٠.

(٥) ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٢ / ٥٦٢، وتهذيب الكمال: ٣ / ١٣٢٥.

٤- المنفردات والوحدان: طبع في حيدر أباد بالهند مع (الضعفاء الصغير) للبخاري و(الضعفاء المتروكين) للنسائي.

٥- الطبقات: طبع بتحقيق مشهور حسن.

وغير المطبوعة: ككتاب العلل، سؤالاته أحمد بن حنبل، كتاب عمرو بن شعيب، كتاب الانتفاع بأهب السباع، كتاب مشايخ مالك وله مؤلفات كثيرة في حكم المفقود، نذكر منها:

١- الأخوة والأخوات .

٢- أسماء الرجال.

٣- الأفراد.

٤- أفراد الشاميين.

٥- الأقران<sup>(١)</sup>.

لقد عاش الإمام مسلم وهو يجمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت لوفاته سبب عجيب كما يذكر المؤرخون قال ابن الصلاح-رحمه الله-(ت:٦٤٣هـ): "وكان لموته سبب غريب نشأ عن غمرة فكرية علمية. ثم ساق سنده إلى الحاكم. قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن يعقوب سمعت أحمد بن سلمة يقول: عقد لأبي الحسين مسلم بن الحجاج مجلس للمذاكرة، فذكر له حديثاً لم يعرفه، فانصرف إلى منزله، وأوقد السراج، وقال لمن في الدار: لا يدخلن أحد منكم هذا البيت، فقيل له: أهديت لنا سلة فيها تمر، فقال: قدموها إليّ، فقدموها، فكان يطلب الحديث، ويأخذ ثمرة تمر يمضغها، فأصبح وقد فني التمر، ووجد الحديث.

قال الحاكم: زادني الثقة من أصحابنا: أنه منها مرض، ومات"<sup>(٢)</sup>.

(١) صحيح الإمام مسلم (رؤية منظومية)، د.قاسم محمد غنام، (المؤتمر العربي الرابع حول المدخل المنظومي في التدريس والتعلم، إبريل ٢٠٠٤م) ص: ٤، ٥.

(٢) الصيانة ص: ٦٤، وينظر: تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٣ هـ، الخطيب البغدادي (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية) ١٣/١٠٣.



وكانت وفاته عشية يوم الأحد، ودفن الاثنى عشر بقين من رجب سنة إحدى وستين ومائتين، رحمه الله رحمة واسعة (١).

---

(١) ينظر: تاريخ بغداد ١٣/١٠٣ - ١٠٤، والوفيات: ٥/١٩٥، والعبر: ١/٣٧٥، والبداية والنهاية، إسماعيل بن كثير، تحقيق: د. عبد الله عبد المحسن التركي، (دار هجر: مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، ط: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) ١٤/٥٥.

## المطلب الثاني

## التعريف بـ (صحيح الإمام مسلم)

لم يسمِ الإمام مسلم كتابه بالصحيح ولذا كان الاختلاف في اسمه، فسماه ابن حجر وحاجي خليفة، والكتاني وغيرهم: "الجامع"<sup>(١)</sup>، وسماه ابن خلكان، والذهبي وغيرهم: "الصحيح"<sup>(٢)</sup>. وهو المشهور؛ بيد أن الإمام مسلم نص على تسميته خارج الكتاب بـ "المسند الصحيح"<sup>(٣)</sup>. فقال: "ما وضعت شيئاً في هذا (المسند) إلا بحجة"<sup>(٤)</sup>. وقال أيضاً: "صنفت هذا المسند الصحيح"<sup>(٥)</sup>.

ومكان التصنيف في بلده (نيسابور) بحضور أصوله في حياة كثير من مشايخه، أما الزمن الذي استغرقه في تصنيفه، فالذي نقل عن صاحبه أحمد بن سلمة -رحمه الله- (ت: ٢٨٦هـ) قوله: "كنت مع مسلم في تأليف صحيحه خمس عشرة سنة"<sup>(٦)</sup>.

وبالنسبة لعناوين الكتب والأبواب، فالمعروف أن مسلماً لم يضع عناوين للكتب والأبواب في صحيحه، بل صنّفه وحدات كلية، وتشتمل كل وحدة على وحدات جزئية. وتسابق الشراح من أجل ترجمة كتبه وأبوابه بما يليق بها، من هؤلاء النووي في شرحه لـ "صحيح مسلم"، والقرطبي في "المفهم"، والديوبندي في "فتح الملهم" في شرح صحيح مسلم. أما ترك مسلم لعناوين الأبواب فلعله ترك ذلك لفهم القارئ وتحريك ذهنه وعقليته<sup>(٧)</sup>.

(١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، (لبنان: بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) ٤٣٨/١، والرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرقة، محمد الكتاني، (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ٢، ١٤٠٠هـ) ص: ٤١.  
(٢) ينظر: الوفيات: ١٩٤/٥، والسير: ٥٧١/١٢.  
(٣) ينظر: تاريخ بغداد: ١٠٠ / ١٣.  
(٤) الصيانة ص: ٦٨، وينظر: التذكرة: ٥٩٠، والسير: ٥٨٠/١٢.  
(٥) ينظر: تاريخ بغداد: ١٠١/١٣، الوفيات: ١٩٤/٥.  
(٦) التذكرة: ص: ٥٨٩.  
(٧) صحيح الإمام مسلم (رؤية منظومية) ص: ٥.

وليس الأمر كما رأى ابن الصلاح بأن مسلماً فعل ذلك لثلاث يطول الكتاب<sup>(١)</sup>؛ لأن العناوين لا تأخذ إلا مساحة ضئيلة في الكتاب.

وأما عدد أحاديثه فذكر النووي في التقريب أن عدد أحاديث صحيح الإمام مسلم أربعة آلاف حديث دون المكرر، ونقل عن أحمد بن سلمة رفيق مسلم: أنها تبلغ بالمكرر اثني عشر ألف حديث. وقد فسّر الذهبي المكرر في قول أحمد بن سلمة بقوله: (يعني بالمكرر بحيث أنه إذا قال: حدثنا قتيبة وأخبرنا ابن رمح يعدان حديثين اتفق لفظهما أو اختلف في كلمة)<sup>(٢)</sup>.

ويتحدث الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي عن ظاهرة التكرار في صحيح مسلم فيقول: "ولاحظت أنا أثناء عملي في الكتاب وتبع أحاديثه أن مسلماً كرر أحاديث كثيرة في مواضع متعددة في كتابه، يبلغ عددها (١٣٧) حديثاً من ذلك (٧١) حديثاً يضع الحديث منها في كتاب غير الكتاب الذي وضع الحديث فيه لأول مرة"<sup>(٣)</sup>. وفي طبعة خليل مأمون شيخاً بالمكرر بالمكرر (٧٤٧٩) وقد قابل كل سند منها بتحفة الأشراف، ووضع رقمه في التحفة في حاشية الصحيح.<sup>(٤)</sup>

أما موضوع "الصحيح" فهو: الحديث الصحيح المجرد المسند إلى رسول الله ﷺ. قال الدهلوي-رحمه الله-(ت: ١٢٣٩هـ): "توختى -أي مسلم- تجريد الصحاح الجمع عليها بين المحدثين، المتصلة، المرفوعة"<sup>(٥)</sup>.. واقتصر على ذلك، ولم يذكر الموقوفات، والمعلقات إلا نادراً، وخلصه من التفرعات والاستنتاجات الفقهية والأصولية وغيرها. وهذا ما ميز مسلم عن البخاري، حيث إن البخاري أكثر من ذكر الموقوفات، و المعلقات، وعمد إلى الاستنباطات الفقهية والفوائد الحديثية، وإيراد الشواهد من الآيات القرآنية.

ومع ذلك لم يستوعب مسلم جميع الأحاديث الصحيحة ونقل عنه قوله: "ليس كل شيء عندي صحيح وضعته ها هنا (أي في صحيحه) إنما وضعت ها هنا ما أجمعوا عليه"<sup>(٦)</sup>

(١) ينظر: الصيانة ص: ١٠٣.

(٢) سير أعلام النبلاء: (٥٦٦/١٢).

(٣) فهارس صحيح مسلم، ٦٠١/٥.

(٤) للمزيد ينظر: كتاب الدكتور محمد طوالة "الإمام مسلم، ومنهجه في صحيحه" ص: ١٠٨-١١٤.

(٥) حجة الله البالغة، شاه ولي الدين الدهلوي، (لبنان: بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر) ١٥١/١.

(٦) صحيح مسلم ٣٠٤/١.

## سبب تأليفه الصحيح وانتقاؤه له :

إن السبب في تأليف الإمام مسلم لصحيحه هو أن أحد تلاميذه طلب منه أن يوقفه على جملة الأخبار المأثورة عن رسول الله ﷺ في سنن الدين وأحكامه، فوقع ذلك في قلبه، فأخذ في جمع (صحيحه). قال في ذلك: "أما بعد فإنك يرحمك الله بتوفيق خالقك ذكرت أنك هممت بالفحص عن تعرف جملة الأخبار المأثورة عن رسول الله ﷺ في سنن الدين وأحكامه، وما كان فيها من الثواب والعقاب، والترغيب والترهيب، وغير ذلك من صنوف الأشياء بالأسانيد التي بها نقلت، وتداولها أهل العلم فيما بينهم، فأردت، أرشدك الله أن توقّف على جملتها، مؤلفة محصاة، وسألني أن أخصها لك في التأليف بلا تكرار يكثر. فإن ذلك زعمت مما يشغلك عما له قصدت من التفهم فيها، والاستنباط منها، وللذي سألت أكرمك الله حين رجعت إلى تدبره، وما تؤول به الحال إن شاء الله، عاقبة محمودة، ومنفعة موجودة، وظننت حين سألتني تجشّم ذلك، أن لو عزم لي عليه، وقضي لي تمامه، كان أول من يصيبه نفع ذلك إياي خاصة"<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر الخطيب البغدادي أن مسلماً جمع الصحيح لأبي الفضل أحمد بن سلمة النيسابوري تلميذه وصاحبه، فقال في ترجمة أحمد في الموضع السابق: (ثم جمع له مسلم الصحيح في كتابه)<sup>(٢)</sup> فبين الخطيب بهذا ما أبهمه الإمام مسلم في مقدمته.

(١) ينظر: صحيح مسلم: ١/٣-٤ المقدمة.

(٢) تاريخ بغداد، ٤/١٨٦.

## المطلب الثالث

## مميزات صحيح مسلم

إن الجامع الصحيح هو ثاني الصحيحين اللذين هما أصح الكتب بعد القرآن الكريم، وقد تلقته الأمة بالقبول، وهو في نهاية الشهرة قال الحافظ بن الصلاح: "هذا الكتاب ثاني كتاب صنّف في صحيح الحديث ووسم به، ووضع له خاصة، سبق البخاري إلى ذلك وصلى مسلم، ثم لم يلحقهما لاحق، وكتاباهما أصح ما صنّفه المصنفون"<sup>(١)</sup> وتفرد بمميزات منها:

١- حسن ترتيبه و ترصيفه الأحاديث بما يدل على كمال معرفته لجوامع الخطاب ودقائق العلم، وأصول القواعد، وخفيات علم الأسانيد، ومراتب الرواة، وغير ذلك. قال المعلمي: "عادة مسلم أن يرتب روايات الحديث بحسب قوتها، يقدم الأصح فالأصح"<sup>(٢)</sup>.

وقال: "من عادة مسلم في صحيحه أنه عند سياق الروايات المتفقة في الجملة يقدم الأصح فالأصح، فقد يقع في الرواية المؤخرة إجمال أو خطأ تبينه الرواية المقدمة في ذاك الموضع"<sup>(٣)</sup>.

٢- اعتناؤه بضبط ألفاظ الأحاديث عند اختلاف الرواة، كقوله: حدثنا فلان وفلان - واللفظ لفلان- قال: أو قال: حدثنا فلان. وإذا كان بينهما اختلاف في حرف من متن الحديث، أو صفة الراوي، أو نسبه، أو نحو ذلك، فإنه يبينه. وربما كان بعضه لا يتغير به معنى، وربما كان في بعضه اختلاف في المعنى، ولكن كان خفيًا لا يتفطن له إلا ماهر في العلوم الحديثية، مع اطلاع على دقائق الفقه، ومذاهب الفقهاء<sup>(٤)</sup>. أما البخاري، فقد جمع بين عدة رواة قد اتفقوا في المعنى، وليس ما أورده لفظ كل واحد منهم، وسكوته عن بيان ذلك.

(١) الصيانة ص: ٦٧.

(٢) الأنوار الكاشفة لما في كتاب (أضواء على السنة) من الزلل والتضليل والمجازفة، عبد الرحمن المعلمي، (القاهرة:

المطبعة السلفية، ١٣٧٨هـ) ص: ٢٩.

(٣) المرجع السابق ص: ٢٣٠.

(٤) ينظر: المنهاج: ٢١/١-٢٣، وتدريب الراوي شرح تقريب النواوي، عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: عبد الوهاب

عبد اللطيف، (لبنان: بيروت: دار إحياء السنة النبوية، ط: ٢، ١٣٩٩هـ) ١/٩٤-٩٥.

٣- إن الإمام مسلماً صنّف كتابه في بلده، بحضور أصوله، في حياة كثير من مشايخه، فكان يتحرز في الألفاظ، ويتحرى في السياق، بخلاف الإمام البخاري، قد صحّ عنه أنه قال: "رب حديث سمعته بالبصرة كتبته بالشام، ورب حديث سمعته بالشام كتبته بمصر"<sup>(١)</sup>.

٤- التحري الدقيق، فهذه الصفة تميز بها الإمام مسلم في (الصحيح) عن غيره ومن أمثلة ذلك:

أ- الاهتمام بالتمييز بين حدثنا وأخبرنا، وتقييده ذلك على مشايخه، وكان مذهبه الفرق بينهما، وأن حدثنا لما سمعه من لفظ الشيخ خاصة، وأخبرنا لما قرئ على الشيخ، ومذهبه وموافقيه صار هو الغالب على أهل الحديث، قال الحاكم في المعرفة: (الذي اختاره وعهدت عليه أكثر مشايخي وأئمة عصري أن يقول في الذي يأخذه من المحدث لفظاً وليس معه أحد: "حدثني فلان"، وما يأخذه عن المحدث لفظاً مع غيره: "حدثنا فلان"، وما قرأ على المحدث بنفسه: "أخبرني فلان"، وما قرئ على المحدث وهو حاضر: "أخبرنا فلان"... قال ابن الصلاح: وهو حسنٌ رائع<sup>(٢)</sup>).

ب - تحريه فيما يرويه من الصحائف المشتملة على أحاديث تروى بإسناد واحد؛ كصحيفة همام بن منبه كقوله حدثنا محمد بن رافع قال: حدثنا عبد الرزاق: حدثنا معمر عن همام قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن محمد رسول الله ﷺ « إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَنْشِقْ بِمَنْحَرَيْهِ مِنَ الْمَاءِ ثُمَّ لِيَنْتَبِزْ »<sup>(٣)</sup>.

وذلك لأن الصحائف والأجزاء والكتب المشتملة على أحاديث بإسناد واحد إذا اقتصر عند سماعها على ذكر الإسناد فيه ولم يجدد عند كل حديث منها، وأراد إنسان ممن سمع ذلك أن يفرد حديثاً منها غير الأول بالإسناد المذكور في أولها، فقد ذهب الأكثرون إلى جواز ذلك، لأن الجميع معطوف على الأول، ومنع الأستاذ أبو إسحاق الأسفراييني ذلك، وقد سلك مسلم رحمه الله هذا الطريق ورعاً واحتياطاً وتحريماً. قال ابن الصلاح: (فتكريره رحمه الله وإيانا في كل حديث منها لقوله: هذا ما حدثنا أبو هريرة وقوله: فذكر أحاديث منها كذا وكذا

(١) تاريخ بغداد ١١/٢ .

(٢) الصيانة ص: ١٠٣ .

(٣) صحيح مسلم ٢١٢/١ رقم الحديث: (٢٣٧).

يفعله المتحرّي الورع).<sup>(١)</sup>

ج- ومن تحريه قوله: "حدثنا أحمد بن الحسن بن خراش: حدثنا عمر بن عبد الوهاب: حدثنا يزيد- يعني بن زريع - : حدثنا روح عن سهيل عن القعقاع عن أبي صالح عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قَالَ « إِذَا جَلَسَ أَحَدُكُمْ عَلَيَّ حَاجَتِهِ فَلَا يَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَلَا يَسْتَنْدِرُهَا »<sup>(٢)</sup>.

فلم يستجز أن يقول: يزيد بن زريع، حدثنا روح، لكونه لم يقع في روايته منسوباً، فلو قاله منسوباً لكان مخبراً عن شيخه أنه أخبره بنسبه وهو لم يخبره، ومثل هذا كثير في (الصحيح).

٥- ومن المميزات الواضحة في (صحيح مسلم)، تجنب التكرار لئلا يكثُر فيشغل عن ضبط القليل، وعن الاستنباط إلا لسبب كما قال في مقدمته، وأهل الحديث يرون أن الأصل عند مسلم عدم التكرار، وفي هذا يقول الإمام النووي في شرحه لمنهج مسلم: "جعل لكل حديث موضعاً واحداً يليق به، جمع فيه طرقه التي ارتضاها واختار ذكرها، وأورد فيه أسانيده المتعددة وألفاظه المختلفة، فيسهل على الطالب النظر في وجوهه واستثمارها ويحصل له الثقة بجميع ما أورده مسلم من طرقه"<sup>(٣)</sup>.

فالإمام مسلم يسوق الحديث بكامله في الباب الواحد -ولو كان الحديث طويلاً، ولا يكرر ذلك في أبواب، أو كتب مختلفة -إلا نادراً- بخلاف البخاري، فإنه يُقطع الحديث الواحد حسب مواضعه، فيضعه في موضعين أو ثلاثة أو أكثر.

ولا يفهم من هذه العبارة أنه لا يوجد تكرار في صحيح مسلم، حيث قرر مؤلفه - رحمه الله- هذه الظاهرة في كتابه وذكر أسبابها بوضوح، يقول في مقدمة كتابه: "ثم إننا - إن شاء الله- مبتدئون في تخريج ما سألت وتأليفه على شريطة سوف أذكرها لك، وهو أنا نعمد إلى جملة ما أسند من الأخبار عن رسول الله ﷺ فنقسمها على ثلاثة أقسام، وثلاث طبقات من الناس على غير تكرار، إلا أن يأتي موضع لا يستغنى فيه عن ترداد حديث فيه زيادة معنى، أو إسناد يقع إلى جنب إسناد لعله تكون هناك؛ لأن المعنى الزائد في الحديث المحتاج إليه يقوم مقام

(١) الصيانة ص: ١٠٤ .

(٢) صحيح مسلم: ١/٢٢٤ رقم الحديث: (٢٦٥).

(٣) المنهاج: ١/٩، ١٠.

حديث تام فلا بد من إعادة الحديث الذي فيه ما وصفنا من الزيادة أو أن يفصل ذلك المعنى من جملة الحديث على اختصاره إذا أمكن، ولكن تفصيله ربما عثر من جملة فاعادته بهيئته إذا ضاق ذلك أسلم. فأما ما وجدنا بدأ من إعادته بجملته من غير حاجة منا إليه فلا نتولى فعله إن شاء الله تعالى<sup>(١)</sup>.

فالظاهر من كلام الإمام مسلم - رحمه الله - أنه يكرر الحديث في صحيحه لأسباب:

١- أن يكون في الحديث زيادة في المعنى.

وقصد الإمام مسلم بهذه الزيادة الأحاديث الطويلة التي فيها جملة من الأحكام فلا يريد أن يكررها كاملة في عدة مواطن، فيذكر الحديث كاملاً في مكان، ومختصراً في مكان آخر مركزاً على موطن الشاهد؛ ومن الأمثلة على ذلك:

أ- أخرج الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان حديث الرجل الذي قاتل مع الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يدع شاذة إلا أتبعها بسيفه، ورغم ذلك قال فيه عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ التَّقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ فَاقْتَتَلُوا . فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَسْكَرِهِ وَمَالَ الْآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ لَا يَدْعُ لَهُمْ شَاذَةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ فَقَالُوا مَا أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلَانٌ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ » . فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ أَنَا صَاحِبُهُ أَبَدًا . قَالَ فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ - قَالَ - فَخَرَجَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا فَاسْتَعَجَلَ الْمَوْتَ فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَذُبَابُهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ . قَالَ « وَمَا ذَاكَ » . قَالَ الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آيْفَاءُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ فَقُلْتُ أَنَا لَكُمْ بِهِ فَخَرَجْتُ فِي طَلْبِهِ حَتَّى جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا فَاسْتَعَجَلَ الْمَوْتَ فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَذُبَابُهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْذُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْذُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ »<sup>(٢)</sup>.

(١) صحيح مسلم (المقدمة): ١/٤-٥.

(٢) المرجع السابق: ١/١٠٦ رقم (١١٢).



ثم روى الجزء الأخير منه في كتاب القدر<sup>(١)</sup>.

ب- وروى في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين من طريق أبي سلمة عن عائشة أنها قالت كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَصِيرٌ وَكَانَ يُحَجِّرُهُ مِنَ اللَّيْلِ فَيُصَلِّي فِيهِ فَجَعَلَ النَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ وَيَبْسُطُهُ بِالنَّهَارِ فَثَابُوا ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ « يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دُوومَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ » . وَكَانَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا عَمِلُوا عَمَلًا أَتَبَتُوهُ .<sup>(٢)</sup>

ثم رواه في كتاب الصيام من نفس الطريق عن عائشة قالت: لم يكن رسول الله ﷺ في الشهر من السنة أكثر صياماً من شعبان، وكان يقول: "خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لن يمل حتى تملاوا، وكان يقول: أحب العمل إلى الله ما داوم عليه صاحبه وإن قل"<sup>(٣)</sup>.

٢- أن يعيد الحديث بأكمله، إذا صعب فصل الزيادة (في المعنى المحتاج إليه) منه، لأن إعادته بهيئته أسلم. ومثال ذلك:

أ- أخرج مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: "نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، ونهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث، فأمسكوا ما بدا لكم، ونهيتكم عن النبيذ إلا في سقاء فاشربوا في الأسقية كلها، ولا تشربوا سكرًا"<sup>(٤)</sup>. ثم أورد الحديث بنصه في كتاب الأضاحي<sup>(٥)</sup>. لما رأى من صعوبة فصل الحديث وتقطيعه. ولما قام به مسلم فوائده كثيرة منها:

أ - سهولة التعامل مع الكتاب من حيث إن مسلماً جعل له موضعاً واحداً يليق به.  
ب- حصول الثقة بجميع ما أورده مسلم من الطرق؛ لأن تعدد الطرق يزيد الحديث قوة، ويؤمن معه الوهن الحاصل في بعض الأسانيد المعنعة؛ بل إن ابن الصلاح بعدما نقل مذهب مسلم في العنعة، وأن ذلك يقعد به عن الترجيح على البخاري قال: "وإن لم يلزم منه عمله به فيما أودعه في صحيحه هذا، وفيما يورده من الطرق المتعددة للحديث الواحد ما يؤمن من

(١) صحيح مسلم : ٢٠٤٢/٤ .

(٢) المرجع السابق: ٥٤٠/١ - ٥٤١ رقم الحديث (٧٨٢).

(٣) المرجع السابق: ٨١١/٢ رقم الحديث (٧٨٢)

(٤) المرجع السابق: ٦٧٢/٢ رقم (٩٧٧).

(٥) المرجع السابق: ١٥٦٤/٣ .

وهن ذلك" (١).

ج- تسمية من أجهم في الإسناد.

د- نسبة من لم ينسب.

هـ- بيان اختلاف ألفاظ الرواة في تحمّل الحديث: "حدثنا، أخبرنا، عن ، أن...".

و- معرفة تفرد الراوي بالحديث، أو عدمه.

ز- معرفة الوصل، والإرسال، والانقطاع والإعصال، والمزيد في متصل الأسانيد، والوقف

والرفع، وغير ذلك.

ح- التصريح بسماع المدلسين.

ط- معرفة العلة الواقعة في السند.

ي- معرفة اتفاق المتن، أو اختلافها.

ك- معرفة الشاذ من الأحاديث (٢).

ل- تفسير الألفاظ الغريبة التي قد ترد في بعض الطرق من خلال الطرق الأخرى.

وللإمام مسلم شخصيته المميزة التي تدل على علمه الواسع، والدليل على الجهد الكبير الذي

بذله مسلم في انتقاء أحاديث كتابه قوله: "صنفت هذا المسند الصحيح من ثلاث مئة ألف

حديث مسموعة" (٣).

٦- بدأ كتابه بمقدمة، بيّن فيها سبب تأليفه الصحيح، ثم ذكر مجموع ما أسند إلى رسول الله

ﷺ وأنه ثلاثة أقسام، ثم ذكر باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذب، ثم باب تغليظ

الكذب على رسول الله ﷺ في أبواب ختمها بباب صحة الاحتجاج بالحديث المعنعن، وتحدث

فيها عن شيء من أصول علم الحديث، وهذا ما لا نجد في غيره من مصنفات الحديث إلا

القليل. وشرطه في هذه المقدمة ليس هو شرطه في صحيحه.

قال الحاكم-رحمه الله-(ت:٤٠٥هـ) بعد إخراج حديث: ( هذا حديث ذكره

(١) الصيانة ص:٦٩.

(٢) صحيح الإمام مسلم (رؤية منظومية)، د. قاسم محمد غنام ص:١٣.

(٣) الصيانة:٦٧، والمنهاج: ١٤/١.

مسلم في خطبة الكتاب مع الحكايات ولم يخرجها في أبواب الكتاب وهو صحيح<sup>(١)</sup>.  
وقال ابن القيم في معرض رده على مخالف له: (وأما قولكم: إنَّ مسلماً روى لسفيان بن حسين في صحيحه فليس كما ذكرتم، وإنما روى له في مقدمة كتابه، ومسلم لم يشترط فيها ما شرطه في الكتاب من الصّحّة، فلها شأن ولسائر كتبه شأن آخر ولا يشك أهل الحديث في ذلك)<sup>(٢)</sup>.

ومما يدل على صحة التفريق في الشرط بين الصحيح والمقدمة أن أصحاب كتب التراجم يرمزون للراوي عند مسلم في الصحيح بحرف ( م ) وله في المقدمة بـ ( مق ) كما في تهذيب التهذيب وغيره.

٧- ليس فيه بعد المقدمة إلا الحديث السرد. بخلاف ما هي عليه بعض المصنفات الحديثة كصحيح البخاري -مثلاً- أو جامع الترمذي فإنهما امتزجا بالكثير من أقوال الصحابة والتابعين والنصوص الفقهية.

٨- تقدم روايات الثقات على روايات من دونهم على ما رسمه لنفسه في مقدمة صحيحه<sup>(٣)</sup>.

قسم الإمام مسلم رحمه الله مجموع ما أسند إلى رسول الله ﷺ إلى ثلاثة أقسام:

- ١- روايات الحفاظ المتقين وقد التزم بتخريج رواياتهم.
- ٢- من ليس موصوفا بالحفظ والإتقان ممن يشملهم اسم الستر والصدق فهؤلاء يتبع رواياتهم أهل القسم الأول.
- ٣- المتهمون بوضع الحديث ومن الغالب على حديثه المنكر أو الغلط، فهؤلاء يمسك عن حديثهم.
- ٩- ومما يميز صحيح مسلم عن غيره كثرة المتابعات والشواهد. فإنه عادة ما يورد حديثاً أو

(١) المستدرک علی الصحیحین فی الحدیث، لأبي عبد الله النيسابوري، (لبنان: بيروت: ط: ١، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م)

١٠٣/١.

(٢) الفروسية الحمديّة، ابن قيم الجوزية، تحقيق: زائد النشيري، إشراف: بكر أبو زيد، (مكة المكرمة: دار عالم

الفوائد، ط: ١، ١٤٢٨هـ) ص: ١٨٣.

(٣) الصحيح: ١/٥ المقدمة.

حديثين يعتبرهما أصلاً في الباب ثم يورد متابعات وشواهد لهما.

١٠- خلو أبوابه من التراجم، وما في كتابه من التراجم فليست منه، وإنما من صنع الشراح (صحيحه). حيث رتب كتابه على الكتب والأبواب؛ لكنه لم يذكر تراجم الأبواب التفصيلية؛ بل اكتفى بأسماء الكتب فحسب. قال ابن الصلاح: (ثم إن مسلماً رحمه الله وإيانا رتب كتابه على الأبواب فهو محبوب في الحقيقة؛ ولكنه لم يذكر فيه تراجم الأبواب لئلا يزداد بها حجم الكتاب أو لغير ذلك.)<sup>(١)</sup>

وقال النووي- رحمه الله- (ت: ٦٧٦هـ) في مقدمة شرحه لصحيح مسلم: (وقد ترجم جماعة أبوابه بتراجم بعضها جيد وبعضها ليس بجيد إما لقصور في عبارة الترجمة وإما لركاكة لفظها وإما لغير ذلك. وإنا- إن شاء الله- أحرص على التعبير عنها بعبارات تليق بها في مواطنها)<sup>(٢)</sup>. مواطنها)<sup>(٣)</sup>.

وترتيب النووي هو الذي اشتهر وعوّل عليه الأئمة.

ولصحيح مسلم الكثير من المميزات التي لا نستطيع وضعها في قالب براق تستحقه؛ بيد إن أهم ما يميزه أنه ثاني مصنف يجمع الحديث الصحيح المجرد بعد صحيح البخاري. ونختم هذه المميزات بمقولة للنووي أثناء ترجمته للإمام مسلم: "ومن أكبر الدلائل على جلالته وإمامته وورعه وحذقه وقعوده في علوم الحديث، واضطلاعه منها، وتفننه فيها: كتابه الصحيح الذي لم يوجد في كتاب قبله ولا بعده من حسن الترتيب، وتلخيص طرق الحديث بغير زيادة ولا نقصان، والاحتراز من التحويل في الأسانيد عند اتفاقها من غير زيادة، وتنبهه على ما في ألفاظ الرواة من اختلاف في متن أو إسناد، ولو في حرف، واعتناؤه بالتنبيه على الروايات المصرحة بسماع المدلسين، وغير ذلك مما هو معروف في كتابه"<sup>(٣)</sup>.

(١) الصيانة ص: ٦٨.

(٢) المنهاج: ٢١/١.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات، ٢/٩٠-٩٢.

## الفصل الأول

أثر السياق في المستوى الصوتي (الفونولوجي) في صحيح

مسلم وفيه مبحثان :

- المطلب الأول : أثر السياق في توجيه الاختلافات الأصوات .
- المطلب الثاني : أثر السياق في القيمة التعبيرية للصوت المفرد .
- المطلب الثالث : أثر السياق في التنعيم .

المبحث الأول

أثر السياق في توجيه الاختلافات الصوتية

يشكل الصوت اللبنة الأولى في السياق، ومن خلال تضافر الأصوات تتشكل الكلمات ومن تضافر الكلمات تتشكل الجمل؛ لذا ذهب فيرث إلى أن من الواجب دراسة الصوت اللغوي في إطار علاقاته السياقية أي ما يسمى بالسياق الصوتي Phonetic Context حيث تأخذ العلاقات والمتغيرات الصوتية حقيها من الدراسة والبحث بحسب موقعها في دَرَج الكلام؛ لا من حيث هي وحدات منعزلة. (١)

ويقسم اللغويون المحدثون دراسة الأصوات إلى قسمين: الفوناتييك (علم الأصوات phonetique)، والفونولوجيا (علم التشكيل الصوتي (phonologie) (٢).

ويعرف الدكتور كمال بشر الفوناتييك بأنه: "دراسة الأصوات من حيث كونها أحداثاً منطوقة بالفعل actual speech events تأثير سمعي معين audible effect ، دون نظر في قيم هذه الأصوات، أو معانيها في اللغة المعينة، إنه يعني بالمادة الصوتية لا بالقوانين الصوتية، وبخواص هذه المادة، أو الأصوات بوصفها ضوضاء noise، لا بوظائفها في التركيب الصوتي للغة من اللغات" (٣).

والنوع الآخر الذي ظهر في الدرس اللساني الحديث هو ما يطلق عليه مصطلح: ( علم التشكيل الصوتي ) أو ( الفونولوجيا ) الذي يعنى: " بتنظيم المادة الصوتية وإخضاعها للتقليد

(١) السياق وأثره في الدرس اللغوي. ص: ٧٦.

(٢) أتبع البحث في الفصل بين الدراسة الفوناتيكية عن الدراسة الفونولوجية ما سار عليه غالبية اللغويين وفي مقدمتهم: د. إبراهيم أنيس - يرحمه الله - (الأصوات اللغوية)، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط: ٥، ١٩٧٩ م)، ص: ٤) ود. كمال بشر ( علم اللغة العام ، القسم الثاني ( الأصوات ) ، (مصر: دار المعارف ، ط: ٢، ١٩٨٦ م) ص: ٥٩ ، ٦٠ )، ود. مختار عمر (دراسة الصوت اللغوي )، (القاهرة: عالم الكتب ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م) ص: ٦٨ ، ود. عمود السعران (علم اللغة مقدمة القاريء العربي )، ص: ٢٠١ ، مع اليقين بأن الفصل الحاد بينهما مستحيل، ينظر : علم الأصوات ، د. محمد أحمد محمود، (دار إشبيليا للنشر والتوزيع ، ط: ١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م) ص: ١٧ .

(٣) علم اللغة العام ( الأصوات ) ص: ٢٨ .

والتقنيين، أو أنه يبحث في الأصوات من حيث وظائفها في اللغة " (١)، أي: " النظر في قيم الأصوات، ومعانيها في اللغة المعينة، والعناية بوظائف هذه الأصوات في التركيب الصوتي للغة من اللغات " (٢).

والفرق بين الفونولوجيا وعلم الأصوات (الفوناتييك) كالفرق بين اللغة Language والكلام Speech عند دي سوسير ، فإذا كان علم الأصوات (الفوناتييك) يبحث فيها من حيث هي أصوات مجردة، فإن ( الفونولوجي ) يبحث فيها من خلال دورها الوظيفي داخل البنية اللغوية، فإذا قلنا إن النون صوت صحيح، مجهور، أسناني أغن، فهذا وصف يدخل في نطاق علم الأصوات المجردة، أما إذا قلنا ثمة تنوعات من النون بحسب سياقها الصوتي فهذا هو الدرس الفونولوجي (٣).

فلما كانت هذه الأصوات (الفونيمات) بهذه الأهمية في اللغة فلا بد من البحث عن قيمتها في أداء المعنى في الكلمة ليظهر معناها في الجملة، على أساس أن الفونيمات تلعب دوراً فعالاً في تحديد معاني الكلمات (٤).

والفونيم كما يعرفه بعض اللغويين هو: صوت نموذجي يحاول المتكلم تقليده. والتعريف الذي يرتبط بالسياق هو ما يعرفه البعض الآخر: بأنه أصغر وحدة صوتية يمكن عن طريقها التفريق بين الكلمات (٥).

وفي هذا المبحث يتناول البحث اختلاف الأصوات، وهل لها تأثير في تغير معناها تبعاً للسياق الذي ترد فيه.

ويقرر علماء العربية أن الحروف الأحادية كالواو والفاء والباء لا تفيد معنى إلا مع التركيب ، فلو ذكرت لوحدها ( وَ، فَ، بَ ) لا يفهم معنى من معانيها الاستعمالية لا تاماً

(١) الأصوات العربية :ص ٢٩ .

(٢) المرجع السابق ص: ٢٨

(٣) ينظر: العربية وعلم اللغة النبوي، ص: ١٠٥.

(٤) ينظر: مقدمة لدراسة فقه اللغة، د. محمد أحمد أبو الفرج، (بيروت: دار النهضة العربية ، ط: ١،

١٩٦٩م) ص: ١٣٢ وما بعدها.

(٥) ينظر: علم اللغة العام ص: ١٦٠ ، الكلمة (دراسة لغوية معجمية)، د. حلمي خليل، (الإسكندرية: دار المعرفة

الجامعية، ١٩٩٦م) ص: ٣٧ .

ولا ناقصاً؛ لكونها حروفاً معجمية، ومن المعروف أن حروف المعجم لا تدل على معنى<sup>(١)</sup> إذا جاءت بهذه الصورة، ولا يسع أحد أن يدعي أنه سمع كلمة أي لفظ دالاً على معنى<sup>(٢)</sup> حتى ينضم الحرف الأحادي إلى تركيب معين وإن لم يصل إلى حد الإفادة التي يحسن السكوت عليها كقولك: ( محمد و علي ) أو ( بمحمد ) أو ( فمحمد )، فإذا اكتملت أجزاء الكلام في نحو ( جاء محمدٌ وعليٌّ ) و ( مررتُ بمحمدٍ ) و ( جاء علي فمحمدٌ ) ظهر معناه تاماً.

وقد تقول: إن السامع يفهم من الحرف الأحادي حين يذكر وحده بأنه حرف يستعمل للدلالة على معانٍ عديدة بالإضافة إلى كونه حرفاً هجائياً، مما يعني أنه يدل بنفسه ولو على شيء من معانيه، والجواب أن دلالة على معنى ما بنفسه شيء، والعلم بأنه يدل على المعنى إذا استعمل شيء آخر يقتضيه السياق و استعمال الإنسان للغة ومعرفته بها<sup>(٣)</sup>.

وهذا ينطبق على الأصوات عامة، وقد ظهر ذلك في الحديث النبوي الشريف فللأصوات قيمتها عند الترابط لإظهار المعنى، فقد يختلف ترتيب الأصوات (الفونيمات) في صحيح مسلم بتقدم أو تأخير أو تغيير الحرف برواية أخرى في حديث آخر. وهنا يأتي دور السياق في توجيه المعنى المراد، وقد يتحد مع قرائن أخرى للوصول إلى نتيجة حاسمة مطمئنة لإرادة المعنى الذي يرمي إليه أشرف الخلق وسيدهم وصفوتهم.

وفي هذا المبحث سيتناول البحث الفونيم إذا كان أصلياً في الكلمة، وجميئه في روايات الحديث المتعددة.<sup>(٤)</sup> بفونيمات أخرى.

(١) ينظر: النكت في تفسير كتاب سيبويه، الأعلام الشتري، تحقيق: زهير عبدالمحسن سلطان (الكويت: معهد المخطوطات العربية، ط: ١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) ١/١٠٣.

(٢) شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد (لبنان: بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط: ١١، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م) ص: ١١.

(٣) الواو دراسة نحوية دلالية في المصطلح والوظيفة، عادل معتوق العيثان، (رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، ١٤، ص: ١٨).

(٤) إن لتعدد الرواية في الحديث النبوي الشريف أسباب: تعدد الحادثة، و الرواية بالمعنى، و اختلاف القدرة على الحفظ، أو اختصار الراوي للحديث، أو أن يسمع الراوي بعض الحديث. ينظر: أسباب تعدد الروايات في الحديث النبوي الشريف، د. شريف محمود القضاة، (الجامعة الأردنية) ص: ٥-١٩.



وفهم النص النبوي أحياناً يكون من خلال جمع الروايات، وسيقاق النص، ومعرفة أسباب وحيثيات وروده .

فالطريق الصحيح عند اختلاف ألفاظ الحديث هو النظر والتأمل في ألفاظه، والترجيح فيما بينها، ومن ثم بناء الحكم على الراجح منها روايةً وسياقاً .

فالسباق عاملٌ مؤثرٌ في اختيار صحيح المعنى، أو البعد عن سقيمه، أو قبول المعنيين معاً، ومن ذلك حديث عليّ -رضي الله عنه- فيمن أراد من آل البيت أن يستأذن النبي ﷺ للعمل في مال الصدقة، فمنعهم علي من ذلك، وقال فيه: "فَأَلْفَى عَلِيٌّ رِدَاءَهُ ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَيْهِ. وَقَالَ: أَنَا أَبُو حَسَنِ الْقَرْمِ، وَاللَّهِ لَا أَرِيمُ مَكَانِي حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْكُمَا ابْنَاكُمَا بِحُورٍ مَا بَعَثْنَا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ ثُمَّ قَالَ لَنَا: « إِنَّ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاحُ النَّاسِ وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ وَلَا لِآلِ مُحَمَّدٍ » . وَقَالَ أَيْضاً: ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « ادْعُوا لِي مُحَمَّدِيَّةَ بْنِ جَزْءٍ » . وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اسْتَعْمَلَهُ عَلَى الْأَخْمَاسِ (١) .  
قوله "القرم" (بالراء) له رواية أخرى "القوم" (بالواو) (٢) .

وإذا تتبع البحث معنى اللفظين باختلاف بين فونيم الراء والواو، نجد أن أصحاب المعاجم أوردوا أن القرم (بالراء) هو: السيد المقدم في الرأي، والمعرفة وتجارب الأمور (٣) .  
أما الرواية الثانية "القوم" (بالواو) فاسم جمع - لا واحد له من لفظه (٤)، وقيل: واحده امرؤ (٥) - لجماعة من الرجال خاصة دون النساء (٦) .

(١) صحيح مسلم: ٧٥٤/٢، رقم الحديث: (١٠٧٢) .

(٢) ينظر: مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، محمد طاهر، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي،

ط: ٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) مادة: (قرم) .

(٣) ينظر: تهذيب اللغة، والمقاييس مادة: (ق ر م) .

(٤) ينظر: تهذيب اللغة، والصحاح مادة: (ق و م) .

(٥) ينظر: المقاييس مادة: (ق و م) .

(٦) ينظر: تهذيب اللغة، والصحاح مادة: (ق و م) .

وقد تدخل النساء في معنى القوم من باب التبعية، والتغليب، وعليه قولهم: قوم فرعون، وقوم عاد<sup>(١)</sup>.

وقيل: القوم يكون للرجال والنساء معاً<sup>(٢)</sup>.

وقد استبعد الخطابي - رحمه الله - (ت: ٣٨٨هـ) لفظ "القوم" هنا، فقال: "وأكثر الروايات "القوم" (بالواو)، ولا معنى له، وإنما هو القرم، وأصل القرم في الكلام: فحل الإبل ومنه قيل للرئيس قرم يريد بذلك أنه المقدم في الرأي والمعرفة بالأمر، فهو منهم بمنزلة الفحل في الإبل"<sup>(٣)</sup>.

وسار على نهجه الدكتور إبراهيم صمب الجاي في رسالته، وجعل هذه الرواية تحت عنوان: (ردّ الرواية بسبب مخالفة المقام) حيث قال: "وهذا رأي وجيه؛ لأن المتكلم مفرد وهو - بهذه الرواية - يخبر عن نفسه بلفظ جماعي من غير داع"<sup>(٤)</sup>.

ولعل الدكتور الفاضل قد خفي عليه تعليل النووي الذي يقول فيه: "قوله أنا أبو حسن القرم هو بتنوين حسن، وأما القرم فبالراء مرفوع، وهو السيد، وأصله فحل الإبل، ومعناه المقدم في المعرفة بالأمر والرأي كالفحل، هذا أصح الأوجه في ضبطه، وضبط أبو حسن القوم بالإضافة، وبالواو بدل الراء على أن يكون المعنى: وأنا عالم بالقوم وذو رأيهم"<sup>(٥)</sup>.  
والمقصود من ذلك أن النووي قد رجّح رواية على الأخرى في الضبط؛ ولكنه لم يردّها من حيث المعنى، فالمعنيان صحيحان وكلاهما يجمله السياق.

(١) الصحاح، والقاموس المحيط، محمد الفيروزآبادي، تحقيق: محمد المرعشلي، (لبنان: بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط: ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) مادة: (ق و م)،.

(٢) ينظر: القاموس مادة (ق و م).

(٣) نُسب هذا القول للخطابي وذكر د. إبراهيم صمب الجاي أن الخطابي لم يذكره في معالم السنن، وأورده ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر، محمد بن الأثير - تحقيق: محمود محمد الطناحي، (لبنان: بيروت: دار الفكر) مادة: (ق و م)، والصحيح أن الخطابي أورده في معالم السنن شرح أبي داود، تحقيق: عبدالسلام الشافعي، (لبنان: دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م): ٢١/٣.

(٤) تعدد الرواية في كتب غريب الحديث وأثره في الدلالة (دراسة وصفية)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في أصول اللغة، (المملكة العربية السعودية، الجامعة الإسلامية، ت: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ص: ٢٦٣.

(٥) المنهاج: ١١٩/٣، وينظر: صحيح مسلم مع شرحه المسمى: إكمال إكمال المعلم، محمد الأبي، وشرحه المسمى: مكمل إكمال الإكمال، محمد السنوسي، (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية) ٢١٤/٣.

ويجدر التنبيه أن للقاضي عياض - رحمه الله - (ت: ٥٤٤ هـ) رواية ثالثة: "كذا رويناها بالإضافة، وبالواو، ووجهه ظاهر، أي: أنا عالم القوم وذو رأيهم. ورويناها عن أبي بحر: أنا أبو حسن، بالتونين وبعده (القَوْمُ) بالرفع. أي: أنا من علمتم رأيه أيها القوم" (١).  
وقد ضعف النووي المعنى الثاني لرواية القوم بسبب نحوي حيث قال: "وهذا ضعيف لأن حرف النداء لا يحذف في نداء القوم ونحوه" (٢).

ولكنه لم يضعف رواية القوم؛ بل وضحتها ووجهها توجيهًا يقبله السياق. ونظرة متأملة إلى المعنيين يظهر أن المعنى فيهما واحد فالسيد المقدم في المعرفة بالأمر والرأي، هو عالم القوم وذو رأيهم، ولا يردده المقام كما ذكر الدكتور - والله تعالى أعلم -.  
وقد تعدد الرواية التي لكل منها معنى بسبب معطيات السياق الحاضرة والملتمسة مما يشكل المعنى، والمراد بالسياق هنا هو كل ما يحيط ويؤثر في فهمها وتحليلها، ويتمثل بعناصر غير لغوية تعرف بالمقام، وعناصر لغوية تعرف بالسياق اللغوي، فهو مجموع القرائن التي تدل على المعنى والمكونة من معطيات المقام والسياق اللغوي (٣).

ومن ذلك قول رسول الله ﷺ لِعَمِّهِ: « قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ». قَالَ: لَوْلَا أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ يَقُولُونَ إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَيَّ ذَلِكَ الْخُرْعُ؛ لَأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ (٤)، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ (٥).

ذكر النووي في قوله (الخرع)، رواية أخرى (الجزع)؛ حيث قال: "إن الرواية بالخاء المعجمة والراء واردة عند أهل اللغة، وأما روايات المحدثين وأصحاب التواريخ والسير فبالجيم والزاي" (٦).

(١) إكمال إكمال المعلم: ٢١٤/٣.

(٢) المنهاج: ١١٩/٣.

(٣) ينظر: المعنى اللغوي وعناصر تحديده في ضوء الدرس اللغوي الحديث (مجلة البلقاء ج: ١، العدد: ٢) ص: ١٢٧-١٣٥.

(٤) صحيح مسلم: ٥٥/١، رقم الحديث: (٢٥).

(٥) سورة القصص آية: ٥٦.

(٦) ينظر: المنهاج: ٢٤٨/١.

والجزع في اللغة: نقيض الصبر، أي: الحزن والخوف، والقلق، ومنه قولهم: أجزعه يجزعه: إذا أزال عنه الحزن والخوف<sup>(١)</sup>.

ونظرة إلى الحال التي كان عليها أبو طالب من الأهمية بمكان لاختيار أقرب اللفظين للمعنى، وهو مانسميه السياق غير اللغوي، وفيه ذكر ابن خلدون قاعدةً في "بساط الحال" قائلاً: "الألفاظ بأعيانها دالة على المعاني بأعيانها، ويبقى ما تقتضيه الأحوال - ويسمى بساط الحال - محتاجاً إلى ما يدل عليه، وكل معنى لا بد وأن تكتنفه أحوال تخصه، فيجب أن تعتبر تلك الأحوال في تأدية المقصود؛ لأنها صفاته"<sup>(٢)</sup>.

فخوف أبي طالب في ذلك الوقت من كلام قريش وتعييرها له بأنه وصل لمرحلة من الضعف والكبر الذي لم يجعله يثبت على رأيه كما كان في قوته وصحته منعه من النطق بهذه الكلمة.

فالسبب لم يرفض إحدى الروايتين أو يخطئها؛ بل اختار ما يناسب السياق اللغوي و سياق الحال، وقام بترجيحه، فمعنى الخرع بالخاء أقوى من معنى الجزع بالجيم وأشمل وأنسب للمقام، قال صاحب المكمل (السنوسي) - رحمه الله (ت: ٨٩٥هـ): "والجزع رويناه في الأم وغيرها من كتب الحديث بالجيم والزاي، وهو الخوف من الموت، وذكره الهروي وثعلب بالخاء المعجمة والراء وصوبه غير واحد، وفسره بالخور والضعف"<sup>(٣)</sup>.

من هنا يلحظ أن الرواية الأولى (الخرع) أوسع معنى؛ إذ إنها تجمع بين الضعفين: الضعف الجسمي، والضعف النفسي، فالضعف الجسمي من الكبر والمرض، غالباً ما يترتب عليه الضعف النفسي من الحزن والخوف والدهشة، وكلها حالات موافقة لظروف هذا المقام المتمثلة في وجود شيخ طاعن في السن، قضى عمره في الجاهلية والسيادة ثم لما دنا من الموت أخذ يتجاذبه نسيم الإيمان بالله الفرد الصمد، وعاصفة الكفر والكبر، فلعل هذا الذي

(١) ينظر: تهذيب اللغة مادة: (ج ز ع) .

(٢) المقدمة، عبد الرحمن ابن خلدون المغربي، (الإسكندرية: دار ابن خلدون) ص: ٣٤٤، ٣٤٥.

(٣) مكمل إكمال الإكمال ١/ ١١٢.

جعل<sup>(١)</sup> القاضي عياض: يرجح الرواية الثانية "الخرع" في قوله: "ونبها غير واحد من شيوخنا على على أن (الخرع) هو الصواب"<sup>(٢)</sup>.

وقد يختلف صوتان في الكلمة، ومع ذلك يبقى للسياق دوره في تحديد المراد، ومن ذلك عن أبي ذر قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ». قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَنْفُسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا وَأَكْثَرُهَا تَمَنَّا». قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ. قَالَ: «تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقٍ». قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: "أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ؟" قَالَ: «تَكْفُ شَرِّكَ عَنِ النَّاسِ؛ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ»<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام النووي: "وأما قوله: "صانِعًا"، وفي الرواية الأخرى "الصانع" فروي بالصاد المهملة فيهما وبالنون من الصنعة، وروي بالضاد المعجمة وبهمزة بدل النون تكتب ياء، من الضياع والصحيح عند العلماء رواية الصاد المهملة، والأكثر في الرواية المعجمة"<sup>(٤)</sup>.

والسياق يختار صانِعًا؛ فالإعانة تكون لمن يعمل ويحتاج إلى مساعدة، وهو ضد الأخرق الذي يحتاج إلى من يصنع له، فهو لا يجيد ذلك، و"خرقاء: امرأة غير صناع، ولا لها رفق فإذا بنت بيتًا انهدم سريعًا"<sup>(٥)</sup>.

وأكثر شراح الحديث يصبون رواية: "صانِعًا". قال الدار قطني-رحمه الله-(ت: ٣٨٥هـ): "ربما الصواب لمقابلته بالأخرق، وهو الذي ليس بصانع ولا يحسن العمل"<sup>(٦)</sup>.

وقال القرطبي-رحمه الله-(ت: ٦٥٦هـ): "وقوله: "تعين صانِعًا" الرواية المشهورة بالضاد المعجمة وبالياء من تحتها، وروي: (صانِعًا) بالصاد المهملة والنون، وهو أحسن لمقابلته الأخرق،

(١) تعدد الرواية ص: ٥٠.

(٢) المنهاج: ٢٤٨/١.

(٣) صحيح مسلم: ٨٩/١ رقم الحديث (٨٤).

(٤) المنهاج: ٥٦٩/١.

(٥) تهذيب اللغة مادة: (خ ر ق).

(٦) المنهاج: ٥٧٠/١.

وهو: الذي لا يحسن العمل، يقال: رجل أخرج وامرأة خرقاء وهو ضد الحاذق بالعمل<sup>(١)</sup>.  
وقال ابن هشام الأنصاري-رحمه الله-(ت:٦٤٦هـ): "قوله: "أو تصنع لأخرج" الأخرج:  
الذي لا يحسن العمل وكذلك الخرقاء، وضدهما صَنَعَ وصَنَعَ"<sup>(٢)</sup>.

وكما جاء اختلاف الأصوات في روايات الحديث في الأسماء، جاء كذلك في الأفعال،  
ومن ذلك قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ  
أَعْلَمَكُم مَّا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالًا، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي  
خُنْفَاءَ كُلُّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَّا أَخَلَلْتُ لَهُمْ  
وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا»<sup>(٣)</sup>.

قوله "فاجتالتهم" (بالجيم) يروى "فاحتالتهم" (بالحاء المهملة)، واختالتهم بالحاء المعجمة.  
قال النووي: "هكذا هو في نسخ بلادنا (فاجتالتهم) بالجيم، وكذا نقله القاضي عن  
رواية الأكثرين، أي: استخفوهم فذهبوا بهم، وأزالوهم عما كانوا عليه، وجالوا معهم في الباطل،  
وعن رواية الحافظ أبي علي الغساني: (فاحتالتهم) بالحاء المعجمة، قال: والأول أصح وأوضح  
"<sup>(٤)</sup>.

قال الأبي-رحمه الله-(ت:٨٢٨هـ): "رويناه عن الأكثر بالجيم، وعن أبي علي بالحاء ومعنى  
الجيم أوضح أي: استخفوهم فذهبوا بهم، وجالوا معهم وساقوهم إلى ما أرادوا.  
وقال شمر: "اجتال الرجل الشيء ذهب به وساقه، وقد يصح معنى الخاء أي: يجسوتهم عن  
دينهم ويصدونهم عنه، وقد قيل في قوله يتخللنا بالموعظة يجبسنا عليها"<sup>(٥)</sup>.

وقال أبو هشام الأنصاري: "وأما قوله: "فاجتالتهم" فمعناه استخفتهم وحولتهم وساقتهم  
إلى ما تريد، يقال: جال الشيء يجول جولا: تردد ذاهبا وآيبا، واجتاله اجتيالا زحزحه

(١) المفهم ١: ٢٧٧.

(٢) المفصيح المفهم والموضح للمهم المعاني صحيح مسلم، تحقيق: وليد أحمد، (القاهرة: الفاروق الحديثة للطباعة

والنشر، ط: ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م) ص: ١٣١.

(٣) صحيح مسلم: ٤/٢١٩٧ رقم الحديث: (٢٨٦٥).

(٤) المنهاج: ١٧/٢٠٣. ٤/٢١٩٧.

(٥) إكمال إكمال المعلم: ٧/٢٢٧.

وأزاله عن قصده، وقد روي في غيره: (فاحتالتهم) بخاء فيكون افتعل من قوله: خال يخول عن الشيء إذا تعاهده ورعاه فيكون معناه تعاهدهم الشياطين، وبالجميم هو المعروف المشهور" (١)

وأما الرواية الثالثة: (احتالتهم) جاء في التهذيب: "والاحتتيال والمحاولة مطابقتك الشيء بالحيل" (٢).

ويرشدنا السياق إلى معنى الرواية الأولى بالجميم وهي: قدرة الشياطين على أصحاب النفوس الضعيفة، فهي تستطيع أن تجعلهم يتخبطون في الكفر، ولولا ضعف عقولهم لما قدرت عليهم، فبني إسرائيل لضعف عقولهم استخفهم فرعون فأغواهم قال تعالى: ﴿فَأَسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاَطَاعُوهُ﴾ (٣).

ومن هنا كان دور السياق ليختار الأنسب والأشمل بين هذه المعاني والتي يضمها جميعاً وهي الرواية الأولى: (فاحتالتهم)، لأن الاستخفاف يضم الاحتيال والحبس والله تعالى أعلم. وقد يرجح السياق رواية على أخرى بسبب أنها أقرب في دقة المعنى؛ ففي حديث القدر عن يحيى بن يعمر قال: "كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدْرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبُدُ الْجَهَنِّيِّ فَأَنْطَلَقْتُ أَنَا وَحَمِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمَيْرِيُّ حَاجِّينِ أَوْ مُعْتَمِرِينَ، فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدْرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ فَكَتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلْنَا نَاسٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ - وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ - وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ لَاقِدَرَ وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنْفٌ . قَالَ: فَإِذَا لَقَيْتَ أَوْلِيكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَأَنَّهُمْ بُرَاءٌ مِنِّي" (٤).

قوله "يتقفرون" (بتقديم القاف)، يروى من طريق ابن ماهان: "يتقفرون" (بتقديم الفاء)، ومن طريق ابن الأعرابي: بتقديم القاف مع الواو بدلا من الراء من قفوته: إذا تتبعته؛ ومنه سميت

(١) المفصح المفهم ص: ٩١ - ٩٢ .

(٢) تهذيب اللغة مادة: (ح و ل) .

(٣) سورة الزخرف آية: ٥٤ .

(٤) صحيح مسلم: ١/٣٦ رقم الحديث: (٨).

القافة؛ لتبعها الآثار، قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم﴾<sup>(١)</sup> وكل صحيح متقارب، ورأيت بعضهم قال فيه يتفكرون بالعين أي: يطلبون قعره، أي: غامضه؛ ومنه تفعر في كلامه إذا أتى بالغريب منه<sup>(٢)</sup>.

ويتفكرون العلم أي: يطلبونه ويتبعونه<sup>(٣)</sup>.

أما الرواية الثانية "يتفكرون" (بتقدم الفاء) معناه يبحثون عن أسرارهم، ويستخرجون غاويظهم علماؤنا القدامى دور السياق في توجيه أحد المعاني؛ قال السنوسي: "رواية ابن ماهان أشبه بسياق الحديث؛ لأن تفقر بتقدم الفاء هي بمعنى بحث، وبحث أخص من طلب وهذه الطائفة كانت من الذكاء وصحة القرينة بمنزلة؛ لأن معنى (وذكر من شأهم) وعظم أمرهم في العلم بحيث يكثرث بقولهم، وإذا كانوا كذلك فالأشبه أن يعبر بما معناه يبحثون لا يطلبون"<sup>(٤)</sup>.

فالرواية الثانية: يتفكرون أي: يتبعون خفيه، ويطلبون غامضه، ويفتحون مستغلقه، من قولهم: ففر إذا حفر، والبئر فقير لحفرها، وكذلك التفقر للنخل: الحفر لها عند غرسها<sup>(٥)</sup>.

قال ابن الأثير - رحمه الله - (ت: ٦٠٦ هـ): "قال بعض المتأخرين: هي عندي أصح الروايات، وأليقها بالمعنى"<sup>(٦)</sup>.

وما يؤيده سياق الحديث يتفكرون ويتفكرون؛ لأن معنى يتفكرون: يبحثون عنه ويطلبونه أي: يسيرون على هديه، ويقتفون أثره، ولا يجيدون عنه، والقائلين بالقدر ليسوا كذلك فهم من الفرق المبتدعة بحيث يغوصون في قعر الأرض طالبين دقائق التأويلات التي ما أنزل الله بها من سلطان، ولا جاء به نبيه ﷺ خاصة أنهم ظهروا في آخر زمن الصحابة، ولم يكونوا موجودين

(١) سورة الحديد آية: ٢٧

(٢) إكمال إكمال المعلم: ١/٥٣-٥٤.

(٣) المنهاج: ١/٢٨.

(٤) مكمل إكمال الإكمال: ١/٥٣-٥٤.

(٥) المفصيح الملهم والموضح الملهم ص: ٣٥٣.

(٦) النهاية (ق ف ر).



على عهد رسول الله ﷺ، فهذا الدليل الأكبر على بطلان عقيدتهم -والله تعالى أعلم-.  
والقدر في عرف المتكلمين: عبارة عن تعلق علم الله، وإرادته أولاً بالكائنات قبل وجودها  
فلا حادث إلا وقد قدره سبحانه وتعالى أولاً أي سبق علمه به، وتعلقت به إرادته.

والقول بالقدر كان عقيدة أهل الإسلام أجمع إلى أن ظهرت هذه الطائفة آخر زمن  
الصحابة، فقالت: لا قدر، وإنما الأمر أنف بمعنى أن الله تعالى لا يعلم الأشياء قبل وقوعها  
، وإنما يعلمها بعد أن تقع فأنف بمعنى مستأنف مبتدأ<sup>(١)</sup>.

فهم قوم ينسبون إلى التكذيب بما قدر الله من الأشياء، وقال بعض متكلميهم: لا يلزمنا  
هذا النبز؛ لأننا ننفي القدر عن الله، ومن أثبتته فهو أولى به. وهذا تمويه منهم؛ لأنهم يتبينون أن  
القدر لأنفسهم؛ ولذلك سمو قدرية. <sup>(٢)</sup>

ومن هنا يتبين ما للأصوات في العربية من مكانة بالغة الأهمية للوصول إلى المعنى المراد الذي  
يوجهه السياق، ففي اختلاف الأصوات يوجه السياق المعنى إما إلى تأكيد إحدى الروايات،  
أو ردها، أو ترجيح رواية على الأخرى بما يناسب سياق الحال.

وبناءً على ذلك فإن الصوت يتمُّ تحديده بـ "دراسة الصوت في علاقته بالسياقات  
الأصواتية التي يظهر فيها، وفي علاقته بالأصوات الأخرى التي يمكن أن تحل محله في تلك  
السياقات، أو بعبارة أخرى في علاقته بسياق النظام الصيغاتي الكامل"<sup>(٣)</sup>.

(١) إكمال إكمال المعلم: ٥٥/١.

(٢) تهذيب اللغة مادة: (ق د ر).

(٣) المعنى وظلال المعنى (أنظمة الدلالة في العربية)، د. محمد محمد يونس، (لبنان: بيروت: دار المدار الإسلامي،

## المبحث الثاني

### أثر السياق في توجيه القيمة التعبيرية للصوت المفرد

إن الدراسة السياقية للأصوات اللغوية المسماة بـ (الفونولوجي) Phonology التي تتناول الأصوات (الفونيمات) حال ارتباطها بتركيب معين فهي تبحث أيضاً في التبدلات النطقية<sup>(١)</sup>.

فالسباق الصوتي هو: النظم اللفظي للصوت في إطار الأصوات الأخرى على مستوى الكلمة أو الجملة<sup>(٢)</sup>.

وهو أيضاً ترتيب الفونيمات في الكلمة، وموقعها في البنية على أن هذا الترتيب هو أساس الدلالة اللغوية للكلمة<sup>(٣)</sup>.

وقد أولى اللغويون العرب الأصوات عناية كبيرة فدرسوها مفردة ومركبة داخل السياق ومن المباحث التي قال بها اللغويون بما استمدوه من السياق (القيمة التعبيرية للصوت المفرد) وأول من تنبه لها ابن جني حيث قال: "فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونهج متلعب عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعدلونها بها ويحتذون عليها. وذلك أكثر مما نقدره، وأضعاف ما نستشعره. من ذلك قولهم: خضم، وقضم، فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقضم للصلب اليابس نحو: قضمت الدابة شعيرها ونحو ذلك.. فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس، حذوا لمسموع الأصوات على

(١) ما يجدر التنبيه له في هذا المبحث أن المقصود بالتبديل ليس هو الإبدال بمفهوم القدماء و ما عده ابن فارس: "من سنن العرب"، وهو إقامة الحروف بعضها مقام بعض "ومثل له: "مدحه ومدده، وفرس رفل ورفن، واللام والراء في قول العرب: فلق الصبح وفرقه، وهو كثير مشهور" ينظر: الزهر: ١/٤٦٠. هذا غير معنى في بحث السياق لأن دلتا الإبدال الذي قالت به العرب يعني أن المعنى واحد.

(٢) نظرية السياق بين القدماء والمحدثين (دراسة لغوية نحوية دلالية)، د. عبد النعيم خليل، (الأسكندرية: دار الوفاء

للعلم والطباعة والنشر، ط: ١، ٢٠٠٧م) ص: ٣٨.

(٣) المرجع السابق: ص: ٤١.

محسوس الأحداث" (١).

وخير ما يرشد إلى صحة هذا الرأي هو النظر فيما جاء في كلام خير البشرية ومعلم الإنسانية فقد جاء عن النبي ﷺ - أنه قال: « مَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ وَلَا بَقْرٍ وَلَا غَنَمٍ لَا يُؤَدِّي حَقَّهَا إِلَّا أُفْعِدَ لَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَاعٍ قَرَقَرٍ تَطْوُهُ ذَاتُ الظِّلْفِ بِظِلْفِهَا وَتَنْطِطِحُهُ ذَاتُ الْقَرْنِ بِقَرْنِهَا لَيْسَ فِيهَا يَوْمٌ يُؤَمِّدُ جَمَاءٌ وَلَا مَكْسُورَةٌ الْقَرْنِ ». فُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا حَقُّهَا؟ قَالَ: « إِطْرَاقُ فَحْلِهَا، وَإِعَارَةُ دَلْوِهَا وَمَنِيخَتُهَا، وَحَلْبُهَا عَلَى الْمَاءِ، وَحَمْلٌ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَا مِنْ صَاحِبٍ مَالٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ إِلَّا تَحَوَّلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعاً أَقْرَعَ يَتَّبِعُ صَاحِبَهُ حَيْثُمَا ذَهَبَ وَهُوَ يَفِرُّ مِنْهُ وَيُقَالُ: هَذَا مَالِكَ الَّذِي كُنْتُ تَبْخُلُ بِهِ فَإِذَا رَأَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهُ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي فِيهِ فَجَعَلَ يَقْضُمُهَا كَمَا يَقْضُمُ الْفَحْلُ » (٢).

"يقضمها: يأكلها، يقال: قضمت الدابة شعيرها تقضمه، والقضم بأطراف الأسنان، والخضم بالفم كله، وقيل: القضم أكل اليابس، والخضم: أكل الرطب" (٣).

والمعنى الذي ذكره ابن جني للقضم يناسب سياق الحديث، فالحديث في مقام العذاب

، وعذاب الله شديد ﴿ نِعَى عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٤) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ

الْأَلِيمُ (٥)؛ بما استحقه مانع الزكاة في الدنيا، فهو من شدة خوفه من ذلك الشجاع الأقرع، وعدم قدرته على الفرار منه يقضم يده بأسنانه بقوة وشدة، فالقاف والضاد صوتان قويان مفخمان ناسباً للمقام هنا.

أمّا مادة (خضم) فلم تذكر في صحيح مسلم (٥) ولا غيره من الكتب الصحيحة الستة للحديث (٦).

(١) الخصائص: ١٥٧/٢، ١٥٨.

(٢) صحيح مسلم: ٦٨٥/٢، رقم الحديث: (٩٨٨).

(٣) المفهم: ٣/٣٠، وينظر: تهذيب اللغة مادة: (ق ض م).

(٤) سورة الحجر آية: ٤٩، ٥٠.

(٥) ينظر: الجامع المفهرس لألفاظ صحيح مسلم، د. سعد المرصفي، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، (حرف الخاء).

(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي (عن الكتب الستة وعن مسند الدارمي وموطأ مالك ومسند أحمد

بن حنبل) رتبه ونظمه لفييف من المستشرقين ونشره: د. أ. ي. ونسنك، ود. ي. ب. منسج (مطبعة برييل في مدينة ليدن

سنة: ١٩٤٣م) ص: ٤٠.

ويكمل ابن جني: "ومن ذلك قولهم: النضح للماء ونحوه، والنضح أقوى من النضح قال الله سبحانه: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَا﴾<sup>(١)</sup> فجعلوا الحاء-لرقتها- للماء الضعيف والحاء-لغلظها- لما هو أقوى منه"<sup>(٢)</sup>.

وجاء في الحديث عن أم قيس بنت محصن أنها أتت رسول الله ﷺ بابن لها لم يأكل الطعام فوضعتة في حجره فبال - قالت - فلم يزد على أن نضح بالماء<sup>(٣)</sup>.  
نضحه بالماء أي: "رشه عليه"<sup>(٤)</sup>.

قوله: "فلم يزد على أن نضح بالماء" أي: يصب عليه، وكذلك قول عائشة: "نضحت حوله"<sup>(٥)</sup>.

والنضح يختلف عن النضح؛ لذا سماوا المطر القليل بالنضح<sup>(٦)</sup> في حين سماوا الماء الكثير والغزير بالنضح<sup>(٧)</sup>.

وعن أبي جحيفة وهب بن عبد الله السوائي قال: ( أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في قبة له حمراء من آدم - قال: فخرج بلال يوضوء، فمن ناضح ونائل، قال: فخرج النبي عليه الصلاة والسلام عليه حلة حمراء، كأني أنظر إلى بياض ساقيه، قال: فتوضأ وأذن بلال، قال: فحعلت أتبع فاه ههنا وههنا، يقول يمينا وشمالا: حي على الصلاة؛ حي على الفلاح ثم ركزت له عنزة، فتقدم وصلى الظهر ركعتين، ثم نزل يصلي ركعتين حتى رجع إلى المدينة<sup>(٨)</sup> )

قوله: "فمن ناضح ونائل" أي: منهم من أخذ من بقية وضوئه صلى الله عليه وسلم فهو النائل، ومنهم من زاد على النيل أنه رش بما أخذ على غيره إشارا منه وجودا، ويحتمل أن

(١) سورة الرحمن آية: ٦٦.

(٢) الخصائص: ١٥٧/٢، ١٥٨.

(٣) صحيح مسلم: ٢٣٨/١، رقم الحديث: (٢٨٧).

(٤) المنهم: ٥٤٦/١.

(٥) المفصح المفهم والموضح للمعاني صحيح مسلم ص: ٢٥٠.

(٦) لسان العرب مادة: (ن ض ح)

(٧) المرجع السابق، المادة نفسها.

(٨) صحيح مسلم: ٣٦٠/١ رقم الحديث: (٥٠٣).

يكون الناضح الذي لم يقدر على أن يأخذ ولا أدرك فأقبل يلتمس ما يجد من بلله على صاحبه من قولهم : نضح غلته إذا شرب القليل<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- يَخْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرْبَهُ قَوْمُهُ فَهُوَ يَنْضِخُ الدَّمَ عَنْ جَبِينِهِ وَيَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»<sup>(٢)</sup>.

وفي حديث المرأة التي تابت من الزنا وطلبت من رسول الله -ﷺ- أن يطهرها: " ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَخَفِرَ لَهَا إِلَى صَدْرِهَا، وَأَمَرَ النَّاسَ فَرَجَمُوهَا، فَيُقْبَلُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِحَجَرٍ فَرَمَى رَأْسَهَا فَتَنْضَخَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِ خَالِدٍ فَسَبَّهَا فَسَمِعَ نَبِيُّ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - سَبَّهُ إِثَابَهَا فَقَالَ: « مَهْلًا يَا خَالِدُ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ<sup>(٣)</sup> لَغُفِرَ لَهُ<sup>(٤)</sup> ».

قوله " فَتَنْضَخَ " الدَّمُ عَلَى وَجْهِ خَالِدٍ " أي: تطاير متفرقاً، وهو بالخاء المعجمة، والعين النضاخة: هي الفوارة بالماء الغزير، الذي يسيل ويتفرق، وقد روي بالخاء المهملة: وهو الرش الخفيف، وهو أخف من النضخ بالخاء المعجمة<sup>(٥)</sup>.

فالخاء أحد الفونيمات الصوتية التي تؤدي المعاني الخاصة بها تبعاً للسياق الذي ترد فيه، وهي صوت حلقي مفخم وجاء في أفعال دالة على القوة وظهر ذلك من السياق، ولعل التضعيف في قوله: " فَتَنْضَخَ " يعطي زيادة في قوة المعنى، فهذا الدم يتطاير متفرقاً بكثرة.

وأوضح السياق في الأحاديث السابقة أن الخاء أتت قي معانٍ دالة على التأن والبطء؛ فهي صوت مهموس مرقق ناسب المعاني التي جاء من أجلها.

فابن جني أول من تنبه للقيمة الصوتية للحرف المفرد داخل الكلمة وذلك بما يضيفه السياق حيث التبادل بين الفونيمات يؤدي إلى معانٍ مختلفة.

(١) المفصح المفهم والموضح للمهم لمعاني صحيح مسلم ص: ٢٥١

(٢) صحيح مسلم: ١٤١٧/٣، رقم الحديث: (١٧٩٢).

(٣) المكس هو: انتقاص الثمن في البيعة، وصاحب المكس: العشار، وماكسته في البيع: أعطيته النقص في الثمن.

.ينظر: تهذيب اللغة - مادة ( م ك س )، والمفصح ص: ٢١٠.

(٤) صحيح مسلم: ١٣٢٢/٣، رقم الحديث: (١٦٩٥).

(٥) المفهم: ٩/٥.

ومما جاء من (نضح) حديث عائشة - رضی الله عنها - أَنَّهَا قَالَتْ: كُنْتُ أُطِيبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ يَطُوفُ عَلَيَّ نِسَائِهِ ثُمَّ يُصْبِحُ مُحْرِمًا يَنْضَحُ طِيبًا<sup>(١)</sup>.

قولها: " يَنْضَحُ طِيبًا " بجاء معجمة أي: يقطر عني الطيب"<sup>(٢)</sup>. ولعل السر في اختيار أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- لفظ (نضح) دون (نضج) يكمن في قوة نفاذ رائحة الطيب الذي كان يستعمله النبي -ﷺ- وجودته.

وفي المحتسب: "النضح بالخاء غير المعجمة للماء السخيف يخف أثره ، وقالوا : النضخ بالخاء لما يقوى أثره قبيل الثوب ونحو بللا ظاهراً؛ وذلك لأن الخاء أوفى صوتاً من الحاء ألا ترى إلى غلظ الخاء ورقة الحاء " <sup>(٣)</sup>

فالفروق التي ذكرها ابن جني في القرن الرابع الهجري جاءت في الحديث وكانت ظاهرة واضحة من سياق كلام الصحابة رضوان الله عليهم.

وقال ابن جني: "ومن ذلك قولهم : صعد وسعد . فجعلوا الصاد أقوى - لما فيها أثر مشاهد يرى، وهو الصعود في الجبل والحائط، ونحو ذلك. وجعلوا السين - لضعفها - لما لا يظهر ولا يشاهد حساً، إلا أنه مع ذلك فيه صعود الجذ، لا صعود الجسم؛ ألا تراهم يقولون : هو سعيد الجذ ، وهو عالي الجذ وقد ارتفع أمره وعلا قدره . فجعلوا الصاد لقوتها مع ما يشاهد من الأفعال المتعجبة المتجشمة ، وجعلوا السين لضعفها ، فيما تعرفه النفس وإن لم تره العين ، والدلالة اللفظية أقوى من الدلالة المعنوية"<sup>(٤)</sup>.

وذاك ما تقرر وجوده في الحديث الشريف فقد جاء (صعد) للارتقاء الحسي المشاهد، و(سعد) في المعنويات غير المشاهدة عن ابن عباس -رضي الله عنه- قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾<sup>(٥)</sup> وَرَهْطَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ . خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(١) صحيح مسلم : ٢/ ٨٤٩، رقم الحديث: (١١٩٢).

(٢) المنفصم المفهم والموضح اللهم لمعاني صحيح مسلم ص: ٢٥٨ .

(٣) المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإفصاح عنها، لأبي الفتح ابن جني، تحقيق: علي النجدي ، د. عبد

الافتتاح شلي ) : ١٩ / ٢ .

(٤) الخصائص : ١٦١ / ٢ .

(٥) سورة الشعراء آية : ٢١٤

حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا فَهَتَفَ: « يَا صَبَاحَاهُ ». فَقَالُوا: مَنْ هَذَا الَّذِي يَهْتِفُ؟ قَالُوا: مُحَمَّدٌ. فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ فَقَالَ: « يَا بَنِي فُلَانٍ يَا بَنِي فُلَانٍ يَا بَنِي فُلَانٍ يَا بَنِي عَبْدٍ مَنَافٍ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَلِّبِ » فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ فَقَالَ: « أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟ » قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا. قَالَ: « فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ». قَالَ فَقَالَ: أَبُو لَيْسٍ تَبًّا لَكَ أَمَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا، ثُمَّ قَامَ فَانزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾<sup>(١)</sup>. كَذَا قَرَأَ الْأَعْمَشُ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ<sup>(٢)</sup>.

وفي حديث المُنْدِرِ بْنِ جَرِيرٍ عَنِ أَبِيهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- فِي مَجِيءِ بُحْتَابِي النَّمَارِ لِلنَّبِيِّ -ﷺ- وَفِيهِ "فَصَلَّى الظُّهْرَ ثُمَّ صَعِدَ مِنْبَرًا صَغِيرًا فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: « أَمَّا بَعْدُ... »"<sup>(٣)</sup>.  
ف"صعد المكان وفيه صعودًا وأصعد وأصعد ارتقى مُشْرِفًا، وصعد في الجبل وعليه وعلى الدَّرَجَةِ رَفِي، ولم يعرفوا فيه صَعِدَ وَأَصْعَدَ فِي الْأَرْضِ أَوْ الْوَادِي"<sup>(٤)</sup>.

أما في قراءة أبي: "إِذْ تُصْعِدُونَ فِي الْوَادِي" فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَكُونُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ ﴾<sup>(٥)</sup> جَاءَ فِي التَّهْذِيبِ: "الإصعاد: فِي ابْتِدَاءِ الْأَسْفَارِ وَالْمَخَارِجِ؛ تَقُولُ: تَقُولُ: أَصْعَدْنَا مِنْ مَكَّةَ وَأَصْعَدْنَا مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى خِرَاسَانَ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ، فَإِذَا صَعِدْتَ فِي السُّلْمِ أَوْ الدَّرَجَةِ. قُلْتَ: صَعِدْتَ وَلَمْ تَقُلْ: أَصْعَدْتَ"<sup>(٦)</sup>.  
وَقَالَ أَبُو حَيَّانٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ- (ت: ٧٤٥هـ): "قَرَأَ الْجُمْهُورُ: تُصْعِدُونَ مَضَارِعَ أَصْعَدَ، وَالْهَمْزَةُ فِي أَصْعَدَ لِلدُّخُولِ. أَي: دَخَلْتُمْ فِي الصَّعِيدِ، ذَهَبْتُمْ فِيهِ. كَمَا تَقُولُ: أَصْبَحَ زَيْدٌ، أَي: دَخَلَ فِي الصَّبَاحِ. فَالْمَعْنَى: إِذْ تَذْهَبُونَ فِي الْأَرْضِ. وَتَبَيَّنَ ذَلِكَ قِرَاءَةَ أَبِي: "إِذْ تُصْعِدُونَ فِي الْوَادِي". وَقَرَأَ

(١) سورة المسد آية: ١.

(٢) صحيح مسلم: ١/١٩٣ - ١٩٤، رقم الحديث: (٢٠٨).

(٣) المرجع السابق: ٢ / ٧٠٦، رقم الحديث: (١٠١٧).

(٤) لسان العرب مادة: (ص ع د).

(٥) سورة آل عمران آية: ١٥٣.

(٦) تهذيب اللغة، ولسان العرب مادة: (ص ع د).

أبو عبد الرحمن والحسن ومجاهد وقتادة واليزيدي: تصعدون من صعد في الجبل إذا ارتقى إليه .  
وقرأ أبو حيرة : تصعدون من تصعد في السلم <sup>(١)</sup>.

وقيل : الخطاب فيه لمن أمعن في الهرب ولم يصعد الجبل مع من صعد . ويجوز أن يكون  
أراد بقوله: ولا تلوون على أحد، أي: من كان على جبل أحد، وهو النبي صلى الله عليه وسلم  
ومن معه الذين صعدوا. وتلوون هو من لي العنق؛ لأن من عرج على الشيء يلوي عنقه، أو  
عنان دابته" <sup>(٢)</sup>.

وعن حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدِ الْغِفَارِيِّ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِأُذُنِي هَاتَيْنِ  
يَقُولُ: « إِنَّ النُّطْقَةَ تَفْعُ فِي الرَّحِمِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ يَتَصَوَّرُ عَلَيْهَا الْمَلَكُ » . قَالَ زُهَيْرٌ: حَسِبْتُهُ  
قَالَ الَّذِي يَخْلُقُهَا « فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَدَكَّرْتُ أَوْ أَنْشَى؟، فَيَجْعَلُهُ اللَّهُ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ  
أَسَوِيٌّ أَوْ غَيْرُ سَوِيٍّ؟ فَيَجْعَلُهُ اللَّهُ سَوِيًّا أَوْ غَيْرَ سَوِيٍّ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ مَا رِزْقُهُ؟ مَا أَجَلُهُ؟ مَا  
خُلُقُهُ؟ ثُمَّ يَجْعَلُهُ اللَّهُ شَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا » <sup>(٣)</sup>.

قال ابن منظور: "سعد يشعد سعداً وسعادة فهو سعيد نقيض شقي مثل: سلّم فهو  
سليم، وسُعيد بالضم فهو مسعود والجمع سعداء والأنثى بالهاء" <sup>(٤)</sup>.

وقال الأزهري-رحمه الله-(ت: ٣٧٠هـ): "وجائر أن يكون سعيد بمعنى مسعود من سعده  
الله، ويجوز أن يكون من سعد يسعد فهو سعيد، وقد سعده الله وأسعده، وسعد جدّه وأسعده  
أعماه" <sup>(٥)</sup>.

ولولا وجود هذه الأصوات في سياق التراكيب والجمل لما استطاع أن يصل ابن جني إلى  
هذه القيمة التعبيرية للصوت المفرد. حيث لا تظهر لو كانت مفردة.

وقد تطرق السيوطي-رحمه الله-(ت: ٩١١هـ) لهذه المناسبة بين الألفاظ ومعانيها، وذلك  
عندما علق على الألفاظ التي أوردها في مزهره في باب (مناسبة الألفاظ للمعاني) قائلاً: "فانظر

(١) تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: د. عبد الرزاق المهدي ( لبنان: بيروت: دار إحياء التراث  
العربي، ط: ١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م) ٣/ ١٢٠.

(٢) المرجع السابق: ٣/ ١٢٢.

(٣) صحيح مسلم: ٤/ ٢٠٣٨، رقم الحديث: (٢٦٤٥).

(٤) لسان العرب مادة: (س ع د).

(٥) تهذيب اللغة مادة: (س ع د).



إلى بديع مناسبة الألفاظ لمعانيها، وكيف فاوتت العرب في هذه الألفاظ المقترنة المتقاربة في المعاني، فجعلت الحرف الأضعف فيها والألين والأخفى والأسهل والأهمس لما هو أدنى وأقل وأخف عملاً أو صوتاً، وجعلت الحرف الأقوى والأشد والأظهر والأجهر لما هو أقوى عملاً وأعظم حساً<sup>(١)</sup>.

ويؤكد الفيلسوف الهولندي (بوص) دور الصوت (الفونيم) في أداء المعنى فهو يرى " أن الانتقال من الفونيم الذي يدل على نفسه بنفسه إلى الكلمة التي تدل على شيء آخر ليس انتقالاً كبيراً، إذا وضع الإنسان في ذهنه منذ البداية أن الكلمات تتألف من فونيمات، خاصة أن المعاني التي تنشأ من ضم الكلمات في تركيبات تامة (يقصد جملاً) تختلف تماماً عن معاني الكلمات في حال انفرادها"<sup>(٢)</sup>.

ومن ذلك أيضاً جر الشيء يجره قدموا الجيم لأنها حرف شديد وأول الجر بمشقة على الجار والمجرور جميعاً ثم عقبوا ذلك بالراء وهو حرف مكرر وكررها مع ذلك في نفسها. وذلك لأن الشيء إذا جر على الأرض في غالب الأمر اهتز عليها واضطرب صاعداً عنها ونازلاً إليها وتكرر ذلك منه على ما فيه من العتة والقلق. فكانت الراء لما فيها من التكرير ولأنها أيضاً قد كررت في نفسها في جر وجررت أوفق لهذا المعنى من جميع الحروف غيرها. هذا هو محجة هذا ومذهبه<sup>(٣)</sup>.

ومما جرى على لسانه من ذلك قوله ﷺ: «الَّذِي يَشْرَبُ فِي آيَةِ الْفِضَّةِ إِنَّمَا يُجْرَجُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ»<sup>(٤)</sup>.

أصل الجرجرة: الصوت: ومنه قيل للبعير إذا صوت: هو يجرجر<sup>(٥)</sup>.

تقول العرب: جرجر فلان الماء، إذا جرعه جرعا متواترا. فالجرع والشرب يسمى: جرجرة وهو صوت وقوع الماء في الجوف والحلق<sup>(٦)</sup>.

(١) المزهر: ١/٥٣.

(٢) الدلالة اللغوية عند العرب، د. عبد الكريم مجاهد، (دار الضياء)، ص: ٢١٤.

(٣) الخصائص: ٢/١٦٤.

(٤) صحيح مسلم: ٣/١٦٤٣ رقم الحديث: (٢٠٦٥).

(٥) تهذيب اللغة مادة: (ج ر).

(٦) ينظر: النهاية مادة: (ج ر).

وقد ظهر المعنى واضحًا جليًا من السياق فيما أن الجرجرة الصوت الشديد فهو صوت يناسب العذاب في الآخرة عقوبة للشارب في آنية الفضة يوم القيامة. والجزاء من جنس العمل فهو قد تمتع بالشرب فيما هو محرم، ومرور هذا الشراب في البطن، فالعقاب بنار يجرجرها في بطنه.

وأكد المعنى وجود الراء المكررة فهذا العقاب يتكرر مرات بصاحبه في النار، تمامًا كحكاية صوت البعير التي هي ترديد (أي تكرير) الصوت في الحنجرة.

قال الأزهري في معنى الحديث: "يجرجر في جوفه نار جهنم إذا شرب من آنية الذهب فجعل شرب الماء وجرعه جرجرة، لصوت وقوع الماء في الجوف عند شدة الشرب"<sup>(١)</sup>.

وهكذا يبين السياق التلاؤم التام بين المعنى الحسي للفظ (جرجر) ومعناه.

وأما من جهة صفات أصوات الكلمة (جرجر) فالانسجام واضح بينها، وبين المدلول اللغوي للكلمة، فصوت الجيم مجهور شديد مُقلقل<sup>(٢)</sup> - أي شديد الصوت - ولذا نجد أن العرب غالبًا ما يقدمون هذا الحرف في أوائل الأفعال التي تحتاج إلى بذل من الجهد والطاقة والمشقة. كقولهم: جرّ الشيء، جدّ، جهد، جني، جلب، جفل، جرح، جذب، جأر...<sup>(٣)</sup>.

فالسبب أبرز المعنى المراد بهذا التجمع لصفات الأصوات في جملة واحدة.

كما أورد ابن فارس في مقاييسه جملة من الألفاظ الأخرى التي تتألف من مادة واحدة وهي الفاء والراء وفونيم ثالث يغير معنى هذه المادة كلما حصل إبدال، ومن هذه الألفاظ: "فرز، فرس، فرش، فرص، فرض، فرط، فرع، فرغ، فرق، فرك، فرم، فره، فري، فرت فرث، فرج، فرح، فرخ، فرد، الخ... وكذلك مادة ق. ط مع فونيم ثالث، في مثل: قطع قطف، قطل، قطم، قطن، قطو، قطب، الخ...<sup>(٤)</sup>.

(١) تهذيب اللغة مادة (ج ر).

(٢) التمهيد في علم التجويد، محمد الجزري، تحقيق: غانم قدوري حمد، (مؤسسة الرسالة ط: ١، ١٤٢١ هـ -

٢٠٠١ م) ص: ١٠١.

(٣) تصوير المعنى بجرس اللفظ في الحديث النبوي الشريف، د. غالب محمد الشاويش، (مجلة جامعة الإمام محمد

بن سعود الإسلامية، العدد: ١٣ ذو القعدة ١٤١٥ هـ) ص: ١١٦.

(٤) مقاييس اللغة، ٤/٤٣٨-٤٤١.

وأورد السيوطي في المزهرة كماً كبيراً من الألفاظ التي أتى بها ابن فارس<sup>(١)</sup>، فهناك معنى عام يتكون من الصوتين (القاف والطاء) مثلاً، لكن كلما تغير الصوت الثالث وُجد فرق وبيقى المعنى العام متقارب وليس واحداً. ويبين السياق في ذلك ما تلعبه الفونيمات المبدلة من أدوار في تغيير معاني الكلمات.

ونتأكد من ذلك بما ورد عند سيد الخلق فمن هذه الألفاظ: (قطع-قطف) التي وردت في الأحاديث: فمثلاً مادة (قطع) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَعَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ مِنَ الْقَطِيعَةِ . قَالَ: نَعَمْ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى . قَالَ: فَذَاكَ لِكِ»<sup>(٢)</sup>.

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «إِنَّكُمْ تَحْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مِمَّا أَسْمَعُ مِنْهُ فَمَنْ قَطَعْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئاً فَلَا يَأْخُذْهُ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ بِهِ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ»<sup>(٣)</sup>.

القاف والطاء والعين أصل صحيح واحد ، يدل على صرم وإبانة شيء من شيء يقال : قطعت الشيء أقطعه قطعاً ، والقطيعة : الهجران . يقال : تقاطع الرجلان إذا تصارعا وبعثت فلانة إلى فلانة بأقطوعة ، وهي شيء تبعثه إليها علامة للصريمة . والقطع: بكسر القاف : الطائفة من الليل كأنه قطعة ويقال : قطعة قطعاً<sup>(٤)</sup>.

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «رَأَيْتُ فِي مَقَامِي هَذَا كُلَّ شَيْءٍ وَعِدْتُمْ حَتَّى لَقَدْ رَأَيْتُنِي أُرِيدُ أَنْ أَخْذَ قِطْفاً مِنَ الْجَنَّةِ حِينَ رَأَيْتُمُونِي جَعَلْتُ أَقْدُمُ - وَقَالَ الْمُرَادِيُّ أَتَقَدَّمُ - وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحِطُّمُ بَعْضُهَا بَعْضاً حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ وَرَأَيْتُ فِيهَا ابْنَ الْحَيِّ وَهُوَ الَّذِي سَيَّبَ السَّوَابِ»<sup>(٥)</sup>.

قال ابن فارس: "قطف القاف والطاء والفاء أصل صحيح يدل على أخذ ثمرة من شجرة ثم يستعار ذلك. فتقول: قطفت الثمرة أقطفها قطفاً، ويقطف العنقود، ويقال: أقطف الكرم:

(١) ينظر: المزهرة: ٤٧/١-٥٥.

(٢) صحيح مسلم: ٤/١٩٨٠، ١٩٨١، رقم الحديث: (٢٥٥٤).

(٣) المرجع السابق: ٣/١٣٣٧، رقم الحديث: (١٧١٣).

(٤) مقاييس اللغة مادة: (ق ط ع).

(٥) صحيح مسلم: ٢/٦١٩، رقم الحديث: (٩٠١).

دنا قطافه. والقطافة : ما يسقط من القطوف ، ويستعار ذلك فيقال : قطف الدابة يقطف قطفاً وهو قطف ، كأنه من سرعة نقله قوائمه يقطف من الأرض شيئاً ، وقد يقال للحدش : قطف<sup>(١)</sup> .

وقد ظهر اختلاف المعنى تبعاً لاختلاف الفونيم الثالث في السياق مع أنهما يجتمعان في معنى واحد وهو الأخذ والفصل، لكنه في قطع قد يكون مادياً أو معنوياً، أما قطف فهو مادي. ولقد كان لعلماء اللغة العرب المحدثين آراء متباينة بخصوص هذه القضية. فقد انطلقوا من فكرة المناسبة بين الألفاظ ومعانيها، وحصروا أنفسهم داخل هذه القضية لينتهوا في الأخير إما إلى إنكار هذه المناسبة ، وأما إلى الإقرار بها عن اقتناع كامل.

ومن أولئك الدكتور إبراهيم أنيس الذي يصف ما قاله ابن جني والثعالبي بتخييلات وتأملات تشبه أحلام اليقظة، وذلك في قوله: " وهكذا نرى أن ابن جني كان ممن يؤمنون إيماناً قوياً بوجود الرابطة العقلية المنطقية بين الأصوات والمدلولات أو ما يسميه بعض المحدثين بالرمزية الصوتية، بل لقد غالى ابن جني في هذا ومعه الثعالبي صاحب فقه اللغة إذ جعل مجرد الاشتراك في أصلين فقط من الأصول الثلاثية دليلاً على الاشتراك في معنى عام لبعض الكلمات، فيقرر أن المعنى العام للفرقة يكون بين صوتي الفاء والراء، والمعنى العام للقطع يكون بالقفاف والطاء، إلى غير ذلك من تخييلات وتأملات تشبه أحلام اليقظة عند رجل اشتد ولعه باللغة العربية فتصور فيها ما ليس فيها، وأضفى عليها من مظاهر السحر ما لا يصح في الأذهان ولا تتصف به لغة ممن لغات البشر"<sup>(٢)</sup>.

ويستمر الدكتور إبراهيم أنيس في إصراره على أن هؤلاء العلماء قد اشتد ولعهم بالبحث في المناسبة الطبيعية بين الألفاظ ومعانيها، لينتهي في الأخير إلى إنكار هذه القضية. وممن رفض هذه الظاهرة من اللغويين الغربيين دي سوسير في حديثه عما يسمى باعتبارية العلاقة اللغوية L, arbitraire du signe linguistique ، حيث يذهب إلى أن العلاقة بين الدال والمدلول علاقة اعتبارية، ويضرب لذلك مثلاً بكلمة Soeur ، ويرى أنه لا توجد أية رابطة بين الفونيمات S.O.R وبين مدلولها، بل أنه يمكننا أن نعبر عن هذا المدلول

(١) مقاييس اللغة مادة: (ق ط ف).

(٢) من أسرار اللغة د. إبراهيم أنيس (القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية، ط: ٢، ١٩٧٢م) ص: ١٢٦.

بأي تتابع صوتي آخر مشابه، هذا بالإضافة إلى أن جميع لغات العالم تستعمل في التعبير عن هذا المفهوم كلمات تختلف اختلافاً جذرياً. (١)

وإذا كان الدكتور إبراهيم أنيس قد ذهب مذهب كثير من علماء اللغة الغربيين في رفض مثل هذه المناسبة، فإن البحث يميل إلى رأي الدكتور محمد المبارك حيث خصص في كتابه "فقه اللغة وخصائص العربية" مبحثين خصص بهما: القيمة التعبيرية للحرف الواحد في اللغة العربية، والوظيفة البيانية للحرف في اللغة العربية. فهو بعد أن يستعرض كثيراً من أقوال ابن جني وغيره، يخلص إلى القول بأن: "ثمة أمثلة كثيرة في العربية تدل على التناسب الصوتي والتقابل الموسيقي في تركيب الكلمات وحروفها، ولكن هذه الملاحظات والأمثلة التي أوردها بعض اللغويين قديماً وحديثاً لا تكفي لإقامة نظرة عامة واستنباط قانون عام قبل توسيع أفق الملاحظة والاستقراء، وهي على كل حال تدل على ما في اللغة العربية من الخصائص الموسيقية في تركيب كلماتها". (٢)

ونظرة الأستاذ محمد المبارك هذه قد سبقت بنظرات علمية لغوية غريبة، تؤيد هذه العلاقة وتناصرها.؛ فمن أولئك همبلت الذي يقول: "إن اللغة تدل على الأشياء بالأصوات التي تارة بنفسها، وتارة أخرى بالمقارنة مع غيرها تترك انطبعا في الأذن مماثلاً للتأثير الذي تتركه الأشياء على العقل" (٣).

وهناك من الغربيين من وقف موقفاً وسطاً منهم اللغوي يسبرسن الذي يذهب إلى أن مثل هذه العلاقة ليست مطردة في جميع كلمات اللغة، وأن الكثير من هذه الكلمات التي تتمثل فيها هذه الظاهرة تزول منها مع مرور الزمن، وأن كلمات أخرى تكتسب هذه السمة ثم تزول منها، وهكذا... (٤)

(١) الدلالة اللغوية عند العرب ص: ٢٢٣ .

(٢) فقه اللغة وخصائص العربية (دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التحديد والتوليد)، محمد المبارك، (دار الفكر). ص: ٢٦١.

(٣) الدلالة اللغوية عند العرب، ص: ٢٢١، نقلاً عن otto jespersen : Language, its Nature, Development and Origin, p.396-397

(٤) المرجع السابق ص: ٢٢٦.

ومهما يكن من أمر إثبات هذه القضية أو إنكارها أو الوقوف منها موقفا وسطا فإن ذلك لا يكون إلا بمعونة السياق حين تدرج هذه الأصوات في جمل ليعرف المراد منها. ولعل علماء العربية في ذلك كله يتحدثون عن نظرية الفونيم بمفهومها الحديث، وهي أن الفونيم هو أصغر وحدة صوتية عن طريقها يمكن التفريق بين المعاني. فكثير من ألفاظ اللغة تتحد من حيث مكوناتها وتختلف في وحدة صوتية صغرى يتغير بموجبها معنى هذه الكلمات بما يفرضه السياق. وليس كما يرى عبدالله العلايلي أن بإمكانه أن يعين معاني الحروف على اختلاف أصواتها، وهو لا يكاد يشك في أنه يمكن حلها وتحديد معانيها، ومن ثم يفهم العربية - كما يرى - فهماً تاماً لا شية فيه ولا شبهة عليه<sup>(١)</sup>.

وهذا المبحث عن طريق الأمثلة المتعددة من صحيح مسلم يؤكد أثر السياق الفاعل في تحديد المعاني المتعددة للفونيم الواحد الذي يشكل نوعاً من أنواع الترابط النَّصِّي، وهذه طريقة من طرق العرب في كلامهم، ففي مواضع كثيرة نجد العربية تبادل بين أصواتها وتحدث دورانياً في الكلام حسبما يقتضيه المعنى، بما لا يُخفى دور السياق البارز في هذه الدراسة.

(١) ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نصنع المعجم الجديد، عبدالله العلايلي، (مصر : القاهرة : المطبعة العصرية) ص: ١٢٩، وجدل اللفظ والمعنى (دراسة في دلالة الكلمة العربية) د. مهدي أسعد عرار، (الأردن: عمان: دار وائل للنشر والتوزيع، ط: ١، ٢٠٠٢ م) ص: ٢٣.

### المبحث الثالث

#### أثر السياق في التنغيم

لم يكن التنغيم بعيداً عن النصوص التراثية والخطابات الدينية، بل هو متأصلٌ فيها، وأسلوبٌ فاعلٌ بين أساليبها، يؤدي دوره في الخطاب، ويتنوع بتنوع المقام، يدخل في الخطاب النبوي، واستُخدم في السؤال والجواب، وتوسَّع به في تحقيق الأغراض .

ومعالجة التنغيم باعتباره متصلاً بالفونيم اختلف فيها اللغويون كثيراً؛ فمنهم من اقتصر على استعمال (الفونيم) في التحليل الفونولوجي للظواهر الصوتية داخل حدود الكلمة وتركوا التنغيم خارج الدائرة، ومن فعلوا هذا دانيال جونز الذي اعتبر مثل هذا واقعاً خارج حدود نظرية الفونيم .

ولكن المبرر لامتداد التحليل الفونيمي ليشمل الملامح الصوتية المرتبطة بحدود ما بين الكلمات، هو أن كل اختلافات صوتية في أي مكان ومن أي نوع يكون لها صفة التقابل أو التميز في بعض المحيطات الفونولوجية يجب أن تلحق الفونيم أو فونيمات ملائمة.<sup>(١)</sup>

ولعلماء اللغة المحدثين تعريفات مختلفة للتنغيم، نذكر منها ما يلي:

هو: عبارة عن تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات في حدث كلامي معين<sup>(٢)</sup>.

أو هو: رفع الصوت وخفضه في أثناء الكلام، للدلالة على المعاني المختلفة للجملة الواحدة<sup>(٣)</sup>.

أو هو: الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في السياق<sup>(٤)</sup>.

وهذه التعريفات السابقة تتفق جميعها على أن التنغيم عنصر صوتي تتراوح شدته بين الارتفاع والانخفاض، وذلك على مستوى الحدث الكلامي.

(١) ينظر: دراسة الصوت اللغوي ص: ٢٢٩ .

(٢) أسس علم اللغة، ماريوباي، ترجمة: د. أحمد مختار، (القاهرة: عالم الكتب، ط: ٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م) ص: ٩٣ .

(٣) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د. رمضان عبد التواب (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط: ٣،

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) ص: ١٠٦ . ينظر: علم اللغة العام (الأصوات) ص: ١٦٣ .

(٤) الكلمة (دراسة لغوية معجمية) ص: ٥٤ .

وقد فرق بعض اللغويين بين مصطلحين أساسيين هما: النغمة **Tone**، والتنغيم **Intonation**. فأما النغمة فتكون على مستوى الكلمات المفردة، في مثل: نعم، لا، ولد، إلخ... وأما التنغيم فيكون على مستوى الجملة<sup>(١)</sup>.

وعد د. تمام حسان التنغيم ظاهرة سياقية<sup>(٢)</sup>. وردّ عليه الدكتور عبدالنعيم خليل بقوله: "والحق أن التنغيم نظام لا يتغير، وليس ظاهرة سياقية تنشأ حلاً لمشكلة تعارض النظام مع الاستعمال؛ ولذا قد عدّه ماريوباي فونيمًا من فونيمات اللغة"<sup>(٣)</sup>.

أما الوظيفة الدلالية للتنغيم فهي التفريق بين المعاني بما يمليه السياق، فالكلمة مثلاً تنطق بقالب نغمي معين فيكون لها معنى، فإذا نطقت بقالب نغمي آخر كان لها معنى آخر، وهذا هو النظام الشائع في اللغات النغمية أو التنغيمية؛ لأنها تستخدم التنوعات الموسيقية في الكلام بطريقة تمييزية تفرق بين المعاني<sup>(٤)</sup>.

وهذا له دور كبير في توجيه وسائل التشكيل الصوتي، والوسائل الأخرى من أجل تقوية المنطوق" كما تجدر الإشارة إلى أثر التنغيم في توجيه وظيفة وسائل التشكيل الصوتي والوسائل المعجمية، والمقويات الموجهة إلى المتكلم (**Speaker-oriented boosters**) وهي (العناصر المعجمية التي تشير إلى صدق المتكلم أو ثقته بما يعلم)، والمقويات الموجهة إلى المستمع **hearer-oriented boosters** وهي (العناصر المعجمية التي تشير إشارة ضمنية أو صريحة إلى معرفة المستمع، أو إلى المعلومة التي تصنع خلفية مشتركة بينه وبين المتكلم)، أو المقويات الموجهة إلى المحتوى **Content-orientar boosters** تقوية وإضعافاً.... ومن ذلك ما قاله هاليداي ورقية حسن عن كلمة " بالتأكيد " مثلاً: إذا نغمت " بالتأكيد " فإنها تدعو المستمع إلى أن يقبل القضية التي نطق بها، وإذا خفضت كان لها من

(١) ينظر: الكلمة (دراسة لغوية معجمية) ص: ٤٦.

(٢) د. تمام حسان في كتابه اللغة العربية معناها ومبناها ص: ٣٠٨ - ٣١٠.

(٣) نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص: ٦٢، وينظر: أسس علم اللغة ص: ٩٢.

(٤) ينظر: علم الصوتيات، د. عبد الله ربيع، د. عبد العزيز علام ص: ٣٢١.



المعنى ما يكون لمعادها الربط Cohesive equivalent ، أي: هل أنا على حق في فهمي ما قيل توًّا" (١).

وبما أن التنعيم هو الإطار الصوتي، وطريقة الأداء التي تقال بها الجملة فله عدة وظائف يوجهها السياق نذكر منها:

### أولاً: الاستفهام:

مما لاشك فيه أن التنعيم الخاص بمعنى الاستفهام يختلف عن التنعيم الخاص بالإثبات فهو عنصر دلالي كبير يهدي إلى تفسير الجملة تفسيراً صحيحاً (٢).

واللغة العربية ليست لغة نغمية يؤدي التنعيم فيها دوراً على المستوى الصرفي، فيفرق بين معاني الكلمات، كما هو الحال في بعض اللغات التي تنطق فيها الكلمة بأكثر من نغمة فيتغير معناها، وإنما اللغة العربية لغة تنغمية يعمل التنعيم فيها على مستوى الجملة (٣)، فهو يستعمل يستعمل للتفريق بين معاني الحمل ف"الهيكل التنغيمي الذي تأتي به الجملة الاستفهامية وجملة العرض، غير الهيكل التنظيمي لجملة الإثبات، وهن يختلفن من حيث التنعيم عن الجملة المؤكدة" (٤). وهذا دليل على تضافر الجهود؛ فالسياق وطبيعته يوجهان طريقة الأداء للمعنى المراد.

وهناك أحاديث تخلو من أداة الاستفهام وهي في الحقيقة جمل استفهامية ، واستفيد هذا المعنى من الإيقاع الذي صاحبها فعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ الرَّجَالُ بِحَدِيثِكَ فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ، تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ . قَالَ: « اجْتَمِعْنَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ». فَاجْتَمَعْنَ فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ امْرَأَةٍ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلَاثَةَ إِلَّا كَانُوا لَهَا

(١) النص و الخطاب والاتصال، د. محمد العبد ، ( القاهرة: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ١٤٢٦هـ -

٢٠٠٥ م ) . ص: ٣١٤-٣١٥ .

(٢) في أصول النحو، سعيد الأفغاني، (منشورات جامعة البعث، ١٩٩١م) ص: ٩٣-٩٤ .

(٣) علم اللغة بين التراث والمعاصرة، مذكور عاطف، (القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٧م) ص: ١٢١ .

(٤) اللغة العربية معناها ومبناها ص: ٢٢٦ .

حِجَابًا مِنَ النَّارِ» فَقَالَتْ امْرَأَةٌ: وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ»<sup>(١)</sup>.

فهذا الحديث يبدو-للهولة الأولى-خبرياً تقريرياً، ولكنه عن طريق التنغيم يتبين المعنى الصحيح وهو أنه إنشائي استفهامي، فالصحايبات-رضوان الله عليهن-يجتمعن ليعلمهن-ﷺ-مما علمه الله، ويخبرهن بفضل من تقدم ثلاثة من ولدها يموتون فتصبر لذلك وتحتسب إلا كانوا سترًا وحجابًا لها من النار، ففرحن بذلك فاستفهمت إحداهن (وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ) فأجابها-ﷺ-(وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ)فما أكرم رب العالمين وما أوسع فضله.

وهنا يظهر أنه لاخلاف أن للتنغيم دوراً كبيراً في الدلالة على المعنى المراد، ونقل مشاعر المتكلم، وآرائه للمستمع، وكثيراً ما تغني هذه النعمة عن أداة الاستفهام حين تُحذف، وتبقى دلالة الاستفهام حاضرة باقية ففي قول عمر بن أبي ربيعة :

ثُمَّ قَالُوا: تُحِبُّهَا؟ قُلْتُ: بَهْرًا  
عَدَدَ النَّجُومِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ<sup>(٢)</sup>

فقد أغنت النعمة الاستفهامية في قوله:(تُحِبُّهَا) عن أداة الاستفهام، ومع ذلك فقد بقي الاستفهام واضحاً جلياً ، ومفهوماً من البيت .

وعن سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ عَطَسَ رَجُلٌ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: « يَرِحْمُكَ اللَّهُ » . ثُمَّ عَطَسَ أُخْرَى فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « الرَّجُلُ مَرْكُومٌ »<sup>(٣)</sup>.

فالرسول-صلى الله عليه وسلم-لما رأى العطاس قد تكرر من الرجل استفهم، وفهم الاستفهام من الموسيقى التي صاحبت الجملة "كما أن للتنغيم الذي يصاحب تلفظ المستفهم بجملة الاستفهام أثراً كبيراً في الدلالة على الاستفهام، وثمة دلالة أخرى وهي أن الحديث حوار بين السائل والمجيب، فهو يسأل وينتظر الإجابة، أو هو مستفهم عن شيء يريد معرفة جوابه، وحقيقة أمره، وهذه كلها غنية عن أداة الاستفهام وتقديرها، والأولى في مثل هذه الاستفهامات

(١) صحيح مسلم: ٤/٢٠٢٨، ٢٠٢٩ رقم الحديث: (٢٦٣٣)

(٢) البيت من الخفيف وهو لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه: (لبنان: بيروت: دار صادر)ص: ٦٠ .

(٣) صحيح مسلم: ٤/٢٢٩٢، ٢٢٩٣، رقم الحديث: (٢٩٩٣).

أن تُورد هكذا كما قيلت، دون تقدير أداة لها، فسياقاتها ونغمتها الصوتية فيها الدلالة كل الدلالة على الاستفهام، بل إن الذوق يرفض قبول همزة الاستفهام قبلها، فقد وردت بدون أداة فلتبق كذلك بدون أداة، تأمل قوله: «الرَّجُلُ مَرْكُومٌ»؟ ثم تأمله بعد التقدير: الرجل مَرْكُومٌ؟ تجد أن هذه الأدوات وكأنها مقحمة إقحاماً في هذا المقام<sup>(١)</sup>.

وللباحثة رأي في ذلك لعل ما جاء في أحاديث أخرى من حذف الأداة في رواية، وإثباتها في رواية أخرى ينفي ما ذهب إليه د. عبدالعزيز العمار حيث روي أنّ الحسن أخذ ثمرة الصدقة، فجعلها في فيه، فنظر إليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخرجها من فيه، قال: (ما علمت ...)<sup>(٢)</sup>، أي: أما علمت ...؟

وقد علّق ابن مالك -رحمه الله- (ت: ٦٧٢هـ) على حذف حرف الاستفهام في هذا الحديث بقوله: (ومن روى ما علمت، فأصله، أما علمت؟).؟ وحذفت همزة الاستفهام؛ لأنّ المعنى لا يستقيم إلّا بتقديرها<sup>(٣)</sup>.

وقد أثبتت همزة الاستفهام في رواية مسلم: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- يقول: أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « كَيْفَ كَيْفٌ <sup>(٤)</sup> أَرُمَ بِهَا بِهَا أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ »<sup>(٥)</sup>.

وتقدير ابن مالك يقبله الذوق ولم نشعر بالاقتحام المذكور في كلام الدكتور. ويؤكد قبوله بجيئه في الرواية الأخرى بتقديرها، و الجميل في ذلك بلاغته -ﷺ- ومعرفته بفنون القول. إذن فالتنعيم أو التلوين الموسيقي يؤدي دوراً مهماً في التفريق بين معاني الجمل.

(١) الاستفهام في الصحيحين خصائصه التركيبية ومعانيه البلاغية (دراسة بلاغية تحليلية)، د. عبدالعزيز بن صالح العمار، (المملكة العربية السعودية: الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، رسالة ماجستير ١٤٢٤هـ) ص: ١٧٥.

(٢) الجامع الصحيح للبخاري، تحقيق: عبدالقادر شيبه الحمد، (المملكة العربية السعودية، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م) ٤٠٦/١، رقم الحديث: (١٤٥٢).

(٣) شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، ص: ١٨٩.

(٤) كَيْفَ كَيْفٌ بمعنى: الزجر عن الشيء. ينظر: المفصح ص: ٢٠٨.

(٥) صحيح مسلم ٧٥١/٢ رقم الحديث: (١٠٦٩).

وفي مقابل السابق قد تكون الجملة خبرية في المعنى، وهي تحتوي على أداة استفهام في اللفظ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلَا يَغْمِسْ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلَاثًا فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَيَّنَ بَاتَتْ يَدُهُ»<sup>(١)</sup>.

في قوله ﷺ: «فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَيَّنَ بَاتَتْ يَدُهُ» الجملة ليست استفهاماً مع استخدام أداة الاستفهام؛ لأنه لم يطلب بها جواباً، بل هي إخبار عن عدم الدراية.

"وقد استشكل هذا التركيب من جهة أن انتفاء الدراية لا يمكن أن يتعلق بلفظ (أين باتت يده) ولا بمعناه؛ لأن معناه الاستفهام، ولا يقال إنه لا يدري الاستفهام، فقالوا معناه لا يدري تعيين الموضع الذي باتت فيه يده، فيكون فيه حذف مضاف محذوف وليس استفهاماً وإن كانت صورته الاستفهام.

وهذا الإشكال والجواب يطرد في كل ما علق من أفعال القلوب عن العمل فيما بعده باستفهام"<sup>(٢)</sup>.

وقال سيبويه في قولك: "علمت أزيد عندك أم عمرو، إنَّ معناه: علمت الذي هو عندك من هذين الرجلين"<sup>(٣)</sup>.

وللسياق أثر واضح في بيان نوع الجملة استفهامية كانت أم خبرية حيث يظل التنغيم حاضراً في السياق؛ لذا يقول د. كمال بشر "وحيثذا يكون اعتمادنا على التنغيم بمساعدة المقام والسياق"<sup>(٤)</sup>.

وقد يخرج الاستفهام في داخله إلى معاني أخرى حينما يلقي السياق بظلاله عليه ويوجه طريقة الأداء فيه.

— قد تكون الجملة استفهامية في اللفظ، ولا تحمل معنى الاستفهام، وإنما معناها التوبيخ الذي يعرف بالتنغيم الصَّوتِي الذي يؤدِّيه المتكلم ويوجهه السياق. ففي (باب ما جرى من الأسماء التي لم تؤخذ من الفعل مجرى الأسماء التي أخذت من الفعل)، يوضح سيبويه ذلك

(١) صحيح مسلم ٢٣٣/١ رقم الحديث: (٢٧٨).

(٢) عقود الزبرجد في إعراب الحديث النبوي، عبدالرحمن السيوطي، تحقيق: د. سلمان القضاة، (لبنان: بيروت، دار

الجيل، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) ٣/١٣١، ١٣٢.

(٣) ينظر: الكتاب ١/٩٣.

(٤) علم اللغة العام (الأصوات) ص: ١٦٣.

فيقول: "وذلك قولك: (أتميمياً مرة، وقيسيياً أخرى)، وإنما هذا أنك رأيت رجلاً في حال تلون وتنقل، فقلت: (أتميمياً مرة وقيسيياً أخرى... ؟)، كأنك قلت: أتحوّل تيمياً مرة، وقيسيياً أخرى، فأنت في هذه الحال تعمل في تثبيت هذا له، وهو عندك في تلك الحال في تلون وتنقل، وليس يسأله مسترشداً في أمر هو جاهل به، ليفهمه إياه، ويخبره عنه، ولكنه وبّخه بذلك" (١).

فالتوبيخ يقع على فعل مضى وانتهى، فيدل الأسلوب على الذم والتفريع؛ ومن ذلك عن أسامة بن زيد بن حارثة -رضي الله عنهما- يُحدّثُ قال: بَعَثْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحَرْقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ، فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا غَشِيَنَاهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . فَكَفَّ عَنْهُ الْأَنْصَارِيُّ وَطَعَنَتْهُ بِرُجْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ. قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ -ﷺ- فَقَالَ لِي: « يَا أُسَامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ». قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّدًا . قَالَ فَقَالَ: « أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ». قَالَ فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ " (٢).

إنّ السؤال التنغيمي الذي جاء من قبل الرسول قد كشف عن عدم رضا الرسول صلى الله عليه وسلم بما فعله أسامة بن زيد، وعن تفسير تام لحكم من قتل رجلاً أسلم ونطق بالشهادتين قبل أن يضرب عنقه بالسيف بصورة توبيخية تخاطب العقل والوجدان، حيث استكمل المعنى من عدة وجوه بما يناسب سياق الحال والمقام. دون الحاجة إلى طول الكلام أو قصره، وأدرك الصحابة ذلك وترجموه بقولهم باشتداد غضبه حتى تمنى أسامة -رضي الله عنه- أنه أسلم في تلك اللحظة؛ لأن الإسلام يجب ما قبله، وهكذا تبين من سياق الحال وطريقة الأداء خروج الاستفهام إلى معنى التوبيخ وذلك عن طريق ارتفاع الصوت أو انخفاضه. أي: التنعيم.

-وقد يخرج الاستفهام إلى معنى الإنكار قال أسامة بن زيد -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ إِحْدَى بَنَاتِهِ تَدْعُوهُ وَتُخْبِرُهُ أَنَّ صَبِيًّا لَهَا -أَوْ ابْنًا لَهَا- فِي الْمَوْتِ فَقَالَ لِلرَّسُولِ: « ازْجِعْ إِلَيْهَا فَأَخْبِرْهَا إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ » فَعَادَ الرَّسُولُ فَقَالَ: إِنَّهَا قَدْ أَفْسَمَتْ لِنَاتَيْنَهَا . قَالَ فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَامَ مَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ

(١) الكتاب: ٣٤٣/١.

(٢) صحيح مسلم: ٩٧/١ رقم الحديث: (٩٦).

وَمُعَادُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَنْطَلَقْتُ مَعَهُمْ فَرَفَعَ إِلَيْهِ الصَّبِيُّ وَنَفْسُهُ تَقَعَّقُ كَأَنَّهَا فِي شِنَّةٍ<sup>(١)</sup> فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ. فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: « هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَزَحُّمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءَ »<sup>(٢)</sup>.

فسعد بن عبادة - رضي الله عنه - أنكر على الرسول - ﷺ - انهمار الدموع من عينيه الشريفتين.

وقال الإمام النووي في شرح هذا الحديث: "معناه: أن سعداً ظن أن جميع أنواع البكاء حرام، وأن دمع العين حرام، وظن أن النبي ﷺ نسي فذكره، فأعلمه النبي ﷺ أن مجرد البكاء، ودمع العين ليس بحرام، ولا مكروه، بل هو رحمة وفضيلة، وإنما الحرام النوح والندب والبكاء المقرون بهما، أو بأحدهما"<sup>(٣)</sup>.

ولا يخفي أثر السياق في إظهار تلك المعاني وإبرازها، فكل واحد منهما يُكمل الآخر، ويسنده في تحقيق معنى الاستفهام وإظهاره.

ومن خروج الاستفهام إلى معنى الإنكار عن طريق التنغيم عن عائشة - رضي الله عنها - قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْتَكِفَ صَلَّى الْفَجْرَ، ثُمَّ دَخَلَ مُعْتَكِفَهُ، وَإِنَّهُ أَمَرَ بِجِبَائِهِ فَضْرِبَ أَرَادَ الْإِعْتِكَافَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فَأَمَرَتْ زَيْنَبُ بِجِبَائِهَا فَضْرِبَ، وَأَمَرَ غَيْرَهَا مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ - ﷺ - بِجِبَائِهِ فَضْرِبَ فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - الْفَجْرَ نَظَرَ فَإِذَا الْأَخْيِيَةُ فَقَالَ: « أَلْبِرُّ تُرْدَنَ ». فَأَمَرَ بِجِبَائِهِ فُقُوْضَ وَتَرَكَ الْإِعْتِكَافَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ حَتَّى اعْتَكَفَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنْ شَوَّالٍ "<sup>(٤)</sup>.

فقوله ﷺ « أَلْبِرُّ تُرْدَنَ »؟ هذه الجملة الاستفهامية لا تؤدي المعنى المقصود خارج السياق

(١) معنى القعقة: الصوت، صوت السلاح والحجارة والرعد والجلود اليابسة وغيرها، وتقعق الشيء: إذا اضطرب وتحرك، ومنه المثل: فلان لا يقع له بالشنان، أي لا يُجْدَع، ومعنى نفسه تقعق: أي تضطرب، والمراد: أنها كلما صارت إلى حال لم تلبث أن تصير إلى حال أخرى تقرها من الموت، و الشنة: هي القرية البالية، والمعنى: أن لنفسه صوتاً وحشرجة كصوت الماء إذا ألقى في القرية البالية. ينظر: لسان العرب: مادة: (ق ع ع)، و ينظر: المنهاج: ٦ / ٤٦٥، ٤٦٦.

(٢) صحيح مسلم: ٢ / ٦٣٥ رقم الحديث: (٩٢٣).

(٣) المنهاج: ٦ / ٤٦٥، ٤٦٦.

(٤) صحيح مسلم: ٢ / ٨٣١ رقم الحديث: (١١٧٢).

فكان لابد من التفاعل بين التنعيم والسياق اللغوي وسيقاق الحال ليظهر المعنى بجلاء فلفظة (البر) في قوله « أَلْبِرُّ تُرْدُنُ » منصوبة، وهي مفعول مقدم للفعل (تردن)، وقد قُدم هذا المفعول على فعله، وولي همزة الاستفهام، وفي تقديمه معانٍ جميلة اقتضاها السياق، فقد قال ﷺ هذه الجملة مخاطباً بها نساءه إنكاراً عليهن هذا الفعل (وهو ضرب الأخبية).

والخطاب في هذه الرواية أقوى في المعنى من الرواية الأخرى في صحيح البخاري أنه ﷺ قال: (أَلْبِرُّ تَرُونُ) <sup>(١)</sup>؛ لأن الرواية في صحيح مسلم توجه بها ﷺ إلى نساءه رضي الله عنهن؛ وذلك أقوى في الإنكار، وأشدّ ألماً في النفس، وكان تعليماً للأمة.

وقد ذكر النووي دافع هذا الإنكار وسببه: "فقد خشي ﷺ أن يكن غير مخلصات في هذا العمل، وأن يكون الباعث لهن على ذلك التنافس بينهن الناتج من غيرة بعضهن على بعض؛ حرصاً منهن على القرب من رسول الله ﷺ، والمباهاة به، ومن ثم يخرج الاعتكاف عن موضوعه، ويفقد مقصوده، والمراد منه" <sup>(٢)</sup>.

وظهر تكاتف السياق اللغوي مع التنعيم في قوله: (أَلْبِرُّ تَرْدُنُ)؛ وذلك ناشئ عن عدم رضاه ﷺ بفعلهن، وسيقاق الحال أكد هذا الإنكار في تقويضه لخبائثه وترك الاعتكاف، وحياته- ﷺ- درس للأمة، فهو يربي أمته على إصلاح النية في الأعمال، وتهذيبها وإخلاصها لنيل رضا الرحمن والفوز بالجنان.

وقد يجتمع في حديث واحد دلالة الاستفهام بدون أداة وخروج الاستفهام إلى معنى الإنكار والتعجب معاً فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رضي الله عنه - قَالَ: لَمَّا حَاصَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلَ الطَّائِفِ فَلَمْ يَنْلِكْ مِنْهُمْ شَيْئاً قَالَ: "إِنَّا قَافِلُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ". فَتَقَلَّ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: نَذْهَبُ وَلَا نَفْتَحُهُ - وَقَالَ مَرَّةً نَقُلُ - فَقَالَ: "اعْدُوا عَلَى الْقِتَالِ". فَغَدَوْا فَأَصَابَهُمْ جِرَاحٌ فَقَالَ: "إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ". فَأَعْجَبَهُمْ فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" <sup>(٣)</sup>.

(١) فتح الباري: ٤/ ٣٢٣، رقم الحديث: (٢٠٣٣)،

(٢) المنهاج ٨ / ٣١٠

(٣) صحيح مسلم: ٣/ ١٤٠٣، رقم الحديث (١٧٧٨).

لولا السياق لظن القارىء أن قول الصحابة-رضوان الله عليهم-: "نَذَهَبُ وَلَا نَفْتَحُهُ" جملة خبرية للوهلة الأولى، بيد أن السياق ألقى بظلاله الوارفة على الجملة ليوجه معناها إلى -الإنكار الذي يحمل معه معنى التعجب، فالصحابه-رضوان الله عليهم- يخاطبون نبيهم-صلى الله عليه وسلم- كيف يرجعون من ساحة القتال، ولم يقوموا بالعمل الذي جاءوا من أجله، وقد قتل منهم رجال، وجرح كثيرون، فنفسهم لاتقبل هذا الأمر، فهم شجعان يُقبلون ولا يُدبرون. والتنغيم ساعد في كشف الغموض، وإزالة اللبس في هذا الحديث. وخلاصة القول في هذه المسألة: إن هذه المعاني التي يدل الاستفهام عليها إنما يدل عليها التنغيم بمعونة السياق وقرائن الأحوال.

### العرض و التحضيض:

وأما معنى الاستفهام في تراكيب العرض والتحضيض فتؤديه الأدواتان (هل) والهمزة في " (الآ) و (الآ) ، يقول ابن مالك متحدثاً عن إجراء التحضيض والعرض والتمني بـ " ألا " مجرى الاستفهام في باب الاشتغال : " وإنما أجزيت مجراه لأن معنى " هَلَّا فعلت " و " هَلَّا تفعل " : " لَمْ لَمْ تفعل " و " لم لا تفعل " ، ومعنى: ألا تفعل: أتفعل <sup>(١)</sup> كما أنه يعمم دلالتها على الاستفهام الاستفهام لتشمل كل " الأحرف الخمسة المقتضية تحضيضاً " ذاكراً استحقاقها التصدير لأن فيها معنى الاستفهام ... ولذلك يسميها الكوفيون حرف استفهام " ، <sup>(٢)</sup> ولعل تعميم ابن مالك والكوفيين هذا مبني على ما نقله سيبويه عن يونس إذ يقول : " وزعم يونس أنك تقول : هَلَّا تقولن ، وألَّا تقولن ، وهذا أقرب لأنك تعرِّض فكأنك قلت : افعلن؛ لأنه استفهام فيه معنى العرض . ومثل ذلك : لولا تقولن؛ لأنك تعرض " . <sup>(٣)</sup>

هذه هي علاقة الاستفهام بتراكيب العرض والتحضيض ، علاقة تكوين لأدواته وعلاقة معنى للتركيب بمجمله ، وعلاقة شبه في التنغيم حين النطق بها ، لكن الاستفهام في هذه

(١) شرح التسهيل ، ابن مالك الأندلسي ، تحقيق : د. عبدالرحمن السيد ، د. محمد بدوي المختون، (القاهرة: هجر للطباعة والتوزيع ، ط: ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) ٢ / ١٣٩ .

(٢) المرجع السابق: ٢ / ١٤٠ .

(٣) الكتاب : ٣ / ٥١٤ .



التركيب غير حقيقي ، يخرج إلى معنى الأمر عرضاً أو تحضيضاً<sup>(١)</sup>.

يقول ابن الشجري-رحمه الله-(ت: ٥٠٠هـ) عن العرض : " و العرض بأن يكون طلباً أولى من أن يكون استفهاماً وإنما أدخله من أدخله في حيز الاستفهام؛ لأن لفظه لفظ الاستفهام ، وليس كل ما كان بلفظ الاستفهام يكون استفهاماً حقيقياً على ما بينته لك ولو كان العرض استفهاماً ما كان المخاطب به مكرماً ، ولا أوجب لقائله على المقول له شكراً " (٢).

ومن ذلك عن عبد الله بن زيد-رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ لما فتح حنيناً قسم الغنائم فأعطى المؤلفة قلوبهم فبلغه أن الأنصار يجبون أن يصيبوا ما أصاب الناس فقام رسول الله ﷺ فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: « يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضللاً فهداكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي، ومتفرقين فجمعتكم الله بي ». ويقولون: الله ورسوله أمرنا . فقال: « ألا تجيبوني ». فقالوا: الله ورسوله أمرنا . فقال: « أما إنكم لو شئتم أن تقولوا كذا وكذا وكان من الأمر كذا وكذا ». لأشياء عددها . زعم عمرو أن لا يحفظها فقال: « ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والإبل وتذهبون برسول الله إلى رحالكُم، الأنصار شعاير والناس دثار، ولولا الحجر لكنت أماً من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وشعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبهم. إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض »<sup>(٣)</sup> .

ففي قوله صلى الله عليه وسلم « ألا تجيبوني » خرج العرض إلى معنى الاستفهام بدليل الإجابة ، أما في قوله صلى الله عليه وسلم " ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والإبل وتذهبون برسول الله إلى رحالكُم" عرض حقيقي معروف إجابته ، ولكن الرسول -ﷺ- أراد أن يهدى نفوسهم ، ويقر عيونهم .

ولخروج العرض إلى الاستفهام الحقيقي أحاديث كثيرة في صحيح مسلم منها عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: كُنَّا عِنْدَ حُدَيْفَةَ فَقَالَ رَجُلٌ: لَوْ أَدْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتَلْتُ مَعَهُ

(١) الأمر في صحيح البخاري ص: ٢٠٩ .

(٢) الأمالي الشجرية ، هبة الله بن الشجري ، (لبنان : بيروت : دار المعرفة ) : ١ / ٢٦٨ ، و الجني الداني في حروف المعاني ، الحسن المرادي ، تحقيق : د. فخر الدين قباوة ، والأستاذ : محمد نلعم فاضل ، (بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة ، ط: ٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) ص: ٣٨٣ .

(٣) صحيح مسلم : ٧٣٨/٢ ، ٧٣٩ ، رقم الحديث: (١٠٦١) .

وَأَبْلَيْتُ. فَقَالَ خَدَيْقَةُ: أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ وَأَخَذْتُنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرَّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟». فَسَكَّنْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ ثُمَّ قَالَ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَسَكَّنْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ فَقَالَ: «فُمْ يَا خَدَيْقَةُ فَأَتَيْنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ»<sup>(١)</sup>.

فهنا خرج العرض إلى الاستفهام الحقيقي فالرسول-ﷺ- يطلب إقدام أحد أصحابه لإرساله في مهمة الإطلاع على قريش ومعرفة حالهم.

ولعل العلة في اختيار النبي-ﷺ- لاسلوب العرض بدلاً من أسلوب الأمر واضح من السياق؛ حيث الأحزاب مجتمعون حول المدينة، والريح الشديدة والقر كل هذه الأمور جعلت الصحابة-رضوان الله عليهم- وهم البشر- يخافون الإقدام على ما طلب منهم صلى الله عليه وسلم.

ويؤكد السياق بالتحضار مع التنعيم خروج العرض إلى الاستفهام الإنكاري وذلك فيما روي عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ-رضي الله عنه- يقول: بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ- مِنْ أَيْمَنِ بَدْعَبَةَ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ لَمْ تُحْصَلْ مِنْ تُرَائِحِهَا - قَالَ - فَفَسَمَّهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ بَيْنَ عُبَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ وَالْأَفْرَعِ بْنِ حَابِسٍ وَزَيْدِ الْخَيْلِ وَالرَّابِعِ إِمَّا عَلَقَمَةُ بْنُ عَلَاثَةَ وَإِمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: سُنَّا نَحْنُ أَحَقُّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلَاءِ - قَالَ - فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ . فَقَالَ: « أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحاً وَمَسَاءً ». قَالَ فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرٌ الْعَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الرُّجُجَتَيْنِ، نَاشِزُ الْجُبْهَةِ، كَثُّ اللَّحْيَةِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، مُشَمَّرُ الْإِزَارِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: اتَّقِ اللَّهَ. فَقَالَ: «أُوَيْلِكَ أَوْلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ»<sup>(٢)</sup>.

إن مجيء سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم «أَلَا تَأْمَنُونِي» بطريقة العرض، ليس لغرض الإجابة، فالموقف أكبر من إجابة السؤال، وليس المخاطبون حديثي العهد في الإسلام، أو ممن يشكون في رسالته وعدله. إن سياق الحديث أظهر أن القائل هو أحد أصحابه، وهنا تكمن الخطورة فالسؤال قد أتى بصورة تكافئ هذه الخطورة، فالفعل المضارع «أَلَا تَأْمَنُونِي»، جاء بأسلوب معجز، إذ لم يقل "أتخونوني" ابتغاء التي هي أحسن، فيوصل رسالته بأحسن الظن بقرى، وبأجمل الأساليب وألطف العبارات.

(١) صحيح مسلم ١٤١٤/٣. رقم الحديث: (١٧٨٨).

(٢) المربع السابق: ٧٤٢/٢، رقم الحديث: (١٠٦٤).

إنَّ هذا السؤال خرج إلى معنى الإنكار الذي له دور في المحاجة والإقناع على حد قول الدكتور تمام حسان: "الاستفهام الإنكاري وسيلة محاجة وإقناع" (١) الذي جاء في ثوب العرض (ألا) يزداد قوة، ويتصاعد مع كل عبارة يضيفها الخطاب النبوي، فكيف لا ترضون بقسمة شئ رخيص زهيد دني من أطماع الدنيا، التي هي كلها متاع الغرور، وأنا أمين من في السماء (٢).

وقد ترد ((لولا)) الشرطية على سبيل التحضيض، فكيف أدرك النحاة هذا التحضيض، إنَّه لا يتأتى من خلال الجملة المكتوبة، ولكن القرينة الحالية، ثم القرينة التنغيمية الدالة عليها، هي التي غيرت معنى (لولا)، من الدلالة الشرطية إلى الدلالة التحضيضية (٣) فعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ -رضي الله عنه- قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى خَيْبَرَ، فَتَسَيَّرْنَا لَيْلًا فَقَالَ رَجُلٌ مِّنَ الْقَوْمِ لِعَامِرِ بْنِ الْأَكْوَعِ: أَلَا تُسْمِعُنَا مِنْ هُنَيْهَاتِكَ؟، وَكَانَ عَامِرٌ رَجُلًا شَاعِرًا فَنَزَلَ يَحْدُو بِالْقَوْمِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا فَاغْفِرْ فِدَاءً لَكَ مَا اقْتَفَيْنَا وَتَبَّتِ الْأَقْدَامُ إِنْ لَاقَيْنَا وَأَلْقَيْنَ سَكِينَةً عَلَيْنَا إِنْ إِذَا صَبَحَ بِنَا أَتَيْنَا وَبِالصُّبْحِ عَوَّلُوا عَلَيْنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ هَذَا السَّائِقُ؟» . قَالُوا: عَامِرٌ . قَالَ: «يَرْحَمُهُ اللَّهُ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِّنَ الْقَوْمِ: وَجَبَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْلَا أَمْتَعْتَنَا بِهِ (٤).

وقوله : (لَوْلَا أَمْتَعْتَنَا بِهِ) قال القرطبي : "أي: هلا دعوت أن تمتعنا ببقائه" (٥) وعلق السيوطي على ذلك بقوله "قلت: يشير إلى أن (لولا) حرف تحضيض بمعنى (هلا)" (٦).  
وسياق الحديث يرجح هذا المعنى؛ حيث إن الصحابة-رضوان الله عليهم-طلبوا من عامر أن يمتعهم بشيء من شعره، فاستجاب لطلبهم، وحقق لهم ما أرادوا.

(١) البيان في روائع القرآن، د. تمام حسان، (القاهرة: مكتبة الأسرة، ٢٠٠٣م) ٢/٢١١.

(٢) ينظر: بلاغة السؤال والجواب في صحيح البخاري، عبد الرحمن أحمد الصبان، (رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم الدراسات اللغوية في معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية) ص: ٢٥٤.

(٣) دور التنغيم في تحديد معنى الجملة العربية، د. سامي عوض، عادل علي نعام، ((مجلة جامعة تشرين للدراسات و البحوث العلمية - سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٢٨) العدد (١) ٢٠٠٦م) ص: ٩٤.

(٤) صحيح مسلم: ٣/١٤٢٧، ١٤٢٨، رقم الحديث: (١٨٠٢).

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: ٧/٨٧٠.

(٦) عقود الزبرجد: ١/٤٤٩.

ثانياً: أسلوب النداء:

للتنغيم أثره الواضح في تحديد أسلوب النداء عند حذف الأداة وشاهده عن النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ يَقُولُ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسَوِّي صُفُوفَنَا حَتَّى كَأَنَّمَا يُسَوِّي بِهَا الْقِدَاحَ، حَتَّى رَأَى أَنَا قَدْ عَقَلْنَا عَنْهُ، ثُمَّ خَرَجَ يَوْمًا فَقَامَ حَتَّى كَادَ يُكَبِّرُ، فَرَأَى رَجُلًا بِأَدْيَا صَدْرُهُ مِنَ الصَّفِّ، فَقَالَ: «عِبَادَ اللَّهِ لَتَسُوْنَ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لِيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوْهِكُمْ» (١).

والتقدير: يا عباد الله، فحذف حرف النداء؛ حيث إن السياق بمعونة التنغيم يؤكد هذا الحذف. ومنه أيضاً حديث البراء ك-رضي الله عنه-: «كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْبَبْنَا أَنْ نَكُونَ عَنْ يَمِينِهِ، يُقْبَلُ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَسَمِعْتَهُ يَقُولُ: «رَبِّ قِنِي ذَابِكَ يَوْمَ تَبْعَتْ أَوْ تَجْمَعُ عِبَادَكَ» (٢).

والتقدير: يا رب. حذف حرف النداء لقرب الله من عبده قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (٣).

كما أن السياق والتنغيم يفرقان بين استخدام (يا) للنداء، واستخدامها للندبة، أو الاستغاثة، عن أنس بن مالك قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وُلِدَ لِي اللَّيْلَةُ غُلَامٌ فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ». ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى أُمِّ سَيْفِ امْرَأَةٍ فَيُنِ قَالُ لَهُ أَبُو سَيْفٍ، فَاَنْطَلَقَ يَأْتِيهِ وَاتَّبَعْتُهُ فَانْتَهَيْتَنَا إِلَى أَبِي سَيْفٍ، وَهُوَ يَنْفُخُ بِكَبِيرِهِ قَدْ امْتَلَأَ الْبَيْتُ دُخَانًا، فَاسْرَعْتُ الْمَشْيَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: يَا أَبَا سَيْفٍ أَمْسِكْ. جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَأَمْسَكَ فَدَعَا النَّبِيَّ ﷺ بِالصَّبِيِّ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، وَقَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ. فَقَالَ أَنَسُ: «لَقَدْ رَأَيْتُهُ وَهُوَ يَكِيدُ بِنَفْسِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَدَمَعَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» فَقَالَ: «تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَاللَّهِ يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ» (٤).

فالنبي صلى الله عليه وسلم لا ينادي ابنه فهو يعلم أنه قد مات؛ بل يبين مدى حزنه

(١) صحيح مسلم: ٣٢٤/١، رقم الحديث: (٤٣٦).

(٢) المرجع السابق: ٤٩٣/١، رقم الحديث: (٧٠٩).

(٣) سورة البقرة آية: ١٨٦.

(٤) صحيح مسلم: ١٨٠٧/٤، ١٨٠٨، رقم الحديث: (٢٣١٥).

صلى الله عليه وسلم من غير تضجر أو تسخط.

والفرق بين (يا) النداء والندبة يتمثل في أن "الندبة تجري مجرى النداء وعلامتها (يا) و(وا)، ولا يجوز أن تحذف منها العلامة؛ لأن الندبة لإظهار التفجع ومد الصوت"<sup>(١)</sup>.

وهذا يندرج تحت سياق التنغيم، ويسميه النحاة بـ(الترتم ومد الصوت والتطريب). جاء عند سيبويه: "اعلم أن المندوب مدعو، ولكنّه متفجع عليه، فإن شئت ألحقت في آخر الاسم الألف، لأنّ الندبة كأنهم يترتمون فيها"<sup>(٢)</sup>.

ويقول ابن يعيش -رحمه الله- (ت: ٦٤٣هـ): "اعلم أن المندوب مدعو، ولذلك ذكر مع فصول النداء، لكنّه على سبيل التفجع، فأنت تدعوه وإن كنت تعلم أنّه لا يستجيب كما ندعو المستغاث به، وإن كان بحيث لا يسمع كأنك تعدّه حاضراً"<sup>(٣)</sup>.

أما في حديث كعب بن مالك -رضي الله عنه- أنّه كان له مال على عبد الله بن أبي حذرد الأسلمي فلقيه فلزمه فتكلمما حتى ارتفعت أصواتهما فمرّ بهما رسول الله ﷺ فقال: « يا كعب ». فأشار بيده كأنّه يقول النصف، فأخذ نصفاً بما عليه، وترك نصفاً"<sup>(٤)</sup>.

فقوله "يا كعب" نداء على حقيقته "إذ إن نغمة المنادي العادي تختلف عن نغمة المندوب فهذه يجب أن تشمل على نبرة من الحزن والألم يفتقر إليها أسلوب النداء الأول، ولعل ذلك ما دعا أحد الباحثين إلى القول بأن "أساليب النداء تخضع لعنصر التنغيم، إذ هو ضابط مميز لها، فكلمة (محمد) لها صفات صوتية في قولنا مخبرين" محمد مجتهد "تختلف عن صفاتها في قولنا: محمد فحسب أو يا محمد على سبيل النداء، والذي يثبت ذلك مجال النداء الاستعمالي وهو مجال حي، فحين نتجه بالنداء على إنسان اسمه محمد وهو بعيد، فإننا نصدر صوتاً على هذا الأساس، فأما أن نخلع على الأداة صفة الطول حتى يستجيب المدعو، وإلا فإن الكلمة التي تنادي نفسها تأخذ من التطويل والمط ما يقوم مقام الأداة، فأقول في محمد مثلاً "محمد"، وتكون النغمة وحدها قرينة وعلامة على النداء وهنا فإن المنادي يأخذ لونا

(١) المقتضب ٤/ ٥١٢.

(٢) الكتاب: ١/ ٣٧٥.

(٣) شرح المفصل ١/ ٣٥٨.

(٤) صحيح مسلم ٣/ ١١٩٣، رقم الحديث: (١٥٥٨).

نغميًا معينًا - حين يكون وحده، يختلف عن لونه حين يكون مصاحبًا لأداة" (١)  
 أما قوله " فَأَشَارَ بِيَدِهِ كَأَنَّهُ يَقُولُ النَّصْفَ " فيدل على أن التنغيم وتعبيرات الوجه، وحركات  
 اليد التي تصاحب قول القائل تلعب دورًا مهمًا، إذ تساعد في فهم كثير من القضايا  
 اللغوية، ويندرج ذلك تحت سياق الحال.

ويحدد السياق المعنى الذي يدور حوله الحديث ويعين طريقة الأداء فعن سَلَمَةَ بِنِ الْأَكْوَعِ  
 يَقُولُ نَجْرَجْتُ قَبْلَ أَنْ يُؤَدَّنَ بِالْأُولَى، وَكَانَتْ لِقَاحَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَرَعَى بِذِي قَرَدٍ - قَالَ -  
 فَلَقِيَنِي غُلَامٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَقَالَ: أُحَدِّثُ لِقَاحَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: مَنْ أَخَذَهَا؟  
 قَالَ: غَطْفَانُ. قَالَ: فَصَرَخْتُ ثَلَاثَ صَرَخَاتٍ يَا صَبَاحَاهُ .. .... " (٢).

"يَا صَبَاحَاهُ" كلمة يقوها المستغيث، والألف فيها عوض عن لام المستغاث، والهاء للسكت  
 فهي منادى على وجه الاستغاثة، وتقال أيضا لاستنفار من كان غافلا عن عدوه ليتأهب للقائه  
 ، جاء في النهاية: " هذه الكلمة يقوها المستغيث وأصلها إذا قاموا للغارة؛ لأنهم أكثر ما كانوا  
 يغيرون عند الصباح، ويسمون يوم الغارة يوم الصباح، فكأن القائل يا صباحاه يقول قد غشينا  
 العدو، وقيل: إن المتقاتلين كانوا إذا جاء الليل يرجعون عن القتال فإذا عاد النهار عاودوه  
 فكأنه يريد أن يقول: يا صباحاه ، قد جاء وقت الصباح فتأهبوا للقتال" (٣).

قال القرطبي في "يَا صَبَاحَاهُ": "هاؤهُ ساكنة، وهو يشبه المنادى المندوب وليس به، ومعناه  
 هنا: الإعلام بهذا الأمر المبهم الذي قد دهمهم في الصباح" (٤).

وهنا يستثمر السياق في بيان معنى (يا) وأنها للاستغاثة؛ فسلمة بن الأكوع -رضي الله  
 عنه- لما سمع ما فعلته غطفان استغاث؛ لأن الموقف لا يستدعي نداء وإنما يستدعي استغاثة.

(١) من وظائف الصوت اللغوي (محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي)، د. أحمد كشك، (القاهرة: مطبعة المدينة، ط: ١،

١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) ص: ١٠٣.

(٢) صحيح مسلم ١٤٣٢/٣، رقم الحديث: (١٨٠٦).

(٣) النهاية مادة: (ص ب ح).

(٤) المفهم ٦٧٣/٣.

### ثالثاً: أسلوب الاختصاص:

يؤدي التنغيم دوراً مهماً في تحديد أسلوب الاختصاص، وهو: "قصر الحكم على بعض أفراد المذكور، أو هو تخصيص حكم علق بضمير بما تأخر عنه من اسم ظاهر معرفة؛ نحو: نحن العرب أسخى من بذر" (١).

وجاء في مسند الإمام أحمد عن أبي الحوراء قال: كنا عند حسن بن علي فسئل: ما عقلت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كنت أمشي معه فمر على جرين من تمر الصدقة فأخذت ثمرة فألقيتها في فمي فأخذها بلعابي فقال بعض القوم: وما عليك لو تركتها قال: إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة قال: وعقلت منه الصلوات الخمس (٢).

فلفظ "آل" هنا منصوبة على الاختصاص بفعل محذوف وجوباً تقديره "أخص" (آل محمد)، وهذا إنما جاء من السكتة الموجودة بعد الضمير "إنا" وبعد كلمة "آل محمد" فلو لم تكن هذه السكتة موجودة لتوهم أن كلمة "آل محمد" خبر عن المبتدأ حين البدء، وقبل أن نصل إلى النهاية؛ وذلك لإمكان تسليط العامل حينئذ فيقال: "إنا آل محمد"، كما يقال: "إنا آل محمد"، ومما يدفع هذا التوهم والاحتمال هو "التنغيم" الحاصل من خلال السكتة في الحديث الشريف (٣).

وكثيراً ما يتضمن أسلوب الاختصاص لفظي (أيها وأيتها) اللتين هما للمنادى والمرجع أيضاً للفرقة بينهما إلى التنغيم إذ إن نغمة الإخبار في أسلوب الاختصاص تختلف عن نغمة الأسلوب الإنشائي في النداء لأن النداء "يفارق الاختصاص معنى"، في أن الكلام معه خبر ومع النداء إنشاء، وأن الغرض منه تخصيص مدلوله من بين أمثاله مما نسب إليه (٤).

(١) ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني، ٣/٢٧٤، ومعجم المصطلحات النحوية والصرفية ص: ٧٤.

(٢) المسند، الإمام أحمد بن حنبل، شرحه: أحمد محمد شاكر (مصر: دار المعارف للطباعة والنشر، ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م) ٣/١٧٢٥ رقم الحديث (١٧٢٥).

(٣) شرح التصريح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد الأزهرى، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) ٢/١٩١، ومن وظائف الصوت اللغوي ص ١٠٦ (بتصرف).

(٤) معجم النحو، عبد الغني الدقر، (مؤسسة الرسالة، ط: ٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م) ص: ٤.

ومن ذلك عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: "اعتكف رسول الله ﷺ العشر الأوسط من رمضان يَلْتَمِسُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ قَبْلَ أَنْ تُبَانَ لَهُ، فَلَمَّا انْقَضِيَ أَمَرَ بِالْبِنَاءِ فُقُوضَ، ثُمَّ أُبَيِّنَتْ لَهُ أَنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْوَاخِرِ، فَأَمَرَ بِالْبِنَاءِ فَأُعِيدَ ثُمَّ خَرَجَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهَا كَانَتْ أُبَيِّنْتُ لِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَإِنِّي خَرَجْتُ لِأَخْبِرْكُمْ بِهَا، فَجَاءَ رَجُلَانِ يَحْتَقِنَانِ مَعَهُمَا الشَّيْطَانُ فَنُسِّيَتْهَا، فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ»<sup>(١)</sup>.

(يا أيها الناس) أسلوب نداء لتنبية المخاطبين واستدعائهم إلى ما سيقول صلى الله عليه وسلم.

وفي حديث الثلاثة الذين خلفوا في غزوة تبوك: "قَالَ كَعْبٌ: كُنَّا خُلْفَنَا أَيُّهَا-الثَّلَاثَةُ-عَنْ أَمْرِ أَوْلِيكَ الَّذِينَ قِيلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ خَلْفُوا لَهُ فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَعْفَرَ هُمْ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللَّهُ فِيهِ فَبِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلْفُوا﴾<sup>(٢)</sup> وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ بِمَّا خُلْفْنَا تَخَلَّفْنَا عَنِ الْعَزْوِ وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِتَانًا وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرًا عَمَّنْ خَلَفَ لَهُ وَاعْتَدَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ"<sup>(٣)</sup>.

"أيها الثلاثة" اختصاص، فالقصة كانت لهم، والتوبة منهم، ونزول قبول التوبة مختص بهم دون غيرهم.

قال القاضي: "هو بالرفع، وموضعه نصب على الاختصاص"<sup>(٤)</sup>، وقال سيويه نقلاً عن العرب: "اللهم اغفر لنا أيتها العصابة"<sup>(٥)</sup>.

قال ابن يعيش: "وقد يأتي الاختصاص بلفظ النداء لاشتراكهما في معنى الاختصاص وإن لم يكن منادى، والذي يدل على أنه غير منادى أنه لا يجوز دخول حرف النداء عليه"<sup>(٦)</sup>.

(١) صحيح مسلم ٨٢٦/٢، ٨٢٧، رقم الحديث: (١١٦٧).

(٢) سورة التوبة آية: ١١٨

(٣) صحيح مسلم ٢١٢٨/٤، رقم الحديث: (٢٧٦٩).

(٤) ينظر: المنهاج: ٩٤/١٧.

(٥) الكتاب: ٢١/٣.

(٦) شرح المفصل: ٣٦٩/١.



وعلى هذا الاختلاف التنغمي بين الأساليب أخذ الدكتور كمال بشر على النحاة العرب إهمالهم الاختصاص بالرغم من صحة هذا النهج الذي نهجه هؤلاء النحاة فقد فاتتهم أهم أمانة من أمارات هذا التحليل ونعني بهذه الأمانة تلك السمات الصوتية التي يتصف بها هذا المنطوق utterance والتي تتمثل أساساً في التلوين الموسيقي الذي يصاحبه<sup>(١)</sup>.

### رابعاً: الأمر:

إن لصيغة الأمر معاني أخرى يؤدّيها التنغم تخرج عن الأمر إلى معانٍ مجازية، فالفعل (اذهب) مثلاً: قد يكون طلباً محضاً، وقد يكون زجراً وتوبيخاً، وقد يكون رجاءً، فالجملة العربية تقع في صيغ وموازن تنغمية، هي هياكل من الأنساق النغمية ذات أشكال محدّدة ولكلّ جملة صيغة تنغمية خاصّة، والصيغة التنغمية هي منحني نغمي خاصّ بالجملة، يعين على الكشف عن معناها التحويلي، والتنغم في الكلام يقوم بوظيفة الترقيم في الكتابة، غير أنّ التنغم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى<sup>(٢)</sup>.

وجاء تعريف ابن يعيش للأمر بقوله: "الأمر معناه طلب الفعل بصيغة مخصوصة، وله ولصيغته أسماء بحسب إضافاته؛ فإن كان من الأعلى إلى من دونه قيل له: (أمر)، وإن كان من النظير إلى النظير قيل له (طلب)، وإن كان من الأدنى إلى الأعلى قيل له: (دعاء)"<sup>(٣)</sup>.

ومن مجيء الأمر على حقيقته كما في الحديث قبل السابق لأبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - في قول رسول الله ﷺ: "فَأَلْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ"<sup>(٤)</sup>.

هو طلب واضح بالاجتهاد في العشر الأواخر من رمضان في العبادة لتحري ليلة القدر. ومن خروج الأمر لمعانٍ أخرى ما رواه عبد الله - رضي الله عنه - قال: "كُنَّا نَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَمَرَّ بِابْنِ صَيَّادٍ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « قَدْ نَخَبَأْتُ لَكَ خَيْبَةً ». فَقَالَ: دُخٌّ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « اِخْسَأْ فَلَنْ تَعُدَّوْ قَدْرَكَ ». فَقَالَ عُمَرُ: " يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي فَأَضْرِبْ

(١) ينظر: علم اللغة العام (الأصوات) ص: ٢٦.

(٢) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ص: ٢٢٦.

(٣) شرح المفصل: ٢٨٩/٤.

(٤) سبق تخرجه ص: ٨٩ من البحث.

عُنُقَهُ"، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « دَعَهُ فَإِنْ يَكُنِ الَّذِي تَخَافُ لَنْ تَسْتَطِيعَ قِتْلَهُ » (١) .  
 قوله صلى الله عليه وسلم: « اخسأ فلن تعدو قدرك » ظاهر من سياق الحديث أن المقصود من الأمر معنى الزجر والتوبيخ. وقوله: « فلن تعدو قدرك »: عدا الأمر يعدوه وتعذاه، كلاهما تجاوزه، وعدا طوره وقدره: جاوزه على المثل، ويقال: ما يعدو فلان أمرك أي ما يجاوزه، والتعدي مجاوزة الشيء إلى غيره (٢). والمعنى فلن تتجاوز قدرك.

"واخسأ: زجر للكلب، ولمن يذم ويهان، وقوله: ( لن تعدو قدرك ) أي: لن تتجاوز حالة الكهان المتخرصين الكذابين، ولا يليق بك إلا ذلك وإنما اختبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك لينظر هل طريقته طريقة الكهان، أولا؟ فظهر أنه كذلك، وأن الشياطين تلعب به، ويُلَبَّسُ عليه" (٣).

وفي قصة الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك ولُحُوقِ أَبِي خَيْثَمَةَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، قال كعب: "وَمَا يَذْكُرُنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ؛ فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ: «مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ؟». قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمْةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَالنَّظْرُ فِي عِطْفِيهِ . فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا . فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ رَأَى رَجُلًا مُبَيِّضًا يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ». فَإِذَا هُوَ أَبُو خَيْثَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِينَ لَمَزَهُ الْمُنَافِقُونَ" (٤).

فالرسول صلى الله عليه وسلم في قوله «كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ» هو لا يأمره بأن يكون أبا خثيمة فهو لم يره بعد، ولم يتبين من القادم؛ لذا فالسياق وجه المعنى في أن الرسول صلى الله عليه وسلم تمنى أن يكون القادم أبا خثيمة "إذ ليس المقصود أمر الخيال القادم بذلك، فهو لا

(١) صحيح مسلم ٤/٢٢٤٠، ٢٢٤١، رقم الحديث: (٢٩٢٤).

(٢) ينظر: لسان العرب (ع د و).

(٣) المفهم ٧/٢٦٥.

(٤) صحيح مسلم ٤/٢١٢٢، رقم الحديث: (٢٧٦٩).

يسمعه، وإن سمعه ولم يكنه، فليس بمقدوره أن يكونه، وإنما الغرض إنشاء ما يدل على التمني<sup>(١)</sup>.

ويوجه السياق معنى الأمر إلى الدعاء من طريقة الأداء فقد كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَتَاهُ قَوْمٌ بِصَدَقَتِهِمْ قَالَ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِمْ». فَأَتَاهُ أَبُو أَوْفَى بِصَدَقَتِهِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيَّ آلِ أَبِي أَوْفَى»<sup>(٢)</sup>.

فالرسول صلى الله عليه وسلم يدعو لهم "والدعاء هو أمر الأعلى مكانة بما فيه مصلحة للآمر"<sup>(٣)</sup>.

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ، وَلِأَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ»<sup>(٤)</sup>.

### خامساً: الأدوات:

يقول العالم اللغوي وتنغشتين الذي له أبحاث في علم الدلالة الغربي: "لا تفتش عن معنى الكلمة، إنما عن الطريقة التي تستعمل فيها"<sup>(٥)</sup>، فإذا أعدنا النظر في هذه العبارة أدركنا أهمية التنغيم الذي يعدّ من أهم القرائن التي تميّز الكلام في طرائق استخدامه، إذ يؤدي التنغيم في اللغة وظيفة نحوية، حيث يستعمل للتفريق بين المعاني المختلفة للجملة الواحدة"<sup>(٦)</sup>.

(١) تحويلات الطلب ومحددات الدلالة (مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف)، د. حسام أحمد قاسم، (القاهرة: دار

الآفاق العربية، ط: ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م) ص: ٧٥.

(٢) صحيح مسلم: ٧٥٦/٢، ٧٥٧، رقم الحديث: (١٠٧٨).

(٣) تحويلات الطلب ومحددات الدلالة ص: ٧٠.

(٤) صحيح مسلم: ١٩٤٨/٤، رقم الحديث: (٢٥٠٦).

(٥) مدخل إلى علم اللغة الألسني، موريس أبو ناصر، (بيروت: مجلة الفكر العربي المعاصر، ع. ج رقم ١٨/١٩ ١٩٨٢م) ص: ٣٣.

(٦) علم اللغة بين التراث والمعاصرة، ص: ١١٣-١١٥.

وهناك الكثير من الأدوات التي تحمل أكثر من وظيفة في معناها، ويكون التمييز بين هذه المعاني عن طريق التنعيم<sup>(١)</sup>

فمن الأدوات المشتركة (مَنْ) التي تدل على عدة معان:

- أن تكون استفهائاً.
- أن تكون بمعنى الجزاء وتسمى شرطية.
- موصولة بمعنى الذي للعاقل<sup>(٢)</sup>.

والذي يرشح المعنى المقصود من هذه المعاني المذكورة هو السياق وطريقة الأداء.

### فمن ذلك الأحاديث التالية:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ سَيْفًا يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ: «مَنْ يَأْخُذْ مِنِّي هَذَا؟». فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ: أَنَا أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟». قَالَ: فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ، فَقَالَ سِمَاكُ بْنُ خَرْشَةَ أَبُو دُجَانَةَ: أَنَا أَخْذُهُ بِحَقِّهِ. قَالَ: فَأَخَذَهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ»<sup>(٣)</sup>.

يقرر السياق كون (مَنْ) هنا استفهامية، بدليل حاجتها إلى إجابة في قولهم -رضوان الله عليهم -: "أنا أنا".

وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ، وَالرُّؤْيَا السَّوْءُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَمَنْ رَأَى رُؤْيَا فَكَّرَهَا مِنْهَا شَيْئاً فَلْيَنْفِثْ عَنْ يَسَارِهِ، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ لَا تَضُرَّهُ، وَلَا يُغَيِّرُ بِهَا أَحَدًا، فَإِنْ رَأَى رُؤْيَا حَسَنَةً فَلْيُبَشِّرْ، وَلَا يُخْبِرْ إِلَّا مَنْ يُجِبُ»<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: نظرية السياق بين القدماء والمحدثين ص: ٥٣؛ وتحدث الدكتور عبدالدعيم خليل في كتابه عن التنعيم وجعله من حدود السياق الصوري، وقد قسم وظائفه إلى نحوية ودلالية، وجعل التمييز بين الأدوات من وظائف التنعيم الدلالية ص: ٤٧-٥٣.

(٢) مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، (بيروت: صيدا، المكتبة العصرية: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م). ٤٥/٢. المقتضب: ٨١/١.

(٣) صحيح مسلم: ٤/١٩١٧، رقم الحديث: (٢٤٧٠).

(٤) المرجع السابق: ٤/١٧٧٢، رقم الحديث: (٢٢٦١).

"من يجب" موصولة بمعنى "الذي" فالرسول صلى الله عليه وسلم يرشدنا إلى أن المسلم إذا رأى رؤيا حسنة فإنها بشارة له بخير، فلا يحدث بها إلا الذي يجبه.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: « وَمَا أَعْدَدْتُ لِلْسَّاعَةِ ». قَالَ حُبَّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ قَالَ: « فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ » (١).

ما فرح الصحابة فرحهم بهذا الحديث، حيث إن من أحب الرسول-صلى الله عليه وسلم- سيكون معه في الآخرة (من) موصولة هنا أيضاً.

وعن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَيَّ مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَتُوبُ فِيهِ إِلَهُهُ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ » (٢).

فمن الشرطية تكررت في نص الحديث أربع مرات، ويختلف التنغيم في أسلوب الشرط عنه في الاستفهام وفي النطق بالموصول؛ لأننا حين نطق جملة مثل: من يذكر ينجح" فسنجد أن هذه الجملة تنقسم من حيث الوظيفة إلى ثلاثة أركان:

١. أداة الشرط.

٢. فعل الشرط.

٣. جواب الشرط.

ولكنها من حيث النطق تنقسم إلى قسمين أو ركنين أحدهما: الأداة وفعل الشرط "من يذكر"، ثم بعد ذلك يحدث تحول في النعمة ليبدأ الجواب بعدها في وضوح نغدي يحدد المراد من الكلام؛ لأن جواب الشرط نهاية الأسلوب ونهاية المراد في الجملة؛ لأن به تمام الفائدة، فالأسلوب نون الجواب أي جواب الشرط يعد ناقصاً. ولعل هذا ما يفرق بين جملة الشرط وجملة الاستفهام. فجملة الاستفهام من يذكر؟ أو من يذكر معي؟ أو من يذكر يا محمد؟ تتقبل سكتة واحدة في النهاية فقط؛ لأن الناطق ينطقها دفعة واحدة.

وهذا بخلاف جملة الشرط، فإنها مقسمة إلى ركنين. كما قلنا. تفصلهما سكتة لطيفة

(١) صحيح مسلم: ٢٠٣٦/٤، رقم الحديث: (٢٦٣٩).

(٢) المرجع السابق: ٢٠٧٤/٤، رقم الحديث: (٢٦٩٩).

وواضحة . فالنغمة في أسلوب الشرط أساس للفهم<sup>(١)</sup>

وعندما يقترن جواب الشرط بالفاء يكون له تنغيماً خاصاً. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلْبُهُ »<sup>(٢)</sup> .

وَقَالَ أَيْضًا: « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسَاطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيُصِلْ رَحْمَهُ »<sup>(٣)</sup> .

" فإن هذه الصورة تختلف فيما بينها نغماً فالنغمة أو السكته الموجودة بين الشرط والجواب تختلف عن السكته الموجودة إذا كان جواب الشرط مقترناً بالفاء . فمثلاً : لو قلنا " من يذاكر فالنجاح حليفه " و " من يذاكر ينجح " وقارنا بينهما ، فسنجد أن جملة الشرط المقترنة بالفاء أسرع في النطق؛ فالربط بالفاء يحدث إسراعاً عند النطق بالجواب ، وسنجد أيضاً أن الوضوح النغمي يتحقق في جملة " ينجح " كلها . أما في جملة " فالنجاح حليفه " فالوضوح النغمي يضيق ؛ لأنه موزع على الفاء والنجاح<sup>(٤)</sup> .

وللتنعيم دور كبير في كثير من قضايا اللغة ، وقد ذكر البحث ما يسعف المقام بذكره .

وبعد هذا الاستقراء الواضح من كلام سيد المرسلين وأفصح الناطقين ندرك أن " للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قدرة كبيرة على اختيار الكلمات ذوات الإيقاع الموسيقي المحبب ، بحيث يتوافر لكل كلمة منها أمران اثنان لهما أهمية كبرى في إعطاء الكلمة موسيقاها الحلوة هما : التعاطف بين المعنى واللفظ ، والانسجام في إيقاع الحروف . التعاطف بين المعنى واللفظ واضح في الكلمة الهنديشية ، وهو يضيف على الكلمة موسيقى معينة ، حتى أصبحت هذه الموسيقى تخدم المعنى وتقود إليه وتدل عليه<sup>(٥)</sup> .

(١) التنعيم في إطار النظام النحوي، د. أحمد أبو يزيد الغريب (مجلة جامعة أم القرى ، العدد: ١٤، السنة: العاشرة ،

١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م) ص : ٣١٨ - ٣١٩ .

(٢) صحيح مسلم : ٣/١٣٧٠ ، رقم الحديث: (١٧٥١) .

(٣) المرجع السابق : ٤/٩٨٢ رقم الحديث: (٢٥٥٧) .

(٤) التنعيم في إطار النظام النحوي ص : ٣١٩ .

(٥) الحديث النبوي مصطلحه ، بلاغته ، كتبه ، محمد بن لطف الصباغ ، (لبنان: بيروت: المكتب الإسلامي ، ط: ٥٠ ،

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م) ص : ٧٧ .

وذاك: "لأن اللغة ظاهرة اجتماعية فيكون الفهم متوقفاً على النظر إلى الكلام في ضوء السياق"<sup>(١)</sup>. سواء أكان هذا السياق كلامياً أم غير كلامي<sup>(٢)</sup>.

وبعد ذلك نجد بعض اللغويين يصف هذه الظاهرة بالندرة في العربية الفصحى فقد ذهب ((برجشتراسر))، وهو يتحدث عن الاستفهام في اللغات السامية إلى أنها "لا تعرف تأدية الاستفهام بترتيب للكلمات خاص بها أصلاً، فإما أن تستغني عن كل إشارة إليه إلا النغمة، وإما أن تستخدم الأدوات، والأول موجود فيها كلها، وهو نادر جداً في العربية الفصيحة"<sup>(٣)</sup>.

ويقول كانيو: "لا يمكن أن نعول على النحاة القدامى فيما يخص التطريز، فهم لم يهتموا بكمية الحركات والإيقاع الشعري المبني على هذا الكم، فإنهم لم يهتموا لا بنبرة الكلمة ولا بتنغيم الجملة، واختصرت دراستهم على الوقف"<sup>(٤)</sup>.

والغريب أن الدكتور رمضان عبد التواب يقول: "ولم يعالج أحد من القدماء شيئاً من التنغيم، ولم يعرفوا كنهه، غير أننا لا نعدم عند بعضهم الإشارة إلى بعض آثاره في الكلام للدلالة على المعاني المختلفة"<sup>(٥)</sup>.

ويظهر التناقض في كلام الدكتور، فهو يشير إلى أن القدماء لم يعرفوا كنه التنغيم، ولم يشيروا إلى هذه القضية في مؤلفاتهم، ثم بعد ذلك لا يعدم وجودها عند بعضهم كابن جني وبعض من أهل الأداء والتجويد.

غير أن هذا المبحث أكد وجود التنغيم في لغتنا العربية، وأظهر ما لعلماء العربية من دراسات بارعة تنم عن معرفتهم به، بل وتفوقهم في الدراسات الدلالية.

(١) نظرات في اللغة، محمود رضوان، (بني غازي: ط: ١، ١٩٧٦م) ٤٦٤/٢

(٢) تحليل الخطاب ص: ١٠٠.

(٣) التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر، تحقيق د. رمضان عبد التواب، (القاهرة، ١٩٨٢م)، ص: ١٠٨.

(٤) دور التنغيم في تحديد معنى الجملة العربية، ص: ٩٠.

(٥) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ص ١٠٦.

# الفصل الثاني

أثر السياق في المستوى الصرفي (المورفولوجي) في صحيح مسلم وفيه  
ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أثر السياق في الوحدات الصرفية للأفعال المزيدة.

المبحث الثاني: أثر السياق في الوحدات الصرفية للمشتقات.

المبحث الثالث: أثر السياق في صيغ الزمن الفعلية.



المبحث الأول

أثر السياق في الوحدات الصرفية للأفعال المزيدة

أشار اللغويون العرب إلى أن الزيادات الصوتية على الكلمة تؤدي إلى تغيير معناها وإكسابها معنى جديداً هو المعنى الضرفي .

فالتغييرات التي تحدث داخل الكلمة تشكل موضوع علم الصرف، وهو ما يسميه علم اللغة الحديث Morphology " مورفولوجي "، والمادة الأساسية التي تستخدم في التحليل الصرفي الحديث تسمى Morphem "المورفيم" أي الوحدة الصرفية<sup>(١)</sup>.

وهناك تعريفات كثيرة للمورفيم عند مدارس البحث اللغوي الحديث، غير أنها تتفق في أنها: تعد أصغر وحدة لغوية تدل على معنى أو وظيفة صرفية أو نحوية<sup>(٢)</sup>.

وهذا يعني أن المورفيم: عناصره مكونة من شكل ومعنى أو اصطلاحاً من دال ومدلول<sup>(٣)</sup>. ومدلول<sup>(٣)</sup>: أي أنه: "أصغر وحدة ذات معنى، وربما كان من الممكن كذلك أن يوصف بأنه سلسلة من الفونيمات ذات المعنى التي لا يمكن تقسيمها بدون تضييع المعنى أو تغييره"<sup>(٤)</sup>.

والوحدات الصرفية: "قد تؤدي معاني فرعية يطلق عليها الصرفيون العرب معاني صيغ الزوائد"<sup>(٥)</sup>.

ومن أشاروا إلى دلالة "المورفيم" في العربية أبو الفتح ابن جني، وذلك في سياق كلامه على الترتيب الذي يقتضيه تحليل المستويات اللغوية: "فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلام ثابتة، والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة،... وإذا كان ذلك كذلك فقد كان من الواجب

(١) دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث (دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنوية والتركيبية في ضوء نظرية السيان)، د. عبدالفتاح عبدالعليم البركاوي، (القاهرة: دار المنار، ط: ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م) ص: ١٢٢ (بتصرف).

(٢) الكلمة ص: ٥١.

(٣) ينظر: الصوتيات والنونولوجيا، مصطفى حرركات، (لبنان: بيروت، صيدا، المكتبة العصرية، ط: ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م).

(٤) ص: ١١.

(٥) أسس علم اللغة ص: ١٠١.

(٥) دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص: ١٣٠.

على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف؛ لأن معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن يكون أصلاً لمعرفة حاله المتنقلة<sup>(١)</sup>.

لذا فإن كثيراً من الباحثين بعد الانتهاء من تحليل المستوى الصوتي يتجهون إلى المستوى الثاني ترتيباً، وهو الصّرفي قبل المستوى النحوي، وكأنهم استفادوا ذلك من كلام ابن جني. وللوحدات الصرفية في العربية معاني جزئية وأخرى مشتركة، والفيصل في التفريق بين معانيها في بعض الحالات هو السياق.

ومما يثري الدراسة الكشف عن هذا الدور للسياق وخصوصاً أن علماء العربية قد أبدعوا في استخراج صيغ العربية؛ مستمدين ذلك من كلام ربّ العزة والجلال، وما تكلم به أبلغ المتكلمين نبينا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وما نظقت به العرب الفصحاء منهم: "وهذه الشعبة من دراسة اللغة وإجادة القول فيها أفردت الصرفيين العرب بمكان لا يدانيه أي مكان آخر في عالم اللغويين قديماً أو حديثاً، ولا يزال كشفهم عن النظام الصرفي العربي موضع الإعجاب والاحترام، وسيظل دائماً كذلك في نظر اللغويين في مختلف أنحاء العالم"<sup>(٢)</sup>.

وللسياق دورٌ كبير في التفريق بين المعاني الواردة في الوحدات الصرفية للأفعال المزيدة، فالنحويون قد درسوا صيغ الأفعال المزيدة ورصدوا لها معاني متعددة، والبحث يدرس هذه الصيغ من زاوية أخرى تتمثل في بيان دور السياق في تعيين المعنى المراد للصيغة من بين معانيها المتعددة التي تحدث عنها النحويون؛ لبيان جمال السياق في الحديث النبوي الشريف، وطريقته صلى الله عليه وسلم في اختيار الكلمة المناسبة في المواقف المختلفة.

ولزيادة الحروف في الأفعال فوائدها<sup>(٣)</sup> لعل من أهمها: المعنى. قال الرضي - رحمه الله - (ت: ٦٨٦هـ): "اعلم أن المزيد فيه لغير الإلحاق لا بد لزيادته معنى؛ لأنها إذا لم تكن لغرض لفظي كما كانت في الإلحاق ولا لمعنى كانت عبثاً"<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: المنصف (شرح كتاب التصريف للمازني)، لأبي الفتح ابن جني، تحقيق وتعليق: محمد عبد القادر أحمد (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م) ١/٣٤، ٣٥.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها ص: ١٥.

(٣) ينظر: المنصف لكتاب التصريف: ١/٤٢ - ٤٤، وشرح الملوكي في التصريف، ابن يعيش، تحقيق: فخرالدين قباوة، (سوريا: حلب: المكتبة العربية، ط: ١، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م) ص: ١٠٧، وهمع الهوامع ٦/٢٤٤.

(٤) شرح الشاقية ص: ٨٣/١.

والزائد كما عرفه ابن جني هو: "ما لم يكن فاء ولا عيناً ولا لاماً مثال ذلك قولك : ضرب، فالضاد من (ضَرَبَ) فاء الفعل، والراء عينه، والباء لامه، فصار مثال ضَرَبَ، فَعَلَ فالفاء الأصل الأول، والعين الأصل الثاني، واللام الأصل الثالث، فإذا ثبت ذلك، فكل ما زاد على الضاد والراء والباء، من أول الكلمة أو وسطها أو آخرها فهو زائد " (١).

وسيختار البحث من أنواع الصيغ المزيدة لبيان أثر السياق في تعيين المعنى المراد داخل التركيب ما يلي:

**أولاً: الصيغ المزيدة بحرف واحد:** مثل: أفعال، وفاعل وهي متقاربة (٢) والفعل المزيد

المزيد بحرف: هو الفعل الذي زيد على أحرفه الأصلية الثلاثة حرف واحد (٣).

ومما جاء على الوحدة الصرفية "أفعال" في صحيح مسلم:

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يُطِيقُونَ بِهِ، يَقُولُونَ: مَا رَأَيْنَا بُنْيَانًا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا إِلَّا هَذِهِ اللَّبَنَةُ. فَكُنْتُ أَنَا تِلْكَ اللَّبَنَةُ » (٤).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ. وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتٍ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَقْضَى إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا » (٥).

وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَوْمَ خَيْبَرَ لَعَلِّي بَنُ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: « لِأُعْطِينَ هَذِهِ

(١) المنصف لكتاب التصريف: ٤٤/١ .

(٢) وهي متقاربة لأمرين :

الأول: أنه يجمعها عروضياً ووزناً واحد هو (فاعلن) فهي على نفس الحركات والسكنات .

الثاني: أنه ورد تعاقبها على نحو: ضعف وضاعف. ينظر: شرح الملوكي لابن يعيش ص: ٦٧ ، وتيسير الصرف، لأبي

محمد عبدالرحمن، (مكة المكرمة: مكتبة إحياء التراث الإسلامي) ص: ٧٠ .

(٣) ينظر: المغني في تصريف الأفعال، محمد عبد الخالق عضية ( القاهرة: دار الحديث، ط: ١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٧ م )

ص: ٩٣ ، ومعجم الأوزان الصرفية، إميل بديع يعقوب، (لبنان: بيروت: عالم الكتب، ط: ١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م) ص:

١٥٩ .

(٤) صحيح مسلم: ٤/١٧٩٠ رقم الحديث: (٢٢٨٦).

(٥) المرجع السابق: ٤/٢١٦٢ رقم الحديث: (٢٨٠٨)

الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ». قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ<sup>(١)</sup> لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا - قَالَ - فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُتُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ»<sup>(٢)</sup>.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: "جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَعْتَنِي الْبَارِحَةَ قَالَ: «أَمَا لَوْ قُلْتِ حِينَ أَمْسَيْتِ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَافَ لَمْ تَضُرِّيكَ»<sup>(٣)</sup>

وَعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - يَقُولُ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِلَى أَبِي فِي مَنْزِلِهِ فَاشْتَرَى مِنْهُ رَجُلًا. فَقَالَ لِأَبِي: ابْعَثْ مَعِيَ ابْنَكَ يَحْمِلُهُ مَعِيَ إِلَى مَنْزِلِي، فَقَالَ لِي أَبِي: احْمِلْهُ. فَحَمَلْتُهُ وَخَرَجَ أَبِي مَعَهُ يَنْتَقِدُ ثَمَنَهُ، فَقَالَ لَهُ أَبِي: يَا أَبَا بَكْرٍ حَدِّثْنِي كَيْفَ صَنَعْتُمَا لَيْلَةَ سَرَيْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ أَسْرَيْنَا لَيْلَتَنَا كُلَّهَا حَتَّى قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ، وَخَلَا الطَّرِيقُ فَلَا يَمُرُّ فِيهِ أَحَدٌ حَتَّى رُفِعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ طَوِيلَةٌ، هَا ظِلٌّ لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ الشَّمْسُ بَعْدُ، فَزَرْنَا عِنْدَهَا فَأَتَيْتُ الصَّخْرَةَ فَسَوَّيْتُ بِيَدِي مَكَانًا يَنَامُ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي ظِلِّهَا، ثُمَّ بَسَطْتُ عَلَيْهِ فَرَّوَةً، ثُمَّ قُلْتُ: تَمَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ...<sup>(٤)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَفْلَسَ الرَّجُلُ فَوَجَدَ الرَّجُلَ عِنْدَهُ سِلْعَتَهُ بِعَيْنِهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا»<sup>(٥)</sup>

فالأفعال (أجمل، أحسن، أفضى، أصبح، أمسى، أسرى، أفلس) جاءت جميعها على الوحدة الصرفية (أفعل) ولا يعرف المراد الدقيق منها إلا بتحكيم السياق الذي وردت فيه. فأجمل البناء وأحسنه: جعله جميلاً وحسناً، فالرسول - صلى الله عليه وسلم - يذرننا عن مثلٍ لم نكن نعرفه وهو أن مثله ومثل الأنبياء من قبله؛ لأنه آخرهم كمثّل رجل شيد بنياناً أعجب به كل من رآه إلا موضع لبنة ليتم جمال هذا البناء، فكان صلى الله عليه وسلم هو هذه اللبنة.

(١) يدوكون: اللدوك: دق الشيء وسحقه وطحنه كما يدوك البعير الشيء بكلّكله. ويدكون في الحديث أي: يخوضون ويختلفون فيه. تهذيب اللغة مادة: (د و ك).

(٢) صحيح مسلم: ٤/ ١٨٧٢ رقم الحديث: (٢٤٠٦).

(٣) المرجع السابق: ٤/ ٢٠٨١ رقم الحديث: (٢٧٠٩).

(٤) المرجع السابق: ٤/ ٢٣٠٩، رقم الحديث: (٢٠٠٩).

(٥) المرجع السابق: ٣/ ١١٩٤ رقم الحديث: (١٥٥٩).

ويبين السياق المعنى في هذا الحديث بهذه الصيغة (فَأَجْمَلَهُ وَأَحْسَنَهُ) أي: جعله جميلاً حسناً. وأي بناء أجمل وأفضل من بناء لبناته الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

وهذا المعنى في ( أحسنه وأجمله ) يطلق عليه النحويون التعدية، وهو الغالب على أفعال<sup>(١)</sup>، وتحدث عنه الخليل بقوله: " وتقول: فَتَنَّ الرَّجُلَ وَفَتَنَّتْهُ وَحَزَنَ وَحَزَنَتْهُ، وَرَجَعَ وَرَجَعَتْهُ، وَزَعَمَ الْخَلِيلُ أَنَّكَ حِينَ قَلْتَ: فَتَنَّتْهُ وَحَزَنَتْهُ لَمْ تَرُدْ أَنْ تَقُولَ: جَعَلْتَهُ حَزِينًا وَجَعَلْتَهُ فَاتِنًا، كَمَا أَنَّكَ حِينَ قَلْتَ: أَدَخَلْتَهُ أَرَدْتَ جَعَلْتَهُ دَاخِلًا، وَلَكِنَّكَ أَرَدْتَ أَنْ تَقُولَ: جَعَلْتَ فِيهِ حَزَنًا وَفَتْنَةً، فَقَلْتَ فَتَنَّتْهُ كَمَا قَلْتَ كَحَلَّتْهُ، أَي جَعَلْتَ فِيهِ كَحَلًّا، وَدَهَنْتَهُ جَعَلْتَ فِيهِ دُهْنًا فَجَعَلْتَ بِفَعْلَتِهِ عَلَى حِدَّةٍ، وَلَمْ تَرُدْ بِفَعْلَتِهِ هَاهُنَا تَغْيِيرَ قَوْلِهِ حَزَنَ وَفَتَنَ، وَلَوْ أَرَدْتَ ذَلِكَ لَقَلْتَ أَحْزَنْتَهُ وَأَفْتَنَّتْهُ"<sup>(٢)</sup>.

وعرّف سيبويه التعدية في باب "افتراق فعلت وأفعلت في الفعل للمعنى" بقوله: " دخل وخرج وجلس، فإذا أخبرت أن غيره صيرّه إلى شيء من هذا قلت: أخرجته وأدخلته وأجلسه"<sup>(٣)</sup>. فصيروه بمعنى: جعله.

أمّا قوله "أفضى" فيوضحها السياق بالدخول في المكان (أفضى) من أفضيت يقال: فضا المكان، وأفضى إذا اتسع، وأفضى فلان إلى فلان، أي: وصل إليه، والفضاء: المكان الواسع من الأرض<sup>(٤)</sup>.

ومنه قول الشاعر :

أَبِي الضَّمِّمِ وَالتُّعْمَانُ يَحْرِقُ نَابَهُ  
عَلَيْهِ فَأَفْضَى وَالسُّيُوفُ مَعَاقِلُهُ<sup>(٥)</sup>

(١) ينظر: شرح الشافية: ٨٦ / ١ .

(٢) الكتاب: ٥٦ / ٤ "قال وزعم الخليل". وينظر: شرح الشافية: ٨٧ / ١ .

(٣) الكتاب: ٥٥ / ٤ .

(٤) ينظر: لسان العرب مادة: ( ف ض ي )

(٥) البيت لزهير بن أبي سلمى ، وهو في ديوانه: تحقيق: علي حسن فاعور، (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ١،

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) ص: ٩٣ .

ويأتي أفعل بمعنى الدخول في المكان الذي هو أصله، والوصول إليه نحو: أكدى: أي: وصل إلى الكدية<sup>(١)</sup>.

وقال ابن جني: "فقولهم: أفضيت: صرت إلى الفضاء، كقولهم: أعرق الرجل: إذا صار إلى العراق، وأعمن الرجل: إذا صار إلى عمان، وأنجد: إذا أتى نجدًا ونحو ذلك"<sup>(٢)</sup>.

وسياق الحديث يبين أنه الوصول إلى مكان الحساب والجزاء بدليل قوله: (إلى الآخرة) فالرسول صلى الله عليه وسلم بيّن أن المؤمن يجزى بالحسنات في الدنيا والآخرة، بخلاف الكافر فيجزى بها في الدنيا فقط .

أمّا "أصبح وأمسى" فيوجهها السياق للدخول في الوقت؛ حيث يأتي أفعل لمعنى "دخول الفاعل في الوقت المشتق منه أفعل نحو: أصبح وأمسى وأفجر وأشهر: أي دخل في الصباح والمساء والفجر والشهر"<sup>(٣)</sup>.

وقد عبّر سيبويه عنها بالصيرورة: "تقول أصبحنا وأمسينا وأسحرنا وأفجرنا، وذلك إذا صرت في حين صبح ومساء وسحر وفجر"<sup>(٤)</sup>.

فالصبح: أول النهار، والصبح: الفجر، وأصبح القوم: دخلوا في الصباح، كما يقال: أمسوا دخلوا في المساء<sup>(٥)</sup>.

أمّا (أسرى، سرى) في الحديث الخامس فقد وجهها السياق في الحديث إلى معنى واحد، فسؤال الصحابي لأبي بكر الصديق رضي الله عنه: " كَيْفَ صَنَعْتُمْ لَيْلَةَ سَرَيْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟"، كانت إجابة أبي بكر الصديق- رضي الله عنه- " نَعَمْ أَسْرَيْنَا لَيْلَتَنَا كُلَّهَا حَتَّى قَامَ قَائِمُ الظُّهَيْرَةِ وَخَلَا الطَّرِيقُ" فدل ذلك على أن الفعلين يحملان نفس المعنى؛ قال ابن منظور: "سريت سرى ومسرى وأسريت بمعنى إذا سرت ليلاً، بالألف لغة أهل الحجاز"<sup>(٦)</sup>.

(١) الكدية هي: الأرض الصلبة، وهي أيضاً الصخرة تعترض حافر البئر. ينظر: لسان العرب مادة (ك د ي).

(٢) ينظر: المحتسب: ٣١٦/١.

(٣) ينظر: شرح الشافية ٩٠/١.

(٤) الكتاب ٤/ ٦٢- ٦٣.

(٥) ينظر: لسان العرب مادة (ص ب ح).

(٦) المرجع السابق مادة: (س ر ي).

غير أن الليث - رحمه الله - (ت: ١٩٠هـ) فرّق بين المعنيين: "أسرى أي سار من أول الليل ، وسرى: أي سار من آخره" (١).

قال سيبويه: "وقد يجيء فعلت وأفعلت المعنى فيهما واحد إلا أن اللغتين اختلفتا، زعم ذلك الخليل، فيجيء به قوم على فعلت، ويلحق قوم فيه الألف فينبونه على أفعلت، كما أنه يجيء الشيء على أفعلت لا يستعمل غيره، وذلك قلته (٢) البيع وأقلته، وشغله وأشغله" (٣).  
وأشغله" (٣).

ومعنى ذلك أن من قبائل العرب من يقول: قلته البيع، ومنهم من يقول: أقلته فتختلف اللغتان، ولكن هذا لا يترتب عليه الجزم باتحاد معنيهما، إنما يتحقق هذا عند اتحاد الناطق بهما فالأصل اختلاف معنيهما (٤).

وهذا ما اجتمع في الحديث السابق، ويّنه السياق في الحوار الذي دار بين أبي البراء بن عازب وبين أبي بكر الصديق - رضي الله عنهم جميعاً -، وكلاهما فهم كلام صاحبه. والسياق هو الذي بين معنى صيغة أفعل في قوله: "أفلس" إذا صار مفلساً، أي: افتقر وكأنه صارت دراهمه فلوساً، كما يقال: أجبني إذا صار أصحابه جبناءً، وأقطف: إذا صارت دابته قطوفاً" (٥).

وقد تناول هذا المعنى الرضي، وذكر أنه على ضربين:

أولهما: أن يصير فاعل أفعل صاحب ما اشتق منه، نحو: ألحم زيد: أي: صار ذا لحم وأطفلت: أي صارت ذات طفلٍ، وأعسر وأيسر وأقل: أي: صار ذا عُسر ويُسر وقلة. ثانيهما: أن يصير فاعل أفعل صاحب شيء، هو صاحب ما اشتق منه نحو: أجرب الرجل: أي صار صاحب إبلٍ ذات جرب، وأقطف (٦) أي: صار صاحب خيل تقطف (٧).  
ومن الأفعال المزيدة بحرف واحد أيضاً الوحدة الصرفية (فاعل): هي إحدى الصيغ المزيدة

(١) تهذيب اللغة مادة: (س ر ي) .

(٢) قلته البيع قبلا وأقلته أي: أفسخته، ينظر: القاموس المحيط مادة (ق ي ل)

(٣) الكتاب: ٦١/٤، وينظر: شرح الشافية: ٩١/١.

(٤) ينظر: الفعل المضارع بين القدامى والمحدثين ص: ٢٣٥، والمغني في تصريف الأفعال، ص: ١٣١.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: ٥٦٣/٦.

(٦) قطف الدابة وهي قطف أي أساءت السير وأبطأت. ينظر: لسان العرب مادة (ق ط ف).

(٧) ينظر: شرح الكافية: ٨٨/١.

بحرف واحد، والزيادة فيها بتطويل حركة الفاء بالمد، وهو يعني صوتياً مضاعفة زمن النطق بالحركة القصيرة؛ لتصبح حركة طويلة أو حرف مد<sup>(١)</sup>.

ولهذه الصيغة عدة معان، حددها النحويون<sup>(٢)</sup>، وأبرزها السياق في مواضع كثيرة:

عن أبي قلابَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ ثَابِتَ بْنَ الضَّحَّاكِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَخْبَرَهُ أَنَّهُ بَايَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ عَلَيَّ بِمِثْلِ غَيْرِ الْإِسْلَامِ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُدَّ بِه يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ عَلَيَّ رَجُلٌ نَذَّرَ فِي شَيْءٍ لَا يَمْلِكُهُ»<sup>(٣)</sup>.

فالسُّيَاقُ وَاضِحٌ وَ بَيِّنٌ فِي أَنَّ الْمُبَايَعَةَ قَدْ وَقَعَتْ بَيْنَ شَخْصَيْنِ، وَهُمَا الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَثَابِتُ بْنُ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وبايع في الحديث من البيعة وهي: المبايعة والطاعة وقد تبايعوا على الأمر، وبايعه عليه مبايعة: عاهدته، وبايعته من البيع والبيعة جميعاً، والتبايع مثله<sup>(٤)</sup>.

وعلى هذا فإن (فاعل) في الحديث تدل على المشاركة لاشتراك كل من المبايع والمبايع في الفعل (بايع) فالمؤمن هو المبايع والرسول صلى الله عليه وسلم هو المبايع.

ويوضح سيبويه معنى المشاركة في صيغة (فاعل) بقوله: "اعلم أنك إذا قلت فاعلته فقد كان من غيرك إليك مثل ما كان منك إليه حين قلت فاعلته، ومثل ذلك ضارته و فارقه و كارهته، وعازني، وعاززته، وخاصمني وخاصمته"<sup>(٥)</sup>.

وقال رسول صلى الله عليه وسلم: «عِبَادَ اللهِ لَتَسَوُنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ»<sup>(٦)</sup>.

قوله - صلى الله عليه وسلم - " أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ " الفعل المضارع (يخالف) من باب المفاعلة (خالف يخالف مخالفة) ومن معاني المفاعلة المشاركة. ولكن السياق

(١) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية، عبد الصبور شاهين (بيروت: دار المعرفة د. ط، د. ت) ص ٧٠، والمدخل إلى اللغة ص ٢٣٢.

(٢) تنظر هذه المعاني في: الكتاب: ٤ / ٦٨، والمقتضب ١ / ١١١، والأصول في النحو: ٣ / ١١٩ - ١٢٠.

(٣) صحيح مسلم: ١ / ١٠٥ رقم الحديث: (١١٠).

(٤) لسان العرب مادة: (ب ا ع).

(٥) الكتاب: ٤ / ٦٨.

(٦) سبق تخرجه ص: ٨٥ من البحث.



هنا لا يقتضي المشاركة؛ لأن المعنى ليتوقن الله المخالفة بقرينة لفظ ( بين ) و ( أو ) لأحد الأمرين إما إقامة الصفوف، وإما إيقاع المخالفة بين الوجوه إن لم يقيموها<sup>(١)</sup>.  
 "والأقوى أن يكون معنى (ليخالفن الله بين وجوهكم) يوقع بينكم العداوة والبغضاء، واختلاف القلوب كما يقال تغير فلان عليّ، أي: ظهر لي بين وجهه كراهة لي، وتغير في قلبه عليّ، لأن مخالفتهم في الصفوف مخالفة في ظواهرهم واختلاف الظواهر سبب لاختلاف البواطن"<sup>(٢)</sup>.

والسياق يرجح المعنى الأخير، والملاحظ هنا من السياق أن المشاركة قد تقع بين أكثر من اثنين، وهذا ذكره المبرد فقال: "ومعنى (فاعل) إذا كان داخلا على (فَعَلَّ َ) أن الفعل من اثنين، أو أكثر وذلك لأنك تقول: "ضربت" ثم تقول: "ضاربت" فتخبر أنه قد كان إليك مثل ما كان منك، وكذلك شامت"<sup>(٣)</sup>.

وَعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: جَاءَتْ بَرِيرَةَ إِلَيَّ فَقَالَتْ: يَا عَائِشَةُ إِنِّي كَاتِبْتُ أَهْلِي عَلَى تِسْعِ أَوَاقٍ فِي كُلِّ عَامٍ أُوقِيَّةٌ<sup>(٤)</sup>.

كتب أصل صحيح واحد يدل على جمع شيء إلى شيء، من ذلك الكتاب<sup>(٥)</sup>.  
 وكتبه كتبا وكتابا: خطّه: ككتبه واكتبه خطّه<sup>(٦)</sup>.

قال ابن الأثير: "الكتابة أن يكتب الرجل عبده على مال يؤديه إليه منجماً فإذا أذاه صار حُرّاً، وسميت كتابة لمصدر كتب، كأنه يكتب على نفسه لمولاه ثمنه، ويكتب مولاه له عليه العتق، وقد كاتبته مكاتبة، والعبد مكاتب، وإنما خصّ العبد بالمفعول؛ لأن أصل المكاتبة من المولى، وهو الذي يكتب عبده"<sup>(٧)</sup>.

(١) ينظر: المنهاج: ٧/١٢٥.

(٢) من المسائل النحوية في الجامع الصحيح للإمام مسلم النيسابوري، د. شرف الدين علي الراجحي، (دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٣م) ص: ١٤٥.

(٣) المقتضب ١/١١١.

(٤) صحيح مسلم: ٢/١١٤٢ رقم الحديث: (١٥٠٤).

(٥) ينظر: مقاييس اللغة مادة (ك ت ب).

(٦) ينظر: القاموس المحيط مادة (ك ت ب).

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر: مادة: (ك ت ب).

وقد يوجه السياق الوحدة الصرفية (فاعل) إلى معاني وحدات صرفية أخرى ففي قوله ﷺ: « قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الشُّحُومَ فَبَاغَوْهَا وَأَكَلُوا أَثْمَانَهَا »<sup>(١)</sup>.

فقاتل الله اليهود بمعنى قتلهم<sup>(٢)</sup>، فالسياق يوضح أن قاتل ليس فيه مشاركة، فالله سبحانه وتعالى قادرٌ عليهم، فتجيء فاعل بمعنى فعل المجرد، فلا يراد بها عمل الاثنين، قال ابن السكيت - رحمه الله - (ت: ٥٢٤٤): "وقد يأتي فاعلت بمعنى فعلت وأفعلت، فيكون من واحد، وأكثر ما يكون فاعلت أن يكون من اثنين، نحو: قاتلته و خاصمته و صارعته وسابقته، فهذا لا يكون إلا من اثنين"<sup>(٣)</sup>.

ومثله قول الله عز وجل: ﴿ وَالَّذِينَ يَبْنِئُونَ الْكِنَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾<sup>(٤)</sup>.

### ثانياً: الوحدات الصرفية للأفعال المزيدة بحرفين:

من الأفعال المزيدة بحرفين التي للسياق دور في بيان معانيها: افتعل، وتفعّل.

وافتعل هي: إحدى الصيغ المزيدة بحرفين وهما: همزة الوصل في أوله، والتاء المفتوحة بعد فائه نحو: اكتسب، واقتتل، واختصم، والتاء هي السابقة في الالتحاق بأصل الكلمة، ثم لحقت بعدها فاء الكلمة فسكنت الفاء لذلك، ولزمت ألف الوصل في الابتداء<sup>(٥)</sup>.

وجاء منها عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: احترق بيئت علي أهليه بالمدينة من الليل، فلما حدث رسول الله ﷺ بشأنهم قال: « إِنَّ هَذِهِ النَّارَ إِنَّمَا هِيَ عَدُوُّكُمْ فَإِذَا نَعِمْتُمْ فَأَطْفِئُوهَا عَنْكُمْ »<sup>(٦)</sup>.

(١) صحيح مسلم: ٣/ ١٢٠٨ رقم الحديث: (١٥٨٣).

(٢) ينظر: النهاية مادة ( ق ت ل ).

(٣) إصلاح المنطق، يعقوب بن السكيت، تحقيق: أحمد شاكر، عبدالسلام هارون، القاهرة: دار المعارف، ط: ٤ ص ١٤٤

(٤) سورة النور آية: ٣٣.

(٥) ينظر: الكتاب: ٤/ ٢٨٣، والمنصف: ١/ ٧٤.

(٦) صحيح مسلم: ٣/ ١٥٩٧ رقم الحديث: (٢٠١٦).

الحرق هو: حك الشيء مع حرارة والتهاب ، والحرق من حرق النار ، وحرق النار : لهبها ، ويقال : أحرقت النار فاحترق (١).

وصيغة (افتعل) في هذه الحديث لمطاوعة (أفعل) الرباعي فالمعنى: أحرقت النار.

ومثله قوله تعالى ﴿ أَيُودٌ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ﴾ (٢).

قال أبوحيان: " وهذه المطاوعة هي انفعال في المفعول يكون له قابلية للواقع به فيتأثر له " (٣)  
أما قوله ﷺ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ. أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى. أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ تَحَارِمُهُ. أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» (٤).

فظاهر من سياق الحديث أن (اتقى) أي اتخذ لنفسه وقاية من عذاب الله باجتناب نواهيهِ وامتثال أمره.

وقى الله وقيا ووقاية وواقية: صانه ، ووقيت الشيء إذا صنته ، وتوقى واتقى بمعنى واحد ، وقد توقيت الشيء واتقيته (٥).

وجاء في كلام العرب الوحدة الصرفية (افتعل) بمعنى الاتخاذ. قال سيبويه: "هذا باب موضع (افتعلت) تقول : اشتوى القوم ، أي : اتخذوا شواء ، وأما شويت فكقولك : أنضجت وكذلك اختبز وخبز ، وأطبخ وطبخ ، وأذبح وذبح فأما ذبح فبمنزلة قوله قتله ، وأما أذبح فبمنزلة اتخذ ذبيحة وأما قولك : حبسته فبمنزلة قولك : ضبطته، وأما احتبسته فقولك : اتخذته حبسًا ، كأنه

(١) ينظر : العين وتهذيب اللغة ومقاييس اللغة ولسان العرب مادة ( ح ر ق ).

(٢) سورة البقرة آية : ٢٦٦ .

(٣) البحر المحيط ٢ / ٥٠٥ .

(٤) صحيح مسلم : ٣ / ٢١٩ رقم الحديث: (١٥٩٩).

(٥) لسان العرب مادة ( و ق ي ).

مثل شوى واشتوى" (١).

وقد يوجه السياق الوحدة الصرفية (افتعل) لمعنى التصرف والتكلف، وهو الاجتهاد في تحصيل أصل الفعل بأن يزاول أسبابه ويتكلف ويجتهد فيه، فمعنى (كسب): أصاب، ومعنى (اكتسب) اجتهد في تحصيل الإصابة بأن زاول أسبابها (٢). وذلك يعضده السياق ويؤكد في قول رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: « إِذَا أَنْفَقَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ بَيْتِ زَوْجِهَا غَيْرَ مُفْسِدَةٍ كَانَ لَهَا أَجْرُهَا، وَلَهُ مِثْلُهُ بِمَا أَكْتَسَبَتْ، وَلَهَا بِمَا أَنْفَقَتْ، وَلِلْخَازِنِ مِثْلُ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْتَقِصَ مِنْ أَجْوَرِهِمْ شَيْئاً » (٣).

فالكسب : طلب الرزق ، وكسب يكسب كسبا أي : طلب وأصاب (٤) ، وكسب واكتسب بمعنى واحد (٥) .

وقد فرق سيبويه بين (فعل وافتعل) فقال : " أما كسب فإنه يكون : أصاب ، وأما اكتسب فهو التصرف والطلب والاجتهاد بمنزلة الاضطراب " (٦)

قال السيوطي : " ويعبر عنه بالتسبب كاعتمل، واكتسب إذا تسبب في العمل والكسب " (٧).

ويؤكد السياق مجيء الوحدة الصرفية (افتعل) بمعنى (تفاعل) فعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: « أَنْ رَجُلًا قَتَلَ تِسْعَةً وَتَسْعِينَ نَفْسًا فَجَعَلَ يَسْأَلُ هَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَأَتَى رَاهِبًا فَسَأَلَهُ فَقَالَ لَيْسَتْ لَكَ تَوْبَةٌ . فَقَتَلَ الرَّاهِبَ ثُمَّ جَعَلَ يَسْأَلُ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَى قَرْيَةٍ فِيهَا قَوْمٌ صَالِحُونَ فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ فَنَأَى بِصَدْرِهِ ثُمَّ مَاتَ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَكَانَ إِلَى الْقَرْيَةِ الصَّالِحَةِ أَقْرَبَ مِنْهَا بِشِيرٍ فَجُعِلَ مِنْ أَهْلِهَا » (٨).

(١) الكتاب: ٧٣، ٧٤/٤.

(٢) ينظر: الكتاب: ٧٤/٤، وشرح الشافية: ١/١١٠.

(٣) صحيح مسلم : ٢ / ٧١٠ رقم الحديث : (١٠٢٤).

(٤) ينظر: العين ، والقاموس المحيط ( ك س ب )

(٥) ينظر : الصحاح ( ك س ب )

(٦) الكتاب ٧٤ / ٤ .

(٧) مع الهوامع ٣ / ٢٦٨ .

(٨) صحيح مسلم : ٤ / ٢١١٩ رقم الحديث: (٢٧٦٦).

فقوله " فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ " اختصم بمعنى تخاصم، وفيه معنى الاشتراك.

والخصومة: الجدل والمنازعة، وهي اسم مصدر من التخاصم والاختصام، يقال: اختصم القوم وتخاصموا، وتخاصم فلان فلانا، محاصمة وخصاما، واختصموا: أي تخاصموا والخصم: المخاصم<sup>(١)</sup>.

ومنه قوله تعالى: ﴿ هَذَانِ خَصِمَانِ اٰخَصَمُوْا فِي رِيْبِهِمْ ۗ فَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيْمُ ۗ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وكذلك اقتتل فعن جابر قال: اقتتل غلامان غلام من المهاجرين وغلام من الأنصار فنأدى المهاجر أو المهاجرون يا للمهاجرين . ونأدى الأنصاري يا للأنصار . فخرج رسول الله ﷺ فقال « ما هذا دعوى أهل الجاهلية؟ ». قالوا: لا يا رسول الله إلا أن غلامين اقتتلا فكسع أحدهما الآخر قال: « فلا بأس ولينصُر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً إن كان ظالماً فلينصُرهُ فإنه له نصْرٌ، وإن كان مظلوماً فلينصُرهُ »<sup>(٣)</sup>.

فالظاهر من السياق أن اقتتل تعني المشاركة بين طرفين في التصادم والالتقاء ووقوع القتلى ف"اقتتل القوم حارب بعضهم بعضا، والمقاتلة المحاربة وتحرى القتل"<sup>(٤)</sup>.

ومن معاني افتعل (فعل) وذاك يظهره السياق فعن زينب بنت جحش أن النبي ﷺ استيقظ من نومه وهو يقول: « لا إله إلا الله ويل للعرب من شرٍ قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ». وعقد سفيان بيده عشرة<sup>(٥)</sup>.

فاقترب في الحديث بمعنى (قرب) يقال: قرب الشيء بالضم: يقرب قربا وقربانا أي: دنا والقرب ضد البعد، واقترب الوعيد الحق أي: تقارب، والتقارب ضد التباعد. والاقتراب: الدنو.<sup>(٦)</sup>

(١) ينظر: العين ولسان العرب والقاموس المحيط مادة (خ ص م) .

(٢) سورة الحج آية: ١٩ .

(٣) صحيح مسلم: ٤/١٩٩٨ رقم الحديث (٢٥٨٤).

(٤) ينظر: المفردات مادة (ق ت ل) ص: ٣٩٣ .

(٥) صحيح مسلم: ٤/٢٢٠٧ رقم الحديث: (٢٨٨٠).

(٦) ينظر: العين ، ولسان العرب والقاموس المحيط مادة (ق ر ب) .

وقال ابن يعيش: "يجيء "افتعل" بمعنى فعل لا يراد به زيادة معنى ، وتلزمه الزيادة نحو: افتقر في معنى فقر، ولذلك تقول في الفاعل منه فقيرا، جاؤا به على المعنى، ومن ذلك اشتد فهو شديد، واستلم الحجر، ولا يستعمل سَلَمَ ولا يَسْلُمُ"<sup>(١)</sup>.

والذي يميل إليه البحث أن الوحدة الصرفية(افتعل) فيها زيادة معنى، ويؤكد ذلك قول الرضي: "إنه لا بد للزيادة من معنى، وإن لم يكن إلا التأكيد"<sup>(٢)</sup>.

ومن الأحاديث التي جاءت فيها صيغة افتعل بمعنى(فَعَلَ) حديث سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ كُنَّا فِي رَمَضَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ شَاءَ صَامَ وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ فَأَفْتَدَى بِطَعَامِ مِسْكِينٍ حَتَّى أَنْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ<sup>(٣)</sup> ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾<sup>(٤)</sup>

يقال : فداه وفاداه أعطى فداه فأنقذه، وفداه بنفسه، وتفادوه أي فدى بعضهم بعضا وافتدى منه بكذا، وتقول فديته أفديه: كأنك تحميه بنفسك أو بشيء يعوض عنه.<sup>(٥)</sup>

والوحدة الصرفية(افتعل) هنا بمعنى(فعل)، وجاء منها في القرآن الكريم قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ﴾<sup>(٦)</sup> أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ<sup>(٦)</sup>

ف"افتدى من افتعل من الفدية وهو بمعنى: فعل كشوى واشتوى"<sup>(٧)</sup>.

ثاني الوحدات الصرفية المزيدة بحرفين (تفعل): هي إحدى الصيغ المزيدة بحرفين، التاء في أولها، وتضعيف الحرف الثاني في أصل الكلمة(العين).

(١) شرح المفصل ٤/٤٤١ ، ومعجم الأوزان الصرفية ١٦٢ .

(٢) ينظر : شرح الشافية: ٩١/١ .

(٣) صحيح مسلم : ٢/ ٨٠٢ رقم الحديث: (١١٤٥) .

(٤) سورة البقرة آية: ١٨٥

(٥) الصحاح ومقاييس اللغة مادة ( ف د ي ) .

(٦) سورة آل عمران آية : ٩١ .

(٧) البحر المحيط: ٢/٨٢٨ .

ولها عدة معان يبرزها السياق داخل تراكيب الحديث قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِذَا زَنَتْ أُمَّةٌ أَحَدِكُمْ فَتَبَيَّنَ زَنَاهَا فَلْيَجْلِدْهَا الْحَدَّ وَلَا يُتْرَبْ عَلَيْهَا، ثُمَّ إِنْ زَنَتْ فَتَبَيَّنَ زَنَاهَا فَلْيَبْعِهَا وَلَوْ بِحَبْلِ مِنْ شَعْرٍ »<sup>(١)</sup>.

البيان: ما بين به الشيء من الدلالة وغيرها، وبان الشيء بيانا: اتضح فهو بين، واستبان الشيء: ظهر، واستبنته أنا: عرفت، وتبين الشيء: ظهر ويقال: "بان الشيء واستبان وتبين وأبان وبين بمعنى واحد"<sup>(٢)</sup>.

وجاء في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ ءَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ بَدَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ ﴾<sup>(٣)</sup>.

و(تفعل) في الحديث جاءت بمعنى (استفعل) أي: إذا استبان زنى الأمة فليقيم عليها الحد بجلدها، وإذا تكرر ذلك منها ثلاثاً فليبعها ولو بحبل من شعر.

يقول سيبويه بعد حديثه عن تفعل التي بمعنى التكلف: "وقد دخل استفعل هاهنا، قالوا: تعظم واستعظم، وتكبر واستكبر. كما شاركت تفاعلت تفعلت الذي ليس في هذا المعنى، ولكنه استنثبات، وذلك قولهم: تيقنت واستيقنت، وتبينت واستبينت، وتثبت واستثبت"<sup>(٤)</sup>.

ويصرف السياق الوحدة الصرفية (تفعل) إلى معنى الوحدة الصرفية (فعل) فعَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قُلْتُ لِحَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ أَكُنْتُ مُجَالِسُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: "نَعَمْ كَثِيرًا كَانَ لَا يَقُومُ مِنْ مُصَلَاةِ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ فَإِذَا طَلَعَتْ قَامَ. وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَيَضْحَكُونَ وَيَتَبَسَّمُونَ" ﷺ<sup>(٥)</sup>.

(١) صحيح مسلم ٣/ ١٣٢٨ رقم الحديث: (١٧٠٣).

(٢) ينظر: لسان العرب مادة (ب ي ن).

(٣) سورة النساء آية: ٩٤.

(٤) الكتاب: ٧١/٤.

(٥) صحيح مسلم: ٤/ ١٨١٠ رقم الحديث: (٢٣٢٢).

فالسباق يبرز معنى تبسم بمعنى بسم؛ فهي الابتسامة التي لم تفارق محيا حبيب الأمة - صلى الله عليه وسلم - فقد كان يتبسم عندما يلاقي أصحابه، ويتبسم إن وقع من أحدهم خطأ يستحق التأديب، ويتبسم حتى في مقام القضاء، ومع شدة عتابه - صلى الله عليه وسلم - للذين تخلفوا عن غزوة تبوك، لم تغب هذه الابتسامة عنه وهو يسمع منهم، يقول كعب - رضي الله عنه - بعد أن ذكر اعتذار المنافقين وحلفهم الكاذب: "فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَ». فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ".<sup>(١)</sup>

التبسم : دون الضحك ، بسم ويسم بسما : فتح شفثيه ، وهو إبداء مقدم الفم لمسرة.<sup>(٢)</sup> يقال : بسم وابتسم وتبسم بمعنى واحد.<sup>(٣)</sup>

وجاء ذلك في قوله تعالى ﴿ فَتَبَسَّمْ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾<sup>(٤)</sup>

### ثالثًا: الوحدات الصرفية للأفعال المزيدة بثلاثة أحرف:

ومن الوحدات الصرفية المزيدة بثلاثة أحرف والتي يسهم السياق في بيان معانيها: استفعل وافعول وافعال وافعول.

بيد أن الوحدة الصرفية (استفعل) هي أكثر الوحدات ورودًا في صحيح مسلم، وزيادتها في همزة الوصل، والسين، والتاء المفتوحة في أولها.

ولها معانٍ كثيرة تظهر من خلال السياق فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ اسْتَسْقَى فَأَشَارَ بِظَهْرِ كَفِّهِ إِلَى السَّمَاءِ<sup>(٥)</sup>.

(١) صحيح مسلم : ٤ / ٢١٢٨ ، رقم الحديث : (٢٧٦٩).

(٢) ينظر : الصحاح ، ومقاييس اللغة مادة ( ب س م )

(٣) ينظر : العين ، وتهديب اللغة مادة ( ب س م )

(٤) سورة النمل آية : ١٩ .

(٥) صحيح مسلم : ٢ / ٦١٢ رقم الحديث : (٨٩٦).



وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تُعِدِنِي . قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُوذُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟. قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تُعِدَّهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ. يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطَعْمَتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي. قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أَطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟. قَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطَعَمَكَ عَبْدِي فَلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ. أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي . قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فَلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي » (١) .

فواضح من سياق الحديث الأول أن (استسقى) بمعنى طلب السقيا والمطر والخير والبركة من رب العزة والجلال.

ويظهرها السياق في الحديث الثاني بمعنى الطلب والحث على السقيا والإطعام. قال الراغب: "السقي والسقيا : أن يعطي الإنسان ما يشرب ، والإسقاء أن يجعل له ذلك حتى يتناوله كيف يشاء ، والإسقاء أبلغ من السقي ؛ لأن الإسقاء هو أن تجعل له ما يسقى منه ويشرب ، والاستسقاء : طلب السقي أو الإسقاء " (٢) .

قال تعالى ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (٣) .

وكذلك (استطعمتك) وهذا الحديث يبرز مدى كرم الله علينا، وجزيل رحمته بعباده، حيث دعاهم للصلاة والتكاتف.

يقول سيبويه: "وتقول: استعطيت أي طلبت العطية، واستعتبت أي طلبت إليه العتي ومثل ذلك استفهمت واستخبرت، أي طلبت إليه أن يخبرني ومثله استشترته" (٤) .

(١) صحيح مسلم : ٤ / ١٩٩٠ رقم الحديث: (٢٥٧٠).

(٢) ينظر: المفردات مادة (س ق ي).

(٣) سورة البقرة آية : ٦٠ .

(٤) الكتاب ١ / ٧٠ ، وينظر: المقتضب ١ / ٢٨٤، وشرح المفصل ٤ / ٤٤٢ .

وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنَّهُ لَيُعَانُ عَلَيَّ قَلْبِي وَإِنِّي لِأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ »<sup>(١)</sup>.  
السياق بيّن أن معنى (استغفر) طلب المغفرة من الكريم المنان؛ فالغفر: إلباس ما يصون عن الدنس، ويقال غفر له إذا تجافى عنه في الظاهر وإن لم يتجافى عنه في الباطن، والاستغفار طلب ذلك بالمقال والفعال<sup>(٢)</sup>.

ومنه قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّكَاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾<sup>(٣)</sup>

وقد يأتي (استفعل) بمعنى الصيرورة والتحول عن ابنِ أَبِي مُلَيْكَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: سَمِعْتُ عَائِشَةَ وَسُئِلَتْ مَنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَخْلِفًا لَوْ اسْتَخْلَفَهُ؟ قَالَتْ: "أَبُو بَكْرٍ . فَقِيلَ لَهَا تَمَّ مَنْ بَعَدَ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَتْ: عُمَرُ . ثُمَّ قِيلَ لَهَا: مَنْ بَعْدَ عُمَرَ؟ قَالَتْ: أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجُرَّاحِ . ثُمَّ انْتَهَتْ إِلَى هَذَا " <sup>(٤)</sup>.

يوجه السياق معنى (استخلفه) أي: صيره وجعله خليفة. فخلف: "ضد تقدم وسلف، والخلافة النيابة عن الغير إما لغيبة المنوب عنه، وإما لموته، وإما لعجزه، وإما لتشريف المستخلف، وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أوليائه في الأرض"<sup>(٥)</sup> واستخلفته: جعلته خليفتي، واستخلفه: جعله خليفة"<sup>(٦)</sup>.

قال سيبويه: "وقالوا في التحول من حال إلى حال هكذا، وذلك (قولك): استنوق الجمل، واستتست الشاة"<sup>(٧)</sup>.

وقيل في المثل: "إن البغاث"<sup>(٨)</sup> بأرضنا يستنسر"<sup>(٩)</sup> أي: يصير كالنصر في القوة.

(١) صحيح مسلم: ٤/ ٢٠٧٥ رقم الحديث: (٢٧٠٢).

(٢) ينظر: المفردات مادة: (غ ف ر).

(٣) سورة البقرة آية: ١٩٩.

(٤) صحيح مسلم: ٤/ ١٨٥٦ رقم الحديث: (٢٣٨٥).

(٥) المفردات مادة: (خ ل ف).

(٦) لسان العرب مادة: (خ ل ف).

(٧) الكتاب: ٧١/١.

(٨) هو من طير الماء، لونه كلون الرماد، طويل العنق ينظر: تهذيب اللغة مادة: (ب غ ث).

(٩) هو مثل يضرب للضعيف يصير قويًا، وللذليل يعزُّ بعد الذل. ينظر: مجمع الأمثال، الميداني، تحقيق: نعيم

حسين، (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ٢، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م) ص: ١١.

وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ يَتَمَشُّونَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ فَأَوَّوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ فَأَنْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَأَنْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ انظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ فَادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى بِهَا لَعَلَّ اللَّهَ يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ... .. وَقَالَ الْآخَرُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا يَفْرُقُ أَرْزُؤُا فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ أَعْطِنِي حَقِّي . فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَرَقَهُ فَرَغِبَ عَنْهُ فَلَمْ أَرْزُ أَنْ أَرْزِعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقْرًا وَرِعَاءَهَا فَجَاءَنِي فَقَالَ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَظْلِمْنِي حَقِّي .. (١).

استأجرت أي: اتخذت أجيراً؛ لأن استعمل تأتي للاتخاذ بما يوجهه السياق. " نحو: استألم ، أي: اتخذ أو لبس اللأمة (٢)، واستعمل أي : اتخذ عملاً، واستبعد أي: اتخذ عبداً ، واستأجر واستأجر أي : اتخذ أجيراً (٣).

وشاهده في القرآن قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ

اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ (٤)

فالأجر: الجزاء والثواب على العمل، ويقال: استأجرت الرجل فهو يأجرني أي: يصير أجيري (٥)

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، وَجَعَلَ يَحْجِرُهُنَّ وَيَغْلِبُنَّهُ، فَيَتَّقِمَنَّ فِيهَا قَالَ فَذَلِكُمْ مَثَلِي وَمَثَلِكُمْ أَنَا آخِذٌ بِحُجْرِكُمْ عَنِ النَّارِ هَلُمَّ عَنِ النَّارِ هَلُمَّ عَنِ النَّارِ فَتَعْلِبُونِي تَفَحَّمُونَ فِيهَا» (٦).

فسياق الحديث ظاهر في أن (استوقد ناراً) بمعنى (أوقدها).

(١) صحيح مسلم ٢٠٩٩/٤ رقم الحديث (٢٧٤٣).

(٢) اللأمة : بفتح اللام وسكون الهمزة وربما خففت أداة من أدوات الحرب قيل هي الدرع وقيل جميع أدوات الحرب من سيف ودرع ورمح وبيضة يسمى لامة. ينظر: تهذيب اللغة مادة (ل و م).

(٣) ينظر : شرح الشافية ١/١١١ ، وارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: رجب عثمان محمد، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط: ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م) : ١/ ١٧٩ ، ومع الهوامع : ٣/ ٢٦٩.

(٤) سورة القصص آية : ٢٦

(٥) ينظر: المفردات مادة: (أ ج ر) ص: ١١، ولسان العرب مادة (أ ج ر).

(٦) صحيح مسلم ١٧٨٩/٤ رقم الحديث: (٢٢٨٤).

قال الراغب: "يقال وقدت النار تقد وقوداً، واستوقدت النار إذا ترشحت لإيقادها، وأوقدتها"<sup>(١)</sup>.

وجاءت استأخر في سياق الحديث بمعنى تأخر فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت أمر رسول الله ﷺ أبا بكر أن يصلي بالناس في مرضه فكان يصلي بهم . قال عروة فوجد رسول الله ﷺ من نفسه خفة فخرج وإذا أبو بكر يؤم الناس فلما رآه أبو بكر استأخر فأشار إليه رسول الله ﷺ أي كما أنت فجلس رسول الله ﷺ جذاً أي بكر إلى جنبه . فكان أبو بكر يصلي بصلاة رسول الله ﷺ والناس يصلون بصلاة أبي بكر<sup>(٢)</sup>.

تماماً كما في قوله تعالى ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا

يَسْتَقْدِمُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>.

وكذلك (استيقن) في قوله ﷺ: «إِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ فَلَمْ يَدْرِ كَمْ صَلَّى ثَلَاثًا أَمْ أَرْبَعًا فَلْيَطْرَحِ الشُّكَّ، وَلْيَبْنِ عَلَى مَا اسْتَيْقَنَ ثُمَّ يَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يُسَلَّمَ فَإِنْ كَانَ صَلَّى خَمْسًا شَفَعَنَ لَهُ صَلَاتُهُ، وَإِنْ كَانَ صَلَّى إِتْمَامًا لِأَرْبَعٍ كَانَتْ تَرْغِيمًا لِلشَّيْطَانِ»<sup>(٤)</sup>.

فاستيقن بمعنى تيقن، وقد تأتي استفعل بمعنى (تفعل) قال ابن يعيش: "وقد يكون بمعنى تفعل لتكلف الشيء وتعاطيه نحو: استعظم بمعنى تعظم، واستكبر بمعنى تكبر، كقولهم: تشجع وتجلد"<sup>(٥)</sup>.

واليقين: من صفات العلم، وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم<sup>(٦)</sup>.

(١) المفردات مادة (و ق د).

(٢) صحيح مسلم ١ / ٣١١ رقم الحديث: (٤١٨).

(٣) سورة الأعراف آية: ٣٤.

(٤) صحيح مسلم: ١ / ٤٠٠، رقم الحديث: (٥٧١).

(٥) شرح المفصل: ٤ / ٤٤٢.

(٦) ينظر المفردات مادة (ي ق ن) ص: ٥٢٨.

ونختم هذا المبحث بجمال العنوان الذي وضعه محمد المبارك في بيان دور السياق وهو: " حياة الكلمة والسياق " حيث قال فيه: " إن معرفة مادة الكلمة وأصلها الاشتقاقي والصيغة التي صيغت بها لا تكفي غالبا لتحديد معناها تحديدا تاما دقيقا ؛ فإن كل كلمة بعد أن أخذت من مادتها الأصلية وبنيت على أحد الأوزان الصرفية استعملت في مواطن من الكلام، وخصصها الاستعمال بمعان أخص من المعنى العام الذي تدل عليه مادتها وبتعدد الاستعمال خلال العصور وفي مختلف المناسبات وشتى البيئات يتم للكلمة أكثر من معنى ويجمع لها أكثر من دلالة . وهذه الاستعمالات أو المعاني المتعددة تتصل كلها بالمعنى الأصلي اتصالا قويا أو ضعيفا قريبا أو بعيدا ، وتفيد الكلمة في ذاتها المعاني التي اكتسبتها كلها وكأنها مخزنة فيها كامنة في تضاعيف حروفها ويبرز أحدها حين استعمال الكلمة في جملة معينة وسياق محدد من الكلام ؛ ولهذا كان للسياق قيمة في تحديد وفهم الكلام".<sup>(١)</sup>

(١) فقه اللغة وخصائص العربية: ص ١٨٢، ١٨٣.

## المبحث الثاني

### أثر السياق في الوحدات الصرفية للمشتقات

لقد أصابت العربية ثروة لغوية واسعة بما تشعب عن أصولها من أبنية وصيغ تشتمل على أقسام الكلم وما تفرّع عنها. ولا يرتاب باحث محقق في شدة تعويلها على البناء والتركيب الذي عاد عليها بالغنى والقراء<sup>(١)</sup>.

وتلك الثروة في أبنيتها وصيغها من مواردها ما صح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد اشتمل صحيح مسلم على الكثير من الصيغ التي جاءت إمّا على معانيها، أو على معاني صيغ أخرى، منها مجيء معنى صيغة (فاعل) إلى الصيغ الأخرى، والتبادل في صيغة (مفعول)، وصيغة (فعل)، و(فعل)، و(أفعل) وكذا هي الحال في كثير من صيغ المشتقات.

"فالوحدة الصرفية عنصر حيوي يستمد حيويته من السياق، فيؤثر فيه ويتأثر به شأنه في ذلك شأن الكائن الحي الذي لا يكتسب حياته إلا بالتفاعل مع أبناء جنسه، وهو الفضاء الذي نفتحه لكشف أسرار الصناعة اللفظية في اللغة"<sup>(٢)</sup>.

و"نجد في العربية أبنية كثيرة تُصاغ على هيئة مخصوصة للدلالة على معنى عام كليّ كاسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة باسم الفاعل، وغيرها من المشتقات، فهذه كلّها لها أبنية محدّدة، وصيغ ثابتة تُصاغ عليها، إلا أننا نجد أحياناً بعض الكلمات تخرج عن قواعد صوغ الأبنية المعروفة في العربية؛ لأنها لا يُراد منها الدلالة العامة الموضوعية لها تلك الأبنية، وإنما يُقصد بها معاني مخصوصة ودلالات تنحصر في أمور معينة تعارفوا عليها"<sup>(٣)</sup>.

وتلك المعاني لا يكشف عن مضمونها إلا السياق وغيره من القرائن، ويمكن إلقاء الضوء على تلك الوحدات الصرفية في المشتقات لبيان مدى تأثير السياق عليها. كما يلي:

(١) ينظر: دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، (دار العلم للملايين، ط: ١، ١٩٨٣م) ص ٣٢٧.

(٢) ينظر: جماليات تحوّل الوحدة الصرفية لدى النحاة والبلاغيين، د. سامي عوض-عادل نعامة (مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية-سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد: (٢٨)، العدد (١) ٢٠٠٦م)، ص: ٦٩.

(٣) المرجع السابق: ص: ٦٩.

أولاً: الوحدة الصرفية (فاعل):

وضع النحاة هذه الوحدة الصرفية لاسم الفاعل، وقد أولى النحاة في تعريف اسم الفاعل جانب المعنى عناية كبيرة، فابن الحاجب - رحمه الله - (ت: ٦٤٦ هـ) يعرفه بأنه: " ما اشتق من فعل لمن قام به بمعنى الحدوث " (١).

أما ابن مالك فيعرفه بأنه: " الصفة الدالة على فاعل جارية في التذكير والتأنيث على المضارع من أفعالها لمعناه أو معنى الماضي " (٢).

وقال الصبان - رحمه الله - (ت: ١٢٠٦ هـ) " لمعناه: أي مفيدة لمعنى المضارع من حال واستقبال ومثلها الاستمرار التجديدي " (٣).

ويرى النحاة أن اسم الفاعل يحمل معنى الحدوث والتجدد، ويجعلون ذلك هو المعيار للترقية بين اسم الفاعل والصفة المشبهة؛ فيرون أن اسم الفاعل يدل على التجدد والحدوث، على حين يرون أن الصفة المشبهة تدل على الدوام والاستمرار والثبوت (٤).

وللباحثة وقفة مع هذا التفريق وذلك لأن الوحدة الصرفية (فاعل) قد جاءت في صحيح مسلم لكلا المعنيين، والفيصل في ذلك هو السياق وغيره من القرائن، ففي الأحاديث التالية:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنَّ رَجُلًا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَأَخَذَ السَّيْفَ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَيَّ رَأْسِي، فَلَمْ أَشْعُرْ إِلَّا وَالسَّيْفُ صَلْتًا فِي يَدِهِ فَقَالَ لِي مَنْ يَمْتَنِعُكَ مِنِّي. - قَالَ - قُلْتُ: اللَّهُ. ثُمَّ قَالَ فِي الثَّانِيَةِ: مَنْ يَمْتَنِعُكَ مِنِّي؟ - قَالَ - قُلْتُ: اللَّهُ. قَالَ فَشَامَ السَّيْفَ فَهِيَ هُوَ ذَا جَالِسٍ » (٥).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَاتَ الْيَوْمَ عَبْدٌ لِلَّهِ صَالِحٌ أَصْحَمَةٌ» (٦).

فنائم وجالس) في الحديث الأول (فاعل) تدلان على معنى التجدد والحدوث، لا الثبوت

(١) شرح الكافية: ١٩٨/٢، وينظر: شرح شذور الذهب، محمد عبد المنعم الجوجري، تحقيق: د. نواف جزاء الحارثي، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ط: ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م) ٦٨٢/٢.

(٢) شرح التسهيل: ٧٠/٣.

(٣) حاشية الصبان على الأشموني: ٤٤٢/٢.

(٤) ينظر: شرح الكافية: ١٩٨/٢، وشرح شذور الذهب: ٦٨٢/٢.

(٥) صحيح مسلم: ٦٥٧/٢، رقم الحديث: (٩٥٢).

(٦) المرجع السابق: ٦٥٧/٢، رقم الحديث: (٩٥٢).

والدوام، فنومه صلى الله عليه وسلم أمر عارض غير ثابت بدليل استيقاظه، وجلس الرجل أمر عارض أيضاً.

أما صالح في الحديث الثاني فهي على جهة الثبوت و الدوام وقد مات على صلاحه. وقد يظهر السياق بجيء صيغة فاعل لمعنى الثبوت والدوام ومن ذلك حديث أبي سعيد الخدرى-رضي الله عنه- قال: قَالَ فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الْوُجْهَتَيْنِ، نَاشِزُ الْجُبْهَةِ، كَثُّ اللَّحْيَةِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، مُشَمَّرُ الْإِزَارِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: اتَّقِ اللَّهَ. فَقَالَ: «وَيْلَكَ أَوْلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ»<sup>(١)</sup>، فغائر العينين، وناتئ الجبين تدل على صفات ثابتة وليست طارئة في الرجل.

وعلى هذا فالأصل في معنى صيغة فاعل يرجع إلى مقتضيات السياق، وما فيه من قرائن لغوية، ولا يرجع ذلك إلى الصيغة نفسها.

--ويبين السياق توجه الوحدة الصرفية(فاعل) لمعنى النسب ففي الحديث "فَأَقْبَلَ عُومَيْرٌ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَطَ النَّاسِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ رَجُلًا وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا أَيَقْتُلُهُ فَتَقْتُلُونَهُ؟ أَمْ كَيْفَ يَفْعَلُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قَدْ نَزَلَ فِيكَ وَفِي صَاحِبَيْكَ فَأَذْهَبَ فَأَتِ بِهَا " . قَالَ سَهْلٌ: فَتَلَاَعْنَا وَأَنَا مَعَ النَّاسِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا فَرَعَا قَالَ عُومَيْرٌ: كَذَبْتُ عَلَيْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَمَسَكْتُهَا . فَطَلَّقَهَا ثَلَاثًا قَبْلَ أَنْ يَأْمُرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَزَادَ فِيهِ ابْنُ شَهَابٍ قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ حَامِلًا فَكَانَ ابْنُهَا يُدْعَى إِلَى أُمِّهِ . ثُمَّ جَرَبَ السُّنَّةُ أَنَّهُ يَرْتُهَا وَتَرَّتْ مِنْهُ مَا فَرَضَ اللَّهُ لَهَا<sup>(٢)</sup>.

فالسباق شاهد على أن حامل: بمعنى ذات حمل، فقد بينى على فاعل ما فيه معنى النسب

(١) سبق تخريجه ص: ٨٣ من البحث.

(٢) صحيح مسلم: ٢/١١٣٠ رقم الحديث: (١٤٩٢).



من غير إلحاق الياءين كقولهم: لابن، وتامر، ونابل، فإن كان ذا شيء، أي: صاحب شيء بنى على فاعل<sup>(١)</sup>، وذلك لمن يلبس الشيء وليس له بحرفة<sup>(٢)</sup>.

فالمبنى الصرفي الواحد صالح لأن يعبر عن أكثر من معنى واحد مادام غير متحقق بعلامة ما في سياق ما؛ فإذا تحقق المعنى بعلامة أصبح نصاً في معنى واحد بعينه<sup>(٣)</sup>.

### ثانياً: الوحدة الصرفية (أفعل):

وهي صيغة التفضيل حيث عرف الشيخ خالد الأزهري - رحمه الله - (ت: ٩٠٥ هـ) التفضيل بقوله: "هو الوصف المبني على أفعل لزيادة صاحبه على غيره في أصل الفعل"<sup>(٤)</sup>.

وقد ترد لمعناها الأصلي وقد تخرج عنه بمعونة السياق ومن مجيئها بمعناها قول رسول الله ﷺ: « قَامَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ خَطِيْبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ. قَالَ: فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ »<sup>(٥)</sup>.

في قوله صلى الله عليه وسلم: "أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ" بين السياق أن (أَعْلَمَ) صيغة تفضيل تدل على أن الرجل الصالح (الخضر) أعلم من موسى عليه الصلاة والسلام، وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم، والدليل مجيء منك (المفضل عليه) مجروراً بمن.

ومثلها أحسن، وأجود، وأشجع في حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَرَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَاجِعًا وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرَى فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ: « لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا ». قَالَ: « وَجَدْنَاهُ بَحْرًا

(١) المقتضب: ٣ / ١٦١ .

(٢) المزهر: ٢ / ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها: ١٦٥ .

(٤) شرح التصريح: ٢ / ١٠٠ .

(٥) صحيح مسلم ٤ / ١٨٤٧ رقم الحديث (٢٣٨٠).

أَوْ إِنَّهُ لَبَخَّرَ»<sup>(١)</sup>.

-وفي مواضع أخرى يبين سياق الحديث أن أبيض وقع اسم تفضيل في قوله ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةٌ شَهْرٌ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِبْرَانُهُ كُنُجُومِ السَّمَاءِ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا»<sup>(٢)</sup>.

مع أن جمهور النحاة يرى أن اسم التفضيل لا يبنى مما قيل فيه أفعل فعلاء(الألوان والعيوب) ويعلل الخليل لذلك بأن الألوان والعيوب تجري مجرى الخلق نحو: اليد والرجل. فكما لا نقول: ما أيداه ولا ما أرجله، وكذلك لا نقول ما أسوده ولا ما أعوره؛ لأنهما معان لازمة تجري مجرى الخلق، وبعضهم منع بحيثها من أفعل فعلاء محتجاً بأن أصلها يرجع إلى ما زاد على الثلاثة<sup>(٣)</sup>.

ويستدرك ابن الحاجب على مقالة النحاة فيقول: "وينبغي أن يقال من الألوان والعيوب الظاهرة، فإن الباطنة يبنى منها أفعل التفضيل نحو: فلان أبلد من فلان، وأجهل منه وأحمق"<sup>(٤)</sup>. والذي قال بجواز ذلك من العلماء الكسائي و هشام والأخفش حيث جوزوا بناؤه من العاهات، أمّا الكسائي و هشام فتدأجازا ذلك في الألوان نحو: ما أحمره، ومنع ذلك الأخفش كسائر البصريين<sup>(٥)</sup>.

والبحث يرى الصحيح ما سار عليه الكسائي وهشام لوقوع ذلك في كلام أبلغ الناطقين وسيد الأولين والآخرين؛ فالأفضل استنباط القواعد من سياق الحديث الشريف.

-وقد يخرج السياق الوحدة الصرفية (أفعل) عن التفضيل؛ لتدل على الصفات الثابتة في أشخاصها(العاهات) في وصف الدجال بالأعور. عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ الدَّجَالَ بَيْنَ ظَهْرَائِي النَّاسِ فَقَالَ: « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ . أَلَا وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ

(١) صحيح مسلم ٤/ ١٨٠٢-١٨٠٣ رقم الحديث: (٢٣٠٧).

(٢) المرجع السابق: ٤/ ١٧٩٣ رقم الحديث: (٢٢٩٢).

(٣) ينظر: الكتاب: ٤/ ٩٧، ٩٨، وشرح المفصل: ٤/ ١٢٠.

(٤) الكافية في النحو، ابن الحاجب المالكي، (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ-

٢١٣/٢م) ١٩٩٥.

(٥) هع الهوامع: ٣/ ٢٧٩.

الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ»<sup>(١)</sup>.

فأعور على وزن الوحدة الصرفية (أفعل) وهي هنا صفة ثابتة في الدجال لا يتحول عنها، وعرف ابن الحاجب الصفة المشبهة تعريفاً جامعاً بقوله: "ما اشتق من فعل لازم لمن قام به على معنى الثبوت"<sup>(٢)</sup>، ومن صيغها أفعل الذي مؤنثه فعلاء نحو: أحمر - حمراء، وأعور - عوراء. فالوحدة الصرفية (أفعل) تشترك بين التفضيل والصفة المشبهة وخير ما يفصل بين معانيها كما سبق هو السياق.

- ويوجه السياق الوحدة الصرفية (أفعل) لغير معنى التفضيل ومن ذلك قوله - ﷺ - « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ فَيَنْظُرُ أَيَّمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»<sup>(٣)</sup>.

فأيمن منه: أي يمينه، وأشأم منه: شماله إذ لا معنى للتفضيل في السياق.

ومنه أيضا قول رسول الله ﷺ: « إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلْدُ الْخُصْمُ »<sup>(٤)</sup>.

قيل أفعل هنا (الألد) ليست بالتفضيل بل بمعنى الفاعل أي: وهولديه الخصام، أي: شدة المحاصمة<sup>(٥)</sup>.

ويدل اسم التفضيل على بعد الفاضل من المفضول، وتجاوزه عنه، كقولك أنت أعز علي من أن أضربك: أي بائن من أن أضربك من فرط عزتك علي<sup>(٦)</sup>.

ومما ورد من ذلك حديث عائشة رضي الله عنها قالت: "وَأَنَا وَاللَّهِ حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَيَّ بَرِيئَةٍ وَأَنَّ اللَّهَ مُبْرِّئِي بِرَاءَتِي، وَلَكِنَّ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يُنْزَلَ فِي شَأْنِي وَحَيٌّ يُتْلَى وَلَشَأْنِي كَانَ أَحْفَرَ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى؛ وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ

(١) صحيح مسلم ٤ / ٢٢٤٧ رقم الحديث: (٢٩٣٣).

(٢) متن الكافية بشرح الرضي: ٤٣١/٣.

(٣) صحيح مسلم ٣ / ٤٨٢ رقم الحديث: (١٠١٦).

(٤) المرجع السابق: ٤ / ٢٠٥٤ رقم الحديث: (٢٦٦٨).

(٥) فتح الباري ٨ / ٣٦.

(٦) شرح الكافية: ٢ / ٢١٥.

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبْرِئُنِي اللَّهُ بِهَا»<sup>(١)</sup>.

والمقصود بقول السيدة عائشة- رضي الله عنها- أي أنها أبعد الناس من أن ينزل الله فيها قرآنا يتلى، وذلك لاستصغارها لشأن نفسها.

-وقد يدل السياق على مجيء (أفعل) بمعنى (مفعول) ومن ذلك قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَحَبَّ الصَّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ، وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا»<sup>(٢)</sup>.

ف(أحب الصلاة إلى الله) لفظ أحب بمعنى المحبوب أي أكثر ما يكون محبوبا من الصلاة واستعمال أحب بمعنى محبوب قليل؛ لأن الغالب في أفعل التفضيل أن يكون بمعنى الفاعل والمحبة بمعناها الحقيقي الذي هو ميل القلب مستحيلة على الله فنسبتها إليه تعالى باعتبار لازمها، وهو إرادة الخير لفاعل الصلاة أو الصيام<sup>(٣)</sup>.

و قد يحدد السياق صيغ أخرى تأتي بمعنى صيغة (أفعل)، ومن ذلك صيغة (فاعل) إذا أُريدَ بها تأكيد المعنى وتكثيره، كقوله تعالى: ﴿رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ...﴾<sup>(٤)</sup> أي: عالم بكم...<sup>(٥)</sup>.

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ-رضي الله عنه- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمًا: «أَتَذَرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ» . قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ بَحْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَخْرُ سَاجِدَةً، وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ بَحْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَخْرُ سَاجِدَةً، وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا ثُمَّ بَحْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ فَيُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي أَصْبِحِي

(١) صحيح مسلم ٤/٢١٣٥، رقم الحديث (٢٧٧٠).

(٢) المرجع السابق: ٢/٨١٦ رقم الحديث: (١١٥٩).

(٣) المنهل الحديث في شرح الحديث، د. موسى لاشين، تحقيق: د. عبدالعال أحمد، (دار التراث العربي): ص: ٢٨٠.

(٤) سورة الإسراء آية: ٥٤.

(٥) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل المصري تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت: صيدا:

المكتبة العصرية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م) ٢/١٨٢، وينظر: شرح المفصل: ٣/٧٧.

طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكَ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا»<sup>(١)</sup>.

أظهر السياق أن قوله -صلى الله عليه وسلم- "اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ" بمعنى عالمان، أين تستقر هذه الشمس؟ فلم يعرف الصحابة -رضوان الله عليهم- أن الشمس تخر ساجدة عند العرش، وكيف أنها سيأتي يوم تطلع من مغربها كل هذه أمور يجهلها الصحابة -رضوان الله عليهم- وأطلعهم عليها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بما أطلعه عليه رب العزة والجلال.

والسر في ذلك كيف يرد التفضيل في جانب صفات الله سبحانه وتعالى، مع العلم أن صفات الله لا تتفاوت، ولا يصح مقارنتها أو التفاضل فيها غير أن السيوطي يرى جواز ذلك؛ لأن الله بلغ العظمة، وأنه مما تحار فيه العقول<sup>(٢)</sup>.

فالتفضيل على أن أسماء الله -عز وجل- قد بلغت الغاية والنهاية في الوصف جائز. عند السيوطي .

وقد يعين السياق "أفعل" بمعنى (فعليل) كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ

يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾<sup>(٣)</sup> أي: هينٌ عليه<sup>(٤)</sup>، (فعليل). ومثله عن المغيرة بن شعبة - شعبة - رضي الله عنه - قال: مَا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَحَدٌ عَنِ الدَّجَالِ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ فَقَالَ لِي: «أَيُّ بُنْيٍّ وَمَا يُنْصَبُكَ مِنْهُ إِنَّهُ لَنْ يَضُرَّكَ». قَالَ قُلْتُ إِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ مَعَهُ أَنْهَارَ الْمَاءِ وَجِبَالَ الخُبْرِ . قَالَ: «هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ»<sup>(٥)</sup> .

فأهون بمعنى (هين) للتحقير.

ومثله قول الفرزدق:

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا  
بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ<sup>(٦)</sup>

(١) صحيح مسلم ١٣٠/١، رقم الحديث: (١٥٩).

(٢) مع الهوامع: ٣/٣٢٠، ٣٢١. وهو في ذلك يوافق رأي جماعة من العلماء كابن السراج والأنباري والصيمري.

(٣) سورة الروم آية: ٢٧.

(٤) أمالي ابن الشجري: ٣٤٤/١.

(٥) صحيح مسلم ٣/١٦٩٣، رقم الحديث: (٢١٥٢).

(٦) ديوان الفرزدق: ١٥٥/٢.

أي: عزيزة طويلة، فلما أراد الشاعر أن يبالغ في عزّ دعائم بيته وطولها، جاء بها على (أفعل) بدلاً من (فعليل).

وقد تبين مما سبق أنّ السياق ومتطلبات المقام تقتضي مجيء معنى الوحدة الصرفية لتحقيق أغراضٍ تناسب معنى الحديث الشريف.

### ثالثاً : الوحدة الصرفية(فعليل):

الحق المبرد صيغة المبالغة ( فعليل ) بالصفة المشبهة من حيث اشتقاقها من الفعل اللازم فيقول : " والفعل الذي هو لفعليل في الأصل إنما هو ما كان على (فَعْلَل) : نحو : كَرُمَ فهو كريم وشُرْفٌ فهو شريف ، وظُرْفٌ فهو ظريف ، فما خرج إليه من باب علم وشهد ورحم فهو ملحق به " (١)

ويظهر من كلام المبرد أن صيغة ( فَعْلِل ) التي هي للمبالغة منقولة من باب الصفة المشبهة، فهي أصلاً من الصفة المشبهة وهو ما أشار إليه د. فاضل السامرائي بقوله " و توضيح الأمر أن هذا البناء - أي فَعْلِل - منقول من ( فَعْلِل ) الذي هو من أبنية الصفة المشبهة أيضاً " (٢).

ويأتي دور السياق في هذه الحالة للتفريق بين المعنيين في الكلمات التي تأتي على صيغة (فعليل) ومما جاء قول رسول الله ﷺ: « الشُّهَدَاءُ حَمْسَةٌ الْمَطْعُونُ، وَالْمَبْطُونُ، وَالْعَرْقُ وَصَاحِبُ الْهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » (٣).

يؤكد السياق أن معنى شهيد هو المبالغة فكلمة الشهيد ليست صفة ثابتة في الشخص. وفي اللسان: "الشهيد من أسماء الله، الأمين في شهادته، وقيل: الشهيد: الذي لا يغيب عن علمه شيء، والشهيد: الحاضر، وفعليل من أبنية المبالغة في فاعل" (٤).

(١) المقتضب ٤١٣/٢ .

(٢) معاني الأبنية للدكتور فاضل السامرائي ٦٤ .

(٣) صحيح مسلم ٣ / ١٥٢١ رقم الحديث: (١٩١٤).

(٤) لسان العرب مادة (ش ه د) .

وجاء في البحر المحيط: " لفظ شهيد للمبالغة، كأنهم أمروا بأن يستشهدوا من كثرت منه الشهادة، فهو عالم بمواقع الشهادة، وما يشهد فيه لتكرير ذلك منه فأمرؤا بطلب ذلك " (١)

وقد يظهر من السياق اشتراك هذه الصيغة مع الصفة المشبهة في البنية -وتشترك معها في المعنى أيضاً، وهو ما يشير إليه ابن طلحة بأن (فَعِيلًا): " هو لمن صار له كالطبيعة وقيل لمن صار كالعادة " (٢)، فتكرار وقوع الفعل يجعله كالطبيعة له، ومما ورد من ذلك قول رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: « قَامَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ خَطِيْبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ فَقَالَ أَنَا أَعْلَمُ . قَالَ فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرِدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ " (٣).

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: "أَوْصَانِي خَلِيلِي بِثَلَاثٍ لَا أَدْعُهُنَّ حَتَّى أَمُوتَ " (٤).

فخطيب: لكثرة خطابه صارت له كالطبيعة. والخليل كذلك صار لكثرة ملازمته .

وكما ميّز السياق معناها حينما تأتي للدلالة على الصفة المشبهة باسم الفاعل، لتدل على الثبوت والدوام (٥)، بينها أيضا حينما ترد بمعنى (مُفْعِلٍ)، أو (مَفْعُولٍ)، و(مفاعِلٍ)، وذلك إذا قُصِدَ بـ(مُفْعِلٍ)، و(مفعولٍ)، و(مفاعِلٍ) الدلالة على الثبوت والدوام، حيث تستخدم العرب "فَعِيلًا" بمعنى "مُفْعِلٍ"، إذا أرادوا الثبوت في الصفة، كقوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٦).

أي: مُبْدِعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فبديع "فَعِيلٌ" لفظاً، ومعناه "مُفْعِلٌ"، والإبداع: إنشاء صنعة بلا احتذاء ولا اقتداء (٧)، فهو مبدعها سبحانه، وصانعها على غير احتذاء سابق.

(١) البحر المحيط ٣٤٥/٢

(٢) همع الهوامع: ٥٩/٣ .

(٣) سبق تخريجه ص: ٢٢ من البحث.

(٤) صحيح مسلم: ٦٨/٣ رقم ١١٧٨ .

(٥) (شرح ابن عقيل) على ألفية ابن مالك، ١٤١/٢ .

(٦) سورة البقرة آية: ١١٧ .

(٧) المفردات ٣٨ مادة (ب د ع).

ومثله عن النبي ﷺ قَالَ: « إِنَّ مَثَلِي وَمَثَل مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بَعِثَنِي وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ فَالْنَّجَاءُ » .<sup>(١)</sup>

قال الميداني: "أما قولهم: "أنا النذير العريان.. " فالنذير، بمعنى المنذر، كالسميع، بمعنى "المسمع"<sup>(٢)</sup>.

وقد جاء على صيغة "مفعيل" في قول الشاعر:

أنا المنذر العريان ينذر قومه إذا الصّدق لا ينذر لك التوب كاذب<sup>(٣)</sup>

ولكنهم في المثل لما أرادوا ثبوت الصفة فيه جاؤوا بها على "فعل" بدلاً من "مفعيل"...

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُرَكِّبُهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"<sup>(٤)</sup>.

ومثله قوله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعاً قَرِيباً وَهُوَ مَعَكُمْ"<sup>(٥)</sup>.

يقول ابن يعيش: "فعليل بمعنى مفعيل كثير، قالوا: (عذاب أليم) بمعنى مؤلم، وداع سميع بمعنى: مُسْمِع"<sup>(٦)</sup>.

ومن ذلك "المسيح" في قوله عن ابن عمر أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ الدَّجَالَ بَيْنَ ظَهْرَانِي النَّاسِ فَقَالَ: « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ . أَلَا وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ »<sup>(٧)</sup>.

ف(فعليل) بمعنى (مفعول) وهي تدل على الثبوت.. وتسمى المسيح مسيحاً : لِأَنَّ عَيْنَهُ مَمْسُوحَةٌ عَنْ أَنْ يُبْصَرَ بِهَا<sup>(٨)</sup>.

(١) صحيح مسلم: ١/١٧٨٨ رقم الحديث (٢٢٨٣).

(٢) هذا المثل أصله: إن الرجل إذا رأى الغارة قد فجأهم، وأراد إنذار قومه تجرد من ثيابه، وأشار بها ليعلم أنه قد فجأهم أمر، ثم صار مثلاً لكل أمر تخاف مفاجأته، ولكل أمر لاشبه فيه. مجمع الأمثال: ١/٨٣.

(٣) لسان العرب مادة (ن ذ ر).

(٤) صحيح مسلم ١/١٠٢ رقم الحديث (١٠٦).

(٥) المرجع السابق: ٤/٢٠٧٦، رقم الحديث: (٢٧٠٤).

(٦) شرح المفصل: ٤/٩٣، وينظر: البحر المحيط: ١/٥٩.

(٧) سبق تخريجه ص: ١٢٥ من البحث.

(٨) لسان العرب، ٦/٤١٩٧ (م س ح).



وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَمَثَلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ فَحَامِلِ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُخْذِيكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ يَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً وَنَافِخِ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يُجْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ يَجِدَ رِيحاً خَبِيثَةً» (١).

فالسّياق بيّن في أن جليس اسم الفاعل بمعنى (مجالس) (٢).

ومن الباحثين (٣) مَنْ يرى أَنَّ التَّحْوِيلَ فِي هَذِهِ الصِّيغِ إِنَّمَا هُوَ لِعَرَضِ دَلَالِيٍّ، وَذَلِكَ إِذَا أُرِيدَ أُرِيدَ بِهِ الْمُبَالَغَةُ فِي الْوَصْفِ، لِأَنَّ "فَعِيلًا" أَبْلَغُ مِنْ "مَفْعُولٍ" "فَجَرِيحٌ" لَا يُقَالُ إِلَّا لِمَنْ كَانَ جَرَحُهُ بَلِيغًا، أَمَا مَا كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ فَيُقَالُ لَهُ بِمَجْرُوحٍ، ثُمَّ إِنْ فَعِيلًا يَدُلُّ عَلَى ثُبُوتِ الصِّفَةِ فِي صَاحِبِهَا وَلِهَذَا كَانَ الْوَصْفُ بِهَا أَثْبَتَ مِنْ (مَفْعُولٍ)، وَأَقْوَى مِنْهُ وَأَبْلَغُ. (٤).

فَالذَّبِيحَةُ تَخْتَلِفُ عَنِ الْمَذْبُوحِ، لِأَنَّهَا تَعْنِي مَا أَعَدَّ لِلذَّبْحِ، أَمَا الْمَذْبُوحُ، فَهُوَ مَا ذُبِحَ فَعَلًا (٥).

إِنَّ هَذِهِ الصِّيغَةَ لَيْسَ لَهَا مَعَانِي غَيْرُ الْمَعَانِي الْمُبَاشِرَةِ، وَلَكِنْ إِذَا تَعَمَّقْنَا، تَظْهَرُ مَعَانِي عَمِيقَةٌ خَلَقَهَا السِّيَاقُ.

ويقرر السياق مجيء هذه الصيغة للدلالة على الصفة المشبهة في الحديث عن عائشة - رضي الله عنها - قَالَتْ: "لَمَّا نَقَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ بِلَالٌ يُؤَذِّنُهُ بِالصَّلَاةِ فَقَالَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ وَإِنَّهُ مَتَى يَقُمْ مَقَامَكَ لَا يُسْمِعُ النَّاسَ فَلَوْ أَمَرْتُ عُمَرَ فَقَالَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ" (٦).

فالسّياق أوضح أن أبا بكر - رضي الله عنه - رجلٌ أسيفٌ؛ فهي صفة واضحة تلازمه والرجل الأسيف: سريع الحزن، رقيق القلب (٧).

(١) صحيح مسلم: ٤/٢٠٢٦، رقم الحديث: (٢٦٢٨).

(٢) ينظر: الكافية ٢/٢٠٢.

(٣) د. محمود سليمان يا قوت، ظاهرة التحويل في الصيغ الصرفية، (الإسكندرية، ١٩٨٦م)، ص: ٧٨.

(٤) معاني الأبنية في العربية، د. فاضل صالح السامرائي، (لبنان: بيروت، ١٩٨١م) ص: ٦١-٦٢.

(٥) المرجع السابق: ص ٦١-٦٢.

(٦) صحيح مسلم ١/٣١١ رقم الحديث (٤١٨).

(٧) القاموس: مادة (أ س ف).

رابعاً :- الوحدة الصرفية (فعول):

يقول المبرد في صيغة فعُول : "تقول هو ضروب زيداً، إذا كان يضربه مرة بعد مرة" (١)، وجاء مرة" (١)، وجاء في الهمع أن "فَعُولاً" لمن كثر منه الفعل (٢) .

والوحدة الصرفية (فعول) تشترك بين صيغة المبالغة والصفة المشبهة، ومما ورد في صحيح مسلم من حديث المغيرة قال: "قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ فَقِيلَ أَلَيْسَ قَدْ عَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فقال: أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا" (٣) .

وقوله صلى الله عليه وسلم " خَمْسُ فَوَاسِقَ يُقْتَلَنَ فِي الْحَرَمِ: الْفَأْرَةُ، وَالْعَقْرَبُ وَالْحَدْيَا، وَالغُرَابُ وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ " (٤) . .

وجهنا السياق إلى أن شَكُور ، و عَقُور: تدل على من كثر منه الفعل وأنه يفعله مرة بعد مرة.

وحدها السياق في موقع آخر بالصفة المشبهة من ذلك عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: اسْتَأْذَنْتُ هَالَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ فَارْتَاخَ لَذَلِكَ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ». فَعِزْتُ فَقُلْتُ: «وَمَا تَذُكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ حَمْرَاءِ الشُّدْقَيْنِ هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ فَأَبْدَلَكِ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا» (٥) .  
فعجوز صفة مشبهة.

ويصرف السياق معنى رسول إلى مرسل بدون مبالغة وإن كان على وزنها، والأصل أن يدل اللفظ على المبالغة كما في قول رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» (٦) .

(١) المقتضب ٢/ ٤١٢ .

(٢) همع الهوامع : ٣/ ٥٩ .

(٣) صحيح مسلم: ٤/ ٢١٧٢ رقم الحديث (٣٨١٩) .

(٤) المرجع السابق: ٢/ ٨٥٧ رقم الحديث (١١٩٨) .

(٥) المرجع السابق ٤/ ١٨٨٩ رقم الحديث (٢٤٣٧) .

(٦) المرجع السابق : ١/ ٣٧ رقم الحديث (٨) .

يقول المبرد: "وليس رسول مكثراً من مرسل؛ لأن رسولاً قد يستقيم أن يكون أرسل مرة واحدة، فليس للمبالغة" (١).

#### خامساً : الوحدة الصرفية (مَفْعَل) :

الأصل في هذه الصيغة - مَفْعَل - للزمان والمكان والمصدر ولكن قد يبرزها السياق في ثوب جديد، وتوجه لمعنى المبالغة، أي أنها ليست أصلية في المبالغة، بل محولة عن المكان والزمان وهذا ما يشهد به السياق .

ومما جاء منها : مولى في مثل قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ( أَيُّمَا عَبْدٍ أَبَقَ مِنْ مَوَالِيهِ فَقَدْ كَفَرَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ ) (٢).

يقول أبو حيان: "المولى مَفْعَل من ولي يلي، يكون للمصدر والزمان والمكان، فإذا أريد به مالك التدبير والتصريف أو السيد أو الناصر أو غير ذلك، فأصله المصدر سمي به، وغلبت عليه الاسمية" (٣).

وعينها السياق للمكان في قول رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِبًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ " (٤).  
فالقعد المكان الذي أعد للجلوس.

#### سادساً: الوحدة الصرفية (فَعْلَان):

وهي من الصيغ المشتركة بين الصفة المشبهة والمبالغة، فالصفة المشبهة مثل: عطشان وظمان،... إلخ، أما استخدامها للمبالغة فمنقول من الصفة المشبهة، وهذه الصيغة مكونة من جزأين هما: (فعل وان)؛ ثم سلبت حركة العين لتوالي الحركات فتحوّلت البنية إلى فعْلَان (٥).

(١) المقتضب ٢/ ٤١٥ .

(٢) صحيح مسلم ١/ ٨٣، رقم الحديث: (٦٨) .

(٣) البحر المحيط لأبي حيان ٤/ ٢٧٦ .

(٤) صحيح مسلم: ١٠/١ رقم الحديث: (٢).

(٥) ينظر: الصفة المشبهة في العربية (دراسة وصفية تاريخية في ضوء علم اللغة الحديث)، رسالة دكتوراه، آداب بني سويف،

(١٩٩٩م) عبدالعظيم العجمي، ص: ١٥٩.

يقول ابن جني: " وعلى ذلك قالوا في فعلان من قويت: قَويَان فإن أسكنوا صححوا العين أيضاً: فقالوا قَويَان" (١) .

والذي حدث في قَويَان سلب حركة العين فتحولت إلى (قَويَان ) فاستعمال اللاحقة (إن) يدل هنا على المبالغة في الفعل وفي اللسان: " وفَعْلَان من أبنية المبالغة " (٢)

وبما أن هذه الصيغة مشتركة فالسياق قد تولى تحديد المقصود منها. ففي قوله ﷺ: « إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنِ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَكَلَّمَا يَدِيهِ يَمِينُ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وُلُوا » (٣).

فالرحمن بنيت هذه الصيغة على فَعْلَان؛ لأن معناه الكثرة لأن رحمته وسعت كل شيء وهو أرحم الرحمين " (٤) .

وأما غضبان فيظهر السياق على أنها صفة مشبهة، من ذلك عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « لَا يَحْكُمُ أَحَدٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانٌ » (٥) .

سابعاً: الوحدة الصرفية (فَعَال) :

من الصيغ الدالة على المبالغة صيغة: (فَعَال)، يقول المبرد: "فإن أردت أن تكثر الفعل كان للتكثير أبنية: فمن ذلك (فَعَال) تقول: رجل قتال، إذا كان يكثر من القتل، فأما قاتل فيكون للقليل والكثير؛ لأنه الأصل، وعلى هذا تقول: رجل ضرباب وشتام" (٦).

يظهر السياق كل ماجاء في الحديث من فَعَال للمبالغة، من ذلك عَنْ أَبِي نُؤْفَلٍ رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ عَلَى عَقَبَةِ الْمَدِينَةِ - قَالَ - فَجَعَلَتْ قُرَيْشٌ تَمُرَّ عَلَيْهِ وَالنَّاسُ حَتَّى مَرَّ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ فَوَقَّفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أبا حُبَيْبِ السَّلَامِ. عَلَيْكَ أبا حُبَيْبِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ أبا حُبَيْبِ. أما وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنهَاكَ عَنْ هَذَا. أما وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنهَاكَ عَنْ هَذَا. أما

(١) الخصائص: ٩٠/٣.

(٢) لسان العرب ١٦١٢/٣ (ر ح م)

(٣) صحيح مسلم: ١٤٥٨/٣ رقم الحديث: (١٨٢٧)

(٤) لسان العرب مادة: ( ر ح م ) .

(٥) صحيح مسلم: ١٣٤٢/٣، ١٣٤٣ رقم الحديث: (١٧١٧).

(٦) المقتضب: ١١٢/٢.

وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنهَآكَ عَنْ هَذَا. أَمَا وَاللَّهِ إِن كُنْتُ مَا عَلِمْتُ صَوَاماً قَوَاماً وَصُولاً لِلرَّحِمِ. أَمَا وَاللَّهِ لَأُمَّةٌ أَنْتَ أَشْرُهَآ لَأُمَّةٌ خَيْرٌ. ثُمَّ نَفَدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ فَبَلَغَ الْحُجَّاجَ مَوْقِفُ عَبْدِ اللَّهِ وَقَوْلُهُ: فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَأَنْزَلَ عَنْ جِذْعِهِ فَأَلْقَى فِي قُبُورِ الْيَهُودِ. ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُمَّهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ فَأَبَتْ أَنْ تَأْتِيَهُ، فَأَعَادَ عَلَيْهَا الرَّسُولَ لَتَأْتِيَنِي أَوْ لِأُبْعَثَنَّ إِلَيْكَ مِنْ يَسْحَبِكِ بِقُرُونِكَ، - قَالَ - فَأَبَتْ وَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَا آتِيكَ حَتَّى تَبْعَثَ إِلَيَّ مَنْ يَسْحَبُنِي بِقُرُونِي - قَالَ - فَقَالَ: أُرُونِي سِبْتِي. فَأَخَذَ نَعْلَيْهِ ثُمَّ انْطَلَقَ يَتَوَدَّفُ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهَا فَقَالَ: كَيْفَ رَأَيْتَنِي صَنَعْتُ بِعَدُوِّ اللَّهِ؟ قَالَتْ: رَأَيْتُكَ أَفْسَدْتَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ، وَأَفْسَدَ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ بَلَّغَنِي أَنَّكَ تَقُولُ لَهُ: يَا ابْنَ ذَاتِ النَّطَاقَيْنِ. أَنَا وَاللَّهِ ذَاتِ النَّطَاقَيْنِ أَمَا أَحَدُهُمَا فَكُنْتُ أَرْفَعُ بِهِ طَعَامَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَعَامَ أَبِي بَكْرٍ مِنَ الدَّوَابِّ، وَأَمَا الْآخَرُ فَنِطَاقُ الْمَرْأَةِ الَّتِي لَا تَسْتَعْنِي عَنْهُ أَمَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنَا: « أَنْ فِي تَقْيِيفِ كَذَاباً وَمُبِيراً » . فَأَمَّا الْكَذَابُ فَرَأَيْنَاهُ وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلَا إِخَالَكَ إِلَّا إِيَّاهُ - قَالَ - فَقَامَ عَنْهَا وَلَمْ يُرَاجِعْهَا (١).

فصوام وقوام وكذاب صيغ مبالغة تدل على التكرير.

وهذه الصيغة تأتي فيما يدل على فعل الشيء وقتاً بعد وقت و على الحرفة والصناعة (٢) ومن ذلك حديث عبدالله بن عمر -رضي الله عنه- قال: " أَمَا وَاللَّهِ إِن كُنْتُ مَا عَلِمْتُ صَوَاماً قَوَاماً وَصُولاً لِلرَّحِمِ. أَمَا وَاللَّهِ لَأُمَّةٌ أَنْتَ أَشْرُهَآ لَأُمَّةٌ خَيْرٌ " (٣).

ويمكن حصر معاني باقي ما ورد من (فَعَال) في صحيح مسلم بين هذين المعنيين فمثلاً قوله صلى الله عليه وسلم: " لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ " (٤).

وقوله صلى الله عليه وسلم: " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيباً مِنْ ثَلَاثِينَ ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ " (٥).

وعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « مَنْ أَتَى عَرَّافاً فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أُرْتَعِبَ لَيْلَةً » (٦).

(١) صحيح مسلم: ٤/١٩٧١، ١٩٧٢، رقم الحديث: (٢٥٤٥).

(٢) الفروق اللغوية ، ١٢ ، ١٣ .

(٣) سبق تخريجه في نفس الصفحة.

(٤) صحيح مسلم ١/١٠١ رقم الحديث: (١٠٥).

(٥) المرجع السابق: ٤/٢٢٣٩، ٢٢٤٠، رقم الحديث: (٢٩٢٤).

(٦) المرجع السابق: ٤/١٧٥١، رقم الحديث: (٢٢٣٠).

ف(قَتَات) أي نمام ، ودجّال ، وكذاب ، وعَرَاف الواردة في الأحاديث ، كأنها تدل على الحرف فكأنما القتات شخص حرفته النميمة ، والدجال : من حرفته الدجل والكذاب : من حرفته الكذب، والعَرَاف : من حرفته الشعوذة، وتدل أيضاً على فعل الشيء وقتاً بعد وقت ، فالقتات يفعل ذلك وقتاً بعد وقت .

ثامناً:الوحدة الصرفية (مفعول):

صيغة مفعول أصلاً لاسم المفعول ، ويعرف المبرد اسم المفعول بأنه: "الجاري على الفعل المضارع الذي معناه (يفعل) <sup>(١)</sup> .

أما ابن الحاجب فقد عرفه بقوله: "ما اشتق من فِعْلٍ لمن وقع عليه" <sup>(٢)</sup> . و الأشموني -رحمه الله- (ت: ٩١٨ هـ) فقد عرفه بقوله: "ما دل على الحدث ومفعوله" <sup>(٣)</sup> .

فاسم المفعول في التعريفات السابقة يدل على (الحدث أو الفعل) بالإضافة إلى (من وقع عليه الفعل) وذلك في كلمة واحدة اختصاراً.

ويأتي السياق اللغوي؛ لتأكيد معنى الصيغة، فيرى أن ما جيء منها قد يدل على الصفة، أو الثبوت نحو قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مُوسَى آدَمَ طَوَالَ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَاءَ وَقَالَ: عَيْسَى جَعْدَ مَرْبُوعٍ" <sup>(٤)</sup> .

وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ( مَرْبُوعٌ ) فَقَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ هُوَ الرَّجُلُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ فِي الْقَامَةِ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ وَلَا بِالْقَصِيرِ الْحَقِيرِ <sup>(٥)</sup>

وقد يدل على الثبوت أو الصفة لقريظة بالإضافة، وذلك نحو حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرٌ الْعَيْنَيْنِ، مُشْرِفٌ الْوَجْهَتَيْنِ، نَاشِزُ الْجَبْهَةِ، كَثُّ اللَّحْيَةِ، مَخْلُوقُ الرَّأْسِ.....» <sup>(٦)</sup> .

(١) المقتضب ٢ / ٤١٥ . وانظر شرح المفصل : ٦ / ٨٠ .

(٢) شرح الكافية : ٢ / ٢٠٢ .

(٣) شرح الأشموني : ١ / ٥٦٤ .

(٤) صحيح مسلم ١ / ١٥١ ، رقم الحديث: (١٦٥) .

(٥) المنهاج: ٤٧/٢، وينظر: تهذيب اللغة مادة: (ر ب ع) .

(٦) سبق تخريجه ص: ٨٣ من البحث .

تاسعاً: الوحدة الصرفية (مفعِل):

-السياق هو المسؤول عن تحديد معنى هذه الصيغة ،وهي في الأصل للدلالة على الزمان والمكان، ومما جاء من مكسور العين ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: " فوضع المنشار في مَفْرَق رأسه فشقه حتى وقع شقاه ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فأبى ..... " (١)

فَمَفْرَقٍ اسْمٌ لِلْمَكَانِ.

وقد يوجهها السياق للدلالة على المصدر ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: " إياكم والجلوس في الطرقات قالوا يا رسول الله ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه قالوا وما حقه قال غرض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " (٢) فالجلس يقصد به الجلوس.

عاشراً: الوحدة الصرفية (مُفْعِل):

وقال صلى الله عليه وسلم : "المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ " (٣) .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « فِي أَصْحَابِي اثْنَا عَشَرَ مُنَافِقًا ، فِيهِمْ ثَمَانِيَّةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْجَأَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ثَمَانِيَّةٌ مِنْهُمْ تَكْفِيكُهُمُ الدَّبِيلَةَ وَأَرْبَعَةٌ » (٤) .

(١) صحيح مسلم : ٤/٢٣٠، رقم الحديث (٣٠٠٥) .

(٢) المرجع السابق : ٤/١٧٠٤، رقم الحديث : (٢١٢١) .

(٣) المرجع السابق : ١/٩٦، رقم الحديث (١٠) .

(٤) المرجع السابق : ٤/٢١٤٣، رقم الحديث : (٢٧٧٩) .

فالمسلم والمنافق: صفتان تدلان على الثبوت والاستمرار، و ليس على التجدد والحدوث ،  
فلا يتصف المسلم والمنافق بهتان الصفتان إلا إذا دامت منه.  
وبعد فإن الوحدة الصرفية لا يظهر معناها المراد من حيث هي صيغة بل بما يضيف عليها  
السياق.



المبحث الثالث

أثر السياق في صيغ الزمن الفعلية

إن الجملة في العربية تتألف من أقسام؛ ومنها الفعل الذي عرفه النحاة بأنه: ما دل على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة<sup>(١)</sup>، وقسموه إلى ثلاثة أقسام هي: "ماضٍ وهو ما دل على الزمن الماضي، ومضارع وهو ما دل على زمن الحاضر أو المستقبل، وجعلوا القسم الثالث وهو الأمر يدخل ضمن الدلالة على زمن المستقبل. يقول سيويوه: "وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع"<sup>(٢)</sup>.

"فالنحاة قسموا الفعل على أساس تقسيم الزمن الفلسفي، وهو الماضي والحاضر والمستقبل، وخصوا كل زمن بصيغة معينة، هو معناها في حالة الأفراد والتساوق على السواء"<sup>(٣)</sup> السواء"<sup>(٣)</sup>

وذهب ابن يعيش إلى أن الألفاظ أدلة على المعاني وقوالب لها، وإنما اعتنوا بها وأصلحوها لتكون أذهب في الدلالة. ولما كان المعنى يكون في أحوال كثيرة كمعنى المضي والحال والاستقبال والفاعلية والمفعولية وغيرها، وكانت الحاجة إلى الدلالة على كل حال ماسة لم يكن بد من لفظ خاص يدل على ذلك المعنى بعينه، فلهذا وجب التصريف واختلاف الأبنية بالزيادة والنقص والتغيير ونحو ذلك، ليدل كل لفظ على المعنى المراد، نحو: ضرب يضرب اضرب، لا تضرب، ضارب، مضروب..."<sup>(٤)</sup>.

وذهب بعض الباحثين المعاصرين إلى أن الأولى بالنحاة عدم التركيز على الزمن في صيغة الفعل، فالسياق يلعب دوراً كبيراً في معنى الفعل، يقول فاضل الساقى: "إنه كان على النحاة

(١) ينظر شرح شذور الذهب ص: ١٤.

(٢) الكتاب، ١٢/١.

(٣) أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، د.فاضل مصطفى الساقى، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٧٧م) ص:

٢٣١.

(٤) ينظر: شرح الملوكي في التصريف ص: ٩٥-٩٦.

أن يدركوا أن الأفعال مجرد صيغ وألفاظ تدل على زمن ما، هو جزء من معنى الصيغة لا على زمن معين، وأن السياق أو الظروف القولية بقرائنها اللفظية والحالية هي وحدها التي تعين الدلالة الزمنية وترشحها لزمن بعينه<sup>(١)</sup>.

ولن يتتبع البحث تصريف هذه الأفعال؛ لأن ذلك من اختصاص علم الصرف، والغرض من البحث تأكيد دور السياق في بيان معنى هذه الصيغ الصرفية داخل التركيب في أغلب أحوالها.

فالصيغة الصرفية، وهي في حالة إفراد تختلف عنها وهي في حالة تركيب، أي داخل سياق تخضع فيه المفردات لعلاقات جديدة. وهذا ما نوه به د. أحمد كشك تحت عنوان "السياق والفهم الصرفي"، حيث يقول: "إن الصيغة الصرفية وإن كانت كلمات مفردة فإن تحديدها ومعرفتها لن يتم إلا بمعاونة التركيب كله أي بمعاونة السياق فسلوك الصيغ حالة الإفراد يختلف تماماً عن سلوكها داخل سياق تخضع فيه هذه المفردات لعلاقات جديدة تحدد صورتها"<sup>(٢)</sup>.

والبحث لا يعنى بالصيغ مفردة خارج السياق اللغوي بل يسلط الضوء على أثر السياق في إبراز المعنى المراد من الصيغة، ويمكن تناول ذلك كالتالي:

#### صيغة (يفعل) والزمن :

خص النحاة (يفعل) بالمضارع، وهي ليست قائمة على الزمن وإنما لمضارعها أسماء الفاعلين ولدخول السين وسوف عليها، كما تلحق الألف واللام الأسماء النكرة، وأن كلا منهما تخصصه للمستقبل بعد أن كان مشتركا بينه وبين الحال، فهو يشبه في ذلك الاسم النكرة الذي كان مدلوله عاما فتخصص بدخول (ال) عليه، ثم في اجتماع المضارع واسم الفاعل في المعنى وفي جريان المضارع في حركاته وسكناته مجرى اسم الفاعل ووقوعه صفة كوقوع

(١) أقسام الكلام العربي، ص: ٢٣٢.

(٢) الصيغة الفعلية ص: ٣٨.

اسم الفاعل<sup>(١)</sup>، فتقول : مررت برجل ينيكي، كما تقول : مررت برجل باك، ومن أجل ذلك كان المضارع معرباً؛ لأن الاسم معرب بالأصالة والمضارع فرع عليه، وقد رفض الكوفيون هذه المضارعة، لأنه عندهم معرب بالأصالة لا بالمشابهة، وذلك لأنه تدخله المعاني المختلفة التي تحتاج للأعراب لبيانها<sup>(٢)</sup>، ويذهب الكثير من النحاة إلى أن الفعل المضارع يفيد زمن الحال إذا إذا خلا من القرائن<sup>(٣)</sup>.

وهو ليس مرتبطاً بزمن محدد، ولا يكاد يستقر على دلالة زمنية واحدة من خلال صيغته ولا يتحدد معناها إلا بفهم السياق نحو: هو يقرأ، يحتمل فيه الحال كما يحتمل فيه الاستقبال، وقد يأتي الفعل المضارع في الحديث النبوي الشريف مناسباً لزمن الصيغة فيجيء دالاً على الحال ويوجه معناها للحال بحسب السياق في مواطن منها :

- اقترانه بظرف يدل على الحال مثل (الآن)<sup>(٤)</sup>: وما في معناه كالحين والساعة فعن أبي هريرة قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ سَمِعَ وَجِبَةً فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « تَذَرُونَ مَا هَذَا ». قَالَ قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: « هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفاً فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا »<sup>(٥)</sup>.

فحديث الرسول صلى الله عليه وسلم للصحابة وسماع الصوت وقوله يهوي وأخبارهم عن سر ذلك الصوت يظهر السياق أنها في تلك اللحظة، ثم إن اقتران الفعل بـ (الآن) قرينة أخرى تدل على حالة الفعل المضارع .

وقال رسول الله -ﷺ-: « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَالٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَالٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي

(١) ينظر: الكتاب : ١ / ١٤، ١٥، وشرح الكافية : ٢ / ٢٢٦ وما بعدها .

(٢) ينظر: الزمن في النحو العربي، د. كمال بدري، (المملكة العربية السعودية، الرياض: ط: ١، ١٤٠٤هـ) ص : ١٤٢، ١٤٣-١٤٤ .

(٣) ينظر: شرح الكافية : ١ : ٢١، ومع الهوامع : ١ / ٣٢ .

(٤) ينظر: شرح الكافية : ٢ : ٢٣١، مع الهوامع : ١ / ٣٢. والفعل والزمن، عصام نور الدين، (لبنان: صيدا: المؤسسة الجامعية، المكتبة العمرية، ط: ١، ١٩٦٤م) : ٧٣ .

(٥) صحيح مسلم ٤ / ٢١٨٤، ٢١٨٥ رقم الحديث ( ٢٨٤٤ ) .

أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً» (١).

قوله تعالى في الحديث القدسي: " وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي " أي أن الله سبحانه وتعالى مع ابن آدم ويذكره في نفس الوقت الذي يذكر فيه رب العزة والجلالة. فسياق الحديث يدل على هذا المعنى واقتران الحديث بـ(حين) يؤكد هذا المعنى .

ويوجه السياق معنى الحديث التالي للحال بمعونة القرائن الأخرى (اليوم). قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنَّهُ لَيَعَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ » (٢) .  
وهناك مواضع كثيرة لتوجيه معناها إلى الحال (٣).

والسياق يحدد صيغة الزمن في الفعل، ويرشحها للمستقبل بتقييدها بزمن معين كما ذكرنا؛ من ذلك: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبَشْرٌ أَمْلَحُ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرِيئُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟، قَالَ فَيَشْرِيئُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيَذْبَحُ ثُمَّ يُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ » (٤).

فالموت الذي يجاء به في المستقبل يوم القيامة، وهذا يصرفه عن معنى الحالية. ومثله عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاءَ غُرَاءَ غُرَاءً ». قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ النَّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالَ ﷺ: « يَا عَائِشَةُ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ » (٥).

(١) صحيح مسلم : ٢٠٦١/٤ رقم الحديث ( ٢٦٧٥ ) .

(٢) سبق تخريجه ص: ١١٥ من البحث.

(٣) وقد يفيد الحال إذا اقترن بـ ( قد ) ، إذا نفي بـ ( إن ) ، لأنها موضوعة لنفي الحال، إذا نفي بـ ( ما ) ، لأنها موضوعة لنفي الحال عند الجمهور وغيرها كثير. ينظر: همع الطوامع: ٣٢/١.

(٤) صحيح مسلم : ٢١٨٨/٤ رقم الحديث ( ٢٨٤٩ ) .

(٥) المرجع السابق: ٢١٩٤/٤ رقم الحديث ( ٢٨٥٩ ) .

ومنه قوله ﷺ: «إِنْ طَالَتْ بِكَ مُدَّةٌ أَوْ شَكْتَ أَنْ تَرَى قَوْمًا يَغْدُونَ فِي سَخَطِ اللَّهِ وَيُزْوَخُونَ فِي لَعْنَتِهِ فِي أَيْدِيهِمْ مِثْلُ أَذْنَابِ الْبَقَرِ» (١).

- يوجه السياق معنى الفعل المضارع للاستقبال إذا سبق بأحد حرفي التنفيس السين وسوف ومعنى (حرف تنفيس) حرف توسيع ويطلق على السين وسوف حرفا استقبال (٢)، وتدخلان على الفعل المضارع وحده، نحو سوف يفعل، وسيفعل بخلاف الألف واللام، فإنهما يختصان بالاسم والوصف. (٣)، ويوجهان معنى الفعل للمستقبل بمعونة السياق، من ذلك قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَتَكُونُ فِتْنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَشْتَرِفُهُ وَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلْجَأً فَلْيَعُدْ بِهِ» (٤).

فسياق الحديث يوجه معنى الصيغة إلى المستقبل، فالرسول صلى الله عليه وسلم يخبر عن فتن ستقع في المستقبل، ويوجه أمته لطريقة التعامل معها.

- قال النحاة: إن أدوات الشرط توجه معنى الفعل المضارع للاستقبال وإن لم تعمل إلا لو فإنها موضوعة للشرط في الماضي، نحو قوله تعالى: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَغْرَبَاتٍ أَوْ مُدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ (٥)، ويجب أيضا كون

(١) صحيح مسلم : ٢١٩٣/٤ رقم الحديث (٢٨٥٧).

(٢) ينظر: مغني اللبيب: ١٥٨/١، ١٥٩.

(٣) ينظر: المرجع السابق: ١/٦٠ - ١٥٨.

(٤) صحيح مسلم : ٢٢١٢/٤ رقم الحديث: (٢٨٨٦).

(٥) سورة التوبة آية: ٥٧.

الجزء مستقبلاً؛ لأنه لازم الشرط الذي هو مستقبل ، ولازم الشيء واقع في زمانه<sup>(١)</sup> نحو قوله تعالى ﴿إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ بُدُّوا يَعْلَمَهُ اللَّهُ﴾<sup>(٢)</sup>، غير أن بعض المحدثين<sup>(٣)</sup> ينفي ذلك ويقول: "ولا عبرة بما يدعيه النحاة من دلالة فعل الشرط على معنى الاستقبال، فإنهم إنما استنتجوه واستخرجوه من كون الفعلين معلقا أحدهما على الآخر والتعليق في ظاهر أمره يدل على عدم الوقوع، وهذا هو الذي توهموا أنه معنى الاستقبال والفرق واضح بين قولك : أريد أن أزورك في دلالاته على معنى الاستقبال، وقولك : أن تزري أزرك في أن الفعلين ليس مخبراً بهما عن الوقوع في أي من الأزمنة".

وجميل هذا الكلام؛ وكأنه أراد أن يدل دلالة واضحة على قيمة السياق في فهم المعاني والذي يعد من أقواها فمثلاً قال رسول الله ﷺ: «سَتَكُونُ فِتْنُ الْقَاعِدِ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ وَالْقَائِمِ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفُهُ وَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلْجَأً فَلْيَعُدْ بِهِ»<sup>(٤)</sup>.

في قوله: " مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفُهُ وَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلْجَأً فَلْيَعُدْ بِهِ " السياق وجه معنى الفعل للمستقبل فهذه الفتن ستقع في المستقبل بعد زمنه صلى الله عليه وسلم، فسياق الحديث كاملاً هو الذي أرشد إلى هذا المعنى والتي أخبر بها الصادق الصدوق صلى الله عليه وسلم.

إذن السياق هو المسؤول عن تحديد زمن الفعل المضارع في هذه الحالة، ويؤكد ما جاء به النحاة .

وفي بعض الحالات توجه صيغة (يفعل) لمعنى فعل آخر بما يوجهه السياق، وذلك كالتعبير عن الحدث الماضي بالمضارع، والتعبير عن الحدث المستقبل بالزمن الماضي.

(١) ينظر: شرح الكافية : ٢ : ٢٣٢ .

(٢) سورة آل عمران آية: ٢٩ .

(٣) ينظر: الجوارى في كتابه: نحو الفعل، (العراق: بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م). ص:

٥٢، والفعل والزمن : ٨٥ .

(٤) سبق تخرجه ص: ١٤٢ من البحث.

فبرشدنا السياق إلى إفادة المضارع لمعنى الماضي وذلك في المواطن الآتية:

- إذا سبق بـ (لم) أو (لما)، وهي تختص بجزم الفعل المضارع ونفيه، وقلب معناه إلى الماضي<sup>(١)</sup>؛ لأن قلب المعنى هو المعهود والأكثر في كلام العرب<sup>(٢)</sup>.

جاء في حديث الثلاثة الذين تخلفوا قول كعب: "فَهَمَمْتُ أَنْ أُرْتَحِلَ فَأُذْرِكَهُمْ، فَيَا لَيْتَنِي فَعَلْتُ ثُمَّ لَمْ يُقَدَّرْ ذَلِكَ لِي، فَطَفَقْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَحْزُنُنِي أَنِّي لَا أَرَى لِي أُسْوَةً إِلَّا رَجُلًا مَعْمُوصًا عَلَيْهِ فِي النَّفَاقِ، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكًا، فَقَالَ: وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكٍ: « مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ». قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَالنَّظْرُ فِي عِطْفِيهِ. فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بَيْسَ مَا قُلْتَ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا"<sup>(٣)</sup>.

قوله "لم يقدر" و"لم يذكرني" فالسياق يوجه هذا المعنى في الماضي، فهو يحكي تلك الحالة التي انتهت، بالإضافة إلى أن "لم" تقلب معنى الفعل المضارع إلى الماضي.

فإتيان المضارع في السياق على معنى حدث قد مضى وانتهى، والفعل المضارع في هذه الحالة يقصد به استحضار الصورة للحدث الماضي، وكأنه أمر مشاهد بارز للعيان، يقول ابن الأثير: "واعلم أن الفعل المستقبل إذا أتى به في حالة الإخبار عن وجود الفعل، كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي، وذلك لأن الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها، وليس كذلك الفعل الماضي"<sup>(٤)</sup>.

ومثله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ »<sup>(٥)</sup>.

وهو ما ذهب إليه ابن جني إذ قال: "ومنه قولهم: لم يقم زيد، جاءوا فيه بلفظ المضارع وإن كان معناه الماضي؛ وذلك أن المضارع أسبق رتبة في النفس من الماضي، ألا ترى

(١) ينظر: شرح المفصل: ٤/٢٦٣، وورصف الباني ص: ٢٨٠، ٢٨١، والجنبي الداني ص: ١٠٦، ومغني اللبيب: ١/٣٠٥.

(٢) ينظر: شرح الكافية: ٢: ٢٣٢، مغني اللبيب: ١: ٣٠٧، ٣٠٩، همع الهوامع: ١/٣٥، الفعل والزمن: ٨٦.

(٣) سبق تخريجه ص: ٩١ من البحث.

(٤) المثل السائر: ١٢/٢.

(٥) صحيح مسلم ٤/١٩٨٩ رقم الحديث (٢٥٦٨).

أن أول أحوال الحوادث أن تكون معدومة، ثم توجد فيما بعد، فالمضارع معدوم باعتبار أنه لم يقع بعد، أما الماضي فقد وقع وانتهى، فإذا نفي المضارع الذي هو الأصل فما ظنك بالماضي الذي هو الفرع" (١).

- ويوجه السياق معنى الفعل المضارع للمضي كذلك إذا اقترن بـ ( لو ) الشرطية (٢)

نحو قوله تعالى ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَِا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ (٣).

قال سيبويه ( وأما لو فلما كان سيقع لوقوع غيره ) (٤) أما إذا وردت ( لو ) بمعنى

التمني فتصرف الفعل للاستقبال، نحو : ودّ لو تأتيه فتحدثه، وقوله تعالى ﴿ وَدُّوا لَوْ تَدَّهِنُ

فَيُدْهِنُونَ ﴾ (٥) أي ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ، أو ودوا إدهانك فهم الآن

يدهنون لطمعهم في إدهانك (٦)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأمة: "يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَلَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ" (٧).

وقال رسول الله ﷺ : « لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النَّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا » (٨).

فأسلوب التشويق واضح من سياق الحديث؛ حيث بين صلى الله عليه وسلم أنه لو يعلم الناس ما للفضل والأجر العظيم في النداء والصف الأول لتسابقوا عليه في حال فعلهم له في الماضي.

(١) الخصائص، ١٠٥/٣.

(٢) ينظر شرح الكافية : ٢ / ٢٣٢، الفعل والزمن : ٨٦.

(٣) سورة فاطر آية : ٤٥.

(٤) الكتاب : ٢٢٤/٤.

(٥) سورة القلم آية : ٩.

(٦) ينظر الكتاب : ٢٢٤/٤.

(٧) صحيح مسلم : ٦١٨/٢، رقم الحديث : (٩٠١).

(٨) المرجع السابق : ١ / ٣٢٥ رقم الحديث ( ٤٣٧ ) .



قال الطيبي - رحمه الله - (ت: ٧٤٣هـ): "أتى بالمضارع محل الماضي إقامة له مقام ما يستدعيه، إذ المراد ثم حاولوا الاستباق عليه لوجب عليهم ذلك" (١).

وعن ابن عمر يَقُولُ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْثًا وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فَطَعَنَ النَّاسُ فِي إِمْرَتِهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنْ تَطَعْنَا فِي إِمْرَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطَعُونَ فِي إِمْرَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَأَنْتُمْ اللَّهُ إِنْ كَانَ حَلِيقًا لِلْإِمْرَةِ، وَإِنْ كَانَ لِمَنْ أَحَبَّ النَّاسُ إِلَيَّ وَإِنْ هَذَا لِمَنْ أَحَبَّ النَّاسُ إِلَيَّ بَعْدَهُ» (٢).

فسياق الحديث يبين أن طعنكم بأبيه كان في الماضي؛ "فيؤول بإخبار أي: إن تطعنوا فيه فأخبركم بأنكم طعنتم في أبيه، أو بلازمها أو بلازمة عند البيانية أي: إن طعنتم فيه تأثمتم بذلك" (٣).

إذ جاء الفعل المضارع "تطعنون" الدال على الحال مقترناً بـ "كنتم" الدال على الماضي مما يجعل دلالة الفعل المضارع دالة على الزمن الماضي، فالفعل لا يدل على زمن الحدوث وإنما يدل على زمن الإخبار، كما أن للفعل الماضي زمانان؛ زمن حدوث ووقوع، وزمن إخبار عنه، وهو ما أشار إليه الزجاجي - رحمه الله - (ت ٣٣٧هـ) بقوله "والفعل الماضي ما تقضى وأتى عليه زمانان، لا أقل من ذلك، زمان وجد فيه، وزمان خبر فيه عنه" (٤).

-ويوجه السياق معنى صيغة المضارع لصيغة الماضي حين يعبر بالمضارع عن حكاية حال

ماضية، نحو قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ (٥).

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى الكاشف عن حقائق السنن الحسين الطيبي، تحقيق: أبو عبد الله محمد على سميك، (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ١٣/٧.

(٢) صحيح مسلم ٤/ ١٨٨٤ رقم الحديث (٢٤٢٦).

(٣) عقود الزبرجد: ١٢٠/٣.

(٤) الإيضاح في علل النحو، لأبي القاسم الزجاجي، تحقيق: مازن المبارك، (لبنان: دار النفائس، ط: ٣، ١٩٧٩م) ص: ٨٧.

(٥) سورة الكهف آية: ١٧.

وفي حديث سلمة بن الأكوع-رضي الله عنه- " ثُمَّ خَرَجْتُ فِي آثَارِ الْقَوْمِ أَرْمِيهِمْ بِالنَّبْلِ وَأَرْجِزُ أَقُولُ أَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ، وَالْيَوْمَ يَوْمَ الرُّضْعِ، فَأَلْحَقُ رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَصُكُّ سَهْمًا فِي رَحْلِهِ حَتَّى خَلَصَ نَصْلُ السَّهْمِ إِلَى كَتِفِهِ، قُلْتُ خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ، وَالْيَوْمَ يَوْمَ الرُّضْعِ، قَالَ: فَوَ اللَّهُ مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ وَأَعْقِرُ بِهِمْ" (١).

فالسباق يعطي معنى وقوع الحادثة في الزمن الماضي فالصحابي يحكي عن حادثة وقعت وانتهت، فصيغة الفعل وإن كانت مضارعة إلا إن السياق يبين أن معناها حدث مضى وانتهى. قوله: "فَأَلْحَقُ رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَصُكُّ سَهْمًا فِي رَحْلِهِ" قال القرطبي: (ألحق وأصك) مضارعان ومعناها الماضي (٢).

إذن فالسياق يؤدي إلى توليد دلالتين: دلالة صرفية متمثلة في الفعل المضارع الدال على الزمن الحاضر أو الاستقبال، ودلالة سباقية متمثلة في الإشارة إلى الزمن الماضي، فيجمع بين الدلتين ليقال: إنه الماضي بمعنى الحاضر (٣)، أو بعبارة (فندريس) هو: "المضارع التاريخي"، وذلك "استعمال شائع في الحكاية حيث يسمى بالحاضر التاريخي، وفيه يجد المثقفون سحرًا خاصًا، يقولون بأن الحاضر أكثر تعبيراً أو أبلغ حتى ليجعل المنظر يحيا من جديد أمام عيني القارئ، ويرجع بفكرنا إلى اللحظة التي دار فيها الحديث" (٤).

-وقد يضيف السياق على الفعل المضارع دلالة زمنية أخرى: وهي صيغة (افعل). ومما جاء من الجمل الفعلية ذات الفعل المضارع المراد به الأمر؛ أن يسأل المتكلم أو المتكلمون عما يفعلونه، أو يطلبون من المخاطب توجيهها معنا، فيتضمن الرد أمراً لهم بالفعل المضارع (٥) ومنه ما جاء في حديث عن الفتن الذي يرويه حَدِيثُ بِنِّ الْيَمَانِ - رضي الله عنه - يَقُولُ "كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ، وَشَرٌّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ

(١) صحيح مسلم: ٤٣٢/٣ رقم الحديث: (١٨٠٦).

(٢) المفهم: ٦٧٤ / ٣.

(٣) تحولات الأفعال في السياق القرآني وأثرها البلاغي، د. عبدالله الهتاري، ص: ٤.

(٤) اللغة ص: ١٣٨.

(٥) الأمر في صحيح البخاري ص: ٢٤١.

هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ قَالَ: « نَعَمْ » فَقُلْتُ هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ قَالَ: « نَعَمْ وَفِيهِ دَخْنٌ ». قُلْتُ وَمَا دَخْنُهُ؟ قَالَ: « قَوْمٌ يَسْتُنُونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ ». فَقُلْتُ هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ قَالَ: « نَعَمْ دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا ». فَقُلْتُ: « يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا ». قَالَ: « نَعَمْ قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِاللُّسِنَاتِنَا ». قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ قَالَ: « تَلَزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ » (١).

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ ذُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْنِينِي مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ . قَالَ: « تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصِلُ ذَا رَحِمِكَ ». فَلَمَّا أَدْبَرَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنْ تَمَسَّكَ بِمَا أُمِرَ بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ » (٢).

فمعنى الأمر يظهر من سياق الأفعال المضارعة ، ومعناه على الترتيب في الأول: ( الزم ) ، وفي الثاني : (اعبد الله ، أقم الصلاة ، آت الزكاة ، صل رحمك ) .

وَعَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: " لَمَّا كَانَ يَوْمَ حُنَيْنٍ أَثَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أَنَسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ . وَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ؛ فَقَالَ رَجُلٌ: " وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدُ فِيهَا وَجْهَ اللَّهِ " . قَالَ: فَقُلْتُ وَاللَّهِ لِأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ - فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ - قَالَ - فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصَّرْفِ (٣) ثُمَّ قَالَ: « فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ » . قَالَ ثُمَّ قَالَ « يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوْذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ » . قَالَ قُلْتُ لَا جَرَمَ لَا أَرْفَعُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا حَدِيثًا (٤) .

فسياق الحديث يبين أن "يرحم" فعل مضارع معناها الدعاء ، وطلب الرحمة لموسى عليه السلام.

(١) صحيح مسلم : ٣ / ١٤٧٥ رقم الحديث ( ١٨٤٧ )

(٢) المرجع السابق : ١ / ٤٣ رقم الحديث ( ١٣ ) .

(٣) الصَّرْفُ: شيء أحمر يدبغ به الأديم. ينظر: تهذيب اللغة: مادة: (ص ر ف).

(٤) صحيح مسلم : ٢ / ٧٣٩ رقم الحديث: ( ١٠٦٢ ) .

صيغة (فعل) والزمن :

خصّ النحاة صيغة (فَعَلَ) للدلالة على الزمن الماضي دون تحديده، قال سيبويه: (أما بناء ما مضى فـ: ذهب، وسمع، ومكث، وحمد) وقال أيضاً: (أن الفعل يتعدى إلى الزمان، نحو قولك (ذهب)، لأنه أتى لما مضى منه فإذا قال (ذهب) فهو دليل على أن الحدث فيما مضى من الزمان)<sup>(١)</sup>.

وتابعه ابن فارس، وابن الحاجب، وابن يعيش، وغيرهم كثير<sup>(٢)</sup>.

وقال د. عبدالوهاب حسن حمد: "فالملاحظ في هذه التعريفات أن الماضي زمن لا تفريق فيه بين ماضٍ بعيد أو قريب بل تعني حدود مطلقة أو عامة تخص جميع أزمنة الماضي ما لم توجد قرينة تصرفه إلى زمن بعينه، إن الصيغة لا تنبئ عن الزمن بكل مجالاته إلا من خلال السياقات بمعونة القرائن مع السوابق واللواحق، وليست دلالة (فَعَلَ) وقفاً على ما ذكر"<sup>(٣)</sup> ولم يجانب د. عبدالوهاب الصواب في ذلك بدليل الركيزة القوية التي يتركز عليها البحث وهي حديث رسولنا صلى الله عليه وسلم، ومن الأدلة على ذلك:

- قد تدل صيغة (فعل) على نفس زمن الصيغة وهو وقوع الحدث في الزمن الماضي المطلق وهذا الاستعمال هو الغالب على استعمالات (فَعَلَ)، وهو الأصل دون ضبطه وتقييده،

نحو قرأ الرجل الكتاب<sup>(٤)</sup>. فقرأ: فعل حدث في الزمن الماضي، ولكن لا يعرف أي ماضٍ بالتحديد نحو: قول رسول الله ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْرًا، فَنَزَلَ فِيهَا، فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي. فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ فِيهِ حَتَّى رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَإِنَّ لَنَا فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ لِأَجْرًا فَقَالَ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ»<sup>(٥)</sup>.

(١) الكتاب: ١٢/١، ٣٥.

(٢) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة ص: ٨٦، وشرح الكافية: ٢/٢٢٤.

(٣) الفعلية في العربية، (موقع المنشاوي للدراسات والبحوث، ٢٠٠٣، ٢٠٠٤م) ص: ٩.

(٤) ينظر: الفعل والزمن: ٥٤.

(٥) صحيح مسلم: ٤/ ١٧٦١. رقم الحديث: (٢٢٤٤).

فالأفعال قد وقعت في الزمن الماضي "وجد-نزل-شرب-خرج-بلغ-رقى-فسقى-فشكر-فغفر" ولم يظهر لنا الزمن هل هو بعيد أم قريب عندما سرد الرسول صلى الله عليه وسلم هذه القصة لأصحابه.

أما في قوله تعالى ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾ <sup>(١)</sup> وقوله ﴿ قُلْ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ﴾ <sup>(٢)</sup>

فالأحداث قد وقعت في أزمنة مختلفة في الماضي، والذي أخبرنا بقرها أو بعدها من زمن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي وصل إلينا عن طريق الرواة والمؤرخين.

-وقد يظهر السياق صيغة(فعل) دالة على الحدث في الزمن القريب أو الحالي مع تضافر القرائن ، نحو قوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَلَمْ نَجِئْكَ بِالْحَقِّ ﴾ <sup>(٣)</sup> وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: " جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغْتَنِي الْبَارِحَةَ قَالَ: « أَمَا لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ تَضُرُّكَ » <sup>(٤)</sup> فقوله " لَدَغْتَنِي الْبَارِحَةَ" دل الفعل دلالة واضحة على الماضي القريب فهو يخبره عن شيء قد حصل قريباً وقيده بقوله " الْبَارِحَةَ".

وفي قوله: "حِينَ أَمْسَيْتَ" وجه السياق زمن الفعل إلى الزمن الحالي الحاضر مع وجود الظرف "حين".

ومثله قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَالْجَنَّةُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَالنَّارُ » <sup>(٥)</sup>.

وهذا يدل على أن الزمن لم يفهم من الصيغة، وإنما يفهم من خارجها وهو السياق والقرينة <sup>(٦)</sup>. فكلنا يعلم أن الحساب يكون في الآخرة في المستقبل بعد موت الإنسان.

(١) سورة عبس آية: ١-٢.

(٢) سورة البروج آية: ٤.

(٣) سورة البقرة آية: ٧١.

(٤) صحيح مسلم ٤ / ٢٠٨١. رقم الحديث: (٢٧٠٩).

(٥) المرجع السابق ٤ / ٢١٩٩ رقم الحديث (٢٨٦٦).

(٦) ينظر: الزمن في النحو العربي: ١١٠.

وللسياق دور في خروج معاني الأفعال إلى معاني صيغ أخرى، من ذلك حديث طَلْحَةَ بِنِ عُبَيْدِ اللَّهِ يَقُولُ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ بَنِي نَائِرِ الرَّأْسِ... قَالَ فَأَذْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ وَاللَّهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « أَفْلَحَ وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ »<sup>(١)</sup>

قوله: (أفلح إن صدق) فعل ماضٍ أريد به المستقبل<sup>(٢)</sup>.

وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَنْ دَعَا لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَ الْمَلِكُ الْمُؤَكَّلُ بِهِ آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ »<sup>(٣)</sup>.

وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ وَزِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَمَنْ مَسَّ الْحَصَى فَقَدْ لَعَا »<sup>(٤)</sup>.

مما سبق ذكره يتضح مجيء الفعل الماضي في الشرط، في قوله صلى الله عليه وسلم: "غفر" وإن كان مستقبلاً في معناه، وذلك لإظهار الرغبة في حصوله وحثهم على فعله، فكأنه حاصل منهم متقرر، متجاوزاً مسافة الزمن في ذلك ليشد الانتباه إلى الجزاء العظيم. فالجملة السابقة جاء فيها الشرط بلفظ الماضي، والمعنى للمضارع الذي يفيد الاستقبال: "لأن الجواب جاء بأسلوب الشرط، والشرط يقتضي الاستقبال، والنحاة يؤولون فعل الشرط الماضي بالاستقبال<sup>(٥)</sup>." ولكن القصد من مجيء الشرط ماضياً وإن كان معناه الاستقبال، هو إنزال غير المتيقن منزلة المتيقن، وغير الواقع منزلة الواقع<sup>(٦)</sup>.

(١) صحيح مسلم: ٤١/١ رقم الحديث: (١١).

(٢) عقود الزبرجد: ٢٤١/١.

(٣) صحيح مسلم: ٢٠٩٤/٤ رقم الحديث (٢٧٣٢).

(٤) المرجع السابق ٥٨٨/٢ رقم الحديث: (٨٥٧).

(٥) ينظر: شرح التصريح، ٢٤٩/٢، وحاشية الصبان، ١٦/٤.

(٦) معاني النحو، ٥٦/٤.

يقول ابن جني "وكذلك قولهم: (إن قمت قمت) فيجيء بلفظ الماضي والمعنى معنى المضارع، وذلك أنه أراد الاحتياط للمعنى، فجاء بمعنى المضارع المشكوك في وقوعه بلفظ الماضي المقطوع بكونه، حتى كأن هذا قد وقع واستقر، لا أنه متوقع مترقب"<sup>(١)</sup>.

ويفيد بناء (فعل) الدلالة على المستقبل وذلك بتضافر السياق مع القرائن الأخرى؛ في مواطن منها:

- بعد إلا نحو: قول النبي ﷺ: «لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسِبُ إِلَّا هَلَكَ». قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ حِسَاباً يَسِيرًا قَالَ: «ذَلِكَ الْعَرَضُ وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ»<sup>(٢)</sup>.  
وعن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني - رضي الله عنهما - أنهما قالاً إن رجلاً من الأعراب أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أنشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله...<sup>(٣)</sup>.  
الله...<sup>(٣)</sup>.

فهلك وقضيت في المستقبل فهو لم يسمع مقالته بعد، ولم يحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد.

ومن ذلك قول النبي ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ، وَأَتْنَانٍ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةَ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةَ عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشْرَةَ عَلَى بَعِيرٍ، وَتَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ تَبِيْتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا»<sup>(٤)</sup>.

فقوله صلى الله عليه وسلم: "حَيْثُ بَاتُوا، حَيْثُ قَالُوا، حَيْثُ أَصْبَحُوا، حَيْثُ أَمْسَوْا" في المستقبل.

ويرى د. علي عبدالله الهتاري أن دلالة السياق على الزمن النحوي لا تنفصل عن دلالة المفردة للصيغة الصرفية، فهما متعلقتان، وأن الصيغة الصرفية لا تخلو من دلالة زمنية غير أن السياق يضيف دلالة إضافية للدلالة الصرفية المفردة يحددها السياق نفسه، فيجمع بين

(١) الخصائص، ١٠٥/٣.

(٢) صحيح مسلم ٤/ ٢٢٠٤، رقم الحديث: (٢٨٧٦).

(٣) المرجع السابق: ٣/ ١٣٢٤، ١٣٢٥، رقم الحديث: (١٦٩٨).

(٤) المرجع السابق: ٤/ ٢١٩٥، رقم الحديث (٢٨٦٢).

الدالتين، ولا تلغي إحدى الدالتين الأخرى، أو تفرغها من محتواها<sup>(١)</sup>.

-وتدل صيغة (فعل) على المستقبل بعد (لو) أما قوله صلى الله عليه وسلم: ( لو ددنا لو صبر )<sup>(٢)</sup>.

وصبر : بمعنى يصبر؛ أي : وددنا أن يصبر<sup>(٣)</sup>.

" لو " هنا بمعنى أن الناصبة للفعل كقوله تعالى: ﴿ وَدُّوْا لَوْ تَدُهِنُ فَيَدْهِنُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>

﴿ وَدُّوْا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> وقد جاء بأن في قوله تعالى: ﴿ أَيُودُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ ﴾

﴿<sup>(٦)</sup> - ويوجه السياق معنى صيغة (فعل) للمستقبل إذا كان الماضي للدعاء نحو قوله تعالى:

﴿ قَالَهُمْ اللَّهُ أَفَنُؤْفَكُونَ ﴾<sup>(٧)</sup>، وقوه: ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا ﴾<sup>(٨)</sup> وقال

وقال رسول الله ﷺ: « رَحِمَ اللَّهُ الْمُحَلِّقِينَ - مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ قَالَ - وَالْمُقَصِّرِينَ »<sup>(٩)</sup>.

فالسباق واضح في سؤال الرسول-صلى الله عليه وسلم-الله المغفرة والرحمة لهم في

المستقبل.

قد ذكر ابن مالك أن أكثر مجيء الماضي بمعنى الطلب في الدعاء<sup>(١٠)</sup>.

(١) تحولات الأفعال في السياق القرآني ص: ٢.

(٢) صحيح مسلم ٤/٢٦٦١.

(٣) عقود الزبرجد: ٨٠/١.

(٤) سورة القلم آية: ٩.

(٥) سورة النساء آية: ٨٩.

(٦) سورة البقرة آية: ٢٦٦.

(٧) سورة التوبة آية: ٣٠.

(٨) سورة المائدة آية: ١١٩.

(٩) صحيح مسلم ٢/٩٤٥، رقم الحديث: (١٣٠١).

(١٠) شواهد التوضيح ص: ٦٣.



- ويفيد بناء ( فعل ) الاستمرار التجديدي في الأزمنة الثلاثة<sup>(١)</sup>، نحو قوله تعالى ﴿

وَقَصَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تُعْبَدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۖ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد يوجه السياق الصيغة لمعنى صيغة أخرى فالفعل الماضي في هذه الحالة يمثل (جملة خبرية) في حين يمثل فعل الأمر جملة (إنشائية طلبية) في قوله: "تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره"<sup>(٣)</sup>.

فقوله وهو تصدق امرؤ. والمعنى: ليتصدق امرؤ، ومثله من كلام العرب: اتقى الله امرؤ فعل خيراً يثيب عليه، والمعنى: ليتق وليفعل<sup>(٤)</sup>.

وقد يأتي الفعل الماضي الدال على الأمر جواباً للشرط فعن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَوَلِيُّهُ»<sup>(٥)</sup>.

نجد الفعل هنا بصيغة الماضي، وهو على خلاف المراد بالمعنى، وهذا ما يقرره السياق؛ يقول الفقهاء: "إن الصيغة صيغة خبر، أعني "صام" ويمتنع الحمل على ظاهره. فينصرف إلى الأمر. ويبقى النظر في أن الوجوب متوقف على صيغة الأمر المعينة، وهي "افعل" مثلاً، أو يعمها مع ما يقوم مقامها"<sup>(٦)</sup>.

وعن عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السُّودَاءُ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ قَالَتْ: إِنِّي أَصْرَعٌ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي. قَالَ: «إِنْ شِئْتَ صَبَرْتِ وَلَكَ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيكَ. قَالَتْ: أَصْبِرُ. قَالَتْ: فَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ. فَدَعَا لَهَا»<sup>(٧)</sup>.

المعنى إن شئت اصبري ولك الجنة.

ف " سياق الكلام هو الذي يحدد نوعية الزمن المقصود من صيغة الفعل فقد تكون الصيغة

(١) ينظر الزمن في النحو العربي: ١١٧.

(٢) سررة الإسراء آية: ٢٣.

(٣) صحيح مسلم ٧٠٥/٢، رقم الحديث: (١٠١٧).

(٤) شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع، ص: ٦٢-٦٣.

(٥) صحيح مسلم: ٨٠٣/٢، رقم الحديث: (١١٤٧).

(٦) العدة على أحكام الأحكام، شرح عدة الأحكام الصنعاني ٣/ ٣٨١.

(٧) صحيح مسلم: ١٩٩٤/٤، رقم الحديث (٢٥٧٦).

الفعلية مهيأة لأن تكون زمناً متى دخلت التركيب ، أما وهي صيغة مجردة فهي مجرد كلمة لا يصح أن ينسب إليها زمناً ما إلا على المجال التحليلي ، كما تنسب معنى الظرفية للحرف ( في ) وهو منغل عن السياق ، وذلك لأن الزمان وظيفة للسياق ، والسياق معناه ملاحظة وظائف الكلمات ، واللغوي يهتم بالكلام وبصيغته " (١)

فالأفعال في سياق الحديث النبوي الشريف تكتسب معانيها الزمنية من السياق الواردة فيه لا من بنيتها الصرفية فحسب.

ويعمل الدكتور إبراهيم السامرائي لجعل اللغويين العرب صيغ معينة للدلالة على زمن الصيغة بقوله: « اهتمامهم بالفعل من حيث كونه عاملاً بل أقوى العوامل يعمل ظاهراً ومقدراً متقدماً ومتأخراً ، ومن أجل ذلك لم يولوا مسألة الدلالة الزمانية حقها ، وكأنهم تخلصوا في دراستهم للفعل بالتعلق بالأشكال ، وذلك أن ما كان على ( فعل ) ونحوها دال على الماضي ، وما كان على ( يفعل ) ونحوها دال على الحال والاستقبال ، ولم يقفوا وقفات طويلة على هذه الصيغ ليروا كيف تتصرف إلى حدود أخرى تعرب عن الخصوصيات الزمانية » (٢)

### صيغة (افعل) والزمن:

انقسم الباحثون المحدثون إلى قسمين في دلالة فعل الأمر على الزمان : القسم الأول أسقط دلالة فعل الأمر على الزمان مبقياً على اعتبار فعليته ، ومن هؤلاء : إبراهيم السامرائي (٣) ، ومالك السامرائي (٤) ، ومالك المطلبي (٤) ، ومحمود نحلة (٥) .

وذهب القسم الثاني إلى فعلية فعل الأمر ودلالته على الزمان ، ويقصد بالزمان هنا الحال والاستقبال عند تمام حسان (٦) ، وعصام نور الدين (٧) ، والاستقبال عند عبد الجبار

(١) ينظر الزمن في العربية : ٥٩ .

(٢) الفعل زمانه وابنيته : د. إبراهيم السامرائي ، (لبنان : بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط: ٣ ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م) ص: ٢٠ .

(٣) المرجع السابق : ص: ٢١ .

(٤) الزمن واللغة ، مالك المطلبي ، (مصر : الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٨٦ م) ص: ١٢٣ .

(٥) مدخل إلى دراسة الجملة العربية ( لبنان : بيروت : دار النهضة العربية ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م) ص: ١٢٧ .

(٦) اللغة العربية - معناها ومبناها - ص: ٢٤١ .

(٧) الفعل والزمن ص: ٥٠ .

توأمة<sup>(١)</sup>، و قال بتنوع دلالاته على الزمان كل من كمال بدري<sup>(٢)</sup>، وبكري عبد الكريم<sup>(٣)</sup>،  
<sup>(٣)</sup>، مشيرين إلى طبيعة استخدام فعل الأمر في الكلام مطلقين دلالاته على جميع أقسام المستقبل  
 المستقبل ، متجاوزين الحاضر إلى الماضي .

والطريق الأمثل للوصول إلى نتائج حاسمة هو الاحتكام إلى السياق عن طريق الرجوع إلى  
 شواهد من لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى:

ففعل الأمر في الغالب يدل على الاستقبال؛ لأنه طلب، والطلب لا يتم تنفيذه إلا بعد  
 زمان التكلم، نحو قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(٤)</sup>، ومنه  
 "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَ أَمِيراً عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ  
 مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْراً ثُمَّ قَالَ: «اغزوا باسمِ اللَّهِ، فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغزُوا، وَلَا  
 تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْتَلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيداً...»<sup>(٥)</sup>.

ف(اغزُوا - فَاتِلُوا) أفعال لا تتحقق مباشرة بل هي في المستقبل عند لقاء العدو.

- وقد يوجه السياق معنى فعل الأمر إلى الاستمرار فيما يقوم به، نحو قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا

النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾<sup>(٦)</sup>، وقوله صلى الله عليه وسلم:  
 "يا غلام سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك"<sup>(٧)</sup> فالخطاب وإن كان للمفرد فهو عام لجميع  
 الأمة، والأمر بالتسمية، والأكل باليمين، أمر بالاستمرار عليه طيلة حياتك .

أو يكون تجديداً، نحو قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الزَّيْتُ ءَأَمْنُوا أَنْتَقُوا اللَّهَ وَلَتَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا  
 قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٨)</sup>.

(١) زمن الفعل في اللغة العربية - قرائنه وجهاته (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٩٤م) ص: ٣٤/٥.

(٢) الزمن في النحو العربي ص: ٢٢٣-٢٢٧.

(٣) الزمن في القرآن الكريم - دراسة دلالية للأفعال الساردة فيه (القاهرة: دار الفجر: ط: ١، ١٩٩٧م) ص: ٧٤-٧٨، ١٢٦-١٣٨.

(٤) سورة الثوبة آية: ٧٣.

(٥) صحيح مسلم: ٦/٦٠٧ رقم الحديث: (١٧٣١).

(٦) سورة البقرة آية: ١٦٨.

(٧) صحيح مسلم: ٣/١٥٩٩، رقم الحديث: (٢٠٢٢).

(٨) سورة الحشر آية: ١٨.

- وقد يقود السياق فعل الأمر ليدل على أمر متوقع في المستقبل، نحو قوله تعالى: ﴿إِذَا

جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾  
فَسِيحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝١﴾ (١).

- وقد يفيد حكاية حال ماضية، نحو قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا

مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٣﴾ (٢) وقوله ﴿قَالَ نَكِرُوا لَهَا  
عَرَشَهَا نَنْظُرَ أَنْهَدِيَ أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ۝٣﴾ (٣).

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في  
مربده إذ جالت فرسه فقرأ ثم جالت أخرى فقرأ ثم جالت أيضا قال أسيد: فخشيت أن  
تطأ يحيى فقمْتُ إليها فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى  
ما أراها - قال - فعذوت على رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله بينما أنا البارحة من  
جوف الليل أقرأ في مربدي إذ جالت فرسي . فقال رسول الله ﷺ: « أقرأ ابن حضير » .  
قال فقرأت ثم جالت أيضا . فقال رسول الله ﷺ: « أقرأ ابن حضير » . قال فقرأت ثم  
جالت أيضا . فقال رسول الله ﷺ: « أقرأ ابن حضير » . قال فأنصرفت . وكان يحيى قريبا  
منها خشيت أن تطأه فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها  
فقال رسول الله ﷺ: « تلك الملائكة كانت تستمع لك ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما  
تستتر منهم » (٤).

يبين السياق أن قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأسيد: « أقرأ ابن حضير » ليس  
على الحال؛ بل أسيد يحكي له قصته والرسول يتفاعل معه، وكأنه يتصور تلك الحالة حاضرة  
، ويدعوه بالقراءة في الزمن الماضي الذي جعلت فيه هذه الواقعة .

(١) سورة النصر آية: ١-٣ .

(٢) سورة النمل آية: ١٨ .

(٣) السورة السابقة آية: ٤١ .

(٤) صحيح مسلم: ٥٤٨/١، ٥٤٩ رقم الحديث: (٧٩٦) .

قال النووي : " اقرأ " معناه كان ينبغي أن تستمر على القراءة وتغتنم ما حصل لك من نزول السكينة والملائكة وتستكثر من القراءة التي هي سبب بقائها " (١) .

وقال الطيبي: "يريد أن اقرأ لفظة أمر طلب للقراءة في الحال ومعناه تحضيض وطلب الاستزادة في الزمان الماضي، أي هلاً زدت، كأنه ﷺ استحضر تلك الحالة العجيبة الشأن فأمره تحريضاً عليه، والدليل على أن المراد من الأمر الاستزادة وطلب دوام القراءة، والنهي عن قطعها، قوله في الجواب: أشفقت يا رسول الله، أي خفت إن دمت عليها أن تطأ الفرس ولدي يحيى " (٢) .

ومن هذه الأمثلة وغيرها تتجلى علاقة المورفيم بعلم الصرف الذي يحدد العلاقة: " بين الكلمة والكلمة الأخرى صرفياً ، فالمورفيم غالباً ما يكون عنصراً أو عدة عناصر صوتية تحدد علاقة الكلمة بغيرها في توزيعها الصرفي من حيث الاسمية والفعلية وجنسها من حيث التذكير والتأنيث، ونوعها من حيث الإفراد والتثنية والجمع وغير ذلك. وقد يكون المورفيم هو موقع الكلمة في الجملة حيث يتبين علاقتها بغيرها من حيث وظيفتها النحوية والدلالية والبحث في كل ذلك يطلق عليه المورفولوجيا " (٣) .

وفي هذه الأحاديث يتبين أن العربية غنية في صيغها، وثرية بالمعاني التي تدل عليها، وأن وضعها في قوالب وصيغ معينة خاصة لأزمان بعينها يخرجها عن الأغراض التي جاء بها حديث صفوة الخلق صلى الله عليه وسلم. وفي هذا ردُّ على المستشرق زيجس بلاشير الذي يقول : (( إن تصريف الفعل العربي فقير إذا ما قورن مثلاً بتصريف الفعل في اللغات الهندية الاوربية، وينبغي أن نلاحظ، أولاً، إن لمفهوم الزمان وضعاً غير متين ) (٤) .

فقد فاته النظر إلى ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وفي بطون الكتب، ثم إنه يعود ليناقض نفسه ليبين تلك الخصائص بقوله: "ومما يزيدنا - أي العربية - تمييزاً عن سائرنا - ويعني اللغات السامية - تخصيص معاني أبنية الفعل وتنويعها، وذلك بواسطتين إحداهما: اقترانها بالأدوات، نحو: ( قد فعل ) و ( قد يفعل ) و ( سيفعل ) وفي النفسي ( لا

(١) المنهاج: ٧/٨٧ .

(٢) شرح الطيبي: ٤/٢٦٧، ٢٦٨ .

(٣) أصول النحو العربي ، الدكتور محمد عيد - ص : ٢٢٣ .

(٤) التطور النحوي للغة العربية : ٨٩ .

افعل ) بخلاف ( ما فعل ) و ( لن يفعل ) بخلاف : ( لا يفعل ) و ( ما يفعل ) . والأخرى :  
تقدم فعل ( كان ) على اختلاف صيغته، نحو ( كان قد فعل ) و ( كان يفعل ) و ( سيكون  
قد فعل ) إلى آخر ذلك، فكل هذا ينوع معاني الفعل، تنوعاً أكثر بكثير مما يوجد في أية لغة  
كانت، من اللغات السامية<sup>(١)</sup>.

وهذا رأي المحدثين فقد درسوا الفعل من حيث ما يؤديه من وظائف لغوية في أثناء  
الجملة إذ أنه يدل على الأحداث وعلى أزمانها، ثم هو أحد مقومات الجملة المهمة ولا سيما  
الجملة الفعلية إذ منه يستمد الأسناد، وهو أكثر أقسام الكلام شيوعاً في العربية<sup>(٢)</sup>.

"بهذا نرى أن الزمن وظيفته في السياق لا ترتبط بصيغة معينة دائماً وإنما تختار الصيغة  
التي تتوفر لها الضمائم والقرائن التي تعين على تحميلها معنى الزمن المعين المراد في السياق فلا  
يهم إن كان الزمن الماضي آتياً من صيغة "ف ع ل" أو صيغة "يفعل" مادام يمكن بالتفريق  
بالضمائم والقرائن بين الأزمنة المختلفة أن نختار من بين الصيغتين أصلهما للدلالة على  
المعنى الزمني المراد في سياق بعينه"<sup>(٣)</sup>.

ومن هنا فالصيغ الصرفية لا تدرس بمعزل عن سياقها بل هما مرتبطتان للوصول إلى  
المعاني الصحيحة المستقاة من الحديث النبوي الشريف.

ومالك المطليبي يربط دلالة الصيغ العربية بالسياق والقرائن الأخرى الموضحة للمعنى  
حيث يقول: "إن الصيغ في اللغة العربية تخلو من الدلالة على زمن في المستوى الصرفي"<sup>(٤)</sup>.  
وأن "وقوع الصيغ المتغايرة في مستوى تركيب واحد يعني تفريغ صيغة ما، دون غيرها من  
الزمن حيث تشير إلى وجه من وجوه دلالتها الحديثة، ومن هنا يكون من الخطأ إسناد الزمن  
إلى مثل هذه الصيغ بوصفها "شكلاً زمنياً"؛ لأن الزمن يكتسب من قرائن السياق اللفظية  
والمعنوية"<sup>(٥)</sup>.

(١) المرجع السابق : ٨٩ .

(٢) نظر: في النحو العربي نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي، (لبنان: صيدا: المكتبة العصرية: ط: ١، ١٩٦٤م) ص:

١٠٠، ١٠١ .

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها ص: ٢٤٨ .

(٤) الزمن واللغة، ٨٢ .

(٥) المرجع السابق، ٧١ .

كل هذه المسائل مما يخدم الجملة ويجعلها ذات معنى بحيث لو تغيرت وحداتها الصرفية تغيرت معانيها<sup>(١)</sup>.

ومن ثم يتبين لنا أن "فروع اللغة شيء متصل ومحاوله فصم فرع من هذه الفروع عن أخيه تمزيق لشيء واحد ، وإذا صح الفصم فذلك مقبول على مستوى التحليل فحسب ، وإن الدرس اللغوي لا يمكن أن يكفي بدراسة فرع وحده أو فرعين ، كالصوت والصرف؛ لأننا لا نتكلم أصواتاً مفردة ولا صيغاً مستقلة ، وإنما نتكلم جملاً مفيدة مركبة من هذه الأجزاء"<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: د. كمال بشر، دراسات في علم اللغة (القسم الثاني)، ص ٨٥ و ٩٧، دار المعارف، مصر، ط ٢  
١٩٧١م. وبعض الدراسات تخلط هذه المسائل الصرفية بمباحث النحو، فتدرس أزمنة الفعل في التحليل النحوي وهي من صميم الدراسة الصرفية، انظر: أيضا فاضل الساقي: أقسام الكلام العربي فصل الوظائف الصرفية والنحوية لأقسام الكلم من (٢٠٣ - ٢١٣) وينظر: د. محمد خير حلواني، المعنى الجديد في علم الصرف (لبنان: دار الشرق العربي) ص: ٣٩.

(٢) الصبغة الصرفية دراسة تحليلية، أحمد كشك، (دار الثقافة العربية ، ١٩٩٢م) ص: ١٠.

## الفصل الثالث

أثر السياق في التراكيب النحوية في صحيح مسلم وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول: أثر السياق في الحذف والتقدير .

المبحث الثاني: أثر السياق في التقديم والتأخير في إطار الجملة .

المبحث الثالث: أثر السياق في التعلق (الجار والمجرور).

المبحث الرابع: أثر السياق في عود الضمير.

المبحث الخامس: أثر السياق في الترجيح بين الأوجه الإعرابية.

المبحث السادس: أثر السياق في تعيين نوع الاستثناء.



## المبحث الأول

### أثر السياق في الحذف والتقدير وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أثر السياق في حذف حروف المعاني.

المطلب الثاني: أثر السياق في حذف الأسماء (الخبر، المضاف، المفعول  
الصفة، الحال..).

المطلب الثالث: أثر السياق في حذف الأفعال (الماضي، المضارع، الأمر)

المطلب الرابع: أثر السياق في حذف الجمل (جملة الشرط، جملة

القسم...)

## المبحث الأول

### أثر السياق في الحذف والتقدير

إن الحذف ظاهرة لغوية تشترك فيها اللغات الإنسانية؛ لكنها في اللغة العربية أكثر ثباتاً ووضوحاً؛ لأن اللغة العربية من خصائصها الأصيلة الميل إلى الإيجاز والاختصار، ولولا السياق وغيره من القرائن لم يتسن لهذه اللغات الحذف؛ لأنه من أهم الدلائل على المحذوف. وقد برز الاهتمام بدراسة هذه الظاهرة، فقد عرف الرماني الحذف بقوله: "فالحذف إسقاط كلمة للاجترأ عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام، ومنه قوله تعالى ﴿ وَسَكَلِ الْقَرْيَةَ ﴾<sup>(١)</sup> أي: أهل القرية"<sup>(٢)</sup>.

ولعل قول الرماني بدلاله غيرها من الحال أو فحوى الكلام التفات واضح للسياق بنوعيه اللغوي وغير اللغوي.

ويصرح د. عودة خليل بتسمية لطيفة للمحذوف وهو المستغنى عنه لدلالة السياق عليه حيث يقول: "يقصد بالحذف-فيما أراه-إن النحاة سمّوا المحذوف (مضمراً)، والشيء المضمّر ليس محذوفاً؛ لأنه لم يكن في الكلام ليحذف، وفي ظني أن هذا القول إنما هو لاستقامة أمر الإعراب، واتساق القواعد على الأصول القياسية التي وضعوها، ولو قد سبق المصطلح على أصل وضعه لقليل إنه المستغنى عنه لدلالة السياق عليه"<sup>(٣)</sup>.

وذكر أهل اللغة فائدة الحذف فهو يحقق متعة ذهنية لما يكتنفه من الإبهام؛ لذهاب الذهن كل مذهب، وكلما كان الشعور بالمحذوف أعسر، كان الالتذاذ به أشد.<sup>(٤)</sup>

(١) سورة يوسف آية: ٨٢.

(٢) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص: ٧٦، هناك تعريفات كثيرة للحذف، واختير تعريف الرماني لأنه أقرب تعريف يبرز دور السياق.

(٣) ينظر: بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين، د. عودة خليل، (الأردن: دار البشير، ط: ١، ١٤١٤ هـ) ص: ٦٤٥.

(٤) الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، لأبي البقاء اللغوي، تحقيق: د. عدنان درويش، محمد المصري، (لبنان: بيروت: مؤسسة الرسالة، ط: ٢، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م) ص: ٣٨٤.

ويؤكد اللغويون ضرورة تقدير المحذوف؛ حتى لا يُحمل الكلام على ظاهره؛ لأن ذلك يرجع إلى غرض المتكلم؛ ولعل ذلك ما جعل الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) يعد الحذف النابع من أثر السياق أبلغ من الذكر حيث قال: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر؛ فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتحدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبين"<sup>(١)</sup> والحذف في صحيح مسلم سمة بارزة، وعلامة واضحة على أنه صلى الله عليه وسلم قد أوتي جوامع الكلم، وقد التزم الحديث الشريف أسلوب الحذف في كل موضع يبرز فيه دور السياق ويمكن تقسيم الحذف في التراكيب إلى:

(١) دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: الشيخ محمد رشيد رضا (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية: ط: ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م) ١: ١١٢.

## المطلب الأول

### أثر السياق في حذف حروف المعاني

تنبه القدماء إلى أن الحروف لا يُعرف معناها، ولا يتبين مغزاها إلا في سياق التراكيب وظهر ذلك جلياً واضحاً في تعريفاتهم لهذه الحروف ف" الحرف ما جاء لمعنى، وليس باسم ولا فعل نحو: ثم وسوف ولام القسم ولام الإضافة ونحوها"<sup>(١)</sup>.

وعرّفه ابن جني بقوله: " والحرف ما لم تحسن فيه علامات الأسماء، ولا علامات الأفعال وإنما جاء لمعنى في غيره نحو: هل، وبل، وقد "<sup>(٢)</sup>.

هذا هو المشهور أن معنى الحرف لا يدرك في حالة انفراده، أي إذا لم يكن الحرف في بناء من أبنية الكلام المفيد، كأن نذكر حرف الجر ( في ) أو ( إلى ) دون ارتباطه بكلام آخر في جملة مفيدة يحسن السكوت عليها، وإنما يدرك معنى الحرف، أو يكون له دلالة لغوية عندما يكون في جملة مفيدة؛ لأنه يكتسب معناه، أو يظهر معناه الكامن في ذاته من خلال تلاحمه مع مفردات الجملة المساندة له، وهذا معنى قولهم " في غيره "، فالضمير في غيره عائد إلى الألفاظ، بمعنى أن الحرف لا يظهر معناه إلا من خلال انضمامه إلى ألفاظ أخرى.<sup>(٣)</sup>

وإذا دل الحرف على معنى في غيره يسمى حرف المعنى، وهو ما أطلقه النحويون على هذه الحروف، حيث لها صلة وطيدة بفهم المعاني واستنباط الأحكام من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، لأن كثيراً من القضايا الدلالية والمسائل الفقهية يتوقف فهمها على فهم الدلالة التي يؤديها الحرف في التركيب، وسميت حروف معان لهذا الغرض؛ لأنها تصل معاني الأفعال إلى الأسماء، أو لدلالاتها على معنى.

(١) الكتاب: ١٢/١.

(٢) اللع في العربية، لأبي الفتح بن جني، تحقيق: حامد المؤمن، (لبنان: بيروت: عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط: ٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) ص: ٤٦، ٤٧.

(٣) ينظر: اللامات، د. عبد الهادي الفضلي ص: ٥٦، نقلا عن شرح اللوحة البديرة ١/ ٢١٤.

وذهب ابن جني إلى " أن حذفها ليس قياساً؛ لأنها وردت لضرب من الاختصار، فلو ذهبت تحذفها لكنت مختصراً لها هي أيضاً، واختصار المختصر إجحاف به" (١).  
فالواو -مثلاً- جاءت اختصاراً للفعل (أقسم)، وما اختصاراً للفعل (أنفي) وهكذا.  
وما قال به ابن جني ينافي ما جاء في كلام أفصح العرب، فهناك حذف لبعض الحروف والسياق يدل على ذلك، فكما أن للذكر معنى، فللحذف معنى آخر. ويظهر هذا الحذف في صحيح مسلم:

### المسألة الأولى: السياق وحذف حرف الجر:

ومنه عن عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: كُنْتُ فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيئُ فِي الصَّخْفَةِ فَقَالَ لِي: « يَا غُلَامُ سَمَّ اللَّهُ، وَكُلَّ بِبَيْمِينِكَ، وَكُلَّ مِمَّا يَلِيكَ » (٢).  
فالسباق واضح في غدم ظهور حرف الجر أي: سم بالله، ولكنه حذف حرف الجر وجعل الفعل متعدياً مباشرة ليكون الحديث أكثر لصوقاً بلفظ الجلالة.  
وقد أجاز سيويه هذا الحذف، تخفيفاً على اللسان، واشترط أمن اللبس، ووجود الدليل على المحذوف يقول سيويه: "وسألته عن قوله: على كم جذع بيتك مبني؟ ... فأما الذين جروا فإنهم أرادوا معنى: من، ولكنهم حذفوها ههنا تخفيفاً وصارت على عوضاً منها" (٣).  
ويسوق سيويه مثلاً آخر يجوز فيه حذف الجار: "ومثل ذلك الله لتفعلن؟ إذا استفهمت أضمرنا الحرف الذي يجبر، وحذفوا تخفيفاً على اللسان، وصارت ألف الاستفهام بدلاً منه في اللفظ معاقباً" (٤).

ويصف ابن هشام الحروف بالضعف، ويشترط لحذفها فهمها من السياق والقرائن الأخرى حيث قال: "ألا يكون المحذوف عاملاً ضعيفاً، فلا يحذف الجار والجازم والناصب

(١) الله سبحانه وتعالى: ٢٤٣/٢.

(٢) صحيح مسلم: ٣/١٥٩٩ رقم الحديث: (٢٠٢٢).

(٣) الكتاب: ٢ / ١٦١.

(٤) المرجع السابق: ٢ / ١٦١، ١٦٢.

للفعل، إلا في مواضع قويت فيها الدلالة، وكثر فيها استعمال تلك العوامل، ولا يجوز القياس عليها<sup>(١)</sup>. والسياق من أقوى العوامل التي توضح معاني الحروف.

ويقرر السياق حذف حرف الجر (في) عَنْ أَبِي قَتَادَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ بَيْنَ ظَهْرَانِي النَّاسِ - قَالَ - فَجَلَسْتُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَا مَنَعَكَ أَنْ تَرْكَعَ رَكَعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ تَجْلِسَ ». قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتُكَ جَالِسًا وَالنَّاسُ جُلُوسٌ . قَالَ: « فَإِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلَا يَجْلِسُ حَتَّى يَرْكَعَ رَكَعَتَيْنِ »<sup>(٢)</sup>.

والتقدير حسب السياق: فإذا دخل أحدكم في المسجد .

لأن الأصل: دخل في المسجد، وعكسه خرج من المسجد، وأما قولنا: دخل البيت، فهو من قبيل الشاذ<sup>(٣)</sup> وحذف الجار بين من السياق. ومثله عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَقْوَامٌ أَفِيدَتْهُمْ مِثْلُ أَفِيدَةِ الطَّيْرِ »<sup>(٤)</sup>.

والتقدير من سياق الحديث: يدخل في الجنة أقوام .

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « أَيْعِزُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ ». فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ قَالَ: « يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ أَوْ يُحِطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ »<sup>(٥)</sup>.

يكشف السياق الحرف المحذوف وتقديره: ( أيعجز أحدكم عن أن يكسب كل يوم ألف

حسنة ) .

ومما حذف منه حرف (الباء) واتضح من السياق، قوله صلى الله عليه وسلم: «خَبَّرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلَامَةً فِي أُمَّتِي فَإِذَا رَأَيْتَهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ . فَقَدْ رَأَيْتَهَا ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾<sup>(٦)</sup> فَتَنَحَّ مَكَّةَ ﴿ وَرَأَيْتَ

(١) مغني اللبيب ٢ / ٦٩٩ .

(٢) صحيح مسلم: ١/٩٨ رقم الحديث: (٧١٤) .

(٣) ينظر: الكتاب ١ / ٣٥ .

(٤) صحيح مسلم: ٤/٢١٨٣ رقم الحديث (٢٨٤٠) .

(٥) المرجع السابق: ٤/٢٠٧٣ رقم الحديث (٢٦٩٨) .

(٦) سورة النصر آية: ١ .

وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ  
إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿١﴾» (٢).

والتقدير: خبرني ربي بأني سأرى علامة في أمتي . حذف أيضًا حرف الجر قبل أن و معموليها، وهو معلوم من سياق الكلام، ولا يشكل لبسا في المعنى.

وقال النحويون بجواز حذف الجار قبل المصدر المؤول من أن و أن، أشار الخليل إلى ذلك من قول سيويه: "وسألت الخليل عن قوله جل ذكره: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً

وَأَنَا رَبُّكُمْ فَانْقُون﴾ (٣) فقال: إنما هو على حذف اللام، وكأنه قال: ولأن هذه

أمتكم أمة واحدة، وقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٤) قال: إنما أراد بأني لكم نذير مبين، ولكنه حذف الباء" (٥).

ويسير المبرد على حُطى سيويه في ذلك فيقول: "وتقول: (أمرته أن يقوم يافتى) فالمعنى: أمرته بأن يقوم؛ إلا أنك حذف جرف الخفض. وحذفه مع (أن) جيد" (٦).

وليس المبرد مع الخليل في تقدير اللام قبل المصدر في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ

أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَانْقُون﴾ (٧) حيث يقول: "وزعم قوم من النحويين أن موضع أن خفض في هاتين الآيتين وما أشبههما، وأن اللام مضمرة، وليس هذا بشيء" (٨).  
بشيء" (٨).

ويبين السياق أن هذا الحذف لا يغير المعنى بل لطلب الإيجاز، ويشترط أمن اللبس في ذلك حتى لا يخل بالمعنى وإلى ذلك ذهب كثير من النحاة، فيمتنع الحذف في قولنا: رغبت

(١) سورة النصر آية: ٢، ٣.

(٢) صحيح مسلم: ٣/ ١٥٠٤ رقم الحديث (١٨٩٠).

(٣) سورة المؤمنون آية: ٥٢.

(٤) سورة هود آية: ٢٥.

(٥) الكتاب ٣ / ١٢٦ - ١٢٧.

(٦) المقتضب: ٢/ ٣٣٦.

(٧) سورة المؤمنون ٥٢.

(٨) المقتضب: ٢/ ٦١٠.

أن تفعل والأصل: "رغبت في أن تفعل" أو "عن أن تفعل"<sup>(١)</sup>.

"وإن كان المصدر على وجهه، جاز الحذف، ولم يكن كحسنه مع "أن"؛ لأنها وصلتها اسم. فقد صار الحرف والفعل والفاعل اسما. وإن اتصل به شيء، صار معه في الصلة. فإذا طال الكلام، احتمل الحذف"<sup>(٢)</sup>.

### المسألة الثانية: السياق وحذف حروف العطف:

أبرز السياق حذف حرف العطف (الواو) في قوله صلى الله عليه وسلم: "تصدق رجل من ديناره، من درهما، من ثوبه، من صاع بره"<sup>(٣)</sup> أي: من ديناره إن كان ذا دينار، ومن درهما درهمه إن كان ذا درهم، ومن صاع بره إن كان ذا بر، ومن صاع تمره إن كان ذا تمر. ومنه سماع أبي زيد: أكلت خبزا لحما تمرا، أراد: خبزا ولحما، وتمرًا.

ومنه قول الشاعر:

كَيْفَ أَصْبَحْتَ كَيْفَ أَمْسَيْتَ مِمَّا      يَغْرِسُ الْوَدَّ فِي فُرَادِ الْكَرِيمِ<sup>(٤)</sup>

أراد: كيف أصبحت وكيف أمسيت فحذف الواو<sup>(٥)</sup>.

والحذف يوجه السياق معناه لإظهار أهمية الصدقة؛ لذا كان التابع والتواصل بدون حرف العطف.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ ». فَقَالُوا كَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيُسْتَشْهَدُ ثُمَّ يُتَوَّبُ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسَلِّمُ فَيُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيُسْتَشْهَدُ »<sup>(٦)</sup>.

حدد السياق حرف العطف المحذوف في قوله: "فيدخل الجنة" التعدي حدود الزمن بين المتحدثين، وإيذاناً بقرب الحدثين، قتل فدخل الجنة، ليصور سرعة قبول الله لعباده التائبين ومغفرة ذنوبهم.

(١) ينظر: معني اللبيب ٢ / ٦٩٣، وينظر: شرح المفصل: ٥١/٨، وشرح الكافية: ٢/٢٧٣.

(٢) المقتضب: ٣٣٧/٢.

(٣) سبق تخريجه ص: ١٥٤ من البحث.

(٤) لم اهتمد إلى قائله، و البيت من الخفيف.

(٥) شرح التسهيل: ٣/٣٨٠.

(٦) صحيح مسلم: ٣/١٥٠٥، رقم الحديث: (١٨٩٠).



وجاء السياق موضعاً حذف حرف العطف (ثم) في قوله ﷺ: « مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ »<sup>(١)</sup>.  
أي: ثم يموت يوم يموت، حذف حرف العطف الظاهر في السياق ليجعل الإنسان الموت نصب عينيه، وأن هناك حساب وجزاء.

### المسألة الثالثة: السياق وحذف حرف الاستفهام :

أشار النحاة أنه لا يُحذف من أدوات الاستفهام إلا الهمزة؛ لكونها أصل هذه الأدوات، وأم هذا الباب، ومن هنا نُحِصَتْ بخصائص دون غيرها، ومن تلك الخصائص التي تفردت بها : حذفها<sup>(٢)</sup>.

ولكن حذفها ليس على إطلاقه، بل هو مشروط بشروط عند النحويين، فقد قيدوا حذفها بوجود قرينه لفظية تدل عليها، وهي وجود ( أم ) المعادلة للهمزة المحذوفة، وقد أورد صاحب الكتاب شاهداً قول عمر بن أبي ربيعة :

فَوَ اللَّهُ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لِحَاسِبٌ  
بِسَبْعِ رَمِيَتْ الْجَمْرَ أُمُّ بَثْمَانَ<sup>(٣)</sup>  
والتقدير: أسبع، وقد حُذفت الهمزة للدلالة ( أم ) بعدها عليها<sup>(٤)</sup>.

وقد أجاز ابن هشام حذف الهمزة، ولولم يكن في الكلام ( أم ) المعادل لها، واستشهد لذلك بقول الكميت بن زيد الأسدي :<sup>(٥)</sup>

طَرِبْتُ وَمَا شَوْقًا إِلَى الْبَيْضِ أَطْرَبُ  
وَلَا لِعِبَاءٍ مِنِّي وَذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ  
فقد حُذفت همزة الاستفهام، وتقديرها: أو ذو الشيب يلعب<sup>(٦)</sup>.

وذهب الأخفش إلى جواز حذفها في الاختيار، وإن لم يكن بعدها ( أم )<sup>(٧)</sup>.

(١) المرجع السابق: ١/١٢٥، رقم الحديث: (١٤٢).

(٢) ينظر : مغني اللبيب: ١ / ١٤ .

(٣) البيت من البحر الطويل لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص: ٣٣٩.

(٤) ينظر : الكتاب : ٣ / ١٧٥، ١٧٤.

(٥) البيت من البحر الطويل، ينظر : شعر الكميت بن زيد الأسلمي، جمع : د. محمد داود سلوم، (لبنان: بيروت: عالم

الكتب، ط: ٢، ١٤١٧ هـ) : ٤ / ١٨٣.

(٦) ينظر : مغني اللبيب : ١ / ٢١ .

(٧) ينظر : الجني الداني ص: ٣٤.

وجاء ذلك في كلام أبلغ البلغاء كما أجاز الأخفش وابن هشام عن عبد الله قال كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمَرَرْنَا بِصَبِيَّانِ فِيهِمَا ابْنُ صَيَّادٍ فَقَرَّ الصَّبِيَّانُ وَجَلَسَ ابْنُ صَيَّادٍ فَكَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَرِهَ ذَلِكَ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: « تَرَبَّثْ يَدَاكَ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ » . فَقَالَ لَا . بَلْ تَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ . فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: ذَرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى أَقْتُلَهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنْ يَكُنِ الَّذِي تَرَى فَلَنْ تَسْتَطِيعَ قَتْلَهُ »<sup>(١)</sup>.

والتقدير الذي يدل عليه السياق: بل أتشهد أني رسول الله.

هذا ما يتعلق بحذف الهمزة ، أما بقية الأدوات فإنها لا تُحذف ، وقد ذكر الدكتور قيس الأوسى تعليلاً لمنع حذف أدوات الاستفهام غير الهمزة قائلاً: " لأن غيرها من أدوات الاستفهام لو حُذفت لذهب حذفه بالدلالة على الاستفهام ، فالأداء ( هل ) لها دلالة خاصة يخشى ذهابها إذا حُذفت ، وهي الاستفهام عن النسبة ، وأما بقية أدوات الاستفهام مثل : ما ، من ، أين ، فلأن المسؤول عنه إنما هو مدلول لها ، فإذا حُذف ضاعت الدلالة ، وذهب الاستفهام " .<sup>(٢)</sup>

والحق أن همزة الاستفهام تحذف عند أمن اللبس وظهور المعنى سواء في الشعر أم في الاختيار وهو ما ذهب إليه الأخفش .<sup>(٣)</sup>

ويرى علماء اللغة المعاصرون أن لا شيء محذوف في جملة الاستفهام من غير أداة ألته فالنغمة الصوتية الصاعدة تأتي في موقع الأداة من حيث الوظيفة والمعنى .<sup>(٤)</sup>

فالصوت الموسيقي بارتفاعه وانخفاضه في أثناء النطق بالجملة، له دور وظيفي، يعبر عن معان نحوية ودلالية في نفس المتكلم .<sup>(٥)</sup>

وذكر الدكتور عودة خليل: "إن كثيراً من الأحاديث التي أفادت الاستفهام، فأصل إفادته من خلال ظلال الموقف وإيماءاته لا من خلال همزة محذوفة مقدرة، وهذا يدل على أن الاستفهام دون أداة هو خصيصة من خصائص لغة الحديث ، وليس قضية نحوية ضيقة وهي

(١) صحيح مسلم ٤/٢٢٤٠، رقم الحديث: (٢٩٢٤).

(٢) أساليب الطلب بين النحويين والبلاغيين ٣٣٧ .

(٣) الجني الداني ٣٤ .

(٤) علم اللغة العام ص: ١٨٩ ، في نحو اللغة وتراكيبها ، د. خليل أحمد عمارة ، (المملكة العربية السعودية: جدة: عالم

المعرفة، ١٩٨٤م) ص: ١٧٤ .

(٥) الأصوات اللغوية ١٧٥ .

حذف همزة الاستفهام ، ولعل هذا يكون من سمات اللغة المنطوقة التي تفسر كثيراً من القضايا اللغوية في الحديث الشريف ، بل هي سمة من سماته " . (١)

### المسألة الرابعة: السياق وحذف الفاء الواقعة في جواب الشرط :

للسياق النصيب الأكبر في بيان الحرف المحذوف من ذلك أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَأَبَعْتُ إِلَيْ غُلَاماً أَعْلَمُهُ السَّحْرَ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَاماً يُعَلِّمُهُ فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَتْهُ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ فَقَالَ إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ حَبَسَنِي أَهْلِي " (٢).

أي: فأعلمه السحر؛ وهنا حذف للفاء في جواب الشرط الذي اختلف فيه النحويون : يقول سيبويه: "وسألته -يعني الخليل- عن قوله: إن تأتي أنا كريم، فقال: لا يكون هذا إلا أن يضطر شاعر من قبل أن "أنا كريم" يكون كلاماً مبتدأ، والفاء و إذا لا يكونان إلا متعلقين بما قبلهما فكرهوا أن يكون هذا جواباً حيث لم تشبه الفاء، واعلم أنه لا يكون جواب الجزاء إلا بفعل أو بالفاء" (٣)

ولكن الكوفيين أجازوها اختياراً استدلالاً بالقراءة الشاذة ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ

الْمَوْتُ ﴾ (٤) بالرفع . ويرى سيبويه أنها على نية التقديم والتأخير، أو إضمار الفاء، والأول عنده أولى أن تقدم على الشرط ما يطلب المرفوع المذكورة، والجواب محذوف والتقدير : يشكرها الله أن تفعلوا الحسنات ، و المبرد يقطع بتقدير الفاء فيهما، ولا يميز إلا فعلاً مضارعاً مجزوماً وإلا فتقدر الفاء، ولكنه يتسمح بحذفها في ضرورة الشعر . (٥)

(١) بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين ص: ٤٣٨.

(٢) صحيح مسلم: ٤/٢٢٩٩، رقم الحديث: (٣٠٠٥).

(٣) الكتاب ٣ / ٦٤ .

(٤) سورة النساء آية: ٧٨.

(٥) ينظر: المقتضب ٢ / ٣٤٩، ٣٥٠، شرح التصريح ٢ / ٤٠٣.

ويروى عن الأخفش إجازة حذف الفاء في الاختيار<sup>(١)</sup>.

### المسألة الخامسة: السياق وحذف واو الحال :

يحذف واو الحال بما يوجهه السياق قال رسول الله ﷺ: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْسُوا بُيُوتَكُمْ وَأَوْسُوا لَكُمْ لعلَّ كُنْتُمْ مَتَّقِينَ وَاللَّهُ يَخْتَارُ الْمُحْسِنِينَ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ »<sup>(٢)</sup>.

والتقدير: وهو بها بر؛ لأن الحال إذا وقع جملة فلا بد من اتصالها بالواو.

فجملة الحال الاسمية الغالب عليها أن تقترن بالواو، نحو: جاءني زيد وعمرو أمامه . وإذا كان المبتدأ ضمير ذي الحال وجبت فيه الواو ولا يصلح بغير الواو ألبتة نحو: جاءني زيد وهو راكب. فإن وقعت الجملة الاسمية بعد إلا وجب الضمير، وجازت الواو نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴾<sup>(٣)</sup> وكقوله صلى الله عليه وسلم « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل » وإن كانت الحال مؤكدة مضمون جملة قبلها، وجب الضمير وامتنتع الواو، كقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾<sup>(٤)</sup>

### المسألة السادسة: حذف حرف النداء :

يظهر السياق حذف حرف النداء في كلام خير الخلق ﷺ حيث قال: « كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُرَاءَهُمْ يَنْظُرُونَ بَعْضُهُمْ إِلَى سَوْأَةِ بَعْضٍ، وَكَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَغْتَسِلُ وَخَدُّهُ. فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا يَمْنَعُ مُوسَى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إِلَّا أَنَّهُ آذُرٌ . قَالَ: فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ فَقَرَّ الْحَجَرُ بِثَوْبِهِ - قَالَ - فَجَمَحَ مُوسَى بِأَثَرِهِ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرٌ ثَوْبِي حَجَرٌ. حَتَّى نَظَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى سَوْأَةِ مُوسَى فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ. فَقَامَ الْحَجَرُ بَعْدُ

(١) الجني الداني ص: ٦٩.

(٢) صحيح مسلم ٤/ ١٩٦٩ رقم الحديث: (٢٥٤٢).

(٣) سورة الفرقان : آية : ٢٠.

(٤) سورة البقرة آية : ٢، شرح ابن عقيل ١/ ٦٦٠، وحاشية الصبان : ١٩٢/٢.

حَتَّى نُنْظَرَ إِلَيْهِ - قَالَ - فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا»<sup>(١)</sup>.

يظهر جمال السياق في الدلالة على المحذوف، فهو يجري خلف الحجر، ويناديه، ويلح عليه بإرجاع ثوبه.

قال القرطبي: "أراد: يا حجر، وكلامه أفصح الكلام"<sup>(٢)</sup>. فثوي حجر: منصوب بفعل مضمر وحجر مناد مفرد محذوف حرف النداء، وتقدير الكلام: أعطني ثوي يا حجر! أو: اترك ثوي يا حجر! فحذف الفعل للدلالة الحال عليه وحذف حرف النداء هنا استعجالاً للمنادى، وقد جاء في كلام العرب حذف حرف النداء مع النكرة، نادى موسى عليه السلام - الحجر نداء من يعقل؛ لأنه صدر عن الحجر فعل من يعقل"<sup>(٣)</sup>.

وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - كُلَّمَا كَانَ لَيْلَتْهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى الْبَيْعِ فَيَقُولُ: « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ غَدًا مُؤَجَّلُونَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاجِحُونَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَهْلِ بَيْعِ الْعُرْقَدِ »<sup>(٤)</sup>.

والتقدير من السياق: يا دار قوم مؤمنين. وقد يكون السبب هو أنه جعلهم بمنزلة من هو مقبل عليهم بحضرته يخاطبه<sup>(٥)</sup>، و قدر الياء في الحديثين لأن النحويين يذهبون إلى أن أكثر ما يحذف من حروف النداء هو الياء خاصة سواء أكان المنادي مفردًا، أم جارياً مجرأه، أو مضافاً نحو: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾<sup>(٦)</sup>. وكقوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾<sup>(٧)</sup>. ونحو: ﴿أَنْ أَدْوَأَ إِلَيْكَ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكَرَّمُ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾<sup>(٨)</sup>. وهذا ما أشار إليه السيوطي بقوله: "ولهذا لا يقدر عند الحذف سواها"<sup>(٩)</sup>.

(١) صحيح مسلم: ٢٦٧/١، رقم الحديث: (٣٣٩).

(٢) المفهم: ٣٨٧/٣، وشرح التسهيل: ٣٨٧/٣.

(٣) المفهم ١٩٠/٦.

(٤) صحيح مسلم: ٢١٨/١، رقم الحديث: (٢٤٩).

(٥) ينظر: الكتاب: ٢٣٠/٢.

(٦) سورة يوسف آية: ٢٩.

(٧) سورة الرحمن: آية: ٣١.

(٨) سورة الدخان: آية: ١٨.

(٩) الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (لبنان: بيروت: صيدا، المكتبة

العصرية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، ٢٥٩/٢.

وهناك حالات لا يجوز فيها حذف حرف النداء كما في الندبة والاستغاثة<sup>(١)</sup>.  
ومع إنكار ابن جنى للحذف ورؤيته له بأنه إجحاف إلا إنه عندما يتجه إلى الواقع  
التطبيقي عند العرب يقول: "ومع ذلك فقد حذفت تارة ( يعني الحروف ) وزيدت أخرى ، أما  
حذفها فكحذف حرف العطف ، وحرف الجر ، وحذف فاء الجزاء ، وحذف همزة  
الاستفهام"<sup>(٢)</sup>.

وذاك ما جاء في حديثه -ﷺ- قبل دراسات هؤلاء العلماء بقرون عديدة.

(١) ينظر التنعيم ص: ٨٥، ٨٧ من البحث.

(٢) الخصائص ٢ / ٢٨٠ - ٢٨١

## المطلب الثاني

### حذف الأسماء

للسياق نتائج مثمرة في التراكيب، ومن هذه النتائج ما ظهر في حذف الأسماء داخل الجمل فالجملة لا يظهر معناها، إلا بذكر طرفيها .

والجملة الاسمية تتكون من ركنين رئيسين: المبتدأ والخبر وهما من عمد الكلام، أما الجملة الفعلية فعمدتها الفعل والفاعل .

إلا أن هناك حالات يرصدها السياق يحذف فيها المبتدأ أو الخبر، و الفعل أو الفاعل ويمكن تقسيمها كالتالي:

#### أولاً: الحذف في المرفوعات:

وقع حذف الاسم المرفوع في صحيح مسلم ومن ذلك:

-حذف المبتدأ: قرر النحاة أن المبتدأ والخبر يحذفان في الجملة الاسمية إذا كان في الكلام دلالة على المحذوف<sup>(١)</sup>. ومن أقوى هذه الدلالات وأوضحها السياق بنوعيه.

ومما لاشك فيه أن المبتدأ والخبر جملة مفيدة، تحصل الفائدة بمجموعهما، فلا بد منهما إلا أنه بتدخل السياق وغيره من القرائن قد يحذفان لدلالته عليهما قال ابن يعيش: "اعلم أن المبتدأ والخبر جملة مفيدة تحصل الفائدة بمجموعهما؛ فالمبتدأ معتمد الفائدة، والخبر محل الفائدة فلا بد منهما، إلا أنه قد توجد قرينة لفظية أو حالية تغني عن النطق بأحدهما فيحذف لدلالته عليه؛ لأن الألفاظ إنما جيء بها للدلالة على المعنى، فإذا فهم المعنى بدون اللفظ جاز أن لا تأتي بها"<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: الكتاب ١٢٩/٢، والمقتضب ٦٤/٣.

(٢) شرح المفصل ١/٢٣٩.

ومن ذلك عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: سِئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ». قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجٌّ مَبْرُورٌ»<sup>(١)</sup>.

فإيمان وحج خبران، والمبتدأ يقدره السياق بـ(أفضل الأعمال إيمان بالله وحج مبرور). قال الطيبي: "هي أخبار مبتدأ محذوف، فإن قلت: لم لا تحملها على الابتداء محذوفة الأخبار؟ قلت: بأبي التنكير في الإيمان ذلك، على أن المقدر في الكل أفضل الأعمال، وهو أعرف من حج مبرور، ومن إيمان بالله، فأجرى الجهاد مجراها مراعاة للتناسب"<sup>(٢)</sup>. والمحذوف هنا مفهوم من السياق إذ التركيز على الخبر، والمبتدأ معروف مفهوم من الكلام الذي تضمنه السؤال المتقدم.

وفي مثل هذه الحالة قد يختلط حذف المبتدأ أو الخبر، ولك أن تقدر أحدهما وفقاً للمعنى وذلك إذا كان في الكلام دليل على المحذوف<sup>(٣)</sup>.

وذكر د. شوقي ضيف: "من أهم ما يميز العربية أن عناصر الجملة فيها أحياناً تذكر جميعاً أحياناً يحذف بعضها اعتماداً على دلالة السياق"<sup>(٤)</sup>.

ومن حذف الخبر في الاستفهام عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رضي الله عنه - قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ». قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَنْفُسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا وَأَكْثَرُهَا تَمَنَّا». قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ قَالَ: «تُعِينُ صَانِعاً أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقٍ». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ؟ قَالَ: «تَكْفُ شَرِّكَ عَنِ النَّاسِ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَيَّ نَفْسِكَ»<sup>(٥)</sup>.

والتقدير حسب السياق: الإيمان بالله والجهاد في سبيله أفضل الأعمال. وأنفس الرقاب عند أهلها أفضل، ولعل التعليل لدى الطيبي في الحديث السابق يحمل (الإيمان بالله وأنفس

(١) صحيح مسلم: ٨٨/١ رقم الحديث (٨٣)

(٢) شرح الطيبي: ٧٧/٣، وينظر: عقود الزبرجد: ٧٧/٣.

(٣) اللع ص: ٧٧، والخصائص: ٣٦٢/٢، والمغني: ٦٩٢/٢، ٦٩٣، وشوقي ضيف: تجديد النحو: (مصر: القاهرة: دار المعارف) ص: ٢٣٥.

(٤) تجديد النحو ص: ٢٣٥.

(٥) سبق تخريجه ص: ٥٤ من البحث.



الرقاب والجهاد) على أنها مبتدآت لأخبار محذوفة فهي معرفة.  
وحذف المبتدأ بعد القول جائز للعلم به من السياق.

### -حذف الخبر:

يحذف الخبر في مواضع كثيرة يدل السياق عليها ومن ذلك إذا كان جواباً لاستفهام<sup>(١)</sup>. وإذا كان الخبر بعد لولا ولوما: قال النبي ﷺ: «لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَيَّ الْمُؤْمِنِينَ - وَفِي حَدِيثِ زُهَيْرٍ عَلَيَّ أُمَّتِي - لِأَمْرَتُهُمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ»<sup>(٢)</sup>  
فالسُّبُوطُ يَرشِدُنَا إِلَى أَنْ هُنَاكَ مَعْنَى مَحذُوفًا، أَلَا وَهُوَ الْخَوْفُ، فَخَوْفُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمَشَقَّةِ عَلَى أُمَّتِهِ لَمْ يَأْمُرْهُمُ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ بَلْ جَعَلَهُ اخْتِيَارِيًّا. وَقَدْ قَدَّرَ ابْنُ هِشَامٍ الْمُبْتَدَأَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ كَلِمَةَ مَخَافَةٍ، قَالَ: (فَالْتَقْدِيرُ لَوْلَا مَخَافَةٌ أَنْ أَشَقَّ عَلَيَّ أُمَّتِي لِأَمْرَتِهِمْ، أَيْ أَمْرٍ إِجْبَابٍ، وَإِلَّا لَانعَكَسَ مَعْنَاهَا، إِذِ الْمَمْتَنَعُ الْمَشَقَّةَ وَالْمَوْجُودُ الْأَمْرَ)<sup>(٣)</sup>.  
فِي قَوْلِهِ: "وَإِلَّا لَانعَكَسَ مَعْنَاهَا" دَلِيلٌ عَلَى الْاعْتِمَادِ عَلَى السِّيَاقِ فِي فَهْمِ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ.

قال سيبويه في هذا النوع من الحذف: "هذا باب من الابتداء يضم فيه ما يُبْنَى عَلَى الْإِبْتِدَاءِ وَذَلِكَ قَوْلُكَ: لَوْلَا عَبْدُ اللَّهِ لَكَانَ كَذَا وَكَذَا. فَكَأَنَّهُ قَالَ: لَوْلَا عَبْدُ اللَّهِ كَانَ بِذَلِكَ الْمَكَانِ، وَلَكِنْ هَذَا حَذْفٌ حِينَ كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُمْ إِيَّاهُ فِي الْكَلَامِ، كَمَا حَذَفَ الْكَلَامُ مِنْ: "إِمَّا لَا"<sup>(٤)</sup>.

أو على تقدير: لولا عبد الله بالحضرة. وحذف الخبر لما يدل عليه<sup>(٥)</sup>.  
ويقصد بما يدل عليه هو تعين المحذوف من السياق، فلا يشك أحد بأن المعنى المقصود بقولنا: لولا زيد لأكرمته، هو: لولا زيد موجود؛ لأن الدلالة مستوحاة من السياق نفسه وقد

(١) ينظر: حذف المبتدأ ص: ١٧٧ .

(٢) صحيح مسلم ٢٢٠/١ رقم الحديث (٢٥٢) .

(٣) مغني اللبيب ٣٠٢/١ .

(٤) الكتاب ١٢٩/٢ ، الأصول ٦٨ /١ .

(٥) ينظر: المقتضب : ٦٤ /٣

درج بين النحويين والمتكلمين حذف الخبر<sup>(١)</sup>.

وإذا دل الخبر على كون مطلق ، وجب الحذف "وقَّده الرمائي وابن الشجري و الشلوين وتبعهم ابن مالك بما إذا كان الخبر الكون المطلق، فلو أريد كون بعينه، لا دليل عليه لم يجر الحذف، فضلا عن أن يجب نحو: لولا زيد سالنا ما سلم ، وكقوله ﷺ : « يَا عَائِشَةُ لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثُو عَهْدِ بِشْرِكَ هَدَمْتُ الْكَعْبَةَ فَأَلَزَقْتُهَا بِالْأَرْضِ وَجَعَلْتُ هَا بَابَيْنِ بَاباً شَرْقِيًّا وَبَاباً غَرْبِيًّا وَزِدْتُ فِيهَا سِتَّةَ أَذْرُعٍ مِنَ الْحِجْرِ فَإِنَّ قُرَيْشاً اقْتَصَرَتْهَا حَيْثُ بَنَتِ الْكَعْبَةَ »<sup>(٢)</sup>، وإن كان عليه دليل جاز الحذف أو الذكر"<sup>(٣)</sup>.

قال خالد الأزهري: "فقومك مبتدأ، وحديثو خبره، وهو كون مقيد ب(الحدائثة)"<sup>(٤)</sup>.

والخلاصة في ذلك: أن أكثر النحويين يقررون دور السياق عند فهم المعنى.

--وقدر السياق الخبر المحذوف في قوله ﷺ : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَائِمُّ اللَّهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا »<sup>(٥)</sup>.

والتقدير: و أيم الله قسمي. وهو معلوم من سياق الكلام، وأدنى تأمل من السامع يؤدي إلى إدراكه .

ويكثر حذف الخبر بعد ألفاظ القسم نحو : لعمرك، و أيم الله ، ذكره سيويه في باب ما عمل بعضه في بعض وفيه معنى القسم ، "وذلك قولك: لعمر الله لأفعلن، وأيم الله لأفعلن وبعض العرب يقول: أئمن الكعبة لأفعلن ، كأنه قال: لعمر الله المقسم به وكذلك أيم الله وأئمن الله"<sup>(٦)</sup>.

فحين علم بتكاثره في كلامهم واعتيادهم إياه، صار حذفه شائعا. فيحذف الخبر إذا وقع خبر قسم صريح نحو: لعمرك، وأئمن الله... وإنما وجب حذفه؛ لكونه معلوماً، وقد سد الجواب مسده. بخلاف غير الصريح ، فلا يجب حذف خبره بل يجوز إثباته نحو: علي عهد الله

(١) الهمع ١/٣٣٧.

(٢) صحيح مسلم : ٢ / ٩٦٩ رقم الحديث (١٣٣٣) .

(٣) ينظر: مغني اللبيب: ١/٣٠١، ٣٠٢، والهمع ١/٣٣٧ .

(٤) شرح التصريح: ١/٢٢٤، ٢٢٥ .

(٥) صحيح مسلم ٣/١٣١٥ رقم الحديث (١٦٨٨) .

(٦) الكتاب ٣/٥٠٢ - ٥٠٣ ، المقتضب ٢/٣٢٦ .

لأفعلن؛ لأنه لا يشعر بالقسم من يذكر المقسم عليه، كقولنا: عهد الله لأفعلن، لعدم الصراحة في القسم<sup>(١)</sup>.

وقد يحذف لبيان سياق الحال على المبتدأ و عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ سَيْفًا يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ: «مَنْ يَأْخُذْ مِنِّي هَذَا؟». فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ: أَنَا أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟». قَالَ: فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ، فَقَالَ سِمَاكُ بْنُ خَرْشَةَ أَبُو دُجَانَةَ: أَنَا أَخَذْتُهُ بِحَقِّهِ. قَالَ: فَأَخَذَهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ<sup>(٢)</sup>.

فالخبر هنا محذوف؛ لأنه معلوم من السياق ولما اقتضاه الموقف من طلب السرعة لضيق المقام فقد كانوا في لحظة حرجة في احتدام بين المسلمين والمشركين.

### -حذف خبر لا النافية للجنس:

قد يحذف خبر لا النافية للجنس عند فهمه من السياق؛ ومن ذلك عن النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: الشَّيْطَانُ لَا مَيِّتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ. وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ أَذْرَكْتُمُ الْمَيِّتَ. وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ أَذْرَكْتُمُ الْمَيِّتَ وَالْعَشَاءَ»<sup>(٣)</sup>.

فالتقدير من السياق: ولا عشاء لكم.

وقد يحذف خبر "لا" النافية للجنس في المتعاطفين: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا عَدُوِي وَلَا صَفَرٌ وَلَا هَامَةٌ» فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا بَالُ الْإِبْلِ تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الظَّبَاءُ فَيَجِيءُ الْبَعِيرُ الْأَجْرَبُ فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيَجْرِبُهَا كُلَّهَا قَالَ: «فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلِ»<sup>(٤)</sup>.

والتقدير حسب السياق لتوجيه المعنى: لا عدوى واقعة أي: لا يعتقد أحد أن العدوى حق، والعدوى كونهم كانوا يعتقدون أن الجمل الأجرَب إذا دخل بين الإبل الصحاح

(١) ينظر: شرح التصريح ٢٢٧/١، والجمع ٣٣٨/١.

(٢) سبق تخريجه ص: ١٨٠، ١٨١ من البحث.

(٣) صحيح مسلم: ٣/ ١٥٩٨ رقم الحديث (٢٠١٨)

(٤) المرجع السابق ٤/ ١٧٤٣ رقم الحديث (٢٢٢٠)

جَرِيَتْ<sup>(١)</sup> ولا صفر في شيء، وقد يكون المقصود ما يفعل الجاهليون من النسيء، وهو تأخير حرمة الحرم من الأشهر الحرم إلى صفر<sup>(٢)</sup>، ولا هامة موجودة، والهامة طائر معروف كان بعض العرب يتشائم به وبعضها يتيمن به<sup>(٣)</sup>

فقد حذف خبر لا النافية للجنس الأولى والثانية والثالثة. أما إذا كان خبر "لا" النافية للجنس يتصل بحقيقة خاصة، ويتطلبها الموقف أصبح ذكره لا غنى عنه، لأن حذفه يوقع في لبس، ومثله قوله عليه الصلاة والسلام: "لا أحد أغير من الله ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن"<sup>(٤)</sup>. وكقوله: "ألا ولا غادر أعظم غدرًا من أمير عامة"<sup>(٥)</sup> فلو حذف الخبر هنا لتغيرت الدلالة، أو خفيت على السامع.

وقد أشار سيويه إلى حذف خبر لا النافية للجنس فقال: "والذي يبيني عليه في زمان أو في مكان ولكن تضمه وإن شئت أظهرته، وكذلك لا رجل، ولا شيء، إنما تريد: لا رجل في مكان، ولا شيء في زمان"<sup>(٦)</sup>.

### -حذف الفاعل:

الفاعل معتمد البيان ولا يصح الكلام إلا به؛ لأنه عمدة في الجملة الفعلية، فالفعل حدث والفاعل صاحب ذلك الحدث<sup>(٧)</sup> حتى صاراً بمثابة الجزأين للكلمة الواحدة التي لا يستغنى بأحدهما عن الآخر<sup>(٨)</sup>. إلا أن السياق اللغوي أو سياق الحال قد يتطلبان -أحياناً- عدم ظهوره هذا ما جعل ابن جني لا يرى بأساً في حذفه، فيورد بعض الأمثلة على حذفه استناداً إلى قاعدة عامة بنى عليها منهجه في البحث، وهي أن الكلام إنما يصطلحه أو يفسده

(١) ينظر: المفصح ص: ٣١٧.

(٢) المرجع السابق: ص: ٢٨٠.

(٣) المرجع السابق ص: ٤٢٥.

(٤) صحيح مسلم: ٤ / ٢١١٤ رقم الحديث (٢٧٦٠)

(٥) المرجع السابق: ٣ / ١٣٦١ رقم الحديث (١٧٣٨)

(٦) الكتاب ٤٣/٢:

(٧) ينظر: المقتضب ٧٢/١.

(٨) ينظر: كتاب أسرار العربية، لأبي البركات الأنباري، تحقيق: د. فخر صالح قدرارة، (لبنان: بيروت: دار الجليل، ط: ١،

١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، ص: ٨٩.

معناه <sup>(١)</sup> . ويتوقف حذف الفاعل على وجود ما يدل على المحذوف من القرائن.

فالسباق عامل فاعل في بيان الفاعل المحذوف؛ ومما حذف منه الفاعل أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اتُّمِّنَ خَانَ» <sup>(٢)</sup>.

والتقدير الذي يقبله السياق: وإذا أتمنه المسلم خانه.

قال الجرجاني: " لو أخذت تحذف الفاعل ولم تقم مقامه شيئاً نحو: ضرب زيداً ، من غير فاعل لم يكن كلاماً " <sup>(٣)</sup>

ويطرد حذف الفاعل في أربعة مواضع منها الموضع السابق في باب النائب عن الفاعل نحو:

﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ <sup>(٤)</sup>.

أما قول رسول الله ﷺ: « أَلَا أُنبئُكُمْ بِأكْبَرِ الكَبَائِرِ - ثَلَاثًا - الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ أَوْ قَوْلُ الزُّورِ » . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَكَبِّمًا فَجَلَسَ فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ <sup>(٥)</sup>.

يوضح السياق تقدير الفاعل المحذوف: عقوق الأبناء الوالدين، وقول الناس الزور أو شهادتهم الزور، فالمعنى بيّن واضح وجهه السياق.

وهذه الحالة الثانية التي ذكرها ابن النحاس لحذف الفاعل. في المصدر إذا لم يذكر معه الفاعل، مظهرًا يكون محذوفًا، ولا يكون مضمراً، نحو (أو إطعام) <sup>(٦)</sup> قال ابن النحاس - رحمه الله - (ت: ٦٩٨هـ): "إن شئت حذف المفعول وأبقيت الفاعل أو بالعكس، وهو الأكثر في الاستعمال نحو قوله تعالى: ﴿ أَوْصِيكُمْ بِأَمْرٍ ﴾ <sup>(٧)</sup> ؛ والتقدير: أو إطعام أحدكم" <sup>(٨)</sup>.

- ويبين السياق حذف الفاعل إذا كان الضمير لا يصلح فاعلاً لخلو الكلام من المفسر

(١) ينظر: الخصائص ٢/ ٤٣٣ - ٤٣٥ .

(٢) صحيح مسلم: ٧٨/١، رقم الحديث: (٥٩).

(٣) دلائل الإعجاز، ص ٣١٤ .

(٤) سورة يوسف آية: ٤١، ينظر: شرح التصريح: ٣٩٩/١.

(٥) صحيح مسلم: ٩٢/١ رقم الحديث: (٨٧).

(٦) شرح المقرب المسمى (التعليقة)، ابن النحاس، تحقيق: د. خيرى عبدالراضي، (المدينة المنورة: مكتبة دار الزمان،

ط: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م) ١/ ٢٧٤.

(٧) سورة البلد آية: ١٦.

(٨) المرجع السابق: ١/ ٥٠٠.

ومنه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه- قَالَ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الصَّدَقَةِ أَكْبَرُ؟ فَقَالَ: « أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَاحِبُ شَحِيحٍ تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْغِنَى، وَلَا تَمُهِلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُقُومَ قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا وَلِفُلَانٍ كَذَا أَلَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ » (١).

والتقدير: حتى إذا بلغت الروح الخلقوم، فلا يراد إلا ذلك، وهذا بين من سياق الحديث

قال تعالى ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَائِيَّ ﴿٦٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٦٧﴾ ﴾ (٢).

وقد ذكر ابن الأثير من حذف الفاعل قول العرب: أرسلت، وهم يريدون جاء المطر ولا

يذكرون السماء التي هي فاعل الإرسال .

ومنه قول حاتم الطائي :

أَمَاوِيٍّ مَا يُعْنِي الشَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ (٣)

يريد النفس ولم يجر لها ذكر؛ ومسوغ الحذف في الموضعين قرينه الحال القوية التي لا يلتبس

معها معنى بمعنى، ففي "أرسلت" الفاعل معروف وهو السماء؛ لأن المطر لا يأتي إلا من جهتها

وفي "حشرجت" الفاعل معروف هو (النفس)؛ لأنه لا يحشرج ساعة الموت إلا هي. (٤)

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ

فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحُدَّ وَأَنْتُمْ اللَّهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ

سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا » (٥).

والتقدير من السياق: إنما أهلك الله الذين من قبلكم لأنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف

تركوه .

(١) صحيح مسلم: ٧١٦/٢ رقم الحديث (١٠٣٢) .

(٢) سورة القيامة آية: ٢٦ / ٢٧ .

(٣) البيت من البحر الطويل ، وهو لحاتم في ديوانه، تحقيق: أحمد رشاد، (لبنان: دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤٠٦هـ-

١٩٨٦م) ص: ٥٠.

(٤) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت: صيدا: المكتبة

العصرية، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م)، ٨٦/٢، ٨٧ (بتصرف).

(٥) صحيح مسلم: ٣ / ١٣١٥ رقم الحديث (١٦٨٨) .

- حذف نائب الفاعل:

يجوز حذف (نائب الفاعل) إذا دل عليه دليل؛ وذلك لأن (نائب الفاعل) حكمه حكم الفاعل الذي ناب عنه، وحكم المفعول القائم مقام الفاعل حكم الفاعل؛ فكما أنه لا يرفع الفعل إلا فاعلاً واحداً، كذلك لا يرفع الفعل إلا مفعولاً واحداً.<sup>(١)</sup>

وقد ورد حذف نائب الفاعل في صحيح مسلم؛ من ذلك أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تُودِي فِي الْجَنَّةِ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ . فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ » . قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلَى أَحَدٍ يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ »<sup>(٢)</sup>.

بيّن السياق حذف نائب الفاعل في قوله صلى الله عليه وسلم: " تُودِي فِي الْجَنَّةِ " فنائب الفاعل هنا مصدر مقدر؛ لأن أصل التقدير : نادى منادٍ نداءً جميلاً في الجنة، فيصبح تقدير نائب الفاعل ( نودي نداءً جميلاً في الجنة ) وقد قدرنا ذلك قياساً على قوله تعالى: ﴿ وَيَقِيلُ يَتَأَرَضُ أَبْلَعِي مَاءَكَ ﴾<sup>(٣)</sup>، فقد قدر النحويون نائب الفاعل في الآية الكريمة السابقة، قال الله تعالى قولاً عظيماً يا أرض ابلعي ماءك في المعلوم، ليتحول في المجهول قيل قول عظيم يا أرض ابلعي ماءك ويكون نائب الفاعل مصدر مقدر موصوف كما ذكرنا<sup>(٤)</sup>.

وعلق ابن جني على حذف نائب الفاعل بقوله: " والمفعول محذوف " <sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، (لبنان: بيروت: صيدا، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م) ٤٥٣/١.

(٢) صحيح مسلم: ٧١٣/٢، رقم الحديث (١٠٢٧).

(٣) سورة هود آية: ٤٤.

(٤) من المسائل النحوية في الجامع الصحيح ص: ١٦٦، ١٦٧.

(٥) الخصائص: ٢٠٧/٢.

ثانيًا: حذف المنصوبات :

أطلق النحويون على المفعولات بالمنصوبات أو الفضلات وجعلوا منها: المفعول به، والمفعول المطلق، والمفعول فيه، والمفعول معه، والمفعول له، والحال، والتمييز، والمنادى وذلك لأنها تقع منصوبة. (١).

ومن الحالات التي قررها السياق في حذف المفعول به:

- إذا كان المفعول به يدل على شيء عام ومنها: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَخْجِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» (٢).

والتقدير الواضح من السياق: لا يعلمون الحق والصواب، حذف المفعول به؛ لأنه يدل على مفهوم عام وذلك لأن قومه لا يريدون العلم ويعمدون إلى الجهل في أمر الدعوة التي جاء بها هذا النبي إلى قومه، ولا يفرقون بين طريق الحق والباطل؛ ولذا طلب لهم من الله الرحمة والمغفرة والصفح.

- وبين السياق حذف المفعول به إذا كان في أفعال المشيئة ومنه قوله ﷺ: «إِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيكَ . قَالَتْ أَصْبِرُ . قَالَتْ فَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ . فَدَعَا لَهَا» (٣).

والتقدير: إن شئت الخير والجنة صبرت، وإن شئت غير ذلك دعوت الله عز وجل أن يعافيك.

وقول النبي ﷺ: « لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ . لِيَعْزِمَ فِي الدُّعَاءِ فَإِنَّ اللَّهَ صَانِعٌ مَا شَاءَ لَا مُكْرَهَ لَهُ » (٤).

أي: إن شئت إعطائي فأعطني ما تشاء.

(١) شرح الكافية: ١/١١٢.

(٢) سبق تخريجه ص: ٦٢ من البحث.

(٣) سبق تخريجه من البحث ص: ١٥٤.

(٤) صحيح مسلم: ٤/٦٣، رقم الحديث: (٢٦٧٩).



-ويقرر السياق أن هناك معنى محذوفاً في حذف المفعول به في قول النبي ﷺ: « لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ »<sup>(١)</sup>.

فمعناه ظاهر من خلال السياق ومعلوم من غير لبس، و التقدير: قاطع رحم، ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الرواية الثانية: « لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ رَحِمٍ » حذف المفعول ليوجه المعنى إلى ترك القطيعة في القرى و الجوار وغيرها؛ حتى لا تكون سببا في الحرمان من دخول الجنة.

-ويظهر السياق حذف المفعولا به إذا كان للمصدر كقوله صلى الله عليه وسلم: ( إن الله عز وجل - حرم عليكم عقوق الأمهات ، ووأد البنات ، ومنعاً وهات ، وكره لكم ثلاثاً : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال " )<sup>(٢)</sup>.

أي: ومنعاً الخير؛ فالحديث يبين حرمان منع الخير بكل ألوانه وصنوفه، وفيه حث على نشر الخير والمعروف.

ومنه الفعل أورث كقول رسول الله ﷺ: « مَا زَالَ جَبْرِيلُ يُوصِيَنِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورَثُهُ »<sup>(٣)</sup>.

وقدر السياق المحذوف: سيورثه ما ترك ، ويوجه السياق المعنى إلى بيان مدى اهتمام الإسلام بالعلاقات بين المسلمين.

ومنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اتُّمِّنَ خَانَ »<sup>(٤)</sup>.

والتقدير : إذا حدث الناس كلاماً كذبهم ، و إذا وعد الناس شيئاً أخلفهم .

(١) صحيح مسلم ١٩٨١/٤ رقم الحديث: (٢٥٥٦).

(٢) المرجع السابق: ١٣٤١/٣ رقم الحديث: (٥٩٣).

(٣) المرجع السابق: ٢٠٢٥/٤ رقم الحديث: (٢٦٢٤).

(٤) سبق تخريجه ص: ١٨٣ من البحث .

### حذف المنادى:

الأكثر في المنادى ذكره، ولكنه قد يحذف للعلم به، ومن الحالات التي يبرزها السياق في حديث سلمة بن الأكوع - رضي الله عنه - قال: " فَأَعْدُوا فَأَلْحَقُوا رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَصُكُّهُ بِسَهْمٍ فِي نُغْضِ كَتِفِهِ . قَالَ قُلْتُ: خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمَ يَوْمَ الرُّضْعِ قَالَ يَا ثَكَلْتَهُ أُمُّهُ أَكْوَعُهُ بُكْرَةً قَالَ قُلْتُ نَعَمْ يَا عَدُوَّ نَفْسِهِ أَكْوَعُكَ بُكْرَةً - قَالَ - وَأَرْدُوا فَرَسَيْنِ عَلَى ثَنِيَّةٍ قَالَ فَجِئْتُ بِهِمَا أَسُوفَهُمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - قَالَ - وَلَحَيْتِي عَامِرٌ بِسَطِيحَةٍ فِيهَا مَذْقَةٌ مِنْ لَبَنِ وَسَطِيحَةٍ فِيهَا مَاءٌ فَتَوَضَّأْتُ وَشَرِبْتُ ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمَاءِ الَّذِي حَلَيْتُهُمْ عَنْهُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَخَذَ تِلْكَ الْإِبِلَ وَكُلَّ شَيْءٍ اسْتَنْقَذْتَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَكُلَّ رُوحٍ وَبُرْدَةٍ وَإِذَا بِبِلَالٍ نَحَرَ" (١).

فقوله: " يَا ثَكَلْتَهُ أُمُّهُ" حذف للمنادى واضح من السياق تقديره: "يامن ثكلته أمه" ذ"يا للنداء والمنادى محذوف ويشبه أن يكون المحذوف ( من ) الموصولة متعلقة ب( ثكلته أمه ) وكأنه قال : " يا من ثكلته أمه " فحذفها للعلم بها" (٢).

قال ابن مالك :حق المنادى أن يمنع حذفه؛ لأن عامله حذف لزوما، إلا أن العرب أجازت حذفه والتزمت إبقاء (يا) دليلا عليه، وكون ما بعده أمرا، أو دعاء؛ لأنها داعيان إلى توكيد المأمور والمدعو، فاستعمل النداء قبلهما كثيرا حتى صار الموضع فيها على المنادى إذا حذف وبقيت (يا) حسن حذفه لذلك (٣).

ومن الحالات التي يبرزها السياق في حذفه أيضا : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الْقَبْرِ فَيَمْرَعُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ إِلَّا الْبَلَاءُ » (٤).

والتقدير: يارب، ليتني مكان صاحب هذا القبر .

(١) سبق تخريجه ص: ٨٧ من البحث.

(٢) المفهم ٣/ ٦٧٦، ٦٧٧ .

(٣) ينظر: شرح التسهيل: ٣/ ٣٨٨، ومع الهوامع ٢/ ٣٥ .

(٤) صحيح مسلم: ٤/ ٢٢٣١ رقم الحديث: (١٥٧).

والحديث الشريف يحكي حال الرجل الذي رأى من الفتن ما جعله يتمنى أن مات قبل ذلك بدليل تمرغه بالقبر.

وأشاروا إلى أنه ساغ حذف المنادى لوجود قرينة و يقصد بالقرينة حرف النداء، إذ هو دليل على وجود منادى بعدها، كما في قولهم: يا بؤس لزيد. و التقدير: يا قوم، ولا يجوز أن يكون " بؤس " منادى، إذ ليس للرفع إليه سبيل<sup>(١)</sup>، وبرروا حذف المنادى لأنه مفعول به على الأصل، أي: هو من الفضلات، ثم لقيام قرينة دالة عليه، بخلاف سائر المفعول به، فإنه قد يحذف نسيا منسيا<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن مالك: " وتقدير قوله تعالى: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>: يا قوم ليتني كنت معهم، وهذا الرأي عندي ضعيف؛ لأن قائل: ( يا ليتني ) : قد يكون وحده فلا يكون معه منادى ثابت ولا محذوف، كقول مريم: ﴿يَلَيْتَنِي مِثُّ قَبَلِ هَذَا﴾<sup>(٤)</sup>؛ ولأن الشيء إنما يجوز حذفه مع صحة المعنى بدونه إذا كان الموضع الذي ادّعي فيه حذفه مستعملاً فيه ثبوته، كحذف المنادى قبل أمر أو دعاء، فإنه يجوز حذفه لكثرة ثبوته، فإن الأمر أو الداعي يحتاجان إلى توكيد اسم المأمور والمدعوى بتقديمه على الأمر والدعاء، واستعمل كثيراً حتى صار موضعه منبهاً عليه إذا حذف، فحسن حذفه لذلك، فمن ثبوته قبل الأمر: ﴿يَتَّادِمُ أَسْكُنَ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾<sup>(٥)</sup>، و ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾<sup>(٦)</sup> (١) (٧).

-حذف الحال: عد النحويون الحال من الفضلات، و للحال دور في بيان حال الفاعل أو هيئته والأصل أن الحال يجوز حذفها، لكن من وجهة نظر ابن جني أن ذلك لا يحسن؛ لأن

(١) ينظر: فاتحة الإعراب ص: ١٢٥.

(٢) شرح الكافية ١ / ١٦٠.

(٣) سورة النساء آية: ٧٣.

(٤) سورة مريم آية: ٢٣.

(٥) سورة البقرة آية: ٣٥.

(٦) سورة الزخرف آية: ٧٧.

(٧) شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، ابن مالك النحوي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، (لبنان:

بيروت: دار الكتب العلمية) ص: ٤، ٥.

الغرض فيها توكيد الخبر، وما كان شأنه التوكيد لا يليق به الحذف؛ لأنه ضد الغرض ونقيضه، ومن هنا لا يجوز حذف الضمير العائد على الموصول في مثل: "الذي ضربته نفسه زيد" على أن تكون (نفسه) توكيدا للضمير<sup>(١)</sup>.

ولكن الدليل من كلام سيد البشر أقوى في الإيضاح بوجود حذف الحال الذي منه أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: « الصَّلَاةُ الْخُمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكْفَرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ »<sup>(٢)</sup>.

والتقدير وفاقا للسياق الذي وجه المعنى: الصلوات الخمس، و الجمعة مضمومة إلى الجمعة و رمضان مضموما إلى رمضان، مكفرات لما بينهن . و الذي دل على تلك الحال المحذوفة هو المعنى .

-حذف التمييز: بين السياق حذف التمييز قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « يُقِيمُ الْمُهَاجِرُ بِمَكَّةَ بَعْدَ قَضَاءِ نُسُكِهِ ثَلَاثًا »<sup>(٣)</sup>

والمقصود: ثلاث ليال ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في رواية أخرى: « ثَلَاثُ لَيَالٍ يَمْكُثُهُنَّ الْمُهَاجِرُ بِمَكَّةَ بَعْدَ الصَّدْرِ »<sup>(٤)</sup>.

ويرجع النحويون إلى التمييز فضيلة رفع الإبهام في جملة أو مفرد، عدد، أو مبهم، أو مقدار، أو مماثلة، أو مغايرة فأطلقوا عليه : المميز و التبيين و التفسير و المفسر<sup>(٥)</sup> مع أن له دوراً في إزالة إزالة الإبهام عما قبله، إلا أنه يصح حذفه، إذا قصد إبقاء الإبهام أو كان في الكلام ما يدل عليه

"وقد حذف المميز وذلك إذا علم من الحال حكم ما كان يعلم منها به، وذلك قولك: عندي عشرون، واشترت ثمانين، وملكتم خمسة و أربعين، فإن لم يُعلم المراد لزم التمييز إذا قصد المتكلم الإبانة. فإن لم يرد ذلك وأراد الألفاظ وحذف جانب البيان لم يوجب على

(١) ينظر: الخصائص: ٣٧٨/٢.

(٢) صحيح مسلم: ٢٠٩/١ رقم الحديث: (٢٣٣).

(٣) المرجع السابق: ٩٨٥/٢. رقم الحديث: (١٣٥٢).

(٤) المرجع السابق: ٩٨٥/٢. رقم الحديث: (١٣٥٢).

(٥) ينظر: الهمع: ٢٦٢/٢.

نفسه ذكر التمييز . وهذا إنما يصلحه ويفسده غرض المتكلم ، وعليه مدار الكلام<sup>(١)</sup> . فالتمييز  
كغيره من الأسماء يحذف إذا دلت عليه قرينة .

وقال رسول الله ﷺ: « لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّيِّ مَاذَا عَلَيْهِ لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ  
خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ » . قَالَ أَبُو النَّضْرِ لَا أَذْرِي قَالَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ شَهْرًا أَوْ سَنَةً<sup>(٢)</sup> .

-حذف المفعول المطلق: وهو حذف خاص يتطلبه السياق .

ومنه عن النبي ﷺ قَالَ: « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ - أَوْ قَالَ لِجَارِهِ - مَا يُحِبُّ  
لِنَفْسِهِ »<sup>(٣)</sup> .

أي: لا يؤمن أحدكم إيماناً كاملاً صحيحاً . حذف المفعول المطلق ، وعلم ذلك من  
المعنى . فليس الإيمان منتفياً انتفاء تاماً .

ومنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءَ »<sup>(٤)</sup> .

أي: لا ينظر الله نظرة رضى .

والمحذوف معلوم، يتطلبه دقة المعنى وتوضيحه أو تخصيصه .

### حذف المجرورات :

حذف المضاف إليه : يحذف المضاف إليه لوجود دليل عليه<sup>(٥)</sup> . وأقوى الأدلة السياق . ومن

ذلك الحذف عَنِ الْبِرَاءِ قَالَ كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحْبَبْنَا أَنْ نَكُونَ عَنْ يَمِينِهِ يُقْبَلُ  
عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ - قَالَ - فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: « رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ - أَوْ تَجْمَعُ - عِبَادَكَ »<sup>(٦)</sup> .

والتقدير من السياق: يا ربي قني عذابك حذف ياء المتكلم في النداء، حذف ياء المتكلم،

(١) الخصائص: ٣٧٨/٢ .

(٢) صحيح مسلم: ٣٦٣/١ رقم الحديث (٥٠٧) .

(٣) المرجع السابق: ٦٧/١ رقم الحديث: (٤٥)

(٤) المرجع السابق: ١٦٥١/٣ رقم الحديث: (٢٠٨٥) .

(٥) ينظر: الخصائص: ٣٦٣/٢، والأمالى: ٣٢٨/١ .

(٦) سبق تخريجه ص: ٨٥ من البحث .

الواقعة موقع المضاف إليه. وهو واضح مما يقوم به السياق ومنه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى الْمَقْبُرَةَ فَقَالَ : « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ

بِكُمْ لَأَحِبُّونَ ، وَدِدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْتَنَا إِخْوَانَنَا » . قَالُوا: أَوْلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ »<sup>(١)</sup>

حذف المضاف إليه و التقدير من السياق: لم يأتوا بعد هذا الوقت، و المضاف إليه معلوم؛ لأن كلمة (بعد) ملازمة للإضافة، فحين بنيت على الضم دل على أن المضاف إليه محذوف .

### الحذف في ما يحتمل الرفع أو النصب أو الجر. (التوابع).

يعرف التابع بأنه: الاسم المشارك لما قبله في إعرابه مطلقاً، فجميعها تجري على الثاني في ما جرى على الأول من الرفع والنصب والخفض.<sup>(٢)</sup>

#### أ - حذف الصفة :

أشار ابن مالك إلى أن النعت قد يحذف إذا دل عليه دليل، ولكنه قليل، وسار على خطاه ابن عقيل.<sup>(٣)</sup>

يقول ابن يعيش: "وأما الصفة فلا يحسن حذفها؛ لأن الغرض من الصفة إما التخصيص وإما الثناء والمدح، وكلاهما من مقامات الإطناب و الإسهاب والحذف من باب الاختصار والإيجاز، فلا يجتمعان لتدافعهما، وقد حذفت الصفة على قلة وندرة؛ وذلك عند قوة دلالة الحال عليها"<sup>(٤)</sup>.

غير أن كلام خير الناطقين جاء فيه هذا الحذف الذي أظهره السياق، كقوله عليه الصلاة

(١) صحيح مسلم: ٢١٨/١ رقم الحديث (٢٤٩) .

(٢) ينظر: الأصول ٢ / ١٩ شرح الكافية ١ / ٢٩٨، وشرح ابن عقيل ٢ / ١٧٧.

(٣) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري، (بيروت: صيدا: المكتبة العصرية)، ٣ / ٣٢٢ . النحو الوافي ٤٩٢/٣ .

(٤) شرح المفصل للزمخشري، ابن يعيش الموصلي، تحقيق: د. إميل بديع يعقوب، (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ٢ / ٢٥٧ .

والسلام: " فَفَرَّجَ اللَّهُ مِنْهَا فُرْجَةً فَرَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ " (١).

أي: ففرج الله فرجة قليلة. حذف الصفة؛ لأنها معلومة من المعنى، مبنية من السياق إذ إن تقدير الصفة تعين على تحديد المعنى بدقة.

ومثله قول النَّبِيِّ ﷺ: « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ » (٢).

أي: المسلم الحق. إذ ليس كل من أسلم فهو مسلم، ولكن يزداد إيمانه ويحقق صدقه من خلال تعامله مع إخوانه المسلمين.

فالنعت المحذوف يتطلبه تمام المعنى ووضوحه ولكنه حذف للعلم به؛ لأن السامع يتبينها من السياق.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ - رضي الله عنه - قَالَ كُنَّا نُسَلِّمُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ فَيَرُدُّ عَلَيْنَا ، فَلَمَّا رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِ النَّجَاشِيِّ سَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْنَا ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنَّا نُسَلِّمُ عَلَيْكَ فِي الصَّلَاةِ فَتَرُدُّ عَلَيْنَا . فَقَالَ : « إِنَّ فِي الصَّلَاةِ شُغْلًا » (٣).

والسياق يقدره: شغلاً كافياً لوقوفه أمام رب العزة والجلالة، وإحساسه بهيبته.

قال القرطبي: " اكتفى بذكر الموصوف عن الصفة فكأنه قال: شغلاً كافياً أو مانعاً من

الكلام وغيره " (٤).

### حذف الكلمة في غير ما مر:

وقع حذف المضاف وهذا ما أقره النحاة في كلام العرب. جاء في الأمالي الشجرية: "وأما حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه فكثير جداً... وذلك نحو قولهم: صلى المسجد، أي: أهل المسجد. ومنه قول مهلهل بن ربيعة:

نُبِّئْتُ أَنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أُوقِدَتْ      وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كَلْبُ الْمَجْلِسِ (٥)

(١) صحيح مسلم: ٢٠٩٩/٤، رقم الحديث: (٢٧٤٣).

(٢) المرجع السابق: ٦٥/١، رقم الحديث (٤٠).

(٣) المرجع السابق: ٣٨٢/١، رقم الحديث: (٥٣٨).

(٤) المفهم: ١٤٦/٢، ١٤٧.

(٥) البيت من البحر الكامل في ديوان مهلهل بن ربيعة: ٢١/١.

أراد: استتب أهل المجلس" (١).

وذهب بعضهم إلى أن حذف المضاف قياسي مطلقا ، وهذا رأي ابن جني ، فأجاز :  
جلست زيدا ، على تقدير: جلست جلوس زيدا (٢)

- وقد بين السياق حذف المضاف في نطاق الجملة المحكية :

ومنه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقُنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» (٣).

والمحذوف معلوم من السياق (قول: لا إله إلا الله).

ومنه أيضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مِنْ خَيْرِ  
مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَرْعَةً  
طَارَ عَلَيْهِ يَبْتَغِي الْقَتْلَ وَالْمَوْتَ» (٤).

في قوله: (من خير معاش الناس) أي: عيش الحياة (رجل) هو على تقدير مضاف: أي  
معاش رجل فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فارتفع (٥)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ  
يَقُولُ: " الصَّلَاةُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكْفَرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ  
إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ " (٦)

قال الطيبي: " قوله: (والجمعة) المضاف محذوف، أي: صلاة الجمعة منتهية إلى الجمعة  
وصوم رمضان منتهيا إلى صوم رمضان، و(مكفرات) خبر عن الكل و(لما بينهن) معلول لاسم  
الفاعل؛ ولذا دخلت اللام فيه، و(إذا اجتنب) شرط وجزاء دل عليه ما قبله" (٧).

(١) الأماي: ٣٢٣/١، ٣٢٤، وينظر: مغني اللبيب: ٧١٥/٢.

(٢) الخصائص: ٧٥/٢.

(٣) صحيح مسلم: ٦٣١/١ رقم الحديث (٩١٦)

(٤) المرجع السابق: ١٥٠٣/٣ رقم الحديث (١٩٨٩).

(٥) دليل الفالحين: ٤٥/٣.

(٦) صحيح مسلم: ٢٠٩/١، رقم الحديث: (٢٣٣).

(٧) شرح الطيبي: ١٠١/٣، وعقود الزبرجد: ٢٢/٣.



### حذف الموصوف :

يمنع ابن جني حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه، ويرى أن القياس يحظر هذا النوع من الحذف يقول: "وقد حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه، وأكثر ذلك في الشعر، وإنما كانت كثرته فيه دون النثر من حيث كان القياس يكاد يحظره

وذلك أن الصفة في الكلام على ضربين : إما للتخليص والتخصيص، وإما للمدح والثناء وكلاهما من مقامات الإسهاب والإطناب، لا من مظان الإيجاز والاختصار"<sup>(١)</sup>.

ولعل ما ورد في سياقات الحديث ينابي ما ذكره ابن جني فقد حذف الموصوف فيه وفي القرآن الكريم وفي الشعر وفي كلام العرب، ومما جاء من الشواهد القرآنية ما ذكر ابن هشام في المغني، حيث أشار إلى جواز حذف الموصوف يقول: "قوله تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْظَّرْفِ عِينٌ ﴾<sup>(٢)</sup> أي: حور قاصرات"<sup>(٣)</sup>.

يقول ابن يعيش: "اعلم أن الصفة والموصوف لما كانا كالشيء الواحد من حيث كان البيان والإيضاح إنما يحصل من مجموعهما، كان القياس أن لا يحذف واحد منهما لأن حذف أحدهما نقض للغرض، وتراجع عما اعترفوه، فالموصوف القياس يأبى حذفه لما ذكرناه؛ ولأنه ربما وقع بحذفه لبس..... إلا أنهم قد حذفوه إذا ظهر أمره. وقويت الدلالة عليه، أمت بحال، أو لفظ، وأكثر ما جاء في الشعر؛ لأنه موضع ضروره"<sup>(٤)</sup>.

وعَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ ، وَأَكْثِرْنَ الْإِسْتِغْفَارَ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ » . فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزَلَةٌ : وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ ؟ . قَالَ : « تَكْثِرْنَ اللَّعْنَ ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِيذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ » . قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالْدِّينِ ؟ قَالَ : « أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ فَهَذَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ ، وَتَمَكُّتُ اللَّيَالِي مَا تُصَلِّي

(١) الخصائص: ٣/٣٦٦.

(٢) سورة الرحمن آية: ٤٨.

(٣) مغني اللبيب: ٢/٧١٩.

(٤) شرح المفصل: ٢/٢٥٣.

وَتُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ فَهَذَا نُقْصَانُ الدِّينِ»<sup>(١)</sup>.

قوله: " وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ "، (من ناقصات) صفة موصوف محذوف أي: ما رأيت أحدا من ناقصات .

مما سبق يتضح أن السياق يلعب دورا مهما في الحذف والتقدير، ويعد المصدر والمعيار الأساس على صحة الكلام. ويشارك بطبيعة الحال في تقديره .

(١) صحيح مسلم: ١/ ٨٦ رقم الحديث (٧٩) .

### المطلب الثالث

#### حذف الأفعال

يعد السياق من أقوى الدلائل على المحذوف من الأفعال؛ حيث ذكر النحاة أن الفعل يحذف، ويقولون بجواز حذفه مطلقاً إذا دلت عليه قرينة<sup>(١)</sup>.

يقول سيويوه في إضمار الفعل: "إن الفعل يجري في الأسماء على ثلاثة مجاز: ومنها فعل مضمَر مستعمل إظهاره، وفعل مضمَر متروك إظهاره"<sup>(٢)</sup>.

وقد ورد حذف الفعل الظاهر من السياق في الحديث النبوي الشريف كما يلي:

#### أولاً: حذف الفعل الماضي:

من ذلك عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُنَيْنًا، فَقَالَ لِرَجُلٍ يَمُنُّ يُدْعَى بِالْإِسْلَامِ: « هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ » فَلَمَّا حَضَرْنَا الْقِتَالَ قَاتَلَ الرَّجُلُ قِتَالًا شَدِيدًا فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجُلُ الَّذِي قُلْتَ لَهُ آتِنَا: « إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ » فَإِنَّهُ قَاتَلَ الْيَوْمَ قِتَالًا شَدِيدًا وَقَدْ مَاتَ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « إِلَى النَّارِ »<sup>(٣)</sup>.

إن قول النبي صلى الله عليه وسلم (إلى النار) يحتاج إلى متعلق؟ ولا شك أنه متعلق بفعل يقدره الموقف، ويفسره السياق، وهو: ذهب إلى النار، أو أي فعل يؤدي هذا المعنى، ولا يستحسن أن نقدر اسماً في مثل هذا السياق؛ لأنه يكون ثقیلاً غير مناسب لنص الحديث<sup>(٤)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: « مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ». فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: « وَإِنْ كَانَ شَيْئاً يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: « وَإِنْ قَضِيًّا مِنْ

(١) ينظر: الأمالي: ١/٣٣٠، ومغني اللبيب: ٢/٧٢٨ وما بعدها.

(٢) الكتاب: ١/٢٩٦.

(٣) صحيح مسلم: ١/١٠٥ رقم الحديث (١١١).

(٤) ينظر: بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف ص: ٣٢١.

أَرَاكَ»<sup>(١)</sup> .

فهنا المحذوف معلوم من السياق وهو فعل ماضي يقدر إما بـ (اقتطع أو كان) . قال النووي : "كذا في أكثر الأصول، وفي كثير منها و(إن قضيا ) على أنه خبر كان المحذوفة، أو أنه مفعول لفعل محذوف وتقديره: وإن اقتطع قضيا"<sup>(٢)</sup> .

وفي حديث الإسراء قوله صلى الله عليه وسلم: " ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَأَتَيْتُ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَرْجَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ"<sup>(٣)</sup> .

فالسباق بين الفعل محذوف وتقديره: أي صادفت رجبا.

وقال القاضي عياض والنووي : " مرجبا: نصب على المصدر، وهو لفظ استعملته العرب وأكثر منه، تريد البر وحسن اللقاء ومعناه: صادفت رجبا وسعة وبرا "<sup>(٤)</sup>.

وقد ظهر من السياق حذف الفعل بعد(لو)؛ ومنه عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: « لَوْ أَنَّ لابنِ آدَمَ مِلاءَ وادٍ مَلاَ لأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِليهِ مِثْلُهُ، وَلَا يَمَلَأُ نَفْسَ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ التُّرابُ، وَاللَّهُ يَتُوبُ عَلَي مَنْ تَابَ »<sup>(٥)</sup>

والتقدير : لو ثبت أن لابن آدم وادياً من ذهب .

وحصل الحذف لظهور المعنى من السياق ، و الغرض من الإتيان بهذا الظاهر تفسير المقدر فلو أظهرته لم تنجح إلى مفسر ، و الغرض من الإبهام ثم التفسير: إحداث وقع في النفوس لذلك المبهم؛ لأن النفوس تشوق إذا سمعت المبهم إلى العلم بالمقصود منه<sup>(٦)</sup>.

(١) صحيح مسلم: ١٢٢/١ رقم الحديث : (١٣٧) .

(٢) المنهاج : ٧٠١/٩ .

(٣) صحيح مسلم: ١٤٩ /١ رقم الحديث (١٦٤) .

(٤) المنهاج: ٩٨/٢ .

(٥) صحيح مسلم : ٢ / ٧٢٥ رقم الحديث (١٠٤٨) .

(٦) شرح الكافية ٧٦/١ .

قال الطيبي : " أي أثبت ؛ لأن لو تقتضي الفعل الماضي ، وإذا وقعت أن المفتوحة بعد لو كان حذف الفعل واجبا ؛ لأن ما في أن من معنى التحقيق والثبات منزل منزلة الفعل المحذوف " (١) .

ويظهر الفعل في بعض المواضع من سياق الحال فعن النبي ﷺ قَالَ : « لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةً: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلًا عَابِدًا فَأَتَّخَذَ صَوْمَعَةً فَكَانَ فِيهَا فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ . فَقَالَ: يَا رَبُّ أُمِّي وَصَلَاتِي . فَأَقْبَلَ عَلَيَّ صَلَاتِي فَأَنْصَرَفْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: يَا رَبُّ أُمِّي وَصَلَاتِي فَأَقْبَلَ عَلَيَّ صَلَاتِي، فَأَنْصَرَفْتُ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ . فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي..... » (٢) .

أي: يا رب، اجتمع عليّ أمي وصلاتي .

والموقف موقف تخشع و تضرع بين يدي الخالق ، و الموقف يضيق بذكر التفاصيل إذ هو مناجاة يحسن فيها التأدب و التطرف و الخشوع و المخاطبة بأيسر عبارة وأوجزها .

### حذف الفعل المضارع :

أبرز السياق حذف الفعل المضارع فعن جابر - رضي الله عنه - قَالَ: اقْتَتَلَ غُلَامَانِ غُلَامٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَغُلَامٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَنَادَى الْمُهَاجِرُ أَوْ الْمُهَاجِرُونَ يَا لِلْمُهَاجِرِينَ . وَنَادَى الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ . فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: « مَا هَذَا دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ؟ ». قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا أَنَّ غُلَامَيْنِ اقْتَتَلَا فَكَسَعَ (٣) أَحَدُهُمَا الْآخَرَ قَالَ: « فَلَا بَأْسَ وَلْيَنْصُرِ الرَّجُلُ أَخَاهُ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا إِنْ كَانَ ظَالِمًا فَلْيَنْتَهْ فَإِنَّهُ لَهُ نَصْرٌ، وَإِنْ كَانَ مَظْلُومًا فَلْيَنْصُرْهُ » (٤) .

(١) شرح الطيبي: ٤/٣٢٣ .

(٢) صحيح مسلم ٤/١٩٦٧ ، رقم الحديث: (٢٥٥٠) .

(٣) كسع فلان فلانا مما ساءه إذا همزه من ورائه بكلام قبيح. ويقال: ولّى القوم أديبارهم فكسعوهم بسيفوهم أي: ضربوا دوابرهم. تهذيب اللغة مادة: (ك س ع) .

(٤) صحيح مسلم ٤/١٩٨٩ رقم الحديث: (٢٥٨٤) .

قوله: " (دعوى الجاهلية) هو مضدر لفعل محذوف تقديره: أتدعون دعوى الجاهلية؟ على جهة الاستفهام والتوبيخ؛ ولذلك قالوا في الجواب: لا. ولا يحسن أن يكون التقدير: هذه دعوى الجاهلية؛ لأنه لو كان كذلك لم يقولوا: لا وقوله: (لابأس) أي لابأس في هذه الدعوى" (١).

- ومن حذف الفعل المضارع بدلالة السياق أيضًا عن مُطَرِّفٍ عَنِ أَبِيهِ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ ( أَهْلَاكُمْ التَّكَاتُرُ ) قَالَ « يَقُولُ ابْنُ آدَمَ مَالِي مَالِي - قَالَ - وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ أَوْ لَبِستَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ » (٢).

أي: أريد مالي أريد مالي.

نص التحويون على أنه يجوز حذف ناصب المفعول به قياساً؛ لقرينة لفظية أو معنوية نحو: زيدا، لمن قال: من ضربت؟ و خيراً، لمن ذكر رؤيا، أي: أريت، ومكة لمن تأهب للحج، والتقدير: تريد مكة، و منه قوله تعالى: ( ماذا أنزل ربكم ؟ قالوا : خيرا ) (٣) أي: أنزل ربنا خيراً. (٤)

وقرر السياق حذف الفعل بعد إتما في قول رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: « مَا مِنْ صَاحِبٍ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحٌ مِنْ نَارٍ فَأُحْمِي عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ » (٥).

والتقدير: إما يذهب إلى الجنة، وإما يذهب إلى النار، وذلك على تقدير فعل المضارع.

### ثالثاً: فعل الأمر .:

يدل السياق على حذف الفعل في مواضع من صحيح مسلم من ذلك عن أبي موسى - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قَالَ: « إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ

(١) إعراب الحديث النبوي، لأبي البقاء العكبري، تحقيق: عبدالإله نبهان، (لبنان: بيروت: دار الفكر، ط: ١، ١٤٠٩ هـ.

- (١٩٨٩م) ص: ١٠٨.

(٢) صحيح مسلم: ٤/٢٢٧٣ رقم الحديث (٢٩٥٩).

(٣) سورة النحل آية: ٣٠.

(٤) الجمع: ٢/١٣.

(٥) صحيح مسلم: ٢/٦٨٠ - ٦٨١ رقم الحديث (٩٨٧).

يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بَعِيَّتِي وَإِنِّي أَنَا التَّنْذِيرُ الْعُرْتَانُ فَالْتَّجَاءُ» .<sup>(١)</sup>

حذف الفعل ظاهر من السياق لأن الأسلوب أسلوب تحذير قال النووي: " قوله : فالنجاء ممدود أي : أنجوا النجاء ، أو اطلبوا النجاء " <sup>(٢)</sup>.

وقد تحدث عن ذلك سيويه عند حديثه عن التقدير في بعض المصادر النائية عن فعل الأمر في الإغراء وغيره : "ومما جعل بدلاً من اللفظ بالفعل قولهم: "الحذر الحذر، والنجاء النجاء، وضرباً ضرباً، وإنما انتصب هذا على : الزم الحذر، وعليك النجاء؛ ولكنهم حذفوا لأنه صار بمنزلة "افعل" ، ودخول "الزم" و"عليك" على "افعل" محال" <sup>(٣)</sup>

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « أَيُّهَا النَّاسُ السَّكِينَةُ السَّكِينَةُ » <sup>(٤)</sup> .

قال أبو البقاء: "الوجه أن ينصب السكينة على الإغراء، أي: الزموا السكينة، كقوله تعالى:

﴿ عَلَيْكُمْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ <sup>(٥)</sup>، ولا يجوز الرفع لأنه يصير خبراً، وعند ذلك لا يحسن أن يقول: رويداً أيها الناس؛ لأنه لا فائدة فيه" <sup>(٦)</sup> .

وعلى سيويه حذف فعل الأمر من صيغتي التحذير و الإغراء فقال: "وحذفوا الفعل من إياك لكثرة استعمالهم إياه في الكلام، فصار بدلاً من الفعل" <sup>(٧)</sup>.

وبعد فإن دراسة هذا المبحث أبرزت اعتماد حذف الفعل في أحاديث صحيح مسلم، وأن ذلك جرى على سنن العرب وأساليبهم ومألوف منطوقهم ، وله ما يدعمه في كلامهم وفي القرآن الكريم، والذي يظهر دور السياق فيه.

(١) صحيح مسلم: ١/١٧٨٨ رقم الحديث (٢٢٨٣) .

(٢) المنهاج: ١٥ / ٤٩

(٣) الكتاب: ١/٢٧٦، ٢٧٥ .

(٤) صحيح مسلم: ٢ / ٨٩١ رقم الحديث (١٢١٨) .

(٥) سورة المائدة آية: ١٠٥ .

(٦) إعراب الحديث النبوي: ص: ١٢ .

(٧) الكتاب: ١/٢٧٤ .

## المطلب الرابع حذف الجمل

دَلَّ السياق العام للأحاديث النبوية الشريفة على حذف الجمل في اللغة؛ ومن هذا الحذف ما يلي:

### -الحذف في الجملة الشرطية:

تمثل الجملة الشرطية: "بنية متكاملة بما تبني عليه من التحام عضوي يحسمه الترابط النحوي وتكامل المعنى، وعنصر الشرط اللذان يليان أداة الشرط الأصل فيهما أن يكونا فعلين؛<sup>(١)</sup> وبينوا السبب في ذلك بقولهم: "وإنما وجب أن تكون الجملتان فعليتين من قبل الشرط إنما يكون لما ليس في الوجود ويحتمل أن يوجد، والأسماء ثابتة موجودة لا يصح تعليق وجود غيرها على وجودها"<sup>(٢)</sup>.

ولذا قالوا: "لا يلي حرف الشرط إلا الفعل، ويقبح أن يتقدم الاسم فيه على الفعل ويفصل بينهما"<sup>(٣)</sup>.

وظاهر من سياق الأحاديث حذف جواب الشرط؛ من ذلك أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: " الصَّلَاةُ الخُمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكْفَرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ "<sup>(٤)</sup>

والتقدير حسب السياق: إذا اجتنبت الكبائر فهن مكفرات لما بينهن .

حذف جواب الشرط (الجملة)؛ لأنه معلوم من السياق، دل عليه ما تقدمه من كلام ويشير بعض النحويين أن ذاك ظاهر من المعنى ومن التكلف أن يكون هناك ما هو محذوف يقول ابن يعيش: "حذفُ الجواب أبلغُ في المعنى من إظهاره ، ألا ترى أنك لو قلت لعبدك

(١) الشرط في القرآن ص: ١٢٩، وينظر: بلاغة السؤال والجواب ص: ٢٣٠.

(٢) شرح المفصل: ١٠٨/٥.

(٣) المرجع السابق: ٩/٩ .

(٤) سبق تخريجه ص: ١٩٤ من البحث .



: وَاللَّهِ لَئِنْ قُتِلْتُ إِلَيْكَ ، وَسَكَتَ عَنِ الْجَوَابِ .. ذَهَبَ فِكْرُهُ إِلَى أَنْوَاعٍ مِنَ الْعُقُوبَةِ وَالْمَكْرُوهِ مِنْ الْقَتْلِ وَالْقَطْعِ وَالضَّرْبِ وَالْكَسْرِ ، فَإِذَا تَمَثَّلَتْ فِي فِكْرِهِ أَنْوَاعُ الْعُقُوبَاتِ وَتَكَاثَرَتْ ، عَظُمَتْ الْحَالُ فِي نَفْسِهِ ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَيُّهَا يَتَّقِي ، فَكَانَ أْبْلَغَ فِي رَدْعِهِ وَزَجْرِهِ عَمَّا يَكْرَهُ مِنْهُ ؟ وَلَوْ قُلْتُ : وَاللَّهِ لَعَنَ قَمْتَ إِلَيْكَ لِأَضْرَبَنَّكَ ، وَأَظْهَرْتُ الْجَوَابَ ، وَلَمْ يَذْهَبْ فِكْرُهُ إِلَى نَوْعٍ مِنَ الْمَكْرُوهِ سِوَى الضَّرْبِ ، فَكَانَ ذَلِكَ دُونَ حَذْفِ الْجَوَابِ فِي نَفْسِهِ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ وَطِنَ لَهُ نَفْسَهُ ، فَيَسْهَلُ ذَلِكَ عَلَيْهِ " (١) .

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَرِعَا مُحْمَرًا وَجْهَهُ يَقُولُ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَبِاللَّهِ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ فُتْحَ الْيَوْمِ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ » . وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامَ وَالَّتِي تَلِيهَا . قَالَتْ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْهَلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ ؟ قَالَ : « نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبْثُ » (٢) .

والجملة بتقدير الجواب المحذوف هي : إذا كثرت الخبث نهلك وفينا الصالحون .

ويرجح السياق بأن (لو) الشرطية يحذف جوابها ففي الحديث عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أَنَّهَا قَالَتْ : كَانَ النَّاسُ يَنْتَابُونَ الْجُمُعَةَ مِنْ مَنَازِلِهِمْ مِنَ الْعَوَالِي فَيَأْتُونَ فِي الْعَبَاءِ وَيُصِيبُهُمُ الْعُبَارُ فَتَخْرُجُ مِنْهُمْ الرِّيحُ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِنْسَانٌ مِنْهُمْ وَهُوَ عِنْدِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَوْ أَنَّكُمْ تَطَهَّرْتُمْ لَيَوْمِكُمْ هَذَا » (٣) .

والتقدير : لكان حسنا . ويمكن أن تكون (لو) للتمني فلا تحتاج إلى جواب . ولكن الشرط أقوى وأحسن في سياق الحديث .. (٤) .

ويعمل الخليل للحذف بعلم السامع بالمحذوف ، وذلك لطول إلفه لهذه الأساليب التي حذفتها قد يحذف جواب الشرط إذا علم المخاطب غاية الشرط دون الحاجة إلى النص على الجواب يقول سيبويه : "وسألت الخليل عن قوله جل ذكره : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ (٥) أين جوابها ؟ وعن قوله جل وعلا : ﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ

(١) شرح المفصل: ١/ ٢٥١- ٢٥٢ .

(٢) سبق تخريجه من البحث ص: ١١٠ .

(٣) صحيح مسلم: ٢/ ٥٨١ رقم الحديث (٨٤٧) .

(٤) بناء الجملة في الحديث ص: ٥٧٨ .

(٥) سورة الزمر آية: ٧٣ .

أَلْعَدَابُ ﴿١﴾؛ ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ﴾<sup>(١)</sup> فقال: إن العرب قد تترك في مثل هذا الخبر (الجواب) في كلامهم، لعلم المخبر لأي شيء وضع هذا الكلام " .<sup>(٢)</sup>  
ويعلل الفراء-رحمه الله-(ت:٢٠٧هـ) تعليلاً آخر بقوله: "والعرب تحذف جواب الشيء إذا كان معلوماً إرادة الإيجاز"<sup>(٣)</sup>.

-وقد تحذف جملة الشرط : في أسلوب (لو)الشرطية حيث ورد حذف الشرط والجواب جميعاً عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النَّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَأَسْتَهْمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَأَسْتَبِقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهَا وَلَوْ حَبَوًّا »<sup>(٤)</sup> .

فتقدير فعل الشرط المحذوف بأنه "ولو كان ذلك حياً" كما يمكن تقدير الجواب مما يفسره الشرط السابق وهو "لأتوها"، وعلى تقدير: ولو كان ذلك حياً لأتوها"<sup>(٥)</sup>.

وقد تحذف كان واسمها بعد لو الشرطية إذا فهمت من السياق قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةً لِحَارِهَا وَلَوْ فَرَسَنَ شَاةٍ »<sup>(٦)</sup> .

والتقدير: ولو كانت الهدية فرس شاة. فقد حذف كان مع اسمها وأبقى على خبرها، والسياق ينبيء بالمحذوف و يدل عليه، والغرض من ذلك الترغيب في الإهداء بين الجيران، لتوطيد علاقات المحبة والمودة والتواصل؛ ولو كانت الهدية بأقل الأثمان.

وحذف كان و اسمها بعد " لو " جائز و كثير و لكنه أقل من حذفها بعد

أن الشرطية<sup>(٧)</sup> قال ابن يعيش: "قد يحذف جواب لو كثيراً، قال تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ

(١) سورة الأنعام آية ٢٧ .

(٢) الكتاب: ١٠٣/٣ .

(٣) معاني القرآن، الفراء، (لبنان: بيروت: عالم الكتب، ط: ٢، ١٩٨٠م) ٦٣/٢ .

(٤) صحيح مسلم: ١/٣٢٥ رقم الحديث (٤٣٧) .

(٥) بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف: ص: ٥٧٩ .

(٦) صحيح مسلم: ٢/٧١٤ رقم الحديث (١٠٣٠)، وفرسن شاه قال النووي: "هو بكسر الفاء والسين وهو الظلف،

قالوا أصله من الإبل، وهو فيها مثل القدم في الإنسان" ينظر: المنهاج: ٧/١٢١ .

(٧) شرح الكافية ١ / ٢٥٢ شرح ابن عقيل ١ / ٢٧١ ، ٢٧٢ .

النَّارِ ﴿١﴾، الجواب محذوف تقديره أي لرأيت سوء منقلبهم ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ  
الْجِبَالُ﴾ ﴿٢﴾، أي لكان هذا القرآن ،ومن ذلك: لو ذات سوار لطمتني ﴿٣﴾ ، لم يأت بجواب  
، والمراد لانتصفت ، وذلك كله للعلم بموضعه. ﴿٤﴾  
وقال أصحابنا: إن حذف الجواب فى هذه الأشياء أبلغ فى المعنى من إظهاره؛ لأن الإبهام  
أوقع فى النفس. ﴿٥﴾

### حذف جملة القسم :

تحذف جملة القسم إذا دل عليها الكلام قبلها ، أو وقع القسم معترضاً بين جزأين  
متلازمين وقد يكون القصد من حذف الجواب ألا يرد جواب بعينه ، وإنما يرد ما يحتمله  
السياق والمقام من جواب ، وعند ذلك يتسع المعنى لكل ما يحتمله المقام ، فلا ينصرف الذهن  
إلى شيء بعينه . فيشمل المعنى أبعادا لم يكن يشملها بالذكر ؛ لأن الغرض من الذكر هو  
القصد إلى جواب بعينه ، وأما الحذف فيحتمل أن يكون المراد منه الإيجاز ، ويحتمل أن يكون  
المراد منه سعة المعنى وشموله وذهاب الذهن كل مذهب ﴿٦﴾ .

ومن ذلك ما رواه أبو ذر أنه انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول فى ظل  
الكعبة : ( هم الأخسرون ورب الكعبة ، هم الأخسرون ورب الكعبة ) ﴿٧﴾  
فجواب القسم هنا حذف ولم يجر له ذكر لسبق ذكره فى الكلام ومعرفته من  
السياق ، والتقدير: ورب الكعبة أنهم الأخسرون .

وشاهده أيضا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لَتَسَوُنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لِيُخَالِقَنَّ اللَّهُ

(١) سورة الأنعام آية: ٢٧ .

(٢) سورة الرعد آية: ٣١ .

(٣) لو ذات سوار لطمتني يقوله الكريم إذا ظلمه اللئيم ، وأصله إن امرأة لطمت رجلا ، فنظر إليها، فإذا هي رثة  
الهيئة عاطل ، فقال: لو ذات سوار لطمتني ، أي: لو كانت ذا غنى وهيئة لكانت بليتي أخف . جمهرة الأمثال: ١٥٩/٢ .

(٤) شرح المفصل: ١٤٧/١ ، ١٤٨ .

(٥) عقود الزبرجد: ٥٥/٢ .

(٦) ينظر : معاني النحو / ٤ / ٥٦٥

(٧) صحيح مسلم : ٦٨٦/٢ ، رقم الحديث: (٩٩٠) .

بَيَّنَ وَجُوهَكُمْ» (١).

والتقدير: والله لتسون صفوفكم .

حذف جملة القسم اختصاراً، حين دل السياق عليها واللام الواقعة في جواب القسم ونون التوكيد الثقيلة المتصلة بالفعل و التي هي من لوازم جملة جواب القسم .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: ( لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ) (٢)

والتقدير: والله لأعطين .

-وتحذف الجملة في سياق المعطوف عليه :

قد تحذف جملة أو أكثر في سياق العطف لإظهار السياق للمحذوف ؛ وذلك دفعا للإطالة وطلباً للإيجاز، وقد أشار المبرد في مواضع كثيرة إلى اعتبار طول الكلام سبباً من أسباب الحذف (٣)

-وتحذف الجملة في سياق المعطوف على مقدر:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ . قَالَ « اجْتَمِعْنَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا » . فَاجْتَمَعْنَ فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ: « مَا مِنْكُمْ مِنْ امْرَأَةٍ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلَاثَةً إِلَّا كَانُوا لَهَا حِجَاباً مِنَ النَّارِ » . فَقَالَتْ امْرَأَةٌ: وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ » (٤)

"فاجعل لنا من نفسك" عطف على محذوف تقديره : انظر لنا يوماً ، ونحو ذلك جعل جملة من الفعل والفاعل ، والجعل يستعمل متعدياً إلى مفعول واحد بمعنى : فعل وإلى مفعولين بمعنى صير ، والمراد به التعيين ، أي : عين لنا يوماً ، ويجوز أن يكون التقدير : اجعل لنا يوماً يعني: اليوم الذي تتفرغ فيه .

ومن ذلك أيضاً عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ - رضي الله عنه - قَالَ كَانَ رَجُلٌ لَا أَعْلَمُ رَجُلًا أَبْعَدَ مِنَ الْمَسْجِدِ مِنْهُ وَكَانَ لَا تُحْطِئُهُ صَلَاةٌ - قَالَ - فَقِيلَ لَهُ أَوْ قُلْتُ لَهُ لَوْ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا

(١) صحيح مسلم: ٣٢٤/١ رقم الحديث (٤٣٦) .

(٢) المرجع السابق: ١٨٧١/٤ رقم الحديث (٢٤٠٥) .

(٣) ينظر: المقتضب: ١٢١/٣، ٣٤١/٣ .

(٤) سبق تحريجه ص: ٧٤، ٧٥ من البحث .

تَرْكِبُهُ فِي الظَّلْمَاءِ وَفِي الرَّمْضَاءِ . قَالَ مَا يَسْرُنِي أَنَّ مَنْزِلِي إِلَى جَنْبِ الْمَسْجِدِ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي مُمْشَايَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَرُجُوعِي إِذَا رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « قَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ »<sup>(١)</sup> .

قول رسول الله- صلى الله عليه وسلم- « قَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ » عطف على مقدر: أي: فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم: فقال مخاطبًا له (جمع الله لك ذلك) أي المشي والرجوع<sup>(٢)</sup> .

ومنه قول أنس بن مالك- رضي الله عنه- « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِلَبَنٍ قَدْ شِيبَ بِمَاءٍ وَعَنْ يَمِينِهِ أَعْرَابِيٌّ وَعَنْ يَسَارِهِ أَبُو بَكْرٍ فَشَرِبَ ثُمَّ أُعْطِيَ الْأَعْرَابِيَّ وَقَالَ: « الْأَيْمَنُ فَالْأَيْمَنُ »<sup>(٣)</sup> قوله: الأيمن فالأيمن، حال مركبة دالة على ترتيب، وعاملها محذوف وهو الفعل مع فاعله على تقدير: لتشربوا الأيمن فالأيمن، أي: مرتبين .

وبعد ما سبق يتبين أن البحث لم يكن معنياً بمجرد الإسقاط لجزء من الكلام أو كله بقدر ما كان يعنيه إبراز دور السياق الفاعل في الحذف الذي ينسب إلى مضمون الحديث الشريف وتركيب اللغة على وفق قياسات وتقديرات النحويين، ولا يعني أن ثمة شيئاً كان موجوداً ثم حذف، وإنما هو أسلوب آثره من أوتي جوامع الكلم لإيصال المعنى الذي يريده بأبين عبارة وأوجزها. ولذلك نجد العلامة اللغوي ابن جني، يسميه في كتابه "الخصائص" اسماً طريفاً هو: "شجاعة العربية"<sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح مسلم: ١/ ٤٦١ رقم الحديث (٦٦٣).

(٢) دليل الفالحين: ٤٤/٣.

(٣) صحيح مسلم: ٣/ ١٦٠٣، رقم الحديث: (٢٠٢٩).

(٤) الخصائص: ٣٦٠/٢ .

## المبحث الثاني

### أثر السياق في التقديم والتأخير

إن الوصول إلى المقدم والمؤخر فائدة من فوائد الأخذ بالسياق، وثمره يانعة من ثمراته؛ خصوصاً عند أمن اللبس. وللنحاة جهود في هذا المجال. حيث جعلوا للتركيب أصل، فالجملة الفعلية يرتبونها على أن الفعل أولاً، ثم الفاعل، ثم الفضلات المتعددة، وعندما يكون المفعول به مقدم على الفاعل، أو على عامله، يبقى عندهم مفعولاً به، ولا يخرجته تقدمه عن القول بأنه مفعول به، وهذا يدل على إدراكهم ما يتميز به التركيب اللغوي من سمات وخصائص. وكل ذلك يطلقون عليه الرتب النحوية، حيث نظروا إلى التركيب على أنه رتب تنظم كل باب من أبواب النحو، وتختلف طبيعة هذه الرتب في باب عنها في باب آخر، وما ظاهرة التقديم والتأخير عندهم إلا حديث في الرتب من خلال دراسة التركيب. وتأمل دقيق في التراث العربي يجعل الباحث يدرك هذه الحقيقة، ولعل أول من ذكر مصطلح الرتبة السيرافي حيث يقول: "فإذا بنيت الفعل على الاسم قلت: زيدٌ ضربته فلزمته الهاء، يعني أنك جعلت زيداً هو الأول في الرتبة فلا بد من أن ترفعه بلا ابتداء، فإذا رفعته بالابتداء فلا بد من أن يكون في الجملة التي بعده ضمير يعود إليه وتكون هذه الجملة مبنية على المبتدأ"<sup>(١)</sup>، وابن جني<sup>(٢)</sup>، حيث أفرد له باباً هو "باب في نقض المراتب إذا عرض هناك عارض" يقول فيه: "من ذلك امتناعهم من تقديم الفاعل في نحو: ضرب غلامه زيداً. فهذا لا يمتنع من حيث كان الفاعل ليس رتبته التقديم، وإنما امتنع لقرينة انضمت إليه، وهي إضافة الفاعل إلى ضمير المفعول، ....."<sup>(٣)</sup>. ومفهوم الرتبة عند النحاة ينطلق من قواعد يسيرون عليها فرتبة العامل قبل المعمول<sup>(٤)</sup>، ورتبة

(١) شرح كتاب سيويه: ١٩١/١.

(٢) فسيويه لم يذكر مصطلح الرتبة وأشار إليه بقوله "حد الكلام" الكتاب، ٤٧/١. والمبرد يضيف لذلك مصطلح (الأصل) المقتضب ١٠٢/٤، ويذكر ابن السراج مصطلح (المرتبة) الأصول في النحو ٩٣/١.

(٣) الخصائص ٢٩٣/١ - ٢٩٤.

(٤) المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني، (العراق: منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ط: ٢،

المخفوض بعد الخافض<sup>(١)</sup>، والمرفوع يأتي بعد رافعه<sup>(٢)</sup> والمجزوم بعد جازمه<sup>(٣)</sup> والتابع بعد المتبوع<sup>(٤)</sup> والضمير بعد ما يعود عليه من الاسم الظاهر<sup>(٥)</sup>.

والنحاة يجعلون الرتبة-وهي: "الموقع الأصلي الذي يجب أن تتخذه الوظيفة النحوية بالنسبة للوظائف الأخرى المرتبطة بها بعلاقة نحوية تركيبية"<sup>(٦)</sup> - نوعين :

١-الرتب المحفوظة: إذا كان في الكلام ليس فإن الرتبة تبقى محفوظة<sup>(٧)</sup>، ومن ذلك رتبة الفاعل، والنائب عن الفاعل.

٢-الرتب غير المحفوظة: يكون ذلك إذا عرض عارض، كأن يتصل بالفاعل ضمير يعود على المفعول به، فيقدم المفعول على الفاعل، وفي هذه الحال تنقض الرتبة وتنتهك<sup>(٨)</sup> وفي ذلك يقول ابن جني: " فاعلم أنه لا تنقض مرتبة إلا لأمر حادث فتأمله وابحث عنه "<sup>(٩)</sup>.

وقد أدرك الباحثون المحدثون أن الحديث في التقديم والتأخير حديث في الرتب النحوية؛ فهم يعللون للرتب بالاعتماد على المنهج الوصفي، فمن المتعذر النطق بعنصرين صوتيين دفعة واحدة<sup>(١٠)</sup>.

فاللغة -على رأي د. محمد عبدالمطلب- لا تلتزم بجمتية في ترتيب معظم عناصرها<sup>(١١)</sup>. وسار د. تمام حسان على ذلك الفهم للرتب النحوية، غير أنه بعد أن يعرض لهذا المفهوم يتوصل إلى أنه قرينة لفظية، وعلاقة بين جزأين من أجزاء السياق، يدل موقع كل منهما من الآخر على معناه<sup>(١٢)</sup>.

(١) الأصول ، ٢ / ٢٢٦ . (بتصرف)

(٢) الخصائص ٢ / ٣٨٥ .

(٣) الخصائص: ٢ / ٣٨٨ .

(٤) الأصول: ٢ / ٢٢٥ .

(٥) المرجع السابق: ٢ / ٢٣٨ .

(٦) دور الرتبة في الظاهرة النحوية، عزام شريدة، ص: ٢.

(٧) الأصول: ٢ / ٢٣٨ .

(٨) المرجع السابق ٢ / ٢٤٥ - ٢٤٦ .

(٩) المرجع السابق: ١ / ٣٠٠ .

(١٠) بناء الأسلوب في شعر الحدائث ص: ٥٣ .

(١١) ينظر: المرجع السابق: ص: ٥٥ - ٥٦ .

(١٢) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ص: ٢٠٩ .

ومن حالات التقدم والتأخير التي للسياق دورٌ في التوصل إلى معانيها :-

### -تقديم الخبر على المبتدأ:-

يشير السيوطي إلى جواز تقدم الخبر على المبتدأ خصوصًا عند أمن اللبس والمعرفة من السياق حيث يقول: " فإذا كان الخبر معرفة كالمبتدأ لم يجز تقدم الخبر؛ لأنه مما يشكل ويلبس إذ كل واحد منهما يجوز أن يكون خيرا ومخيرا عنه"<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك أتى النبي ﷺ رجل فقال يا رسول الله: ما الموجبتان؟ قال: "من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار"<sup>(٢)</sup>.

إن السياق يرشدنا بحسب المعنى إلى أن الموجبتان دخول الجنة للمؤمن، ودخول النار للمشرك. فما هنا اسم استفهام في محل رفع خبر المبتدأ؛ وحق الخبر عند النحاة هنا التقديم؛ لأنه وقع في صدر الكلام ويعرف الرضي صدر الكلام بأنه: "كل ما يغير معنى الكلام، ويؤثر في مضمونه، وإن كان حرفًا فمرتبه الصدر، كحروف النفي، والتنبيه، والاستفهام، والتحضيض، وإن وأخواتها، وغير ذلك"<sup>(٣)</sup>.

ومن ذلك أيضًا عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا للناس فأتاه رجل فقال: يا رسول الله ما الإيمان؟ قال "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، وتؤمن بالبعث الآخر، قال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: "الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، قال: يا رسول الله وما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإنك إن لا تراه فهو يراك"<sup>(٤)</sup>.

سياق الحديث بيّن في أن ترتيب الجملة حسب معناها: الإيمان أن تؤمن بالله، والإسلام أن تعبد الله، ولا تشرك به شيئًا، والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه.

إذن ما هنا استفهامية وهي مما لها الصدارة ووقعت في محل رفع خبر مقدم حسب المعنى.

(١) الأشباه والنظائر في النحو: ٤٨١/١.

(٢) صحيح مسلم ٩٤/١ رقم الحديث (٩٢).

(٣) شرح الكافية: ٧٦/٢.

(٤) صحيح مسلم: ٣٧/١ رقم الحديث (٨).



وإذا وقع الخبر مما له الصدارة وجب تقدمه على المبتدأ، وسيبويه يميز هذا التقدم<sup>(١)</sup> وتبعه المبرد في ذلك<sup>(٢)</sup>، ويقيد ابن السراج المسألة بشرط: وهو أن لا يكون الخبر فعلاً، وعندئذ لا يجوز تقدم الخبر<sup>(٣)</sup>.

ومما لا شك فيه أنه لولا السياق ما توصل النحاة إلى ما قالوا به من قواعد.

إذن فالسياق يقوم - عند فقدان ما يميز الوظائف النحوية بعضها من بعض - بالتمييز بين هذه الوظائف مما يتيح لها حرية الرتبة فتقدم من تأخر، أو تؤخر من تقدم.

ومما جاء من تقدم الخبر على المبتدأ الذي كان للسياق فضل في إبرازه، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال "نَحَاجَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَكَبِّرِينَ. وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَغَرَّتُهُمْ؟ قَالَ اللَّهُ لِلْحَنَّةِ: إِنَّمَا أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي. وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي. وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مَلُؤُهَا" فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِي حَتَّى يَضَعَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رِجْلَهُ تَقُولُ: قَطُّ قَطُّ قَطُّ. فَهَنَالِكَ تَمْتَلِي وَيُرْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ يُنَشِئُ لَهَا خَلْقًا»<sup>(٤)</sup>.

فملؤها مبتدأ مؤخر اتصل بضمير يعود على بعض الخبر. ومن أجل ذلك تقدم الخبر وهو "ولكل واحد".

ومثله جاء رجل إلى النبي ﷺ فَسَأَلَهُ عَنِ اللَّقْطَةِ فَقَالَ: «اعْرِفْ عِفَاصَهَا وَوِكَاءَهَا ثُمَّ عَرَّفْهَا سَنَةً فَإِنْ جَاءَ صَاحِبُهَا وَإِلَّا فَسَأَلْنَاكَ بِهَا». قَالَ فَضَالَةُ الْعَنَمِ قَالَ: «لَكَ أَوْ لِأَخِيكَ أَوْ لِلذُّبِّ». قَالَ فَضَالَةُ الْإِبِلِ قَالَ «مَا لَكَ وَلَهَا مَعَهَا سِقَاؤُهَا وَحِدَاؤُهَا تَرِدُ الْمَاءَ وَتَأْكُلُ الشَّجَرَ حَتَّى يَلْقَاهَا رَبُّهَا»<sup>(٥)</sup>.

وترتيب الجملة الذي يفهم من السياق ويوجه به المعنى: "سقاؤها معها".

(١) الكتاب: ٤٥/١.

(٢) ينظر: المقتضب: ٨٦/٤.

(٣) ينظر: الأصول: ٧١/١.

(٤) صحيح مسلم: ٢١٨٧/٤ رقم الحديث: (٢٨٤٦).

(٥) المرجع السابق: ١٣٤٦/١-١٣٤٧ رقم الحديث: ١٧٢٢.

فكلمة معها ظرف في محل رفع خبر مقدم وجوبا، والمبتدأ مؤخر وجوبا وهو كلمة حذاؤها؛ لأن الضمير فيه يعود على جزء من الخبر وهو الضمير في كلمة معها، حيث يعود إلى الإبل التي كانت موضع السؤال في الحديث الشريف.

ومن تقديم الخبر على المبتدأ:

إِنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا لَيْلًا . قَالَتْ فَغَرَّتْ عَلَيْهِ فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ فَقَالَ « مَا لَكَ يَا عَائِشَةُ أَغْرَتِ » . فَقُلْتُ وَمَا لِي لَا يَغَارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « أَقَدْ جَاءَكَ شَيْطَانُكَ » . قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ مَعِيَ شَيْطَانٌ قَالَ « نَعَمْ » . قُلْتُ وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ قَالَ « نَعَمْ » . قُلْتُ وَمَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « نَعَمْ وَلَكِنَّ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ » (١).

يفهم من السياق أن ترتيب الجملة- في قول السيدة عائشة-رضي الله عنها-" أو معي شيطان"؟- "أشيطان معي" تقدم الخبر وهو الظرف (معني) على المبتدأ وهو قولها(شيطان) ولهذا التقدم معناه الذي يوجهه السياق، فقد كشف عما تقصده؛ فقد أردت بهذا الاستفهام التعجب مما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أو قد جاءك شيطانك)؟ فلم ترد عليه بل قالت متعجبة (يا رسول الله أو معي شيطان) من وجود شيطان يلازمها في كل أمورها، ومشارك لها في كثير من أحوالها؛ لذا قدمت هذا الجزء في سؤالها دلالة على هذا المعنى، وإشارة إليه.. (٢).

ويقدم النحاة بيان عند تقدم الخبر على المبتدأ حيث إن الخبر معرفة والمبتدأ نكرة لا يصح أن يقع مبتدأ، ففي هذه الحالة يتقدم الخبر، ومن ذلك قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَوْ مَخْرَجِي هُمْ » . قَالَ وَرَقَةُ نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتُ بِهِ إِلَّا عُودِي وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا» (٣).

فالسباق يفسر السر في هذا التقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مهتمًا لإخراجه، فتقدم الأهم على المهم.

(١) صحيح مسلم: ٤/٢١٦٨ رقم الحديث: (٢٨١٥).

(٢) المنهاج: (١٦٣/١٧).

(٣) صحيح مسلم: ١/١٤١-١٤٢ رقم الحديث: (١٦٠).

ومخرجي هنا خبر مقدم والضمير (هم) مبتدأ مؤخر، قال ابن مالك: " ولا يجوز العكس؛ لأن مخرجي نكرة، فإن إضافته غير محضة، إذ هو اسم فاعل بمعنى الاستقبال فلا تعرف بالإضافة، وإذا ثبت كونه نكرة لم يصح جعله مبتدأ؛ لئلا تخبر بالمعرفة عن النكرة دون مصحح. ولو روى (مخرجي) مخفف الياء على أنه مفرد لجاز وجعل مبتدأ، وما بعده فاعل سد مسد الخبر. كما تقول: أمخرجي بنو فلان؟ لأن (مخرجي) صفة معتمدة على استفهام<sup>(١)</sup>.

### ومن ذلك تقديم خبر كان على اسمها :

يبيز سيويه تقدم خبر كان على اسمها<sup>(٢)</sup>، ويشير إلى أن التقدم والتأخير إنما يجوز إن لم يكن ملتبسا<sup>(٣)</sup>. ويبيز الميرد التقدم والتأخير بين معمولي (كان)؛ لأن (كان) فعل متصرف، فيتقدم الخبر على الاسم وعلى (كان) نفسها<sup>(٤)</sup>. ويبيز ذلك في (ليس)، ويذكر أنه يبيز تقدم خبر (ليس) على اسمها<sup>(٥)</sup>. ويتابعه ابن جني في ذلك<sup>(٦)</sup>.

وقبل هذه الإجازة من النحاة وقع ذلك في كلام أبلغ الناطقين

ومما يتصل بذلك تقدم خبر إن على اسمها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأشج -

أشج عبد القيس - "إن فيك لخصلتين يجبهما الله ورسوله: الحلم والأناة"<sup>(٧)</sup>.

ترتيب الجملة حسب قول النحاة: "إن خصلتين فيك يجبهما الله ورسوله" فقدم خبر إن

هنا (فيك) وهو شبه جملة (جار ومجرور) على اسمها (خصلتين) وهذا التقدم يجيزه النحاة.

### التقديم والتأخير في الجملة الفعلية:

تقدم الفاعل على الفعل:

لا بد في الجملة الفعلية من ذكر الفعل قبل الفاعل مطلقاً، ولا يجوز تقدم الفاعل، والسبب

(١) شواهد التوضيح ص: ١٣، ١٤.

(٢) ينظر: الكتاب، ١/ ٤٥.

(٣) ينظر المرجع السابق، ٦١/١.

(٤) ينظر: المتقضب، ٨٧/٤.

(٥) ينظر: المرجع السابق، ١٩٤/٤.

(٦) ينظر: اللمع، ص: ٨٧.

(٧) صحيح مسلم ٤٨/١ رقم الحديث (١٨).

في امتناع تقدم الفاعل هو التباسه بالمبتدأ، وتحول الإسناد من إسناد فعلي إلى إسناد اسمي ، فالمعنى مختلف في الجملتين فالجملة الاسمية تفيد الثبوت والدوام ،والفعلية تفيد التجدد والحدوث. وقد لاحظ النحاة هذا المعنى فيتحدث سيبويه في الفاعل، فيرى أنه لا يتقدم على الفعل<sup>(١)</sup>.

ويمنع المبرد مطلقا تقدم الفاعل على عامله، ومن يزعم ذلك " فقد أحال من جهات ....."<sup>(٢)</sup>

ويؤكد ابن السراج عدم تقدم الفاعل على الفعل<sup>(٣)</sup>، ويعرض لذلك في موضع آخر، يقول: " واعلم أن الفاعل لا يجوز أن يتقدم على الفعل إلا على شرط الابتداء خاصة ، وكذلك ما قام مقامه المفعولين الذين لم يسم من فعل بهم ،....."<sup>(٤)</sup> ويؤكد على ذلك في مواضع أخرى أيضا<sup>(٥)</sup>.

ويرى ابن هشام أن الفاعل واجب التأخر عن الفعل<sup>(٦)</sup>، وهو يبين في موضع آخر أن من أحكام الفاعل أن عامله مقدّم عليه وجوبًا ولا يتأخر عنه<sup>(٧)</sup>

والأصل في الفاعل أن يتقدم على المفعول به خصوصًا إذا كان الفاعل ضميرًا متصلًا، والمفعول به اسم ظاهر ؛ فعن أبي هريرة، قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا يَقُولُ " لَا تُبَادِرُوا الْإِمَامَ إِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا وَإِذَا قَالَ وَلَا الضَّالِّينَ . فَقُولُوا آمِينَ . وَإِذَا رَكَعَ

(١) ينظر: الكتاب ١/٨٠-٨١، وينظر: ٣٤/١.

(٢) المقتضب: ٤/١٢٨.

(٣) ينظر: الأصول: ١/٧٢.

(٤) المرجع السابق: ١/١٧٤.

(٥) المرجع السابق: ٢/٢٢٨.

(٦) ينظر: شرح شذور الذهب: ص: ١٥٨.

(٧) ينظر: شرح قطر الندى: ص: ١٨٢.

فَارْكَعُوا وَإِذَا قَالَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ . فَقُولُوا اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ" (١).

فالسباق واضح من تقدم الفاعل وهم المأمونين على المفعول به وهو الإمام قال ابن قدامة: "ولا يكبر المأموم حتى يفرغ إمامه من التكبير... فإن كبر قبل إمامه لم ينعقد تكبيره وعليه استئناف التكبير بعد تكبيرة الإمام" (٢).

إن تقدم المفعول به على الفاعل في حالات، حيث يرى ابن هشام أن المفعول به قد يتقدم على الفاعل جوازًا ووجوبًا (٣)، فإذا انتقلت الدلالة على فاعلية أحدهما ومفعولية الآخر، فإن الفاعل يتقدم على المفعول وجوبًا (٤)، وكذلك المبرد يقول بتأخر الفاعل عن المفعول به على الفاعل جوازًا ووجوبًا (٥)، فإذا انتقلت الدلالة على فاعلية أحدهما ومفعولية الآخر، فإن الفاعل يتقدم على المفعول وجوبًا (٦)، وكذلك المبرد يقول بتأخر الفاعل عن المفعول به (٧).  
كَقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَغَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ» (٨).

فالسباق واضح في تقدم المفعول (بلغه الله) فالله سبحانه وتعالى هو الوحيد القادر على تبليغ سائل الشهادة منازل الصديقين والشهداء .  
ويؤكد ابن جني أن الفاعل لا يجوز تقديمه على الفعل (٩)، أما تقدم المفعول على الفاعل فيجعله مما يقبله القياس (١٠).

(١) صحيح مسلم ١/٣١٠، رقم الحديث: (٤١٥).

(٢) المغني لابن قدامة: ١٣١/٢.

(٣) ينظر: شرح قطر الندى: ص: ١٨٤-١٨٥.

(٤) ينظر: المرجع السابق: ص: ١٨٦.

(٥) ينظر: المقتضب: ص: ١٨٤-١٨٥.

(٦) ينظر: المرجع السابق: ص: ١٨٦.

(٧) ينظر: المقتضب: ١٠٢/١.

(٨) صحيح مسلم: ٤/٢١٥١ رقم الحديث (١٩٠٩).

(٩) ينظر: اللمع ص: ٧٩، والخصائص: ٣٨٥/٢.

(١٠) ينظر: الخصائص: ٣٨٢/٢.

ويحمل المبرد نائب الفاعل على الفاعل في أحكامه ، يقول: "واعلم أنّ التقلّم والتأخير والإظهار في هذا الباب ، مثله في الفاعل ، يجوز فيه ما جاز في ذلك" (١).

وكذلك يفعل ابن جنى إذ يرى أن الفعل قبل كل من الفاعل أو المفعول الذي لم يسمّ فاعله حديثاً عن كل واحد منهما (٢) ، ويبين في موضع آخر أنه لا يجوز تقلّم ما أقيم مقام الفاعل على الفعل (٣) ، ويؤكد ابن مالك على ذلك. (٤).

### تقديم المفعول على الفعل:

يجوز تقلّم المفعول به على الفعل بشرط أمن اللبس أي: فهمه من السياق؛ يقول ابن أبي الربيع - رحمه الله - (ت: ٦٨٨هـ): " وذلك أن الفاعل والمفعول إذا لم يكن في الكلام ما يدل عليهما التزمّت العرب تقلّم الفاعل وتأخير المفعول فإذا قالوا: ضرب موسى عيسى، ولم يكن معهم ما يدل على الفاعل علمت أن المقدم هو الفاعل، إذ لم تكن العرب لتقدم المفعول بغير دال على ذلك لما في ذلك من نقض الغرض" (٥).

ويسمح سيبويه بتقلّم المفعول به على عامله الفعل وما أشبهه (اسم الفاعل) ، يقول في ذلك: "..... وذلك قولك : أزيدا أنت ضاربه ، و أزيدا أنت ضارب له ، وأعمرا أنت مكرم أخاه ، و أزيدا أنت نازل عليه ، كأنك قلت : أنت ضارب، وأنت مكرم ، وأنت نازل ، كما كان ذلك في الفعل ؛ لأنه يجري مجراه ويعمل في المعرفة كلها والنكرة مقدما ومؤخرا ، ومظهرا ومضمرا" (٦).

ومن ذلك عن أنسٍ أنّ رسولَ الله ﷺ شاورَ حينَ بلغه إقبالُ أبي سفيانَ قالَ فتكلّمَ أبو بكرٍ فأعرضَ عنه ثمّ تكلمَ عمرُ فأعرضَ عنه فقامَ سعدُ بنُ عبادةَ فقالَ إيانا تُريدُ يا رسولَ

(١) المقتضب: ٥٣/٤، وينظر: ١٠٢/٤.

(٢) ينظر: اللمع: ص: ٨٢.

(٣) ينظر: الخصائص: ٣٨٥/٢.

(٤) ينظر: المقتصد: ٣٥٠/١.

(٥) البسيط في شرح جمل الزجاجي، لأبي الربيع الأشبيلي، تحقيق: د. عياد عيد الشبيبي، (لبنان: بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط: ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٥م) ٢٨٠/١.

(٦) الكتاب: ١٠٨/١.

اللَّهِ وَالَّذِي تَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُحْيِيَهَا الْبَحْرَ لِأَخْضَانَهَا وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرِّكَ الْغَمَادِ لَفَعَلْنَا (١) .

الشاهد في التقديم والتأخير قول سعد بن عبادة رضي الله عنه (إيانا تريد يا رسول الله) فقد تقدم المفعول (إيانا) على الفعل (تريد)، وفي هذا التقديم معاني جميلة أراد هذا الصحابي - رضي الله عنه - تحقيقها، وتأكيدها، فقد أدرك سعد بذكائه وألمعيته أن الأنصار هم المعنيون بهذه المشاورة من قبل رسول الله لهم، فهو يريد معرفة رأيهم وموقفهم من هذه الحرب، يدل على ذلك إعراضه عن أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - حينما تكلموا، ففهم هذا الصحابي الجليل أن النبي يخصهم بذلك، ويقصر القول عليهم، فجرى منطقهم، وتكلم لسانه وفق مراد رسول الله، بمعنى هذا التقديم في قوله (إيانا تريد يا رسول الله) (٢).

وهذا ما يقرره ويرجحه السياق في كون السياق ضابطة لفهم المقدم فلا تستطيع تجاوزه دون الوقوف على ما ورد فيها.

وَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ وَهُوَ خَلِيفُ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجَزَيْتِهَا وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ صَاحِبَ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَسَمِعَتِ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَوَافُوا صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْصَرَفَ فَتَعَرَّضُوا لَهُ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَاهُمْ ثُمَّ قَالَ « أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ » . فَقَالُوا أَجَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ « « فَأَبَشِرُوا وَأَمَلُوا مَا يَسُرُّكُمْ فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ . وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَيَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ » (٣)

في قوله صلى الله عليه وسلم: " مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ " بين السياق تقديم المفعول به (الفقر) على الفعل (أخشى) ليرشدنا إلى معاني مهمة في حياتنا وهو أنه لا يخاف الفقر على أمته؛ ولكنه يخاف انفتاح الدنيا لهم، وتنافسهم عليها كما فعل الذين قبلهم فهلكوا. قال الله

(١) صحيح مسلم: ٤٠٣/٣ ارقم الحديث (١٧٧٩).

(٢) الاستفهام في الصحيحين ص: ٢٣٣ (بتصرف).

تعالى: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ نُنزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُمُ يُعْبَادُونَهُ ﴾ (١).

قال أبو البقاء: "فالرسول صلى الله عليه وسلم لا يخاف الفقر ويخشاه على أمته بل تكالب الدنيا وانفتاحها لهم (الفقر) منصوب بأخشي، تقديره: ما أخشى عليكم الفقر. والرفع ضعيف؛ لأنه يحتاج إلى ضمير يعود عليه. وإنما يجيء ذلك في الشعر. وتقدير ذلك: ما الفقر أخشاه عليكم. أي: ما الفقر مخشياً عليكم، وهو ضعيف". (٢).

ويبين الفارسي أن الفاعل من صفته أنه يتأخر عن الفعل، ويقدم عليه الفعل (٣)، ولكنه قد يتأخر عن المفعول (٤).

ويؤكد السياق تقديم المفعول المطلق على فعله من خلال حديث رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حيث يقول: « إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا » (٥).

ويظهر السياق ترتيب الجملة إن الله لا يقبض العلم ينتزعه انتزاعاً .

قال الطيبي: "انتزاعاً مفعول مطلق عن معنى يقبض، نحو: رجح القهقري و(ينتزعه) صفة مبينة للنوع ومعناه: أن الله لا يقبض العلم من بين الناس على سبيل أن يرفعه من بينهم إلى السماء، أو يمحوه من صدورهم بل يقبضه بقبض أرواح العلماء". (٦).

وقال الشيخ أكمل الدين: (انتزاعاً)، منصوب على أنه مفعول مطلق تقدم على فعله وهو (ينتزعه)، و(ينتزعه) حال من الضمير في (يقبض). (٧).

(١) سورة الشورى آية: ٢٧ .

(٢) إعراب الحديث: ص: ١٦٤ .

(٣) ينظر: الإيضاح ص: ١٠١ .

(٤) ينظر: المرجع السابق: ص: ١٠٢ .

(٥) صحيح مسلم: ٤/٢٠٥٨ رقم الحديث (٢٦٧٣).

(٦) عقود الزجر: ٢/٧٥ .

(٧) شرح المشارق: ٢/٨٧ .



ويتقدم المفعول المطلق على عامله وجوباً عند ابن جني إذا كان مما له الصدارة<sup>(١)</sup> نحو قوله

تعالى: ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>

### تقديم الجار والمجرور على متعلقه:

ويسمح السياق بتقدم الجار والمجرور على متعلقه إذا أدرك المعنى فعن أبي سعيد أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال يا محمد اشتكيت فقال « نعم » . قال: باسم الله أزيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك باسم الله أزيك<sup>(٣)</sup>.

قوله: (باسم الله أزيك) قدم الجار والمجرور على متعلقه وهو قوله (أزيك) اهتماماً وتخصيصاً كما في -بسم الله مجراها-.

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: « بينا أنا نائم إذ رأيتني في الجنة فإذا امرأة توضأ إلى جانب قصر فقلت لمن هذا فقالوا لعمر بن الخطاب . فذكرت غيرة عمر فوليت مذبراً » . قال أبو هريرة فبكى عمر ونحن جميعاً في ذلك المجلس مع رسول الله ﷺ ثم قال عمر بأبي أنت يا رسول الله أعليك أغاز<sup>(٤)</sup>.

يقرر السياق تقدم الجار والمجرور (عليك) على متعلقه (الفاعل)، ولو جرى الكلام على أصله؛ لكانت العبارة (بأبي أنت يا رسول الله أغاز عليك).

ولعل في هذا التقدم لم يرد عمر بن الخطاب رضي الله عنه لغيرته، أن ينفي عن نفسه أو أن يتعجب من وجودها فيه.

وقد كان مراد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أن ينفي غيرته على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو أن يضيق بذلك صدره من فعله صلى الله عليه وسلم حين رأى جاريته تتوضأ عند قصره في الجنة. ومن هنا يتبين أثر السياق في التقديم والتأخير؛ لكونه ركيزة رئيسية في الإبانة عن المعنى، وبيان المقصود منه.

(١) ينظر: الخصائص: ٢٩٨/١.

(٢) سورة الشعراء آية: ٢٢٧.

(٣) صحيح مسلم: ٤/ ١٧١٨-١٧١٩ رقم الحديث (٢١٨٦).

(٤) المرجع السابق: ٤/ ١٨٦٣ رقم الحديث (٢٣٩٦).

تقديم جملة النداء على المنادي:

يظهر السياق تقدم جملة النداء على المنادي؛ من ذلك قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ غَرَاءَ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى سَوَاءِ بَعْضٍ وَكَانَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ فَقَالُوا وَاللَّهِ مَا يَمْنَعُ مُوسَى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إِلَّا أَنَّهُ آذُرٌ - قَالَ - فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ فَقَرَّ الْحَجَرُ بِثَوْبِهِ - قَالَ - فَجَمَعَ مُوسَى بِإِثْرِهِ يَقُولُ ثَوْبِي حَجَرٌ ثَوْبِي حَجَرٌ . حَتَّى نَظَرْتُ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى سَوَاءِ مُوسَى قَالُوا وَاللَّهِ مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ . فَقَامَ الْحَجَرُ حَتَّى نَظَرَ إِلَيْهِ - قَالَ - فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا»<sup>(١)</sup>.

يبين السياق أن في العبارة تقدم وتأخير حيث أحر المنادي عن الجملة التي نودي من أجلها مع أن النداء تنبيه للمنادى لما يراد منه، لكن لما كان المتكلم في وضع لا يتطلب الإهمال والتأني فقد قدم الأهم على المهم بسبب ذلك .

تقدم الحال على عاملها وصاحبها:

تتقدم الحال على عامله من ذلك عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بَرِيدٍ عَنْ أَبِيهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى الصَّلَوَاتِ يَوْمَ الْفَتْحِ بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ وَمَسَحَ عَلَى خُفَيْهِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لَقَدْ صَنَعْتَ الْيَوْمَ شَيْئًا لَمْ تَكُنْ تَصْنَعُهُ . قَالَ: «عَمْدًا صَنَعْتُهُ يَا عُمَرُ»<sup>(٢)</sup>.

بين السياق تقدم الحال على عاملها و صاحبها وحقها التأخير، ووقفه مع سياق الحال تبرز السبب في هذا التقدم، فعمر-رضي الله عنه- كان في استغراب من قيام الرسول-صلى الله عليه وسلم- بالصلاة بوضوء واحد، ومسحه على خفيه، فراعى النبي الكريم عمر في هذه الحال، وقدم لفظ الحال على عاملها وصاحبها، إذن التقدم هنا مراعاة لحال المخاطب، وإجابة لتساؤله، وإزالة لما قد يكون لديه من لبس والله أعلم .

من خلال ما سبق يتبين أن السياق يسمح بالتصرف في التقدم والتأخير لأنه يقوم بالدور الذي كانت تقوم به العلامة الإعرابية وهي إحدى الوسائل التي اصطنعتها اللغة للتمييز بين

(١) سبق تخريجه ص: ١٧٤ من البحث.

(٢) صحيح مسلم: ٢٣٢/١، رقم الحديث: (٢٧٧).

العناصر بعضها البعض.<sup>(١)</sup>

ونختم هذا البحث بجميل ما ذكر الإمام اللغوي عبد القاهر الجرجاني: "واعلم أن من الخطأ أن يقسم الأمر في تقلم الشيء وتأخيره قسمين فيجعل مفيدا في بعض الكلام وغير مفيد في بعض . وأن يعلل تارة بالناية وأخرى بأنه توسعة على الشاعر والكاتب ، حتى تطرد لهذا قوافيه ولذلك سجعته؛ ذاك لأن من البعيد أن يكون في جملة النظم ما يدل تارة ولا يدل أخرى . فمتى ثبت في تقلم المفعول مثلا على الفعل في كثير من الكلام أنه قد اختص بفائدة لا تكون تلك الفائدة مع التأخير فقد وجب أن تكون تلك قضيته في كل شيء وكل حال " .<sup>(٢)</sup>

(١) النحو والدلالة، محمد حساسة ص، ١٤٠-١٤١.

(٢) دلائل الإعجاز ص: ٨٦-٨٧ .

المبحث الثالث

أثر السياق في تعلق الجار والمجرور

إن السياق يتفاعل مع النص؛ ليظهر المقدم والمؤخر، وليصل أجزاء الجملة الواحدة بعضها ببعض، ومن ذلك الوصول إلى معنى صحيح ببيان الارتباط بين حرف الجر ومتعلقه. والتعلق: عبارة عن ارتباط شبه الجملة بالحدث الذي يدل على الفعل أو ما يشبهه، بالإضافة إلى دلالة على الحيز الذي وقع فيه الفعل<sup>(١)</sup>. فشبه الجملة (الجار والمجرور والظرف) تتعلق بالفعل، ومن ثم يختلف معناه قبل التعلق وبعد التعلق مما يبرز معاني جديدة تتنوع بتنوع حرف الجر مع الفعل الواحد في مختلف السياقات، ويقصد بالحرف هنا قسيم الاسم والفعل، وهو: "ما احتاج في إفادة معناه إلى اسم أو فعل أو جملة.. فالحرف مشروط في إفادة معناه الذي وضع له انضمامه إلى غيره"<sup>(٢)</sup>، والمقصود بإفادة المعنى تحديده ضمن سياق ما.

والحرف هو: "ما دل على معنى في غيره، ومن ثم لم ينفك من اسم أو فعل يصحبه"<sup>(٣)</sup> وقد ظهر الاختلاف في دلالة الحرف، فهناك من يرى أن الحروف ليس لها معنى في نفسها، وإنما هي دالة على معنى في غيرها من الأسماء والأفعال؛ ولذلك خصوها بالتعلق لإيصال معنى الفعل الذي قبلها إلى الاسم الذي بعدها، وعلى رأس هؤلاء "سيبويه"<sup>(٤)</sup> وتبعه كثير من النحاة<sup>(٥)</sup>.

وقد أشار ابن هشام لهذا التعلق بقوله: "لا بد من تعلقهما بالفعل، أو ما يشبهه، أو ما أول بما يشبهه، أو ما يشير إلى معناه، وقد اجتمعا من الأول والثاني في قوله تعالى: ﴿ أَنْعَمْتَ

(١) .:التطبيق النحوي، د. عبده الراجحي، (لبنان: بيروت: دار النهضة العربية، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) ص: ٣

(٢) همع الهوامع: ٢٢/١.

(٣) شرح المفصل: ٨/٢، والاشباه والنظائر: ١٦/٢ - ٢١.

(٤) الكتاب: ٤١٩/١.

(٥) ينظر: رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق: أحمد محمد الخراط، (دمشق: منشورات مجمع اللغة العربية

١٣٩٤ هـ) ص: ١٥٢.

عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَعْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴿١﴾ .

واستثنى من حروف الجر أربعة لا تتعلق بشيء:

الباء الزائدة نحو قوله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾<sup>(٢)</sup>.

ولعلّ في لغة عقيل نحو: لَعَلَّ أَبِي الْمُغَوَّازِ مِنْكَ قَرِيبٌ.

ورُبّ نحو: رُبَّ رَجُلٍ صَالِحٍ لَقَيْتَهُ.

ولولا نحو:

وَمَا نُبَالِي إِذَا مَا كُنْتُ جَارَتَنَا أَنْ لَا يُجَاوِرُنَا إِلَّا كَ دِيَارٍ<sup>(٣)</sup>

وكاف التشبيه نحو: زيد كعمرو<sup>(٤)</sup>.

غير أن ما يهمننا في بحث السياق أن المعاني التي تؤديها حروف الجر عند تعلقها هي نوع من التعبير عن علاقات في السياق . يقول د. تمام حسان : "إن المعاني التي تؤديها الأدوات جميعاً هي من نوع التعبير عن علاقات في السياق ، وواضح أن التعبير عن العلاقة معنى وظيفي لا معجمي . فلا بيئة للأدوات خارج السياق؛ لأن الأدوات كما ذكرنا ذات افتقار متأصل إلى الضمائم ، أو بعبارة أخرى ذات افتقار متأصل إلى السياق . ولم يكن النحاة على خطأ حين أصروا على تعيين متعلق خاص للجار والمجرور في الإعراب"<sup>(٥)</sup>.

والعلاقة بين الفعل وحرف الجر من أوثق العلاقات، وأكثرها تعاضداً، وأوثقها ترابطاً؛ ولعل ذلك ما جعل النحاة يطلقون مصطلح "التعلق" للتعبير عن هذه العلاقة. ويبقى الفعل عام الدلالة ، حتى تأتي الحروف فتخصص دلالاته في معنى محدد ، ومن هنا تكتسب الحروف المركبة مع الأفعال أهمية بالغة في الدلالة<sup>(٦)</sup>.

وتتنوع حروف الجر التي يركب معها الفعل من سياق لغوي إلى آخر مع نفس الفعل، فيرد

(١) سورة الفاتحة آية: ٧.

(٢) سورة النساء آية: ٧٩.

(٣) لم اهتد إلى قائله.

(٤) مغني اللبيب: ٥٠٧/٢ - ٥٠٩.

(٥) اللغة العربية معناها ومبناها ص: ١٢٧.

(٦) ينظر: الأخطاء الشائعة في استعمالات حروف الجر، د. محمود إسماعيل عمار، (المملكة العربية السعودية: الرياض: دار

عالم الكتب، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) ص: ٢٤.

مركبا مرة مع (إلى) وأخرى مع (الباء) وثالثة بجده مركبا مع (على) و(اللام) وهكذا وفي كل مرة تظهر معاني جديدة للفعل حسب السياق الذي ورد فيه، وحسب حرف الجر الذي يتعلق بالفعل، والذي يعطي معاني مختلفة عن غيره من الحروف "فإن لحروف الجر دور أساسي في إعطاء السياق أكثر من معنى... كما تجعل معاني الأفعال حين تضامها تختلف تبعا للحرف المصاحب لها، وأن هذا الاختلاف في الدلالة قد يصل بالتركيب إلى حد التضاد نتيجة لاختلاف حرف التعدية مع الفعل نفسه"<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك تعدد حروف الجر مع الفعل الذي يبرزه السياق في حال تعلقها بمعنى جديد كما في التراكيب التالية:

الفعل (مر) حينما يركب مع حرفي الجر (على) و (الباء) من ذلك عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - مر النبي ﷺ بامرأة عند قبر تبكي على صبي لها فقال لها: « اتقي الله واصبري ». فقالت: وما تبالي بمصيبتي . فلما ذهب قيل لها: إنه رسول الله ﷺ . فأخذها مثل الموت فأتت بابه فلم تجد على بابه بوابين فقالت: يا رسول الله لم أعرفك . فقال: « إنما الصبر عند أول صدمة »<sup>(٢)</sup>

وقال رسول الله ﷺ: « مر رجل بعصن شجرة على ظهر طريق فقال: والله لأتحين هذا عن المسلمين لا يؤذيهم. فأدخل الجنة »<sup>(٣)</sup>. عن أبي نوفل - رضي الله عنه - رأيت عبد الله بن الزبير على عقبة المدينة - قال - فجعلت فريش تمر عليه والناس حتى مر عليه عبد الله بن عمر فوقف عليه فقال: السلام عليك أبا حبيب. السلام عليك أبا حبيب. أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا. أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا. أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا. أما والله إن كنت ما علمت صواماً قواماً وصولاً للرحم أما والله لأمة أنت أشرها لأمة خير...<sup>(٤)</sup>.

جاء في لسان العرب: " مر عليه وبه يمر مرأ أي: اجتاز. ومر يمر مرأ ومروراً: ذهب قال

(١) دور الحرف في أداء معنى الجملة، الصادق خليفة راشد، (رسالة دكتوراه، منشورات جامعة قارونوس)، ص: ٢٤٧.

(٢) صحيح مسلم: ٦٣٨/٢، رقم الحديث: (٩٢٦).

(٣) المرجع السابق: ٢٠٢١/٤، رقم الحديث: (١٩١٤).

(٤) صحيح مسلم: ١٩٧١/٤ رقم الحديث: (٢٥٤٥).

ابن سيده: مر يمر مرأً ومروراً جاء وذهب<sup>(١)</sup>.

وجاء في أساس البلاغة: مررت به وعليه مرأً ومروراً وممرأً، ومرّ فلان، وأمررته: أمضيته. ومرّ الأمر واستمر: مضى<sup>(٢)</sup>.

فالظاهر من السياق أن المعنى المعجمي للفعل (مرّ) - في التراكيب السابقة - موجود فيه مع اختلاف حرف الجر الذي يضيف معنى جديداً بالإضافة إلى المعنى الأصلي للفعل فتركيب الفعل (مرّ) مع حرف الباء جاء في سياقات تدل على السير المتصف بالعجلة دون تريث، فلقد مر الرسول صلى الله عليه وسلم بتلك المرأة ليذكرها بالصبر ثم تابع المسير، أمّا تركيبه مع حرف الاستعلاء فيدل على مرور بتأن وهدوء بدليل مرور عبدالله بن عمر -رضي الله عنه- على جثة عبدالله بن الزبير -رضي الله عنه- وطول مخاطبته له، وتكلمه مع ذلك الميت وظهور حزنه على قتله بهذه الطريقة وليس مروراً عابراً.

ويقول د. محمد حسن عواد: "إن الفعل (مرّ) تعدى (بالباء) تارة وتعدى بـ (على) تارة أخرى، وأدى الفعل (مرّ) مع كل حرف من الحرفين معنى مختلفاً عن المعنى الذي يؤديه مع الحرف الآخر: (فمرّ على) هو مرور مصحوب بالاستعلاء، ومرّ بالمكان هو مرور مع ملاصقة، ولو كان معنى الحرفين واحداً لاقتصر على حرف واحد..."<sup>(٣)</sup>.

ومن هنا يظهر أن بين الأفعال وحروف الجر المتعلقة بها علاقة ترابط الذي ينشأ عنه اكتساب معنى جديد يوجه الفعل توجيهاً دلاليًا معيناً طبقاً للسياق الذي يرد فيه الفعل والدليل على قوته ماجاء عن اللغوي البارع عبدالقاهر الجرجاني حيث يقول: "حروف الجر لا بد لها من فعل تتعلق به؛ لأنها جاءت لتوصيل بعض الأفعال إلى الأسماء"<sup>(٤)</sup>.

ومن ذلك الفعل "ذهب": حيث ورد متعلقاً بالحروف التالية (الباء، إلى، على، عن، في):  
من ذلك عن النبي ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرْتُ؛ فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ وَرَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ أَيْي

(١) لسان العرب مادة (م ر).

(٢) أساس البلاغة مادة (م ر).

(٣) تناوب حروف الجر في لغة القرآن الكريم، د. محمد حسن عواد، (الأردن: عمان: دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط: ١،

١٩٨٢م)

(٤) المقتصد في شرح الإيضاح ص: ٢٧٤، ٢٧٥.

هَزَزْتُ سَيْفًا فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ أُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ»<sup>(١)</sup>.

إن حرف الجر (إلى) يفيد انتهاء الغاية، والسياق مع (إلى) وجه معنى الفعل إلى الظن والوجهة، بدليل قوله: " فَذَهَبَ وَهَلِيَ إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ " و وهلت إلى الشيء أهل وهلاً وهو: أن تحطىء بالشيء فتهل إليه، وأنت تريد غيره"<sup>(٢)</sup>؛ لأنه بعد ذلك تبين أنها المدينة .

وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة: " اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ. فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَّغْنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي. نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ"<sup>(٣)</sup>.

فحرف الجر "إلى" هنا دال على انتهاء الغاية، ويضيف السياق للفعل معنى اتجهوا واقصدوا، وهو قصد نوح-عليه السلام- وتكليمه في شأن شفاعتهم له، ثم الإتيان إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

وورد الفعل ذهب متعلقا بحرف الجر "الباء" فعن أنس - رضي الله عنه - قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي السَّفَرِ فَمِنَّا الصَّائِمُ وَمِنَّا الْمُفْطِرُ - قَالَ - فَتَزَلْنَا مَنْزِلًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ أَكْثَرْنَا ظِلًّا صَاحِبُ الْكِسَاءِ وَمِنَّا مَنْ يَتَّقِي الشَّمْسَ بِيَدِهِ - قَالَ - فَسَقَطَ الصُّوَامُ وَقَامَ الْمُفْطِرُونَ فَضَرَبُوا الْأَبْيَةَ وَسَقَوْا الرِّكَابَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « ذَهَبَ الْمُفْطِرُونَ الْيَوْمَ بِالْأَجْرِ »<sup>(٤)</sup>.

يظهر السياق أن (الباء) هنا للمصاحبة، وذهب بمعنى أخذ والمعنى: أخذوا الأجر الوافر أو فازوا بالأجر الوافر. ولولا سياق الحال في الحديث لم يتبين معناه، حيث هل يعني أن المفطرين خير من الصائمين، وقد أعد الله للصائمين الأجر الوافر، ولكن سياق الحال كشف عن السبب في قول الرسول-صلى الله عليه وسلم- حيث كانوا في سفر ومشقة وشدة الحر فسقط

(١) صحيح مسلم ٤/١٧٧٩ رقم الحديث: (٢٢٧٢).

(٢) تهذيب اللغة مادة: ( و ه ل ).

(٣) صحيح مسلم ١/١٨٤-١٨٥ رقم الحديث (١٩٤).

(٤) صحيح مسلم ٢/٧٨٨ رقم الحديث (١١١٩).



الصائمين، وقام المفطرون بضرب الأبنية، وسقوا الركاب ففازوا بالأجر العظيم.  
وعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ قَالَ اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَجَعَلَ أَحَدُهُمَا تَحْمَرُّ عَيْنَاهُ وَتَنْتَفِخُ  
أُودَاجُهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ أَعْوُدُ بِاللَّهِ مِنْ  
الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»<sup>(١)</sup>.

وجاءت ذهب عن في السياق بمعنى زال عنه الغضب ولم يعاوده، وهذا المعنى اكتسب من  
تعلق الجار(عن) ومجروره بالفعل الذي يقتضي معنى الزوال وعدم البقاء.

وقول رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْعَرَقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيَذْهَبُ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ بَاعاً وَإِنَّهُ لَيَبْلُغُ إِلَى  
أَفْوَاهِ النَّاسِ أَوْ إِلَى آذَانِهِمْ»<sup>(٢)</sup>.

وفي التركيب "إِنَّ الْعَرَقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيَذْهَبُ فِي الْأَرْضِ" أفاد حرف الظرفية كأن الأرض وعاء  
يحتوي الماء قال ابن جنبي: "ومعنى (في) الوعاء والظرفية"<sup>(٣)</sup>، وقال المبرد: "في معناها استوعاه  
الوعاء"<sup>(٤)</sup>.

ومثال على ذلك الفعل نظر: ورد مركبا مع (إلى، عن، في) ومن شواهدة:

(نظر إلى): قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى مَنْ يَجُرُّ إِزَارَهُ بَطْرًا»<sup>(٥)</sup>، وحرف الجر  
(إلى) لانتهاء الغاية المكانية.

فَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ،  
وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلًا عَابِدًا فَأَتَّخَذَ صَوْمَعَةً فَكَانَ فِيهَا فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ .  
فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي . فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ فَأَنْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي  
فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَأَنْصَرَفَتْ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ  
أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ . فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي . فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ فَقَالَتْ:  
اللَّهُمَّ لَا تُمِتَّهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْمُؤْمِسَاتِ»<sup>(٦)</sup>.

في قوله: "يَنْظُرُ إِلَى وُجُوهِ الْمُؤْمِسَاتِ" المقصود نظر العين العابر بدون تأمل، فقط الانتهاء

(١) المرجع السابق: ٢٠١٥/٤ رقم الحديث (٢٦١٠)

(٢) المرجع السابق: ٢١٩٦/٤ رقم الحديث (٢٨٦٣).

(٣) اللمع ص: ١٢٨.

(٤) المقتضب: ٨٧/١.

(٥) صحيح مسلم: ١٦٥٣/٣ رقم الحديث (٢٠٨٧).

(٦) صحيح مسلم: ١٩٧٦-١٩٧٧ رقم الحديث (٢٥٥٠)

إلى ذلك.

ولكن دلالة السياق في رواية البخاري أقوى في دقة المعنى (نظر في) "حتى ينظر في وجوه المياميس"<sup>(١)</sup>، وحرف الجر "في" يفيد الظرفية المكانية المجازية، والتركيب هنا يفيد النظر المتعمق المتأمل وليس النظر العابر، لأن "أم جريج" كما يظهر من السياق أنها تريد أن ينظر جريج نظر فتنة فهو دعاء عليه من شدة غضبها لعقوقه، وذلك لا يكون إلا بالتأمل وإدامة النظر.

ويقول ابن جزى الكلبي - رحمه الله - (ت: ٧٤١ هـ): "نظر له معنيان: من النظر ومن الانتظار، فإذا كان من الانتظار تعدى بغير حرف، ومن نظر العين يتعدى ب(إلى)، ومن نظر القلب يتعدى ب(في)"<sup>(٢)</sup>.

وقال الراغب: "نظرت إلى كذا، إذا مدت طرفك إليه، رأيتته أولم تراه، ونظرت فيه، إذا رأيتته وتدبرته..."<sup>(٣)</sup>.

وأشار أبو البقاء الكفوي بأن الفعل عندما تتوارد عليه "الحروف المتعددة لا بد أن يكون له مع كل حرف معنى زائد على المعنى الآخر، وهذا بحسب اختلاف معاني الحروف"<sup>(٤)</sup>.

وكذلك تعلق الجار والمجرور بالفعل (خرج) الذي تولدت عنه معاني جديدة من ذلك: عَنْ سَلْمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى خَيْبَرَ فَتَسَيَّرْنَا لَيْلًا<sup>(٥)</sup>.

فالسباق أعطى للفعل معنى التوجه إلى خيبر، حيث أفاد حرف الجر "إلى" الاتجاه والقصد وانتهاء الغاية المكانية.

وجاء متعلقًا بالباء كما في حديث الحسن - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ رَجُلًا مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ خَرَجَتْ بِهِ فَرْحَةٌ فَلَمَّا آذَتْهُ انْتَزَعَتْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ فَكَأَهَا فَلَمْ يَرِقْ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ . قَالَ رَبُّكُمْ: قَدْ خَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ " . ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَقَالَ إِي وَاللَّهِ لَقَدْ حَدَّثَنِي بِهَذَا الْحَدِيثِ جُنْدَبٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا

(١) صحيح البخاري: ١١٦/٣ رقم الحديث: (١٢٠٦)

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزى الكلبي، (لبنان: بيروت: دار الكتاب العربي، ط: ٢، ١٣٩٣م): ٢٧/١.

(٣) المفردات ص: ٤٩٧ مادة: (ن ظ ر).

(٤) ينظر: الكليات ص: ٦١.

(٥) سبق تخريجه ص: ٨٤ من البحث.

المَسْجِدِ<sup>(١)</sup> ويدل السياق على أن الباء هنا بمعنى "في" التي تدل على الظرفية المكانية.

كذلك عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « بَيْنَمَا امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا جَاءَ الذُّبُّ فَذَهَبَ بِأَبْنِ إِحْدَاهُمَا . فَقَالَتْ هَذِهِ لِصَاحِبَتَيْهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِإِبْنِكَ أَنْتِ . وَقَالَتِ الْأُخْرَى: إِنَّمَا ذَهَبَ بِإِبْنِكَ . فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَأَخْبَرَتْهُ فَقَالَ اثْنُونِي بِالسُّكِّينِ أَشَقُّهُ بَيْنَكُمَا . فَقَالَتِ الصُّغْرَى: لَا . يَزْحَمُكَ اللَّهُ هُوَ ابْنُهَا . فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى »<sup>(٢)</sup>

بين السياق معنى حرف الاستعلاء هنا وهو خروجهما على سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ خروجًا ظهورًا مفاجئًا.

وسئل أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ -رضي الله عنه- عَنِ الْحُرُورِيَّةِ، هَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُهَا، قَالَ: لَا أَدْرِي مِنَ الْحُرُورِيَّةِ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « يَخْرُجُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ - وَمَنْ يَقُلْ مِنْهَا - قَوْمٌ يَحْقِرُونَ صَلَاتِكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ فَيَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ . لَا يُجَاوِزُ خُلُوقَهُمْ - أَوْ حَنَاجِرَهُمْ - يَمْزُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ فَيَنْظُرُ الرَّامِي إِلَى سَهْمِهِ إِلَى نَصْلِهِ إِلَى رِصَافِهِ، فَيَتَمَارَى فِي الْفَوْقَةِ هَلْ عَلِقَ بِهَا مِنَ الدَّمِ شَيْءٌ »<sup>(٣)</sup>

يدلنا سياق الحديث على أن من معاني (من) التبويض، لكن استخدام (في) يدل على أنهم ليسوا من أمته صلى الله عليه وسلم، وعلق النووي على هذا الحرف قال: "قال المازري هذا من أدل الدلائل على سعة علم الصحابة رضي الله عنهم، ودقيق نظرهم، وتحريهم الألفاظ وفرقهم بين مدلولاتها الخفية لأن لفظ (من) تقتضي كونهم من الأمة لا كفارًا بخلاف (في)"<sup>(٤)</sup>.

وقد فصل ذلك السيوطي قائلاً: "وجهلت أن الفعل يتعدى بعدة من حروف الجر على مقدار المعنى المراد من وقوعه، لأن هذه المعاني كامنة في الفعل، وإنما يثيرها ويظهرها حرف الجر، فأنت إذا قلت: "خرجت من الدار"، فإن أردت أن تبين أن خروجك مقارن لاستعلائك قلت: "خرجت على الدابة" فإن أردت المجاوزة للمكان قلت: "خرجت عن

(١) صحيح مسلم: ١٩٢٣/٤ رقم الحديث (٢٤٧٤).

(٢) المرجع السابق: ١٣٤٤/٣ رقم الحديث (١٧٢٠).

(٣) المرجع السابق: ٧٤٣/٢ رقم الحديث (١٠٦٤).

(٤) المنهاج ١٦٤/٧.

الدار"، وإذا أردت الصحبة قلت: "خرجت بسلاحي" (١).

والسيوطي يبين أن إضافة كل حرف تبعث معاني موجودة في الأفعال تختلف عن غيرها إن تعدت بحروف جر أخرى.

ففي الأحاديث السابقة تعلق الجار والمجرور بالفعل، وقد يتعلق بالمشتق كاسم الفاعل أو اسم المفعول، أو اسم التفضيل وغيرها الذي يظهر من السياق؛ ومن ذلك عن أبي مسعود الأنصاري - رضي الله عنه - قَالَ كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ لِلَّهِ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ». فَالْتَفَتُ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ حُرٌّ لِيُوجِهَ اللَّهُ. فَقَالَ «أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلْفَحْتِكَ النَّارُ أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ» (٢).

فالسباق واضح في تعلق الأفعال بما يشبه الفعل فمنك متعلق ب(أقدر) وهو اسم تفضيل وعليه تعلق بمحذوف.

قال الطيبي: "الله مبتدأ و(أقدر) خبره، وعليك صلة أقدر، و(منك) متعلق أفعل. وقوله: (عليه) لا يجوز أن يتعلق بقوله: (أقدر)؛ لأنه أخذ ماله، ثم برر عدم تمكنه عليه بأخذ لا بمصدر مقدر عند قوله: (منك)، أي: من قدرتك، كما ذهب المظهري؛ لأن المعنى يأباه. بل هو حال من الكاف، أي: أقدر منك حال كونه قادرًا عليه، أو يتعلق بمحذوف على سبيل البيان كأنه لما قيل: لله أقدر عليك منك، قيل: قدرتك على (ما) قيل عليه كما في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ (٣).

قال في الكشاف: "(معه) لا يخلو إما أن يتعلق ب(بلغ) أو ب(السعي)، أو بمحذوف، ولا يصح تعلقه ب(بلغ) لاقتضائه بلوغهما معا حد السعي. ولا ب(السعي) لأن صلة المصدر لا تتقدم عليه، فبقي أن يكون بيانًا، كأنه لما قال: فلما بلغ معه الحد الذي يقدر فيه على السعي، قيل: مع من؟ قال: مع أبيه" (٤).

ويقول المالقي: "إن سائر حروف الجر الأصلية لا بد أن تكون متعلقة بفعل أو معنى الفعل، أو ما يمكن تأويله بما يشبه الفعل وقد يكون ظاهرًا أو مقدرًا (مضمراً)؛ لأن الجار

(١) الأشباه والنظائر، ٢٦٣/٣.

(٢) صحيح مسلم: ١٢٨١/١ رقم الحديث (١٦٥٩).

(٣) سورة الصافات آية: ١٠٢، عقود الزبرجد: ٤٠٧/٢-٤٠٨.

(٤) الكشاف: ٣٤٧/٢.

والمحور في موضع معمول مستدع لواحد من ذلك، فالجار والمحرور من المعمولات التي تحتاج إلى عامل" (١).

وَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَقْبَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ أَنَا وَأَبُو طَلْحَةَ . وَصَفِيَّةُ زِدِيَّتُهُ عَلَى نَاقَتِهِ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِظَهْرِ الْمَدِينَةِ قَالَ « آيُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ » . فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذَلِكَ حَتَّى قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ . (٢).

يقرر السياق تعلق "لربنا" قال السيوطي: "(آيون) خبر مبتدأ محذوف أي: مقدر أي: نحن، وقوله (لربنا) يجوز أن يتعلق بقوله عابدون؛ لأن عمل اسم الفاعل ضعيف فيقوى، أو بحامدون ليفيد التخصيص، أي: نحمده لا غيره، وهذا أولى لأنه كالحائمة للدعاء" (٣).

وقد يكون المتعلق محذوف أشار إلى ذلك ابن هشام في بحثه هذا الأمر تحت عنوان (ذكر أحكام ما يشبه الجملة وهو الظرف والجار والمحرور - ذكر حكمهما في التعلق). ثم قال: "لا بد من تعلقهما بالفعل أو ما يشبهه، أو ما أول بما يشبهه، أو ما يشير إلى معناه فإن لم يكن شيء من هذه الأربعة موجوداً قدر" (٤).

عن عَبْدِ اللَّهِ - قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ قَالَ « الصَّلَاةُ عَلَى وَفْتِهَا » . قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ قَالَ « ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ » . قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ قَالَ: « ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » (٥).

(على وقتها) يحتل أن يتعلق بأحب المحذوف، وفيه بعد؛ لأن المعنى ليس عليه؛ لأنك تقول: أحب إليّ، ولا تقول: أحب عليّ؛ وأن يتعلق بحال من الصلاة على قول من يميز عمل الابتداء في الحال وبما في (أحب) من معنى الفعل على قول من يميز أن العامل في الحال غير العامل في صاحبها، ويكون التقدير: أحب العمل الصلاة مؤداة على وقتها، أو بنفس الصلاة؛ لأنه مصدر فيه رائحة الفعل. (٦).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْجِهَادِ فَقَالَ: « أَحْيِي

(١) ينظر: رصف المباني في شرح حروف المعاني ص: ١٥٢.

(٢) صحيح مسلم: ٢/٩٨٠ رقم الحديث (١٣٤٥).

(٣) عقود الزبرجد: ١/٢٢٥.

(٤) مغني اللبيب: ٢/٤٩٩.

(٥) صحيح مسلم: ١/٩٠، رقم الحديث: (٨٥).

(٦) عقود الزبرجد: ٢/٩١.

وَالِدَاكَ . قَالَ نَعَمْ . قَالَ: « فَيهِمَا فَتَجَاهِدُ »<sup>(١)</sup>

(ففيهما فجاهد) الجار والمجرور متعلق بمقدر وهو :جاهد، والمذكور مفسر له؛ لأن ما بعد الفاء الجزائية لا يعمل فيما قبلها، ومعناه خصصهما بالجهاد والتقدير: إن كان لك أبوان فجاهد فيهما .<sup>(٢)</sup>

وقد يتعلق المجروران بفعل واحد ولا يمكن الاستغناء عنها من ذلك عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ: رَجُلٌ أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: « مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ »<sup>(٣)</sup>.  
"الباء" للاستعانة، و"في" للظرفية المجازية، والفعل مركب مع الحرفين الأول لبيان موضع الفعل، والثاني لبيان وسيلته.

والفعل "جاهد": قاتل، وأصله: استفراغ ما في الوسع والطاقة من قول وفعل<sup>(٤)</sup>.  
وفي ذلك ما يدعو إلى القول بأن السياق أثبت وجوده في معاني حروف الجر حال تعلقها بالفعل لتدل على معاني جديدة.

(١) صحيح مسلم: ٤/٩٧٥ رقم الحديث: (٢٥٤٩).

(٢) شرح الكرماني: ١٣/١٧.

(٣) صحيح مسلم: ٣/١٥٠٣ رقم الحديث (١٨٨٨).

(٤) لسان العرب : مادة (ج ه د) .

### المبحث الرابع أثر السياق في عود الضمير

من المسائل التي يكثر حولها الخلاف عود الضمائر وعود الضمائر لا يجليها إلا السياق. والضمير إما أن يكون ملفوظاً فيعود على: متقدم أو متأخر، وأما غير ملفوظ ولا مذكور. فالأصل أن يعود الضمير على متقدم لفظاً ورتبة، بما يوجهه السياق؛ ومن ذلك عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قَالَ وَقَّتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ ذَا الْحُلَيْفَةِ لِأَهْلِ الشَّامِ الْجُحْفَةَ وَلِأَهْلِ بَجْدِ قَرْنَ الْمَنَازِلِ وَلِأَهْلِ الْيَمَنِ يَلْمَلَمَ . قَالَ « فَهِنَّ هُنَّ وَلِمَنْ أَتَى عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِنَّ مِمَّنْ أَرَادَ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ فَمَنْ كَانَ دُونَهُنَّ فَمِنْ أَهْلِهِ وَكَذَا فَكَذَلِكَ حَتَّى أَهْلُ مَكَّةَ يُهْلُونَ مِنْهَا »<sup>(١)</sup>.

فالسباق المسؤول الأول عن بيان عود الضمير لفهم المعنى، فالضمائر في: « فَهِنَّ عَلَيْهِنَّ، أَهْلِهِنَّ » عائدة على المواقيت.

قال ابن مالك: "الضمير الأول والضمير الثالث والضمير الرابع عائدة على المواقيت، فلا إشكال فيهنّ؛ لأن كل ضمير عائد على جمع ما لا يعقل، فالتعبير عنه في الرفع والاتصال بنحو: فعلت وفعلن، وفي الرفع والانفصال بنحو هي وهنّ، وفي النصب والجر بنحو: عرفتها وعرفتهنّ، إلا أن فعلن وهنّ وعرفتهنّ: أولى بالعدد القليل، وفعلت، وهي وعرفتها: أولى بالعدد الكثير"<sup>(٢)</sup>.

وفي قوله ﷺ: "وَأَتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ" <sup>(٣)</sup>.

الهاء في (بينها) تعود على متقدم ظاهر من السياق وهو: (دعوة المظلوم).  
ويفسر السياق أحياناً عود الضمير على غير مذكور يقول الأسنوي: "قد يعود على غير

(١) صحيح مسلم: ٢/٨٣٨ رقم الحديث: (١١٨١).

(٢) شواهد التوضيح ص: ٧٤، وينظر: عقود الزجر ج ٢: ٢٨/٢.

(٣) صحيح مسلم: ١/٥٠ رقم الحديث: (١٩).

ملفوظ به، كالذي يفسره سياق الكلام<sup>(١)</sup> نحو قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾<sup>(٢)</sup> أي القران وهو غير ملفوظ.

ومن ذلك قول النبي ﷺ: « صُومُوا لِرُؤُوسِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤُوسِهِ فَإِنْ غُمِّيَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمَلُوا الْعَدَدَ »<sup>(٣)</sup>.

فالسباق يقول بعود الضمير المتصل في " لِرُؤُوسِهِ "، والضمير المستتر في: " غُمِّيَ " على غير مذکور، معلوم من السياق وهو: (الهلal).

قال الطيبي: " فإن غم عليكم أي غطى الهلال يغم من غممت الشيء إذا غطيته، وفيه ضمير الهلال .. وترك ذكر الهلال للاستغناء عنه"<sup>(٤)</sup>.

وعَنْ سَلْمَةَ بِنِ الْأَكْوَعِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى خَيْبَرَ..... قَالَ: فَلَمَّا تَصَافَّ الْقَوْمُ كَانَ سَيْفٌ عَامِرٍ فِيهِ قِصْرٌ، فَتَنَاوَلَ بِهِ سَاقَ يَهُودِيٍّ لِيَضْرِبَهُ، وَيَرْجِعُ دُبَابُ سَيْفِهِ، فَأَصَابَ رُكْبَةَ عَامِرٍ فَمَاتَ مِنْهُ، قَالَ: فَلَمَّا فَقَلُّوا. قَالَ سَلْمَةُ: وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِي - قَالَ - فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَاكِتًا قَالَ: « مَا لَكَ؟ » . قُلْتُ لَهُ: فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي زَعَمُوا أَنَّ عَامِرًا حَبِطَ عَمَلُهُ قَالَ: « مَنْ قَالَهُ؟ » . قُلْتُ: فُلَانٌ وَفُلَانٌ وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرِ الْأَنْصَارِيِّ فَقَالَ: « كَذَبَ مَنْ قَالَهُ إِنَّ لَهُ لِأَجْرَيْنِ » . وَجَمَعَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ « إِنَّهُ لَجَاهِدٌ مُجَاهِدٌ قَلَّ عَرَبِيٌّ مَشَى بِهَا مِثْلَهُ »<sup>(٥)</sup>.

قيل: الضمير في (بها) عائد على الأرض، وقيل: على الحرب وكلاهما لا يؤيده سياق الحديث.

قال القرطبي: " ويحتمل أن يعود على الشهادة والحالة الحسنة التي مضى بها إلى الله تعالى. وهذا يعضده المعنى، ومساق الكلام. والله تعالى أعلم"<sup>(٦)</sup>.

(٤) الكوكب الدرري ص: (٩٠).

(١) سورة القدر آية: ١.

(٢) صحيح مسلم: ٧٦٢/٢ رقم الحديث: (١٠٨١).

(٣) شرح الطيبي ١٧٠/٤.

(٤) صحيح مسلم: ١٤٢٨/٣، ١٤٢٩، رقم الحديث: (١٨٠٢).

(٥) المفهم: ٦٦٨/٤.



ومن ذلك عن أنسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَاوَرَ حِينَ بَلَغَهُ إِقْبَالَ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَأَعْرَضَ عَنْهُ ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ إِيَّانَا تُرِيدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا الْبَحْرَ لِأَخْضَانَهَا وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرِّكَ الْعِمَادِ لَفَعَلْنَا" (١).

والواضح من السياق أن الضمير في: "نُخِيضَهَا الْبَحْرَ لِأَخْضَانَهَا وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا" أنها الخيل، فهي الأداة المستخدمة في الحرب آنذاك؛ قال الأبي: "قوله أن نخيضها يعني الخيل" (٢).

وعن ابن عباسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: « إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنْ أَعْيَانِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ » (٣).

يقول صاحب شرح الأشموني: "إن الضمير في قوله صلى الله عليه وسلم: "فُتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ" يعود إلى المخاطبين، فيختص بذلك فقراء أهل تلك البلدة؛ لأن الأصل في الضمير أن يعود إلى الاسم المتقدم" (٤).

ويقول ابن قدامة: "المذهب على أنه لا يجوز نقل الصدقة من بلدها إلى مسافة القصر... ولنا قول النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ: " فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنْ أَعْيَانِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ " (٥)

(١) صحيح مسلم: ٤٠٣/٣ رقم الحديث (١٧٧٩).

(٢) إكمال إكمال المعلم: ١١٢/٥.

(٣) صحيح مسلم: ٥١/١ رقم الحديث (١٩).

(٤) ينظر: شرح الأشموني: ١٠٥/١، ومعاني النحو: ٦٦/١.

(٥) المغني ٢/٢٨٣.

وهذه المعاني لا يقبلها السياق؛ فلو كان أهل تلك البلدة يوجد من هو أحوج منهم في بلدة أخرى فلن يعود الضمير على المخاطبين. وذهب آخرون بأن الضمير في قوله صلى الله عليه وسلم " فَتَرَدُّ عَلَىٰ قُرَّائِهِمْ "، يرجع إلى عموم المسلمين، بإعطاء الصدقة لأي المسلمين يوافق عموم الحديث؛ وذلك لأن الضمير الغائب قد يعود إلى غير ملفوظ به، كالذي يفسره سياق الكلام<sup>(١)</sup>.

وهكذا لجئوا إلى السياق لإزالة اللبس والغموض.

وقد يكون العائد محذوف بما يقرره السياق لسلامة المعنى؛ من ذلك أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةً »<sup>(٢)</sup>.

فالضمير المحذوف تقديره حسب السياق: "لانورث ما تركناه صدقة". قال النووي: "هو برفع (صدقة) و(ما) بمعنى الذي، أي: الذي تركناه فهو صدقة. قال: وإنما نهت على هذا لأن بعض جهلة الشيعة يصحفه"<sup>(٣)</sup>.

قال أبو البقاء: "(ما) بمعنى الذي، والفعل صلة، والعائد محذوف، أي: ما تركناه و(صدقة) مرفوع لا غير خير الذي"<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن مالك: "(ما) بمعنى الذي، و(تركنا) صلة، والعائد محذوف، و(صدقة) خبر هذا على رواية من رفع، وهو الأجود لسلامته من التكلف، ولموافقة رواية من روى: (ما تركنا فهو صدقة). وأما النصب فالتقدير فيه: ما تركنا مبذول صدقة، فحذف الخبر وبقي الحال كالعوض

منه، ونظيره: "وَمَحْنٌ عُصْبَةٌ"<sup>(٥)</sup>: بالنصب"<sup>(٦)</sup>.

ويؤيد ذلك ذكر الضمير في نفس الحديث: " ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْعَبَّاسِ وَعَلَيٍّ فَقَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي يَأْذِنُهُ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ أَتَعْلَمَانِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « لَا نُورَثُ مَا

(١) ينظر: الأصول في النحو: ١١٥/٢، والمقرب: ص: ٢٤٢، ومعاني النحو: ١/٦٦.

(٢) صحيح مسلم: ١٣٧٦/٣، رقم الحديث (١٧٥٦).

(٣) المنهاج: ٧/١٢٣.

(٤) إعراب الحديث النبوي: ص: ١٨٦، ١٨٧.

(٥) سورة يوسف آية ٨.

(٦) شواهد التوضيح: ص: ١٥٤.

تَرَكْنَا صَدَقَةً» (١).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُورَثُ مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ» (٢).

وقد تتضارب الآراء في عودة الضمير، وتتعدد الأقوال فتوحيد مرجعها وإعادتها إلى شيء واحد أولى وأحسن لانسجام النظم واتساق السياق. ويظهر ذلك في قول رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ حُوَيْلِدٍ». قَالَ أَبُو كُرَيْبٍ وَأَشَارَ وَكَيْعٌ إِلَى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. (٣).

قال الزركشي: "هذا ظاهره مشكل على قاعدة من العربية، فإنه ظاهر في جواز: زيد أفضل أخوته. وقد اتفقوا على منعه، وفيه وجهان: أحدهما: أن يجعل خيراً بمعنى خير لا على جهة التفضيل.

وثانيهما: وهو الأصح أن الضمير راجع للدنيا، كما تقول: زيد أفضل أهل الدنيا. ويجوز على تقدير مضاف محذوف، أي: خير نساء زمانها، فيعود الضمير على مريم. وإنما جاز أن يرجع الضمير للدنيا، وإن لم يجر لها ذكر؛ لأنه يفسره الحال المشاهدة، ومعنى ذلك أن كل واحدة منهما خير نساء عالمها في وقتها". (٤).

ويؤكد ذلك قول النووي: "أي خير نساءها، أي: نساء الأرض في عصرها" (٥).

فالتأويل أن الضمير عائداً إلى الأرض، فالضمير عائد على غير مذكور، والمراد اختلف فيه العلماء؛ لذا جعلوا سياق الحال هو الفيصل في ذلك.

ويوجه السياق المعنى إلى أن العائد محذوف كما في حديث جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ كَانَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ خُطْبَتَانِ يَجْلِسُ بَيْنَهُمَا، يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَيُذَكِّرُ النَّاسَ (٦).

قال البيضاوي: "يقرأ القرآن: صفة ثانية للخطبتين، والراجع محذوف والتقدير: يقرأ فيهما (ويذكر الناس: عطف عليه داخل في حكمه" (٧).

(١) صحيح مسلم: ٣/ ١٣٧٩ رقم الحديث (١٧٥٨).

(٢) المرجع السابق: ٣/ ١٣٧٨ رقم الحديث: (١٧٥٧).

(٣) المرجع السابق: ٤/ ١٨٨٦ رقم الحديث (٢٤٣٠).

(٤) البحر المحيط: ٣/ ٨٧.

(٥) المنهاج: ٤/ ٣٢.

(٦) صحيح مسلم: ٢/ ٥٨٩ رقم الحديث (٨٦٢).

(٧) عقود الزبرجد ١/ ٢٥٦.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ عَامَ الْفَتْحِ وَهُوَ بِمَكَّةَ: «إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ». فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ فَإِنَّهُ يُطْلَى بِهَا الشُّفْنُ وَيُدْهَنُ بِهَا الْجُلُودُ وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ فَقَالَ: «لَا هُوَ حَرَامٌ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ شُحُومَهَا أَجْمَلُوهَا ثُمَّ بَاعُوهَا فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ»<sup>(١)</sup>.

إن الضمير في قوله: (لا، هو حرام)، يعود إلى البيع لا إلى الانتفاع، يقول ابن حجر: "ومنهم من حمل قوله: (وهو حرام)، على الانتفاع، هذا هو الصحيح عند الشافعي وأصحابه: أنه يجوز الانتفاع بشحم الميتة في طلي السفن و الاستصباح بها وغير ذلك، مما ليس يؤكل ولا في بدن الآدمي، وبهذا قال أيضا عطاء ابن أبي رباح، ومحمد بن جرير الطبري"<sup>(٢)</sup>.

والسياق حاضر في هذا فالمعنى العام من الحديث يظهر أن الضمير يعود للبيع. يقول ابن حجر: "ما حرم تناوله حرم بيعه، وتناول الحمر إنما يتأتى بعد ذبحه، وهو بالذبح يصير ميتة؛ لأنه لا ذكاة له، وإذا صار نجسًا لم يجز بيعه"<sup>(٣)</sup>.

ويؤيد ذلك ما جاء في حديث آخر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لعن الله اليهود - ثلاثا- إن الله حرم عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها، وإن الله إذا حرم على قوم شيئا حرم ثمنه"<sup>(٤)</sup>.

يقول الصنعاني -رحمه الله- (ت: ١٨٢ هـ): "والضمير في قوله: (هو حرام)، يحتمل أنه للبيع، أي: بيع الشحوم حرام، وهذا هو الأظهر؛ لأن الكلام مسوق له؛ ولأنه قد أخرج الحديث أحمد وفيه: "فما ترى في بيع شحوم الميتة - الحديث"<sup>(٥)</sup>.

لذا يقول الشوكاني: "والظاهر أن مرجع الضمير للبيع؛ لأنه المذكور صريحا والكلام فيه"<sup>(٦)</sup>.

(١) صحيح مسلم: ١٢٠٧/٣ رقم الحديث (١٥٨١).

(٢) المنهاج: ٩/١١.

(٣) ينظر: فتح الباري ٤/٤٨٥.

(٤) سنن أبي داود ٣/٧٥٨ (٣٤٨٨).

(٥) سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، محمد الصنعاني، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، إبراهيم الحمل، (دار

الكتاب العربي، ط: ٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) ٣/١٢.

(٦) نيل الأوطار ٥/١٤٣.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَأَسْتَهْمُوا وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَأَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَمَّةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا » (١)

ومعنى: "إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ" أي: إلا باقتراع القرعة، وقد اختلفوا في الضمير الذي في (عليه) على ماذا يعود.

قال ابن عبد البر - رحمه الله -: "يعود إلى الصف الأول، وهو أقرب مذكور قال: وهذا وجه الكلام، وقيل: إنه يعود على معنى الكلام المتقدم، فإنه مذكور ومنقول ومثل هذا قوله تعالى... ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ (٢). أي: ومن يفعل المذكور وقيل: وهذا أولى من الأول؛ لأنه إن رجع الصف بقى النداء ضائعاً لا فائدة له" (٣).

(١) صحيح مسلم: ٣٢٥/١ رقم الحديث (٤٣٧) .

(٢) سورة الفرقان آية: ٦٨ .

(٣) نيل الأوطار: ٢٦ / ٨٣٢ .

## المنبحث الخامس

## أثر السياق في الترجيح بين الأوجه الإعرابية

إن من أصول العربية الدلالة بالحركات على المعاني ، فإذا استهدينا بهذا الأصل وجب أن نرى في هذه العلامات الإعرابية إشارة إلى معان يقصد إليها، فتجعل تلك الحركات دوال عليها، وما كان للعرب أن يلتزموا هذه الحركات ويحرصوا عليها ذلك الحرص كله، وهي لا تعمل في تصوير المعنى شيئاً، بل لقد كانت حارساً لأمن اللبس في النظام والسياق معاً. <sup>(١)</sup>

وقد رأى اللغويون العرب في (الإعراب) أحد المعطيات الأساسية للنحو وشكلاً من أشكال التمييز الصوتي الذي يطرأ على الكلمات في مواقعها من التركيب ، بحيث إن أي انحراف في الحركة الإعرابية نطقاً أو كتابة يعني لبساً في المعنى يقول ابن فارس: " فلولا الإعراب لما فرّق السامع بين المعاني المتكافئة في اللفظ ، وبالإعراب يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام ، ولولاه ما مُيز فاعل من مفعول ، ولا مضاف من منعت ، ولا تعجب من استفهام ، ولا صدر من مصدر ، ولا نعت من تأكيد" <sup>(٢)</sup>.

وقد عرض لذلك أبو القاسم الزجاجي -رحمه الله- (ت: ٣٣٧هـ) حين سئل عن علة دخول الإعراب في الكلام <sup>(٣)</sup>، فأجاب: "إن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني، فتكون فاعلة، ومفعولة، ومفعولة، ومضافة، ومضافا إليها، ولم يكن في صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعاني، بل كانت مشتركة، جعلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني، فقالوا: ضرب زيد عمراً، فدلوا برفع زيد على أن الفعل له، وبنصب عمرو على أن الفعل واقع به، وقالوا: ضرب زيد، فدلوا بتغيير أول الفعل، ورفع زيد على أن الفعل ما لم يسم فاعله، وأن المفعول قد ناب منابه، وقالوا: هذا غلام

(١) النحو والنحاة ، أحمد عرفة ص، ١١٤ .

(٢) الصاحبي : ص ٧٧ .

(٣) الإيضاح في علل النحو: ٦٩ .

زيد، فدلوا بخفض زيد على إضافة الغلام إليه، وكذلك سائر المعاني جعلوا هذه الحركات دلائل عليها، ليتسعوا في كلامهم، ويقدموا الفاعل إن أرادوا ذلك، أو المفعول عند الحاجة إلى تقديمه، وتكون الحركات دالة على المعاني<sup>(١)</sup>.

وأشار أكثر من نحوي إلى علاقة الإعراب بالمعنى؛ إذ يقول المبرد رابطاً بين النحو والمعنى: "كل ما صلح به المعنى فهو جيد، وكل ما فسد به المعنى فمردود"<sup>(٢)</sup> ويقول ابن جني في تعريف الإعراب: "هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ..."<sup>(٣)</sup>

ويذهب الجواربي إلى أن ظاهرة الإعراب ظاهرة قديمة ليست فقط في العربية بل في اليونانية القديمة واللاتينية وفي طائفة من اللغات السامية الأخرى وله أثره في المعنى يقول: "وبه تعرف الألفاظ في معانيها التي تحتملها، ووجوهها التي تحتملها وبه يستدل على الجزء الأكبر من معنى التركيب"<sup>(٤)</sup>.

ويقول د. خليل عمايرة: "إن الحركة شأنها شأن أي فونيم في الكلمة له قيمته وأثر في الإفصاح، والإبانة عما في النفس من معنى فيكون تغييرها محققاً لما في نفس المتكلم من معنى يريد الإبانة والإفصاح عنه، فإذا قال المتكلم: (الأسد) (بالضمّة) فإن السامع يدرك أنه قد أراد نقل خبر ليس غير، ولكنه إذا قال: الأسد (بالفتحة) فإن المعنى يتغير إلى معنى التحذير الذي هو في ذهن المتكلم، ويريد أن يفصح عنه ولا يستطيع تغيير أي فونيم في الكلمة غير هذا الفونيم، فإنه إن غير فونيماً آخر في الكلمة تغيرت الصورة الذهنية التي ترتبط بها الكلمة بسبب، فلا سبيل إذاً إلى التغيير إلا في فونيم الحركة الذي يؤدي إلى صورة ذهنية جديدة؛ ولكنها تتصل بالأولى بسبب، فما كان التغيير في الحركة إلا نتيجة للتغيير في المعنى... وليست الحركة نتيجة لأثر عامل كما يرى النحاة"<sup>(٥)</sup>.

(١) الإفصاح في علل النحو ص: ٦٩، ٧٠.

(٢) المقتضب ٤ / ٣١١.

(٣) الخصائص ١ / ٣٥.

(٤) نحو التيسير دراسة ونقد منهجي، د. أحمد عبد الستار الجواربي، (مطبعة المجمع العلمي العراقي - ١٩٨٤م) ص:

٢٥.

(٥) في نحو اللغة وتراكيبها: ص: ١٥٦، ١٥٧.

وهذا الكلام يحتاج إلى استقراء حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وأول هذه الأحاديث عن النبي ﷺ قَالَ: « لَا يَمُوتُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ إِلَّا نَجَلَهُ الْقَسَمُ »<sup>(١)</sup>.

قال ابن الحاجب في أماليه: "هو محمول على الوجه الثاني في قولك ما تأتينا فتحدثنا، ولا يستقيم على الوجه الأول؛ لأن معنى الأول: أن يكون الفعل الأول سببا للثاني كقولك: ما تأتينا فتحدثنا أي: لو أتيتنا.

وليس عليه قوله: (لا يموت لأحد)؛ لأنه يؤدي إلى عكس معنى المقصود، ويصير المعنى: إن موت الأولاد سبب لمس النار. والمقصود ضد معنى المذكور، وإذا حمل على الوجه (الثاني)، وهو أن الغرض الثاني لا يكون عقب الأول، أفاد الفائدة المقصودة بالحديث: إذ يصير المعنى: إن مس النار لا يكون عقب موت الأولاد، وهو المقصود. فإنه إذا لم يكن المس مع موت الأولاد وجب دخول الجنة إذ ليس بين النار والجنة منزلة أخرى في (الآخرة)، فثبت أن الخبر لا يمكن حمله إلا على الوجه الثاني لا على الوجه الأول<sup>(٢)</sup>.

فالساق يوجه المعنى الذي عن طريق فهمه نستطيع وضع الحركة الإعرابية.

وفي حديث سُفْيَانَ « فَيَلِجُ النَّارَ إِلَّا نَجَلَهُ الْقَسَمُ »<sup>(٣)</sup>

قوله: (فتمسه النار)، منصوب على معنى نفي اجتماع موت الثلاثة ومس النار. هو كقولك ما تأتينا فتحدثنا وله أربعة معان: معنيان يجب فيهما النصب، وآخران يجب فيهما الرفع. فالأول من وجهي النصب: نفي الحديث لانتفاء الإتيان الذي هو سببه، ولا يجوز

تقدير هذا الوجه هنا وإلا كان موت الأولاد سببا لمس النار كقوله تعالى: لَا يَقْضَى

عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا<sup>(٤)</sup>، لأن القضاء عليهم سبب الموت.

(١) صحيح مسلم: ٢٠٢٨/٤ رقم الحديث (٢٦٣٢).

(٢) الأمالي: ٦٧/٢.

(٣) صحيح مسلم: ٢٠٢٨/٤ رقم الحديث (٢٦٣٢).

(٤) سورة فاطر آية: ٣٦.



الثاني من وجهي النصب : أن لا يجتمع أن يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من ولد وتمسه النار . فإذا مات له ثلاثة من الولد ، لزم أن لا تمسه النار فوجب أن يدخل الجنة ؛ لأنه لا بد بعد الموت من الجنة أو النار . والأول من وجهي الرفع نفي كل واحد من الاثنين فالحديث نفيٌّ للأول وإثبات للثاني ، أي : فأنت تحدثنا كقوله:

أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّبَّ الْقَوَاءَ فِي نَطْقِ<sup>(١)</sup>

أي : فهو ينطق<sup>(٢)</sup>.

إذا عرفت هذا ، علمت أن الرفع لا يجوز في الحديث بحال إفساد المعنى على كل من الوجهين ، وأن النصب مختص بالمعنى الثاني . وإلا كان \_ صلى الله عليه وسلم \_ نافيا لأن يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد وهو باطل .

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْعَرْفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْعَابِرَ مِنَ الْأَفْقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ » . قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ . قَالَ: « بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ » .<sup>(٣)</sup>

ويفرق السياق بين الأوجه الإعرابية، ويرجح الأصوب من حيث المعنى.

قوله: (رجال)، أي: منازل رجال، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وأعرب بإعرابه، كذا في بعض الشروح، وفيه نظر، لأن (بلى) مختصة بإيجاب المنفي، وليست تلك المنازل منتفية. والأولى أن يجعل فاعل فعل محذوف من جنس المذكور. أي: بلى يبلغها رجال<sup>(٤)</sup> . وسياق الحديث يشهد للمعنى الثاني.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ - أَوْ قَالَ لِجَارِهِ - مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » .<sup>(٥)</sup>

(١) الشاهد لجميل بثينة في ديوانه ص: ١٤٤ .

(٢) عقود الزبرجد: ١٠/٣ - ١١ .

(٣) صحيح مسلم: ٤/ ٢١٧٧ رقم الحديث (٢٨٣٠)

(٤) شرح مشارق الأنوار على صحاح الآثار، القاضي عياض، (القاهرة: دار التراث): ١٠٤/١ .

(٥) صحيح مسلم: ٦٧/١ رقم الحديث (٤٥) .

ويقرر السياق أحد الإعرابين، والذي يخدم المعنى، فالحالة الأولى النصب فيكون المعنى أي: لا يؤمن أحدكم إيماناً كاملاً حتى يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه. والحالة الثانية الرفع: (يحبُّ) فيكون عدم الإيمان سبباً للمحبة. والمعنى الأول هو الذي يقبله السياق.

قال ابن حجر: "في (يحبُّ) يجب بالنصب، لأن حتى جارة، فإن بعدها مضمرة، ولا يجوز الرفع على أن يكون حتى عاطفة لأن المعنى غير صحيح، إذ عدم لإيمان ليس سبباً للمحبة"<sup>(١)</sup>. والبحث يميل إلى رأي د. تمام حسان ومجمل رأيه أن العلامة الإعرابية ليست "أكثر من نوع واحد من أنواع القرائن بل هي قرينة يستعصى التمييز بين الأبواب بواسطتها حين يكون الإعراب تقديرياً أو محلياً أو بالحذف؛ لأن العلامة الإعرابية في كل واحدة من هذه الحالات ليست ظاهرة فيستفاد منها معنى الباب"<sup>(٢)</sup>

وينظر د. تمام حسان إلى العلامة الإعرابية ضمن عدد من القرائن إذا تضافرت اتضح معنى الباب، يقول: "ولا أكاد أمل من ترديد القول: إن العلامة الإعرابية بمفردها لا تعين على تحديد المعنى فلا قيمة لها بدون ما أسلفت القول فيه تحت اسم (تضافر القرائن)، وهذا القول صادق على كل قرينة أخرى بمفردها سواء أكانت معنوية أم لفظية، وبهذا يتضح أن (العامل النحوي)، وكل ما أثير حوله من ضجة لم يكن أكثر من مبالغة أدى إليها النظر السطحي والخضوع لتقليد السلف والأخذ بأقوالها على علاقتها"<sup>(٣)</sup>.

ويقول د. عبدالنعيم خليل: "أما من ناحية توجيه الإعراب فإنهم كانوا يضيفون على الكلمة وظيفتها الإعرابية بحسب ما يقتضيه السياق ويفرضه المعنى ويحاولون التنسيق بين السياق والقواعد الإعرابية إذا كان هناك تعارض بينهما"<sup>(٤)</sup>.

(٣) ينظر: عمدة القارئ: ٢٠٦/٣.

(٤) اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٠٥.

(٥) المرجع السابق ص: ٢٠٧.

(١) نظرية السياق بين القدماء والمحدثين ص: ١١٩.

ولا يرى البحث أن الدكتورين قد جانبا الصواب، فالسياق هو أقوى القرائن التي من أجلها وضع هذا البحث وكان لها الأثر البالغ في توجيه الإعراب، ففي عهد الرسول صلى الله عليه وسلم لم يظهر علم النحو والصرف، ولم يكن ماثلاً أمام الصحابة-رضوان الله عليهم- غير السياق بنوعيه اللغوي وغير اللغوي، ولولا هذه المكانة للسياق لم يكن له دور في ترجيح أحد الإعرابين على الآخر حسب المعنى.

## المبحث السادس

### أثر السياق في تحديد نوع الاستثناء

أطلق النحويون الاستثناء على باب من أبواب النحو، وأرادوا به الإخراج الذي يقع بالأداة (إلا) أو غيرها من أدواته، ولم يورد أي من سيويه ولا المبرد، ولا الزمخشري-رحمه الله- (ت: ٥٣٨هـ) تعريفاً لمصطلح الاستثناء؛ حيث تناولوا المستثنى على أنه أحد المنصوبات، ودرسوا أدوات الاستثناء وأنواعها من باب عملها فيما بعدها، وهو المستثنى .

وقد أدرك السيوطي ذلك فقال: "عبرت بالمستثنى كابن مالك في التسهيل خلاف تعبير النحاة: سيويه فمن بعده بالاستثناء؛ لأن الباب للمنصوبات، والمستثنى أحدها، لا الاستثناء، كما ترجم في بقية الأبواب بالمفعول والحال، دون المفعولية والحالية" (١).

إلا أن هناك من اللغويين من عرّف الاستثناء قال ابن جني: "ومعنى الاستثناء: أن تخرج شيئاً مما أدخلت فيه غيره، أو تدخله فيما أخرجت منه غيره" (٢).

وعرّف الاستثناء ابن يعيش تعريفاً أقرب للمعنى، حيث قال: "اعلم أن "الاستثناء" استفعال من ثناه عن الأمر يثنيه، إذا صرفه عنه، فالاستثناء صرف اللفظ عن عمومته بإخراج المستثنى من أن يتناوله الأول، وحققيقته تخصيص صفة عامة، فكل استثناء تخصيص، وليس كل تخصيص استثناء" (٣).

وعرّفه ابن عصفور-رحمه الله-(ت: ٦٦٩هـ) بقوله: "وأما الاستثناء فهو إخراج الثاني مما دخل فيه الأول بأداة من الأدوات التي جعلها العرب لذلك" (٤).

والسياق يوجه معنى الاستثناء في الحديث أو يخرج منه وإن تناول لفظه؛ ومن ذلك قال أبو لبابة الأنصاري-رضي الله عنه-: **إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ قَتْلِ الْجِنَانِ الَّتِي تَكُونُ**

(١) همع الهوامع ٢/ ١٨٤ .

(٢) اللمع ص: ١٢١ .

(٣) شرح المفصل ٢/ ٤٦ .

(٤) المُقَرَّب ومعه (مُثَلُّ المُقَرَّب) ابن عصفور الإشبيلي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، على محمد معوض، (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م) ص: ٢٣٣، وينظر: التعليقة: ١/ ٥٦٠ .

فِي الْبُيُوتِ إِلَّا الْأَبْتَرَ<sup>(١)</sup> وَذَا الطُّفَيْتَيْنِ<sup>(٢)</sup> فَإِنَّهُمَا اللَّذَانِ يَخْطِفَانِ الْبَصَرَ وَيَتَّبِعَانِ مَا فِي بَطُونِ  
النِّسَاءِ"<sup>(٣)</sup>.

فالسِّيَاقُ فِي الْحَدِيثِ يَبِينُ الْمَعْنَى فَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْهَى عَنِ قَتْلِ جَنَانِ الْبُيُوتِ  
وَلَكِنَّهُ يَسْتَثْنِي مِنْ ذَلِكَ الْأَبْتَرَ وَذَا الطُّفَيْتَيْنِ بِأَدَاةِ الْاسْتِثْنَاءِ (إِلَّا)، ثُمَّ هُوَ يَعْلَلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ ذَلِكَ لِضَرَرِهِمَا فَهَمَا يَخْطِفَانِ الْبَصَرَ وَيَتَّبِعَانِ مَا فِي بَطُونِ النِّسَاءِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

فَهَذَا الْاسْتِثْنَاءُ عَلَى ظَاهِرِهِ عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ وَذَكَرَهُ ابْنُ عَصْفُورٍ "وَهَذَا الْإِخْرَاجُ قَدْ يَكُونُ مِمَّا  
دَخَلَ فِيهِ الْأَوَّلُ بِعَمُومٍ لَفْظٍ مُتَقَدِّمٍ أَوْ بِحُكْمِهِ أَوْ بِالْمَعْنَى"<sup>(٤)</sup>.

وَعِلَاقَةُ الْإِخْرَاجِ قَرِينَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ عَلَى إِرَادَةِ "بَابِ الْمُسْتَثْنَى" فَالْمُسْتَثْنَى يُخْرَجُ مِنْ عِلَاقَةِ الْإِسْنَادِ  
حِينَ نَفْهَمُ هَذِهِ الْقَرِينَةَ الْمَعْنَوِيَّةَ مِنَ السِّيَاقِ.<sup>(٥)</sup>

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ  
يُمْسِي سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ . لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ قَالَ  
مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ»<sup>(٦)</sup>.

إِنَّ «إِلَّا» فِي الْحَدِيثِ لَا يُوَضِّحُ مَعْنَاهَا إِلَّا السِّيَاقُ، فَ«إِلَّا» أَدَاةُ اسْتِثْنَاءٍ، وَالَّذِي يَظْهَرُ مِنَ  
السِّيَاقِ أَنَّهُ لَنْ يَكُونَ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا مَنْ قَالَ مِثْلَهُ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ.

قَالَ الشَّيْخُ أَكْمَلُ الدِّينِ: "فِي الْكَلَامِ حَذْفُ يَدُلُّ عَلَيْهِ سِيَاقُهُ وَتَقْدِيرُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ: لَمْ يَأْتِ  
أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ أَوْ بِمِثْلِهِ إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ، (لِيَكُونَ)  
قَائِلٌ (الزَّائِدُ آتِيًا بِأَفْضَلٍ)، وَالْقَائِلُ مِثْلَ مَا قَالَ بِالْمِثْلِ . وَلَوْلَا التَّقْدِيرُ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ الْآتِيُّ بِالْمِثْلِ  
آتِيًا بِأَفْضَلٍ وَلَيْسَ كَذَلِكَ"<sup>(٧)</sup>.

(١) الْأَبْتَرُ إِذَا كَانَ مَقْطُوعَ الذَّنْبِ . تَهْدِيبُ اللُّغَةِ مَادَّةُ (ب ت ر).

(٢) الطُّفَيْتَانِ : خُوصَةُ الْمَقْلِ فِي الْأَصْلِ وَجَمْعُهَا طُفَى : شَبَّهِ اللَّذَيْنِ عَلَى ظَهْرِ الْحَيَةِ بِخُوصَتَيْنِ مِنْ خُوصِ الْمَقْلِ (عَنِ النَّهَائِيَّةِ)

(٣) صَحِيحُ مُسْلِمٍ: ١٧٥٣/٤ رَقْمُ الْحَدِيثِ (٢٢٣٣) .

(٤) يَنْظُرُ : شَرَحَ جَمَلَ الزَّجَاجِيِّ : ٣٨٠/٢ .

(٥) اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ مَعْنَاهَا وَمَبْنَاهَا ص: ١٩٩ .

(٦) صَحِيحُ مُسْلِمٍ : ٢٠٧١ / ٤ رَقْمُ الْحَدِيثِ (٢٦٩٢) .

(٧) شَرَحُ الْمَشَارِقِ: ٩٨٩/١ .

وقال الطيبي: "الاستثناء في قوله (إلا أحد)، منقطع فالتقدير: لم يأت أحد بأفضل مما جاء به، ولكن رجل قال مثل ما قاله، فإنه يأتي بمساو له، ولا يستقيم أن يكون متصلاً إلا على التأويل<sup>(١)</sup> نحو قوله:

وَبَلَدَةٌ لَيْسَ بِهَا أُنثَىٰ  
إِلَّا الْيَعْفِيرُ وَإِلَّا الْعَيْسُ<sup>(٢)</sup>

و(أحد) إذا استعمل في النفي يكون لاستغراق جنس العقلاء، ويتناول القليل والكثير والذكر والأنثى، كقوله تعالى: ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿وَلَسْتُمْ كَأَحَدٍ مِنَ السَّاءِ﴾<sup>(٤)</sup>. وتقول: ما في الدار أحد، لا واحد ولا اثنان فصاعداً لا مجتمعين ولا متفرقين<sup>(٥)</sup>.

ومن معنى الاستثناء التي يبرزها السياق: عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَبُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا. وَلَا يُؤْمِنَنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ وَلَا يَقْعُدُ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ»<sup>(٦)</sup>.

يظهر من السياق أن الاستثناء يقع على قوله صلى الله عليه وسلم: "وَلَا يُؤْمِنَنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ وَلَا يَقْعُدُ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ"؛ ويؤيده ما ذكره النحاة؛ قال الرضي بأنه إذا ذكرت جملاً عطف بعضها على بعض؛ فإن الاستثناء يعطف على الجمل كلها، ولا يختص بالجملة الأخيرة<sup>(٧)</sup>.

وعلى ذلك يكون الإذن راجعاً إلى جميع ما تقدم أي ما قبل الاستثناء.

(١) شرح الطيبي: ٧٧/٥، ٧٨.

(٢) البيت من الرجز لجران العود في ديوانه، صنعه: أبي جعفر بن حبيب، تحقيق: حمود القيسي، (منشورات وزارة الإعلام والثقافة العراقية، ط: ١، ١٩٨٢م) ص: ٥٢.

(٣) سورة الحاقة ٤٧.

(٤) سورة الأحزاب ٣٢.

(٥) عقود الزبرجد: ١١، ١٠/٣.

(٦) صحيح مسلم: ٤٥٦/١ رقم الحديث (٦٧٣).

(٧) ينظر: شرح الكافية: ٢٤٤/١.

وذهب آخرون بأن الكلام إذا اشتمل على جمل وعطف بعضها على بعض، رجع الاستثناء إلى الجملة الأخيرة<sup>(١)</sup>.

يقول المباركفوري: "إلا بإذنه. قال ابن الملك: متعلق بجميع ما تقدم. قلت: كل من قال إن صاحب المنزل إذا أذن لغيره فلا بأس أن يصلي بهم يقول إن (إلا بإذنه) متعلق بجميع ما تقدم، وكل من لم يقل به يقول: إنه متعلق بقوله: (ولا يجلس) فقط"<sup>(٢)</sup>.

وفصل الفقهاء القول في ذلك: "وجملته أن الجماعة إذا أقيمت في بيت فصاحبه أولى بالإمامة من غيره وإن كان فيه من هو أقرأ منه وأفقه إذا كان ممن يمكنه إمامتهم وتصح صلاتهم وراءه. وإن كان في البيت ذو سلطان فهو أحق من صاحب البيت؛ لأن ولايته على البيت وعلى صاحبه وغيره، وقد أمّ النبي صلى الله عليه وسلم عتبان بن مالك وأنسا في بيوتهما. وإذا أذن المستحق من هؤلاء لرجل في الإمامة جاز وصار بمنزله من أذن في استحقاق التقدم لقول النبي صلى الله عليه وسلم إلا "بإذنه" ولأن الإمامة حق له فله نقلها إلى من شاء قال أحمد قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يؤم الرجل في سلطانه ولا يجلس على تكرمته في بيته إلا بإذنه" أرجو أن يكون الإذن في الكل ولم ير بأسا إذا أذن له أن يصلي"<sup>(٣)</sup>.

وجاء في سياق الحديث سلطانه ولم يقل في بيته، أو ملكه أو ما شابه ذلك وإنما اختار كلمة سلطانه لتؤدي معنى التحكم يقول أبو هلال العسكري - رحمه الله - (ت: ٣٨٢ هـ): "السلطان قوة اليد في القهر للجمهور الأعظم وللجماعة اليسيرة أيضا، ألا ترى أنه يقول الخليفة سلطان الدنيا وملك الدنيا، وتقول لأمير البلد سلطان البلد، ولا يقال له ملك البلد لأن الملك هو من اتسعت مقدرته على ما ذكرنا فالملك هو القدرة على أشياء كثيرة والسلطان القدرة سواء أكان على أشياء كثيرة أو قليلة ولهذا يقال له في داره سلطان، ولا يقال

(١) ينظر: أصول السرخسي، لأبي سهل السرخسي، تحقيق: أبو الوفا الأفعاني، (لبنان: بيروت: دار المعرفة) ١/٢٧٥، وتيسير التحرير: ٣٠٢/١.

(٢) تحفة الأحوذى: ٣٣/٢، وينظر: سبل السلام: ٦٠/٢.

(٣) المغني، ابن قدامة، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي د. عبد الفتاح محمد حلو (المملكة العربية، الرياض: دار عالم الكتب، ط: ٤١٩، ٤٤٢/٣ م ١٩٩٩ - ٤٣).

له في داره ملك؛ ولهذا يقال وهو مسلط علينا وإن لم يملكنا"<sup>(١)</sup>.

وقد تدل ليس على الاستثناء ويتضح ذلك من السياق، ومن ذلك عَنْ زَافِعِ بْنِ خَدِيجَةَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّا لَا قُوَّةَ لِلْعَدُوِّ عَدَاً وَلَيْسَتْ مَعَنَا مَدَى قَالَ ﷺ: «أَعْجَلُ أَوْ أَرْبِي مَا أَنْهَرَ الدَّمَ وَذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ، فَكُلُّ لَيْسَ السِّنِّ وَالظُّفْرِ، وَسَأُحَدِّثُكَ أَمَّا السِّنُّ فَعَظْمٌ وَأَمَّا الظُّفْرُ فَمُدَى الْحَبْشَةِ». قَالَ وَأَصَبْنَا نَهَبَ إِبِلٍ وَعَنِمٍ فَنَدَّ مِنْهَا بَعِيرٌ فَرَمَاهُ رَجُلٌ بِسَهْمٍ فَحَبَسَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ الْإِبِلِ أَوَابِدَ كَأَوَابِدِ الْوَحْشِ فَإِذَا غَلَبَكُمْ مِنْهَا شَيْءٌ فَاصْنَعُوا بِهِ هَكَذَا»<sup>(٢)</sup>.

فالسُّيَاقُ وَاضِحٌ فِي إِبَاحَةِ كُلِّ مَا ذَبَحَ وَذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِلَّا مَا ذَكَرَ بِالسِّنِّ وَالظُّفْرِ. وَعَلَى دَلَالَةِ (لَيْسَ) عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ.

قال ابن مالك: "من أدوات الاستثناء ليس، وهي على فعليتها وعملها إلا أن المرفوع بها لا يكون إلا مستتراً؛ لأنهم قصدوا أن لا يليها (إلا)؛ لأنها أصل لأدوات الاستثناء، والمستثنى بها واجب النصب لمقتضى الخبرية. ومن الاستثناء بها قوله: "يطبع المؤمن على كل خلق ليس الخيانة والكذب" أي: ليس بعض خلقه الخيانة والكذب، هذا التقدير الذي يقتضيه الإعراب، والتقدير المعنوي: يطبع على كل خلق إلا الكذب والخيانة"<sup>(٣)</sup>.

وقال القرطبي: "ليس هنا للاستثناء بمعنى (إلا) وظاهر هذا: أنه لا تجوز الذكاة بهما على حال سواء أكانا متصلين بالذكي، أو منفصلين عنه، وروى ابن وهب عنه الجواز مطلقاً وقيل: بالفرق بين المتصل منهما فلا تجوز الذكاة به، وبين المنفصل فتجوز الذكاة به؛ قال ابن جيب:

فالأول: تمسك بالعموم.

والثاني: نظر للمعنى؛ لأنه يحصل بهما الذبح، وهو ضعيف؛ لأنه تعطيل للاستثناء المذكور في الحديث.

وقوله: أَمَّا السِّنُّ: فَعَظْمٌ، وَأَمَّا الظُّفْرُ ظَاهِرٌ هَذَا: أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ

(٤) الفروق في اللغة، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، (لبنان: بيروت: ط: ٥، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) ص: ١٨٢، ١٨٣.

(١) صحيح مسلم: ١٥٥٨/٣ رقم الحديث (١٩٦٨).

(٢) شرح التسهيل: ٣٠٩/٢ - ٣١١، وينظر: شرح الكافية ٤٥/٢..



تنبيه على تعليل منع التذكية بالسّنّ لكونه عظمًا، فيلزم على هذا تعدية المنع من السن إلى كل عظم من حيث إنه عظم، متصلًا كان أو منفصلًا.

وقوله: "أما الظفر فمدي الحبش، يعني أن الحبش يذبحون بأظفارهم، ولا يستعملون السكاكين في الذبح، فمنعنا الشرع لذلك؛ لئلا نتشبه بهم، فقيل: إنهم يغرزون أظفارهم في موضع الذبح فتختنق الذبيحة.

وعلى هذا يكون محلّ المنع إنما هو الظفر المتصل؛ ويكون حجة لما صار إليه ابن جيب من ذلك" (١).

وفي حديث موسى والخضر قال: « وَجَاءَ عُصْفُورٌ حَتَّى وَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ ثُمَّ نَقَرَ فِي الْبَحْرِ . فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: مَا نَقَصَ عَلَيَّ وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنَ الْبَحْرِ » . قَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ وَكَانَ يَفْرَأُ وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ (٢)

يظهر من السياق أن الاستثناء هنا ليس على ظاهره؛ لأن علم الله لا يدخله النقص، فقيل: نقص بمعنى أخذ، وهو توجيه حسن، فيكون من باب التضمنين، ويكون التشبيه واقعا على الأخذ لا على المأخوذ منه، وقيل المراد بالعلم المعلوم بدليل دخول التبويض؛ لأن العلم القائم بذات الله تعالى صفة قديمة لا تتبعض، والمعلوم هو الذي يتبعض وقيل هو من باب قول الشاعر:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سُوِّفَهُمْ      هَيْنَ فُلُوقٍ مِنْ قِرَاعِ الْكُنَائِبِ (٣)

لأن نقر العصفور لا ينقص البحر. وقيل: (إلا) بمعنى ولا، أي: ولا نقرة العصفور. كما

قيل بذلك في قوله تعالى: ﴿ سَطْرَهُ لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ (٤) أي: ولا الذين ظلموا (٥).

(١) المفهم: ٣٦٩/٥.

(٢) صحيح مسلم: ٤/ ١٨٤٧ رقم الحديث (٢٣٨٠).

(٣) البيت للناطقة الذبياني في ديوانه، تحقيق: فوزي عطوي، (لبنان: بيروت: الشركة اللبنانية للكتاب، ١٩٩٦م) ص: ٥١.

(٤) سورة البقرة آية ١٥٠.

(٥) عقود الزبرجد ٨١/١

عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلَّا كَفَرَ وَمَنْ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ فَلَيْسَ مِنَّا وَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكَفْرِ أَوْ قَالَ عَدُوَّ اللَّهِ . وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ »<sup>(١)</sup>.

قال النووي : " هذا الاستثناء قيل : إنه وقع على المعنى، وتقديره: ما يدعوه أحد إلا حار عليه ، ويحتمل أن يكون معطوفاً على الأول، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: (ليس من رجل ادعى لغير أبيه ، وهو يعلمه إلا كفر ، فيكون الاستثناء جارياً على اللفظ)<sup>(٢)</sup>.

ويؤكد الباحثون على أهمية الدلالات النحوية في فهم النصوص، ويرى د. محمد حماسة عبد اللطيف أن " التلاحم بين المفردات ووظائفها النحوية تفاعل عقلي صوتي في وقت واحد، وبعبارة أخرى هو تفاعل دلالي نحويّ معاً، لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر؛ لأن المفردات من غير نظام نحويّ يحكمها ويربط ما بينها لا يتأتى لها اجتماع إلا في التنظيم المعجمي فحسب... والنظام النحويّ من غير مفردات \_تقوم به وتحقق وجوده العقلي \_وعاء فارغ، ولا يقوم إلا في عقول أبناء اللغة، ولا يجد سبيلاً لتحقيقه إلا في الجمل التي ينطق أبناء اللغة أو يكتبونها، وبينهم اتفاق جماعيّ عليها، وهو بذلك يفيد من تمييز النحاة بين الكلام والقول، حيث اشترطوا في الكلام الإفادة التي لم تشترط في القول، ويوضح المعنى النحويّ الذي هو موضع اهتمام عبد القاهر، بأنه التوفيق في الاختيار بين المفردات ووظائفها النحوية على الهيئة المرادة، ويشترط ارتباط ذلك بالسياق"<sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح مسلم : ١/١١٢.

(٢) المنهاج : ٢/٢٣٨.

(٣) ينظر: النحو والدلالة ص: ١٧٣.

## الفصل الرابع

أثر السياق في العلاقات الدلالية في صحيح مسلم  
وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : أثر السياق في الترادف .

المبحث الثاني: أثر السياق في المشترك

اللفظي.

المبحث الثالث: أثر السياق في الأضداد .

## المبحث الأول

أثر السياق في الترادف وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الترادف في الحروف.

المطلب الثاني: الترادف في الأسماء.

المطلب الثالث: الترادف في الأفعال.

## المطلب الأول

## الترادف في الحروف

تعتبر العلاقات الدلالية *semantic relations* بين الكلمات التي تتصل بتعدد دلالة الكلمة وغموضها جزءاً علمي أشمل وأوسع في دراسة علم الدلالة ، وهو ما يطلق عليه (علم الدلالة التركيبي) *structural semantics*<sup>(١)</sup>، وقد أدرك علماء العربية جانبا هاما من طبيعة العلاقات الدلالية بين الكلمات فيما درسه من ظواهر دلالية تتصل أشد الاتصال بهذه النظرية. مثل: الاشتراك اللفظي والترادف وغيرها<sup>(٢)</sup>.

ومن هذه العلاقات الترادف؛ والترادف لغة هو: التابع، والرَدْف ما تبع الشيء، وكل شيء تبع شيئاً فهو ردفه<sup>(٣)</sup>.

وعرف الجرجاني الترادف بأنه: "توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد"<sup>(٤)</sup>.

وهذا التعريف غير متكامل في إظهار المراد؛ لأن الألفاظ لا يظهر معناها وترادفها من حيث أنها ألفاظ مفردة؛ بل بما يضيفه عليها السياق من معاني .

وقد أشار ابن جني إلى الترادف تحت مسمى: "تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني"، ومثل له بالخليقة والسجية والطبيعة والغريزة والسليقة<sup>(٥)</sup>.

فابن جني في خصائصه يشير إلى أن باب تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني فصلٌ من العربية حسن كثير المنفعة، وهو دليل على قوة الدلالة على شرف هذه اللغة؛ وذلك

(١) ينظر: الكلمة ص: ١٢١.

(٢) ينظر: المزهر: ١/٣٦٩، ٤١٣.

(٣) ينظر: لسان العرب مادة: ( ر د ف ) .

(٤) التعريفات ص: ٦٠.

(٥) الخصائص ٢/١١٣، ١١٥.

أن للمعنى الواحد أسماء كثيرة، وإذا ما بحث المرء عن أصل منها فإنه سيجده مفضي المعنى إلى صاحبه<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك إشارته إلى الترادف بين المسك والصور، وإنما كانا من أصلين مختلفين، وبناءين متباينين، كما أن الخليقة من ( خ ل ق )، والسجية من ( س ج و )، والطبيعة من ( ط ب ع )، والغريزة من ( غ ر ز )، والسليقة من ( س ل ق ) فالأصول مختلفة، والأمثلة متعادية، والمعاني في ذينك متلاقية<sup>(٢)</sup>.

والاتفاق على وجود الترادف في العربية أوضح من الاختلاف عليه، وأقوى. وألف فيه كثير من أوائل اللغويين كالأصمعي.

فأكثر علماء اللغة يقولون بإثبات الترادف، ويرون أن هناك كلمات مترادفة، تؤدي معنا واحداً تماماً، لم تأت في العربية عبثاً، وإنما جاءت لأغراض ومقاصد.

والسيوطي ممن يثبتون وجود الترادف في اللغة، ويذكر فوائد الترادف؛ وهي كالتالي:  
أولاً: أن تكثر الوسائل والطرق إلى الإخبار عما في النفس فرمما نسي أحد اللفظين أو عام عليه النطق به.

ثانياً: التوسع في سلوك طرق الفصاحة؛ لأن اللفظ الواحد قد يتأتى باستعماله مع لفظ آخر.

ثالثاً: قد يكون أحد المترادفين أجلى في تعبيره من الآخر، فيكون شرحاً للآخر الخفي وقد ينعكس الحال بالنسبة لقوم آخرين<sup>(٣)</sup>.

ويمكن تقسيم الترادف في صحيح مسلم إلى ترادف في الحروف والأسماء والأفعال؛ فالمعاني المبهمة في الحروف لا يمكن ظهورها بوجه محدد إلا من خلال السياق، حيث يسهم السياق في إظهار وتغليب معنى معين من بين المعاني الأخرى.

(١) ينظر: الخصائص، ٢/ ١١٣.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ١١٨/٢، والألفاظ الكتابية ص: ٢٩٤.

(٣) ينظر: المزهر، ١/ ٤٠٦.

ويظهر الترادف في تعدد الحروف التي تؤدي المعنى الواحد، فعلى سبيل المثال حروف الجر : اللام ، الباء ، وعلى كلها تؤدي معنى عن بحسب السياق. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ جَبَّازٌ لِأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا أَوْ يَعْمَلُوا بِهِ »<sup>(١)</sup> .  
أي تجاوز عن أمي .

ومن ذلك الباء، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « ثَلَاثٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالْفَلَاةِ يَمْنَعُهُ مِنَ ابْنِ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ، فَخَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ لِأَخَذِهَا بِكَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا فَإِنَّ أُعْطَاهُ مِنْهَا وَتَى وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَفِ »<sup>(٢)</sup> .

" بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ " قال القرطبي: (الباء) بمعنى (عن) كما قال الشاعر :

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنِّي بَصِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَيِّبٌ<sup>(٣)</sup> .

( أي عن النساء )<sup>(٤)</sup> .

وجاءت (على) بمعنى (عن) أيضاً في حديث زكاة الفطر عن ابنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَضَ زَكَاةَ الْفِطْرِ مِنْ رَمَضَانَ عَلَى النَّاسِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَى كُلِّ حُرٍّ أَوْ عَبْدٍ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ<sup>(٥)</sup> .

يظهر من السياق أن الصدقة لا تجب على العبد وإنما عنه، وهذا ما أشار إليه السيوطي حيث قال: " قيل (على) بمعنى (عن) ؛ لأن العبد لا تجب عليه زكاة الفطر، وإنما تجب على سيده، وهو في العربية كثير"<sup>(٦)</sup> .

والدليل على صحة ما ذهب إليه السيوطي عن أبي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لَيْسَ عَلَى الْمُسْلِمِ فِي عَبْدِهِ وَلَا فَرَسِهِ صَدَقَةٌ "<sup>(٧)</sup> .

(١) صحيح مسلم: ١١٦/١ رقم الحديث (١٢٧)

(٢) المرجع السابق: ١٠٣/١ رقم الحديث: (١٠٨).

(٣) قاله علقمة بن عبدة في ديوانه ٣٥.

(٤) المفهم ١/٣٠٦، ٣٠٧.

(٥) صحيح مسلم: ٦٧٧/٢ رقم الحديث (٩٨٤).

(٦) عقود الزجر: ٤١٨/٢.

(٧) صحيح مسلم: ٦٧٥/٢، ٦٧٦ رقم الحديث: (٩٨٢).

ومن ذلك أيضًا أن حروف الجر: على، واللام، والباء تؤدي معنى الظرفية أو موافقة (في)، فمن مجيء على بمعنى (في) عن عَبْدِ اللَّهِ -رضي الله عنه- قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا». قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ». قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ؟، قَالَ: «ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رضي الله عنه- قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ لَوْ قَتَلْتَهَا». قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «بِرُّ الْوَالِدَيْنِ». قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»<sup>(٢)</sup>.

فالسباق يبين وقوع (على) و (اللام) بمعنى (في) أي: الصلاة في وقتها. قال الكرمانى: "استعمال (على) وإن كان القياس (في وقتها) بالنظر إلى إرادة الاستعلاء على الوقت والتمكن على أدائها في أي جزء من أجزائها، مع أن حروف الجر يقوم بعضها مقام الآخر<sup>(٣)</sup> وحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أفصح كلام بعد كلام الله -سبحانه وتعالى- والواجب أن تستنبط منه القواعد؛ لا أن يحكم عليه بأنه: "كان القياس في وقتها"؛ بل الحديث يقاس عليه، ولا يخضع لقواعد النحاة، فهو كلام من لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: «انْفُذْ عَلَيَّ رِسَالِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»<sup>(٤)</sup>.

في قوله: "حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ" أي تنزل في ساحتهم.

وللسباق مهمة إيضاح المعاني الجزئية الأخرى فمثلاً: الباء في قوله ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، يَنْزِلُ بِهَا فِي النَّارِ، أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) صحيح مسلم: ١/٩٠ رقم الحديث (٨٥).

(٢) المرجع السابق: ١/٨٩ رقم الحديث (٨٥).

(٣) شرح الكرمانى ٢/٤٣٢.

(٤) صحيح مسلم: ٤/١٨٧٢ رقم الحديث: (٢٤٠٦).

(٥) المرجع السابق: ٤/٢٢٩٠ رقم الحديث: (٢٩٨٨).



أوضح السياق أن الباء في ( بها ) للسببية<sup>(١)</sup>، وهي التي يكون ما بعدها سبباً لما قبلها وهي بمعنى التعليل<sup>(٢)</sup>. فالله سبحانه وتعالى لا يؤاخذ النفس الإنسانية بما تحدثت به في داخلها داخلها ما لم تتفوه بذلك، ثم إن هذه الكلمة التي لا ينظر المرء إلى عواقبها، فإنها قد تكون سبباً في هلاك صاحبها ودخوله النار.

وقال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرِكِيَّةٍ<sup>(٣)</sup>، قَدَّ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطْشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَعَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَتَزَعَّتْ مُوقَهَا<sup>(٤)</sup>، فَاسْتَقَّتْ لَهُ بِهِ، فَسَقَّتْهُ إِيَّاهُ، فَغَفَرَ إِيَّاهُ، فَغَفَرَ لَهَا بِهِ<sup>(٥)</sup> .

فسقيا الكلب الذي كاد يهلك من العطش كان سبباً في غفران الله لها " فَغَفَرَ لَهَا بِهِ " أي من أجل ذلك؛ فقد أشار إليها الهروي -رحمه الله- (ت: ٤١٥ هـ) بأنها " التي بمعنى من أجل " (٦) .

ويوجه السياق معنى اللام إلى السببية أيضاً في قوله ﷺ: " فَتَزَلَّ الْبِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِيَمِينِهِ حَتَّى رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ<sup>(٧)</sup> .

أي رزق المغفرة ورضا الله -سبحانه وتعالى- بسبب مساعدته لذلك الكلب، فتعليل المغفرة بذلك.

والسياق كفيل ببيان معنى واحد على سبيل الترادف ففي قوله ﷺ: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لِيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْثَمَ ﷺ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنْزِيرَ وَيَضَعَ الْجُرْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ<sup>(٨)</sup> .

(١) شرح المشارق ص: ٦٧.

(٢) يُنْظَرُ: مغني اللبيب لابن هشام ص: ٩٧.

(٣) الركيّة: البئر غير المطوية. المفهم: ٤/٦٦٩.

(٤) الموق: هو الخف، فارسيّ معرّب، ينظر: المنهاج: ٤/٤٦١.

(٥) صحيح مسلم: ٤/١٧٦١ رقم الحديث: (٢٢٤٥).

(٦) الأزهية في علم الحروف، علي الهروي، تحقيق: عبدالمعين الملوحي، (سوريا: دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٤١٣هـ -

١٩٩٤م) ص: ٢٨٧.

(٧) صحيح مسلم: ٤/١٧٦١ رقم الحديث: (٢٢٤٤).

(٨) المرجع السابق: ١/٣٥ رقم الحديث: (١٥٥).

يسير السياق ليوجه معنى اللام إلى القسم، وذاك ما أشار إليه النحاة أن اللام في (ليوشكن) لام القسم؛ لأن بينها صلة وبين القسم فهم متفقون على ذلك، غير أنهم اختلفوا كثيرا في التعبير عن هذه الصلة .

فقال سيبويه: "سألت الخليل عن قوله: لتفعلن، إذا جاءت مبتدأة ليس قبلها ما يُخَلَّفُ به. فقال: إنما جاءت على نية اليمين، وإن لم يتكلم بالملحوف به" (١) . ومثل ذلك ﴿لَمَنْ تَبِعَكَ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ﴾ (٢) إنما دخلت اللام على نية اليمين والله أعلم" (٣) .

وقال الفراء: "كأن اللام يمين، إذ صارت تُلقَى بجواب اليمين، وهو وجه الكلام" (٤) .  
وأشهر ما أطلق عليها وأوسعها انتشارا: لام القسم (٥) .

وقد وجه السياق معنى الواو في قوله ﷺ: «وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ - وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَابَةِ - فِي الَيْمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمِ يَرْجِعُ» (٦) .  
إلى معنى القسم وهي التي تدخل على الاسم المجرور، ولهذا قيل في نحو: (والله لا فَعَلُ... ) بأنها واو الجر (٧) .

وأول من تصدى لأدوات القسم الخليل بن أحمد وتلميذه سيبويه. قال سيبويه:  
"للقسم والمقسم به أدوات في حروف الجر، وأكثرها الواو ، ثم الباء ، ويدخلان على ملحوف به" (٨) .

ولعلَّ سبب التقارب بين الواو والباء في الاستعمال راجعٌ إلى التقارب بين معنى الجمع في الواو، ومعنى الإلصاق في الباء، وقد قرَّر النحاة أن واو القَسَمِ فَرَعٌ للباء وَبَدَلٌ منها ، قال

(١) الكتاب: ١٠٦ / ٣ .

(٢) سورة الأعراف آية: ١٨ .

(٣) الكتاب: ١٠٦ / ٣ ، ١٠٨ .

(٤) معاني القرآن: ١ / ٢٢٥ .

(٥) المفردات مادة (ق س م) ص: ٤٦٠ .

(٦) صحيح مسلم ٤/٢١٩٣ رقم الحديث: (٢٨٥٨) .

(٧) الكتاب: ١٤٦ / ٢ .

(٨) المرجع السابق: ٣ / ٤٩٦ ، ٤ / ٢١٧ .

الرضي: " وإنما حكيم بأصالة الباء لأن أصلها الإلصاق، فهي تُلصِقُ فَعَلَ القَسَمَ به، وأبدلت الواو منها لأن بينهما تناسباً لفظياً؛ لكونهما شفهيّتين ومعنويّتين؛ ألا ترى في واو العطف و واو الصرف معنى الجملة القريبة من معنى الإلصاق؟ " (١)

ومن لاحظوا التقارب بين معنى الجمع ومعنى الإلصاق ابنُ جنيّ؛ فهو يعلّل إبدال الواو من الباء في تركيب القسم " بأن الباء للإلصاق ، والواو للاجتماع ، والشيء إذا لاصق الشيء فقد اجتمع معه " (٢)

وبذلك يظهر من السياق أن للحروف معاني تختص بها، وقد تستعمل الحروف مكان بعضها البعض، ولا يميز بين هذه المعاني إلا السياق الذي وردت فيه يقول ابن جني في ذلك: (في باب استعمال الحروف بعضها مكان بعض) : "هذا باب يتلقاه الناس مغسولاً ساذجاً من الصنعة ، وما أبعد الصواب عنه وأوقفه دونه وذلك أنهم يقولون إن (إلي) تكون بمعنى (مع)، ويحتجون لذلك بقوله سبحانه : ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ (٣) أي مع الله ويقولون ويقولون إن (في) تكون بمعنى (على) ويحتجون بقوله عز اسمه: ﴿وَلَأَصْلَبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ (٤) أي عليها... وغير ذلك مما يوردونه ، ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا لكننا نقول نقول: إنه يكون بمعناه في موضع دون موضع على حسب الأحوال الداعية إليه والمسوغة له، فأما في كل موضع وعلى كل حال فلا ، ألا ترى أنك إذا أخذت بظاهر هذا القول غفلاً هكذا لا مقيداً لزمك عليه أن تقول :سرت إلى زيد وأن تريد معه ، وأن تقول : زيد في الفرس وأنت تريد عليه." (٥).

ولعل من أكبر الدلائل على الاعتداد بالسياق قوله: "على حسب الأحوال الداعية إليه والمسوغة له".

(١) شرح الكافية: ٣٣٤/٢ .

(٢) سر صناعة الإعراب: ١٦٠/١ .

(٣) سورة الصف آية: ١٤ .

(٤) سورة طه آية: ٧١ .

(٥) الخصائص: ٣٠٨، ٣٠٧، ٣٠٦، ٣٠٧ .

إذن الترادف واقع في اللغة كما جاء في حديث أشرف الأنبياء والمرسلين، وإن كان لا يقع في كل موضع، كما أنه لا يعني اتفاق المعنى بين الحرفين، ولكن يبقى لكل حرف معناه؛ لذا قيده النحاة بشروط منعاً للخلط، فهو لا يوجد إلا عند تقارب المعنيين بين الحرفين المترادفين ولأغراض دلالية.

قال المالقي: "لأن حروف الجر لا يوضع بعضها موضع بعض قياساً إلا إذا كان معناها واحداً، ومعنى الكلام الذي يدخلان فيه واحد أو راجع إليه ولو على بعد" (١).

(١) رصف المباني في شرح حروف المباني، ص ٢٩٧

## المطلب الثاني الترادف في الأسماء

إن الترادف كما يقع في الحروف كذلك يقع في الأسماء و مما جاء من ذلك في صحيح مسلم :

أولاً: كلمة العهد و الميثاق و اليمين و الخلف كلها تؤدي معنى واحد؛ ولولا السياق ما برزت هذه المعاني التي تجعلها تلتقى في معنى واحد، فالعهد والميثاق واليمين أسماء تؤدي نفس المعنى في مواضع كثيرة من الأحاديث النبوية في صحيح الإمام مسلم؛ منها حديث حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- قال: "ما منعتني أن أشهد بذكراً إلا أني خرجت أنا وأبي -حسبنا- قال: فأخذنا كفاراً قرشياً، قالوا: إنكم تريدون محمداً، فقلنا: ما نريد ما نريد إلا المدينة . فأخذوا منا عهداً لله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة، ولا نقاتل معه فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر فقال: « انصرفا نفي هم بعهدهم ونستعين الله عليهم »<sup>(١)</sup>.

فالعهد : الميثاق واليمين ، والعهد : كل ما عاهدت الله عليه . قال أبو الهيثم: العهد جمع

العهد وهو الميثاق واليمين التي تستوثق بها بمن يعاهدك، والعهد: الأمان وفي التنزيل: ﴿لَا

يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال شمر: "العهد الأمان وكذلك الذمة"<sup>(٣)</sup> والعهد: "حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد

حال ، وسمي الموقف الذي يلزم مراعاته عهداً"<sup>(٤)</sup>.

وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم في عدة مواضع منها قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا

بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) صحيح مسلم: ١٤١٤/٣ رقم الحديث (١٧٨٧)

(٢) سورة البقرة آية: ٢٤

(٣) لسان العرب مادة: (ع ه د) .

(٤) المفردات ص: ٣٥٣، مادة: (ع ه د).

(٥) سورة الإسراء آية: ٣٤.

إنَّ السِّيَاقَ وحده هو الحكم في التَّفريق بين معاني العهد، فقد حدد دلالاته هنا بالموثوق واليمين، مع أنه له احتمالات متعددة في معناه فقد يكون بمعنى قرب الزمن كما في قوله ﷺ: « يَا عَائِشَةُ لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثُو عَهْدٍ بِشْرِكَ هَدَمْتُ الْكَعْبَةَ فَأَلَزَمْتُهَا بِالْأَرْضِ وَجَعَلْتُهَا بَابَيْنِ بَاباً شَرْفِيًّا وَبَاباً غَرْبِيًّا وَزِدْتُ فِيهَا سِتَّةَ أَذْرُعٍ مِنَ الْحِجْرِ فَإِنَّ قُرَيْشاً اقْتَصَرَتْهَا حَيْثُ بَنَتِ الْكَعْبَةَ »<sup>(١)</sup>.

فالعهد: الالتقاء، وعهد الشيء عهداً: عرفه، ومن العهد: أن تعهد الرجل على حال أو في مكان، يقال: عهدي به موضع كذا وفي حال كذا ... وعهدته بمكان كذا، أي: لقيته .. وعهدي به قريب<sup>(٢)</sup>

والعهد: الإلمام والالتقاء، نقول: هو قريب العهد، ومنه العهد: الزمان وعهد الشيء - كعلم - عرفه على حال ، والشيء معهود<sup>(٣)</sup> .

فقوله صلى الله عليه وسلم "حديثو عهد" أي أن قريش قريب زمنها من زمن الجاهلية؛ لذا لم يستطع صلى الله عليه وسلم هدم البيت وبنائه من جديد .

ومن هنا تبرز أهمية السياق وقدرته على توجيه معنى واحد بين المعاني المتعددة.

وفي الميثاق بمعنى العهد قال النبي ﷺ: « إِنَّ رَجُلًا فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَأَسَهُ اللَّهُ مَالًا وَوَلَدًا فَقَالَ لَوْلِيهِ لَتَفْعَلَنَّ مَا أَمَرَكُم بِهِ، أَوْ لِأَوْلَادِي مِيرَاثِي غَيْرَكُم إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرَقُونِي - وَأَكْثَرُ عِلْمِي أَنَّهُ قَالَ - ثُمَّ اسْحَقُونِي وَادْرُونِي فِي الرِّيحِ، فَإِنِّي لَمْ أَبْتَهِرْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا، وَإِنَّ اللَّهَ يَقْدِرُ عَلَيَّ أَنْ يُعَذِّبَنِي - قَالَ - فَأَخَذَ مِنْهُمْ مِيثَاقًا فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ، فَقَالَ اللَّهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَيَّ مَا فَعَلْتَ فَقَالَ مَخَافَتِكَ . قَالَ فَمَا تَلَا فَا هُ غَيْرَهَا »<sup>(٤)</sup> .

قال الليث: " الثقة: مصدر قولك وثقتُ به فأنا أثقُ به ثقةً، وأنا واثقُ به، وهو موثوقُ به، وهي موثوقُ بها، وهم موثوقُ بهم. ويقال: فلان ثقةٌ وهي ثقةٌ، وهم ثقةٌ، وقد تجمَع فيقال: ثقاتٌ في جماعة الرجال والنساء .

(١) سبق تخريجه ص: ١٧٩، ١٨٠ من البحث.

(٢) لسان العرب: مادة: (ع ه د) .

(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم، محمد علي النجار، (القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٩٥٣م) ٧/ ٢٦٣ .

(٤) صحيح مسلم: ٤/ ٢١١١ رقم الحديث (٢٧٥٧)

والوثاقة: مصدرُ الشيء الوثيق المحكم . والفعل اللازم وثُق يوثُق وثاقُهُ فهو وثيق وثيق .  
والوثيقة في الأمر: إحكامه والأخذ بالثقة، والجميع الوثائق. والميثاق من الموائمة والمعاهدة<sup>(١)</sup>.

والمعاهدة<sup>(١)</sup>.

ومن الترادف الذي يجليه السياق وقوع الحلف بمعنى العهد أيضًا، فقد جاء في قول رسول الله ﷺ: « لا حِلْفَ فِي الْإِسْلَامِ ، وَأَيُّمَا حِلْفٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً »<sup>(٢)</sup>.

«<sup>(٢)</sup>.

الحِلفُ بالكسر : العهد ، يكون بين القوم ، وحالفه أي عاهده، وتحالفوا أي تعاهدوا . قال ابن الأثير: "أصل الحلف المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق، فما كان في الجاهلية على الفتن والقتال والغارات، فذلك الذي ورد النهي عنه في الإسلام بقوله صلى الله عليه وسلم: "لا حلف في الإسلام"<sup>(٣)</sup>.

قال الطيبي: "وما كان في الجاهلية على نصرة المظلوم؛ فذلك الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا حِلْفَ فِي الْإِسْلَامِ ، وَأَيُّمَا حِلْفٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً ».

قال ابن سيده: "الحِلفُ العهد لأنه لا يعقد إلا بالحلف ، والجمع أحلاف"<sup>(٤)</sup>.

ولم ترد هذه اللفظة في القرآن الكريم بهذا المعنى .

وقد قيل: "إن مصدر الإخراج الأول لمحلل السياق هو ثراء السياق نفسه"<sup>(٥)</sup> وذلك بما بما يتضمنه من إشارات ترجح معنى على آخر، ينبغي أخذها بعين الاعتبار؛ "لأنه إذا احتل الكلام معنيين، وكان حملة على أحدهما أوضح وأشد موافقة للسياق؛ كان الحمل عليه أولى"<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: تهذيب اللغة مادة: (و ث ق).

(٢) صحيح مسلم : ٤ / ١٩٦١ رقم الحديث (٢٥٣٠).

(٣) النهاية مادة: ( ح ل ف ).

(٤) لسان العرب مادة: ( ح ل ف ) .

(٥) تحليل الخطاب. ص: ٧٠.

(٦) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، العز بن عبدالسلام، ( سوريا: دمشق: دار الفكر) ١ / ٢٧٧

ثانياً: إن الحلف واليمين والقسم تأتي بمعنى واحد يظهرها السياق لتعدد معانيها مع ألفاظ أخرى وقعت في صحيح مسلم فمن مجيء الحلف بهذا المعنى قول الرسول ﷺ: «الْحَلْفُ مَنْفَقَةٌ لِلسَّلْعَةِ مَخْفَةٌ لِلرَّيْحِ»<sup>(١)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَلْفِ فِي الْبَيْعِ فَإِنَّهُ يُنْفِقُ ثُمَّ يَمْحَقُ»<sup>(٢)</sup>.

الحلف والحلف: القسم - لغتان - والواحدة (حلفة). والحلف: اليمين، وأصلها العقد بالعزم والنية<sup>(٣)</sup>.

وجاء في كلمة (اليمين) قال رسول الله ﷺ: «الْيَمِينُ عَلَى يَتَةِ الْمُسْتَحْلِفِ»<sup>(٤)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَلْيَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَلْيَكْفُرْ عَنْ يَمِينِهِ»<sup>(٥)</sup>.

اليمين: الحلف والقسم، أنثى والجمع أيمن أيمان<sup>(٦)</sup> وقيل: الثلاثة فإذا كثرت فهي الأيمان<sup>(٧)</sup> الأيمان<sup>(٧)</sup>

وعن سبب تسمية القسم والحلف باليمين. قال الزمخشري: "قيل للحلف يمين؛ لأنهم كانوا يتماسحون بأيمانهم فيتحالفون"<sup>(٨)</sup> وقال الجوهري: "سميت اليمين بذلك؛ لأنهم كانوا إذا تحالفوا تحالفوا ضرب كل امرئ منهم يمينه على يمين صاحبه"<sup>(٩)</sup>.

وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم في أكثر من موضع ولكن بصيغة الجمع (أيمان)

ولم ترد بصيغة المفرد (يمين)، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمْ

(١) صحيح مسلم: ٣/ ١٢٢٨ رقم الحديث (١٦٠٦)

(٢) المرجع السابق: ٣/ ١٢٢٨ رقم الحديث (١٦٠٧)

(٣) لسان العرب مادة: (ح ل ف).

(٤) صحيح مسلم: ٣/ ١٢٧٤ رقم الحديث (١٦٥٣)

(٥) المرجع السابق: ٣/ ١٢٧٢ رقم الحديث (١٦٥٠).

(٦) لسان العرب مادة (ي م ن).

(٧) المنجد في اللغة، لكراع النمل، تحقيق: د. أحمد هاشم، ضاحي عبد الباقي، (عالم الكتب) ص: ٣٦٠.

(٨) أساس البلاغة مادة (ي م ن).

(٩) الصحاح مادة (ي م ن).



الْأَيْمَنَ ﴿١﴾ .

قال الراغب الأصفهاني : "اليمين - في الحلف - مستعار من اليد، اعتبارا بما يفعله المعاهد والحالف وغيره" <sup>(١)</sup> ، قال تعالى : ﴿ أَمْ لَكُمْ أَيْمَنٌ عَلَيْنَا ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وأظهر السياق القسم بنفس المعنى عن النبي ﷺ قَالَ : « لَا يَمُوتُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ إِلَّا مَجَلَّةً الْقَسَمِ » <sup>(٣)</sup>

قال ابن السكيت: "القَسْمُ مصدرٌ قَسَمْتُ قَسْمًا، والقِسْمُ: الحِظُّ والنصيب ، يقال : هذا قِسْمُكَ وهذا قسمي .

وقال الليث: يقال: قَسَمْتُ الشَّيْءَ بَيْنَهُمْ قَسَمًا وَقِسْمَةً. قال: والقِسْمَةُ: مصدرُ الاقتسام والقِسْمُ: اليمين" <sup>(٤)</sup> .

وقال الراغب الأصفهاني: "أقسم: أحلف. وأصله من القسامة، وهي أيمان تُقسم على أولياء المقتول. ثم صار اسما لكل حلف، قال تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ <sup>(٥)</sup>

وقال مناع القطان: "الأقسام: جمع قَسَمَ، بمعنى الحلف واليمين. والصيغة الأصلية للقسم أن يؤتى بالفعل أقسم أو أحلف، متعديا بالباء إلى المقسم به. ثم يأتي المقسم عليه، وهو المسمى بجواب القسم، كقوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ ﴾ <sup>(٦)</sup>

(١) سورة المائدة آية: ٨٩.

(٢) المفردات مادة: (ي م ن) ص: ٥٥

(٣) سورة الإسراء آية: ٣٤ .

(٤) سبق تحريجه ص: ٢٤٣ من البحث.

(٥) تهذيب اللغة مادة (ق س م).

(٦) سورة النحل آية: ٣٨ . المفردات مادة (ح ل ف) ص: ٤٠٣.

(٧) سورة النحل آية: ٣٨ ، الزمن والفعل ص: ٤٦ .

ومنها قول النبي ﷺ: « تَسْأَلُونِي عَنِ السَّاعَةِ، وَإِنَّمَا عَلِمْتُهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ نَفْسٍ مَنُفُوسَةٍ تَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةٌ سَنَةٍ »<sup>(١)</sup>.

ونظراً لأن معاني القسم متعددة، قام بعض العلماء بالترقية بينها قال أبو هلال العسكري: "القسم أبلغ من الحلف؛ لأن معنى قولنا: أقسم بالله، أنه صار ذا قسم بالله . والقسم: النصيب. والمراد أن الذي أقسم عليه من المال وغيره، قد أحرزه ودفع عنه الخصم بالله. والحلف من قولك: سيف حليف، أي: قاطع ماض، فإذا قلت: حلف بالله، فكأنك قلت: قطع المخاصمة بالله؛ فالأول أبلغ كأنه يتضمن معنى الآخر مع دفع الخصم، ففيه معنيان. وقولنا: حلف يفيد معنى واحداً، وهو قطع المخاصمة فقط. وذلك أن من أحرز الشيء باستحقاق في الظاهر، فلا خصومة بينه وبين أحد فيه. وليس كل من دفع الخصومة في الشيء فقد أحرزه، واليمين اسم للقسم مستعار. وذلك أنهم - إذا تقاسموا على شيء - تصافقوا بأيمانهم، ثم كثر ذلك حتى سمي القسم يمينا"<sup>(٢)</sup>.

وقد تكون الشهادة مرادفة لمعنى القسم والحلف واليمين، فقد فسّر عبد الله بن عباس الشهادة في آية الوصية<sup>(٣)</sup> باليمين<sup>(٤)</sup>.

وذكر الطبري أن للشهادة عدة معان؛ ولكن أولى المعاني بقوله تعالى: " شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ " اليمين<sup>(٥)</sup>. وكذلك فعل في آيات اللعان<sup>(٦)</sup>. وعلل التسمية بأنها مأخوذة من قول القائل: القائل: أشهد بالله إنه لمن الصادقين فيما رمى به زوجته<sup>(٧)</sup>.

وذهب الراغب الأصفهاني إلى أن الفعل (شهد) على ضربين: أحدهما جار مجرى العلم والثاني مجرى القسم. فيقال أشهد بالله أن زيدا منطلق، فيكون قسماً. ومنهم من يقول: إن قال: أشهد، ولم يقل: بالله، يكون قسماً أيضاً<sup>(٨)</sup>.

(١) صحيح مسلم: ٤ / ١٩٦٦ رقم الحديث (٢٥٣٨)

(٢) الفروق ص: ٤٧.

(٣) سورة المائدة آية: ١٠٦ .

(٤) البحر المحيط: ٤ / ٤٦ .

(٥) الجامع ٧ / ٦٦ ، ٧٩ .

(٦) سورة النور آية: ٦ - ٩ . الجامع ١٨ / ٦٤ .

(٧) الجامع ١٨ / ٦٤ .

(٨) المفردات مادة: (ش ه د) ص: ٢٦٨ ..

ويضرب السياق بسهم وافر في عزو هذا المعنى (أشهد بالله) للقسم ففي حديث أبي الطُّفَيْلِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: "كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْعَقَبَةِ وَبَيْنَ حُدَيْفَةَ بَعْضُ مَا يَكُونُ بَيْنَ النَّاسِ، فَقَالَ: أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ كَمَا كَانَ أَصْحَابُ الْعَقَبَةِ، قَالَ فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ أَخْبِرْهُ إِذْ سَأَلَكَ، قَالَ: كُنَّا نُحْبِرُ أَتَهُمْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ فَإِنْ كُنْتَ مِنْهُمْ فَقَدْ كَانَ الْقَوْمُ خَمْسَةَ عَشَرَ. وَأَشْهَدُ بِاللَّهِ أَنَّ اثْنَيْ عَشَرَ مِنْهُمْ حَزَبٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ، وَعَدَرَ ثَلَاثَةَ قَالُوا مَا سَمِعْنَا مُنَادِيَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا عَلِمْنَا بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ . وَقَدْ كَانَ فِي حَرَّةٍ فَمَشَى فَقَالَ: « إِنَّ الْمَاءَ قَلِيلٌ فَلَا يَسْبِقُنِي إِلَيْهِ أَحَدٌ »<sup>(١)</sup> .

وسياق الحديث يوظف قول الصحابي " وَأَشْهَدُ بِاللَّهِ " إلى معنى القسم تأكيداً لكلامه .

ثالثاً: يؤكد السياق ترادف الممسك والبخيل والشحيح؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا لِلَّهِمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلْفاً. وَيَقُولُ الْآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلْفاً »<sup>(٢)</sup> .

وقد وردت منها بصيغة المبالغة دلالة على شدة البخل والتقتير ففي الحديث جَاءَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ: " يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ مَسِيكٌ<sup>(٣)</sup> فَهَلْ فَهَلْ عَلَيَّ حَرْجٌ مِنْ أَنْ أُطْعَمَ مِنَ الَّذِي لَهُ عِيَالُنَا"، فَقَالَ لَهَا: « لَا إِلَّا بِالْمَعْرُوفِ »<sup>(٤)</sup> .  
يقال: في فلانٍ إِمْسَاكٌ وَمَسَاكٌ وَمَسَاكٌ وَمَسَاكَةٌ، كُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْبَخْلِ وَالتَّمْسِكِ بِمَا لَدَيْهِ ضَنْناً بِهِ . وَأما الْمَسَاكَةُ وَالْمَسِيكُ فالرجلُ الْبَخِيلُ<sup>(٥)</sup> .

أما الشحيح فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ يَنْهَانَا عَنِ النَّذْرِ وَيَقُولُ: « إِنَّهُ لَا يَرُدُّ شَيْئاً وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الشَّحِيحِ »<sup>(٦)</sup> .

(١) صحيح مسلم : ٤ / ٢١٤٤ رقم الحديث (٢٧٧٩)

(٢) المرجع السابق : ٢ / ٧٠٠ رقم الحديث : (١٠١٠) .

(٣) اختلفوا في ضبط مسيك على وجهين، جكاها القاضي عياض: أحدهما: مسيك بفتح الميم وتخفيف السين، والثاني بكسر الميم وتشديد السين (مسيك)، والثاني هو الأشهر في روايات المحدثين، والأول أصح عند أهل العربية وهما جميعاً للمبالغة -والله أعلم- المنهاج: ١٢ / ٢٣٦ .

(٤) صحيح مسلم: ٣ / ١٣٣٩، رقم الحديث: (١٧١٤) .

(٥) تهذيب اللغة مادة (م س ك) .

(٦) صحيح مسلم : ٣ / ١٢٦٠، ١٢٦١ رقم الحديث (١٦٣٩) .

قال الليث: "الشُّح: البخل، وهو الحرص. يقال: هما يتشاحنان على أمر إذا تنازعا، لا يريد كل واحد منهما أن يفوته. والنعت شحيح، والعدد أشحّة. وقال الله جلّ وعزّ: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشْحَةً﴾<sup>(١)</sup> نزلت في قوم من المنافقين كانوا يؤذون يؤذون المسلمين بألسنتهم في الأمن، ويعوّقون عند القتال ويَشِحُّون عند الإنفاق على فقراء المسلمين، ويقال: الشحشح: البخل المسك"<sup>(٢)</sup>.

ثم إن الشح: أشد البخل، وهو أبلغ في المنع من البخل، وقيل هو البخل مع الحرص "<sup>(٣)</sup>.  
" (٣)

والدليل الواضح على الترادف مجيء هذا الحديث برواية أخرى أن النبي ﷺ قَالَ: « التَّدْرُ لَا يُقَدَّمُ شَيْئاً وَلَا يُؤَخَّرُهُ وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ »<sup>(٤)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: « مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُتَّصِدِّقِ مَثَلُ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ، إِذَا هَمَّ الْمُتَّصِدِّقُ بِصَدَقَةٍ اتَّسَعَتْ عَلَيْهِ حَتَّى تُعْفَى أَثَرُهُ، وَإِذَا هَمَّ الْبَخِيلُ بِصَدَقَةٍ تَقَلَّصَتْ عَلَيْهِ وَأَنْضَمَّتْ يَدَاهُ إِلَى تَرَاقِيهِ، وَأَنْقَبَضَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ إِلَى صَاحِبَتِهَا ». قَالَ فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « فَيَجْهَدُ أَنْ يُوسِعَهَا فَلَا يَسْتَطِيعُ »<sup>(٥)</sup>.

قال الليث: "البُخْلُ والبَخْلُ: لغتان - قرىء بهما، وقد بَخِلَ يَبْخُلُ بَخَالاً وبُخَالاً ورجلٌ بَخِيلٌ، وبُخَالٌ ومُبْخَلٌ - إذا وُصِفَ بالبخل"<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة الأحزاب آية: ١٩.

(٢) تهذيب اللغة مادة (ش ح).

(٣) معالم السنن: ٧١/٢، والنهية مادة (ش ح).

(٤) صحيح مسلم: ٣/ ١٢٦١ رقم الحديث (١٦٣٩)

(٥) المرجع السابق: ٧٠٨/٢ رقم الحديث: (١٠٢١).

(٦) تهذيب اللغة مادة: (ب خ ل).

## المطلب الثالث

## الترادف في الأفعال

للسياق حضور في الكشف عن الأفعال المترادفة التي تحمل معنا واحدا ومن ذلك: مات وهلك وقبض وتوفي وخسف في صحيح مسلم بمعنى واحد، مع تعدد المعنى لبعضها إلا أن السياق تولى تحديد معناها على وجه الخصوص فاجتمعت على معنى واحد على سبيل الترادف.

من ذلك: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِذَا حَضَرْتُمُ الْمَرِيضَ أَوْ الْمَيِّتَ فَقُولُوا خَيْرًا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤْمِنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ » . قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سَلَمَةَ قَدْ مَاتَ. قَالَ: « قُولِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَهُ وَأَعْقِبِي مِنْهُ عُقْبَى حَسَنَةً » قَالَتْ: فَقُلْتُ، فَأَعْقَبَنِي اللَّهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ لِي مِنْهُ مُحَمَّدًا ﷺ" (١).

الموت: ضد الحياة. وقد مات يموت ويمت أيضاً. فهو ميّت وميئت. وقومٌ موتى وأمواتٌ وميِّتون وميِّتُونَ. ويستوي في المذكر والمؤنث، قال الله تعالى: ﴿ لِنُحِىَ بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا ﴾ (٢) ولم يقل مَيِّتَةً. قال الرفاء: ولا يقولون لمن مات: هذا مائتٌ. (٣)

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ لِيُضْرَّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنَّيًّا فَلْيُقِلِّ اللَّهُمَّ أَحْيِي مَا كَانَتِ الْحَيَاءُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاءُ خَيْرًا لِي » (٤).

توفي تحمل معنى أمتني، والوفاة هي الموت.

والهلاك تحمل نفس المعنى بما يمليه السياق قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « قَدْ مَاتَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ » (٥).

(١) صحيح مسلم ٦٣٣/٢ رقم الحديث (٩١٩)

(٢) سورة الفرقان آية: ٤٩

(٣) الصحاح مادة: (م و ت).

(٤) صحيح مسلم: ٢٠٦٤/٤ رقم الحديث (٢٦٨٠)

(٥) صحيح مسلم: ٢٢٣٦-٢٢٣٧ رقم الحديث (٢٩١٨).

وَعَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي هَلَكَ فِيهِ: أَحْدُوا لِي حِدًّا، وَأَنْصِبُوا عَلَيَّ اللَّيْنَ نَصْبًا<sup>(١)</sup>.

الذي هلك فيه بمعنى مات فيه، قال الليث: الهلك: الهلاك. وقال أبو عبيد: يقال الهلك والهلك والمهلك والمهلك.

وقال أبو زيد: يقال لأذهبني فإمّا هلك وإمّا ملك، وبعضهم يقول: فإمّا هلك وإمّا ملك وقال: الاهتلاك: رمي الإنسان نفسه في تهلكة، قال: والتهلكة: كل شيء يصير عاقبته

إلى الهلاك قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد جاءت بمعنى آخر حسب السياق الذي وردت فيه، وذلك أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ هَلَكَ النَّاسُ . فَهُوَ أَهْلِكُهُمْ»<sup>(٣)</sup>، معناه أن العالمين الذي يُقْنَطُونَ الناس من رحمة الله يقولون: هلك الناس، أي استوجبوا النار والخلود فيها بسوء أعمالهم، ومعنى قوله: هو أهلكتهم أي هو أوجب لهم ذلك، والله جل وعز لم يُهْلِكْهم. وقال مالك في قوله: أهلكتهم، أي أسلمهم<sup>(٤)</sup>.

ف"الهلاك كان نوعاً من الذهاب، فحدد معناه ليصبح خاصاً بنوع من الذهاب مرادفاً للموت فأصبح الهلاك مرادفاً للموت"<sup>(٥)</sup>.

قال ابن فارس: "هلك يدل على كسر وسقوط، ومنه الهلاك ولذلك يقال للميت هالك"<sup>(٦)</sup>.

قال الراغب: الهلاك على ثلاثة أوجه (وذكر أربعة):

الأول: افتقاد الشيء عنك، وهو عند غيرك موجود.

الثاني: هلاك الشيء باستحالة وفساد.

(١) صحيح مسلم: ٢/ ٦٦٥ رقم الحديث (٩٦٦).

(٢) سورة البقرة آية: ١٩٥، وينظر: تهذيب اللغة مادة: (ه ل ك).

(٣) صحيح مسلم: ٤/ ٢٠٢٤، رقم الحديث: (٢٦٢٣).

(٤) تهذيب اللغة: مادة (ه ل ك).

(٥) الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى لأبي الحسن الرماني، تحقيق ودراسة: فتح الله صالح المصري، (الوفاء للطباعة والنشر، ١٩٨٧م).

(٦) مقاييس اللغة مادة (ه ل ك)، ولسان العرب، والقاموس المحيط مادة (ه ل ك).

الثالث: الموت.

الرابع: بطلان الشيء من العالم وعدمه رأساً<sup>(١)</sup>.

وقُبِضَ بمعنى مات أيضاً فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: " قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ، وَأَبُو بَكْرٍ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ، وَعُمَرُ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ " (٢).

وقُبِضَ المريض : إذا توفي وإذا أشرف على الموت . ومن أسماء الله : القابض الذي يقبض الأرواح عند الممات ، والمملك قابض الأرواح (٣).

وخُسِفَ قد تأتي بمعنى مات وهلك : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « يَعُودُ عَائِدٌ بِالْبَيْتِ فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعَثٌ فَإِذَا كَانُوا بَيْنَدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ » . فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَكَيْفَ يَمُنُّ كَانٍ كَارِهَاً قَالَ: « يُخْسَفُ بِهِ مَعَهُمْ، وَلَكِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى نَبْتِهِ » (٤).

فالخسف : غموض ظاهر الأرض<sup>(٥)</sup> وخسف الله به الأرض أو جانب المكان خسفاً : جعلها تغور به وغيبه فيها (٦) وقد يحتمل الخسف معنى الهلاك أو المذلة والمشقة والذل وحمله وحمله ما يكره (٧).

وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم بهذا المعنى في قوله تعالى ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ

الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ فَتَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾ (٨).

والسياق هو الذي تكفل بإظهار هذا المعنى حيث جاء في أحاديث أخرى الخسف بمعنى ذهاب الضوء، وفي هذا الحديث ركيزة قوية على دور السياق في بيان معنى المفردات مع مجيئها

(١) المفردات مادة (ه ل ك).

(٢) صحيح مسلم : ١٨٢٥/٤ رقم الحديث (٢٣٤٨)

(٣) لسان العرب (ق ب ض) .

(٤) صحيح مسلم : ٢٢٠٩ / ٤ رقم الحديث (٢٨٨٢).

(٥) مجمل اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: زهير عبدالمحسن، (لبنان: بيروت: مؤسسة الرسالة، ط: ٢، ١٤٠٦ هـ -

١٩٨٦ م) مادة: (خ س ف) .

(٦) معجم ألفاظ القرآن: ٢ / ١٦١ .

(٧) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الحسن الصغاني، تحقيق: محمد آل ياسين، (العراق: دار الرشيد، ١٩٨٠ م) حرف

الفاء ص: ١٣٨ .

(٨) سورة القصص آية : ٨١.

بمعاني أخرى منها قول النبي صلى الله عليه وسلم : " إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَحْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَافْرَعُوا لِلصَّلَاةِ " (١).

ذهب البعض أن خسفت الشمس وكسفت بمعنى واحد ، قال ابن سيده : "خسفت الشمس تخسف خسوفاً : ذهب ضوءها، وخسفها الله وكذلك القمر . قال ثعلب : كسفت الشمس وخسفت القمر هذا أجود الكلام ، والشمس تخسف يوم القيامة خسوفاً : وهو دخولها في السماء كأنها تكورت في حجر " (٢).

وعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ قَالَ اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكُرُ فَقَالَ : « مَا تَذَاكُرُونَ » . قَالُوا نَذْكُرُ السَّاعَةَ . قَالَ : « إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ » . فَذَكَرَ الدُّخَانَ وَالذَّجَالَ وَالذَّابَّةَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَثَلَاثَةَ حُسُوفٍ خَسَفَتْ بِالْمَشْرِقِ ، وَخَسَفَتْ بِالْمَغْرِبِ ، وَخَسَفَتْ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى تَحْشِرِهِمْ " (٣).

وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم بهذا المعنى دلالة على القمر في قوله تعالى

: ﴿ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴾ (٤).

والواقع أن المعنى الصادر عن السياق ليس من صنع السياق وحده حتى ينسب إليه، فالمعنى المعجمي إنما هو في المقام الأول معنى إفرادي ، وذلك أن دور السياق لا يتجاوز إقصاء بقية الدلالات التي تكمن في الكلمة المعينة ، وإبعادها بحيث ترجح دلالة واحدة للكلمة ، والمرجح في ذلك هو السياق (٥).

ثانياً : يفصل السياق في مجيء الأفعال أخذ وأكل واقتطع في معنى واحد عن طريق الترادف فجميعها قد تشترك في معنى السلب والأخذ بغير حق عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عَامَ الْفَتْحِ وَهُوَ بِمَكَّةَ " إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ " . فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ فَإِنَّهُ يُطْلَى بِهَا السُّفُنُ

(١) صحيح مسلم ٦١٩/٢ رقم الحديث : (٩٠١).

(٢) لسان العرب مادة: (خ س ف )

(٣) صحيح مسلم : ٤ / ٢٢٢٥ ، رقم الحديث (٢٩٠١)

(٤) سورة القيامة آية : ٨.

(٥) المعنى وظلال المعنى ص : ١٢٤.



وَيُذْهِقُ بِهَا الْجُلُودَ وَيَسْتَضْبِجُ بِهَا النَّاسُ فَقَالَ " لَا هُوَ حَرَامٌ " . ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ " قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ شُحُومَهَا أَجْلَوْهُ ثُمَّ بَاعُوهُ فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ " .<sup>(١)</sup>

حقيقة الأكل التنقص ، يقال أكل السنّ وغيره ، وأكلت النار الحطب<sup>(٢)</sup> . فأكل المال أخذه بحق أو بغير حق<sup>(٣)</sup> ، وعبر بالأكل عن إنفاق المال لما كان الأكل أعظم ما يحتاج فيه إلى المال ، فأكل المال بالباطل صرفه إلى ما ينافي الحق<sup>(٤)</sup> .

وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم بهذا المعنى في عدة مواضع منها قوله تعالى:

﴿ وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ﴾<sup>(٥)</sup>

مع أن هذه الكلمة قد تأتي بمعنى تناول الطعام عن عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: كُنْتُ فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي: « يَا غُلَامُ سَمَّ اللَّهُ، وَكُلُّ بَيْمِينِكَ، وَكُلُّ مِمَّا يَلِيكَ »<sup>(٦)</sup> .

أكلت الطعام أكلاً ومأكلاً، قال ابن سيده: " أكل الطعام يأكله أكلاً فهو آكل، والجمع أكّله ، وقالوا في الأمر كُنْ وأصله أوكّل ، فلما اجتمعت همزتان وكثر استعمال الكلمة حذفت الهمزة الأصلية فزال الساكن فاستغنى عن الهمزة الزائدة"<sup>(٧)</sup> .

وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم في مواضع منها قوله تعالى ﴿ وَالْمَوْفُودَةُ

وَالْمُتَرَدِّدَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ ﴾<sup>(٨)</sup>

(١) سبق تخريجه ص: ٢٣٩ من البحث.

(٢) مجمل اللغة مادة: ( أ ك ل ) .

(٣) معجم ألفاظ القرآن: ١ / ٤٢ .

(٤) المفردات مادة: ( أ ك ل ) ص: ٢٩ .

(٥) سورة الفجر آية: ١٩ .

(٦) صحيح مسلم: ٣/١٥٩٩ رقم الحديث (٢٠٢٢) .

(٧) المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، علي بن سيده، تحقيق: عبدالستار أحمد وآخرون، (مصر: شركة مصطفى البابي

الخلي، ط: ١، ١٣٧٧هـ-١٩٥٨م) مادة ( أ ك ل ) .

(٨) سورة المائدة آية: ٣ .

وجاء في اقتطع قوله ﷺ: «مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَمِينِهِ فَقَدْ أُوجِبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ». فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ شَيْئاً يَسِيراً يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «وَأِنْ قَضِيماً مِنْ أَرَاكِ»<sup>(١)</sup>

قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ رَجُلٌ خَلَفَ عَلَى يَمِينٍ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى مَالٍ مُسْلِمٍ فَاقْتَطَعَهُ»<sup>(٢)</sup>.  
فاقتطعه هنا أخذه بغير حق.

وجاء أخذ بمعنى سلب وأخذ بغير حق قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَا رَاعٍ فِي غَنَمِهِ عَدَا عَلَيْهِ الدُّبُّ، فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً فَطَلَبَهُ الرَّاعِي حَتَّى اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الدُّبُّ فَقَالَ لَهُ مَنْ هَذَا يَوْمَ السَّبْعِ يَوْمَ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي». فَقَالَ النَّاسُ سُبْحَانَ اللَّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «فَإِنِّي أَوْمِنُ بِذَلِكَ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ»<sup>(٣)</sup>.

ومن الترادف في الأفعال أيضاً (أعرض، تولى) فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه- أَنَّهُ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ فَنَادَاهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي زَنَيْتُ. فَأَعْرَضَ عَنْهُ فَتَنَحَّى تِلْقَاءَ وَجْهِهِ فَقَالَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي زَنَيْتُ. فَأَعْرَضَ عَنْهُ حَتَّى تَنَى ذَلِكَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ فَلَمَّا شَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ دَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ «أَبِكَ جُنُونٌ». قَالَ لَا. قَالَ «فَهَلْ أَحْصَنْتَ». قَالَ نَعَمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ادْهَبُوا بِهِ فَارْجُمُوهُ»<sup>(٤)</sup>.

الإعراضُ عن الشيء: الصدُّ عنه<sup>(٥)</sup>. فذاك بينٌ من السياق، والدليل قوله: "فَتَنَحَّى تِلْقَاءَ وَجْهِهِ".

وفي الحديث عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ، أَخْبَرَهُ مِنْ فِيهِ إِلَى فِيهِ قَالَ: انْطَلَقْتُ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا بِالشَّامِ إِذْ جِيءَ بِكِتَابٍ

(١) صحيح مسلم: ١/ ١٢٢ رقم الحديث (١٣٧)

(٢) المرجع السابق: ١/ ١٠٣ رقم الحديث (١٠٨)

(٣) المرجع السابق: ٤/ ١٨٥٨ رقم الحديث (٢٣٨٨)

(٤) المرجع السابق: ٣/ ١٣١٨ رقم الحديث (١٦٩١)

(٥) الصحاح مادة (ع ر ض).

مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى هِرَقْلَ يَعْني عَظِيمَ الرُّومِ ..... " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ. سَلَامٌ عَلَيَّ مِنْ اتَّبَعَ الْهُدَى. أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمَ تَسْلَمَ. وَأَسْلِمُ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ وَإِن تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ <sup>(١)</sup> ﴿ يَتَأَهَّلُ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَقْبُدَ إِلَّا اللَّهَ اللَّهُ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> .... " <sup>(٣)</sup>.

تولى عنه: أعرض، وولى هارباً: أدبر، وتولى إذا ذهب هارباً ومدبراً. والتولى يكون بمعنى الإعراض <sup>(٤)</sup>.

قد وردت هذه اللفظة بهذا المعنى في عدة مواضع منها قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴾ <sup>(٥)</sup>.

والذي يظهر من بحث الترادف جمال السياق وإبداعه؛ إذ لولاه لظن القارئ أن هذه المعاني واحدة، ولا ستغلق عليه فهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١) الْأَرِيسِيِّينَ: بفتح الهمزة وكسر الراء وتشديد الباء التي قبل النون، ويروي (البريسيين) بياء مكان الهمزة، وقيل: هم

الملوك الذين يضلون رعاياهم، أي: إن عليك أثم رعبتك. ينظر: المفصح ص: ٤٢، ٤٣.

(٢) سورة ال عمران آية: ٦٤

(٣) صحيح مسلم: ١٣٩٣/٣ - ١٣٩٦، رقم الحديث: (١٧٧٣).

(٤) لسان العرب مادة: ( و ل ي ) .

(٥) سورة طه آية: ٦٠ .

## المبحث الثاني

أثر السياق في المشترك اللفظي وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الاشتراك في الحروف.

المطلب الثاني: الاشتراك في الأسماء.

المطلب الثالث: الاشتراك في الأفعال.

## المطلب الأول الاشتراك في الحروف

للسياق دوره الكبير في التبادل اللغوي، وله الفضل في بيان الفرق بين معاني المشترك اللفظي؛ لأن مقدرة الكلمات على أداء وظيفتها - كما يقرر (ستيفن أولمان) "لا تتأثر بحال من الأحوال بعدد المعاني المختلفة التي قدر لها أن تحملها، بدليل أن بعض هذه الكلمات تستطيع بالفعل أن تقوم بعشرات الوظائف في سهولة ويسر" (١).

ويستطرد ستيفن أولمان لبيان فائدة المشترك اللفظي في اللغة بقوله: « والآثار المترتبة على تعدد المعنى للكلمة الواحدة بالنسبة لثروة اللفظية للغة آثار بعيدة المدى من ذلك مثلاً أن وجود كلمة مستقلة لكل شيء من الأشياء التي قد نتناولها بالحديث من شأنه أن يفرض حملاً ثقيلاً على الذاكرة الإنسانية» (٢).

وقد تنبه علماء العربية لهذا النوع من العلاقات الدلالية، وعرفوه و ضربوا له الأمثلة الكثيرة التي تؤكد وجوده في لغتهم ومن أوائل اللغويين الذين قدموا تعريفاً للمشارك اللفظي ابن سيدة بقوله: "واسم مشترك تشترك فيه معان كثيرة كالعين ونحوها فإنه يجمع معاني كثيرة" (٣).

واختلف اللغويون العرب في تقييمهم لظاهرة المشارك اللفظي، وانقسموا ما بين منكر ومؤيد . وبدايات تناولهم لهذه الظاهرة كانت عند سيبويه حيث إنه قسم الاتفاق والافتراق بين الألفاظ ومعانيها على ثلاثة أقسام الأول: اختلاف اللفظين واختلاف المعنيين، والثاني: اختلاف اللفظيين والمعنى واحد، والثالث: اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين (٤).

(١) دور الكلمة في اللغة ، ص: ١٣٧ .

(٢) المرجع السابق ص: ١٣٥ .

(٣) المحكم والمحيط الأعظم : ٤٢٦/٦ .

(٤) الكتاب ٢٤/١ .

ولكنه لم يضع مصطلحا خاصا لأي من هذه الحالات، إلا أن علماء اللغة أخذوا عنه هذا التقسيم ووضعوا له المصطلحات المعروفة حاليا، وهي الألفاظ ( المتباينة ) للقسم الأول، و ( المترادفة ) للقسم الثاني، و ( المشتركة ) للقسم الثالث .

أما ابن جني فقد أورد في ( الخصائص ) بابا سماه: ( اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ) ، وقال فيه: "غرضنا من هذا الباب ليس ما جاء به الناس في كتبهم نحو : وجدت في الحزن ووجدت الضالة، ووجدت في الغضب، ووجدت أي علمت، فإن هذا الضرب من الكلام كثير في كتب العلماء، وإنما غرضنا هنا ما وراءه من القول على هذا النحو من الحرف والحركات والسكون المصوغة في أنفس الكلم من تلك الحروف. فقد يتفق لفظ الحرف ويختلف معناه ، وذلك نحو قولهم : ( درع دلاص ) و ( أدرع دلاص )"<sup>(١)</sup>

ومن هنا نجد أن ابن جني قد تناول ظاهرة المشترك اللفظي تناولا حرفيا وليس دلاليا .

ويمكن تقسيم المشترك اللفظي في اللغة إلى اشتراك في الحروف، واشتراك في الأفعال، واشتراك في الأسماء وقد صرح السيوطي بهذه الأنواع فقال: " وذهب بعضهم إلى أن الاشتراك أغلب - قال: لأن الحروف بأسرها مشتركة بشهادة النحاة، والأفعال الماضية مشتركة بين الخير والدعاء، والمضارع كذلك، وهو أيضاً مشترك بين الحال والاستقبال والأسماء كثير فيها الاشتراك؛ فإذا ضمناها إلى قسمي الحروف والأفعال كان الاشتراك أغلب "<sup>(٢)</sup>.

ويفصل الغربيون في دراستهم للمشارك بين مصطلحين الأول : Polysemy

ويعني ( تعدد المعنى ) والثاني Homonymy وهو ( المشترك اللفظي ) .

والمصطلح الأول عندهم هو أن يكون للفظ أكثر من معنى واحد ولكن توجد علاقة أو رابطة بين هذه المعاني - وهذا أقرب لمعنى المشترك في العربية - أما المصطلح الثاني هو أن يتحد لفظان في النطق أو الكتابة وتختلف معانيهما اختلافا تاما بدون أي رابط بينهما .

(١) ينظر: الخصائص: ٢ / ٩٣ .

(٢) المزهر ١ / ٣٧٠ .

يقول بالمر: " قد نطلق على الكلمة الواحدة عدة معان مختلفة ومتعددة ، فنجد لكلمة Flight في المعجم عدة معان وهي : المرور عبر الأجواء ، وقوة الطيران ، والرحلة الجوية ... " (١).

وهو بذلك يتفق مع أولمان الذي يستعمل مصطلح Polysemy للدلالة على الحالات التي تتعدد فيها مدلولات الكلمة (٢).

أما فندرس فهو يذكر أن وجود المشترك اللفظي في واقع الأمر يكون في معجم لغة من اللغات ، أما في نصوص هذه اللغة واستعمالاتها فلا وجود إلا للمعنى واحد من معاني هذا المشترك ... فهو يقول " إننا حينما نقول : إن لإحدى الكلمات أكثر من معنى واحد في وقت واحد نكون ضحايا الانخداع إلى حد ما ، إذ لا يطفو في الشعور من المعاني المختلفة التي تدل عليها إحدى الكلمات إلا المعنى الذي يعنيه سياق النص ، أما المعاني الأخرى فتتمحي وتبتدد ولا توجد إطلاقاً " (٣).

وهو هنا لا ينكر وجود المشترك بقدر ما يؤكد أهمية السياق ودوره في تحديد معنى اللفظة المقصود . وعن ذلك يقول أولمان : " إذا تصادف أن اتفقت كلمتان فأكثر في أصواتها اتفاقاً تاماً ، فإن مثل هذه الكلمات لا يكون لها معنى ألبتة دون السياق الذي تقع فيه " (٤).

أما د. عيد محمد الطيب في ( فقه اللغة من قضايا الدلالة ) فهو يحدد المشترك اللفظي بأنه : ( دلالة اللفظ الواحد على عدة معان دون أن يكون بينها تناف أو تناقض أو تضاد على أن تكون الدلالة مستوية ، أي لا يدل على بعض المعاني دلالة حقيقية ، وعلى بعضها الآخر دلالة مجازية ، بل تكون المعاني المفهومة من اللفظ وضعية حقيقة ) (٥).

(١) علم الدلالة، بالمر، ترجمة: د. صبري إبراهيم السيد، (دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩ م) ص: ٦٥-٦٦ .

(٢) دور الكلمة في اللغة ص: ١٣٤ .

(٣) اللغة ص: ٢٢٨ .

(٤) دور الكلمة في اللغة، ص: ٧٢ .

(٥) فقه اللغة من قضايا الدلالة ، د. عيد محمد الطيب، (مصر: القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٤ م) ص: ١٣٣ .

وبعد هذه المقدمة لتأكيد دور السياق في تحديد معاني المشترك اللفظي نضرب الأمثلة من الحديث النبوي الشريف لوقوع الاشتراك في الحروف، وهذا الاشتراك إما أن يكون جزئياً في تعدد المعاني للحرف الواحد، وأما أن يكون مشتركاً بين عدة حروف.

فالباء مثلاً من حروف المعاني التي تختص بالاسم، وتلازم عمل الجر. وهي ضربان: زائدة، وغير زائدة. فأما غير الزائدة فقد ذكر النحويون لها معان كثيرة، أوصلوها إلى ستة عشر معنى<sup>(١)</sup> هي: الإلصاق، والاستعانة، والتعدية، والسببية، والمصاحبة، والظرفية والمقابلة، والبدل، والمجازة، والاستعلاء، والتبويض، والقسم، والغايصة، والتوكيد والتشبيه، والتعدية.

ويأتي دور السياق ليلقي بظلاله على الحرف المفرد داخل التركيب فيوجه معناه في كلام سيد البشر من أوتي جوامع الكلم، ومن أول هذه المعاني:

يبين السياق ارتباط الحرف الأحادي (الباء) بمعنى الإلصاق، وقد اقترن بنفس اللفظ في قول رسول الله ﷺ: «غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لَا يَتَّبِعْنِي رَجُلٌ قَدْ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَنْبِيَّ بِهَا وَلَمَّا يَنْبِيَّ، وَلَا آخَرَ قَدْ بَنَى بُنْيَانًا وَلَمَّا يَرْفَعُ سُقْفَهَا، وَلَا آخَرَ قَدْ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خَلَفَاتٍ وَهُوَ مُنْتَظَرٌ وَلَا دَهَا. قَالَ: فَغَزَا فَأَدَّتْ لِقَرْيَةٍ حِينَ صَلَاةِ الْعَصْرِ أَوْ قَرِيًّا مِنْ ذَلِكَ. فَقَالَ لِلشَّمْسِ: أَنْتِ مَأْمُورَةٌ، وَأَنَا مَأْمُورٌ اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيَّ شَيْئًا. فَحُبِسَتْ عَلَيْهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ - قَالَ - فَجَمَعُوا مَا غَنَمُوا فَأَقْبَلَتِ النَّارُ لِتَأْكُلَهُ فَأَبَتْ أَنْ تَطْعَمَهُ. فَقَالَ: فِيكُمْ غُلُولٌ فَلْيَبَايِعْنِي مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ. فَبَايَعُوهُ فَلَصِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمْ الْغُلُولُ فَلْتَبَايِعْنِي قَبِيلَتُكَ. فَبَايَعْتُهُ - قَالَ - فَلَصِقَتْ بِيَدِ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ.....»<sup>(٢)</sup>.

ففي هذا الحديث جاء بلفظ الإلصاق "فَلَصِقَتْ بِيَدِ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ" وهو أصل معاني الباء، وذلك واضح بين في سياق الحديث.

و الإلصاق يعني: تعليق الشيء بالشيء حتى يبلغا النهاية في القرب؛ لشدة اتصال الثاني بالأول<sup>(٣)</sup>. وهو أصل معاني الباء وأشهرها، ورد سيبويه سائر معاني الباء إلى معنى

(١) ينظر: أمالي ابن الشجري: ٦١٣/٢، والأزهية في علم الحروف، ص: ٢٨٣، وشرح التسهيل: ١٤٩/٣، وورصف

المباني ص: ٢٢٠، الجني الداني ص: ٣٦.

(٢) صحيح مسلم: ١٣٦٦/٣، رقم الحديث: (١٧٤٧).

(٣) ينظر: شرح المفصل: ٤٧٤/٤.



الإلصاق، وجعله معنى لا يفارقها، يقول سيبويه: "وباء الجر إنما هي للإلحاق والاختلاط، وذلك قولك: خرجت بزيد، ودخلت به، وضربته بالسوط: ألزقت ضربك إياه بالسوط فما اتسع من هذا في الكلام فهذا أصله" (١).

غير أن النحاة الذين جاءوا من بعده جعلوا الإلصاق معنى من معانيها، ورأوا فيها معاني أخرى بلغت عند ابن هشام أربعة عشر معنى (٢).

يقول المالقي: "وهذا المعنى في كلام العرب في الباء أكثر من غيره فيها، حتى إن بعض النحويين قد ردوا أكثر معاني الباء إليه، إن كان على بُعد، والصحيح التنويع كما ذكر ويُذكر" (٣).

ويقرر السياق مجيئه بغير لفظ الإلصاق لنفس المعنى السابق، من ذلك قال رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بَعْرًا، فَنَزَلَ فِيهَا، فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ؛ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ. فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي. فَنَزَلَ الْبَعْرُ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِيَدِهِ حَتَّى رَفَعَهُ فَمَسَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَإِن لَنَا فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ لِأَجْرًا فَقَالَ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ» (٤).

"أَمْسَكَهُ بِيَدِهِ" أي قبض عليه وتعلق به، فالباء قد أفادت الإلصاق الحقيقي في التركيب، وأبرز ذلك السياق في تركيب الفعل (أمسك) مع حرف الإلصاق (الباء)؛ كأنه يمسك الماء بتعلق شديد خوفًا من أن ينسكب؛ لأنه كان حريصًا على سقي الكلب.

وينقل السياق معنى الباء إلى معاني أخرى فقد جاء عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ لِأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ؛ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصَدِّقُ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ. قَالَ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ. لِأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي

(١) الكتاب ٤ / ٢١٧ .

(٢) مغني اللبيب ص: ١١٨ .

(٣) رصف المباني ص: ١٤٣، ١٤٤ .

(٤) صحيح مسلم ٤/١٧٦١. رقم الحديث: (٢٢٤٤).

يَدِ غَنِيٍّ؛ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصَدِّقَ عَلَيَّ غَنِيٍّ . قَالَ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَيَّ غَنِيٍّ لِأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ.....» (١).

والباء هنا "فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ" تفيد الملابس أو الملاصقة، أي خرج متلبسا بصدقته أو ملتصقة بيده .

وجاءت في سياق آخر للمصاحبة ويُسمِّيها بعضهم الملابس، وباء المصاحبة قال عنها ابن مالك: " هي التي يَحْسُنُ في موضعها ( مع ) وتُغني عنها وعن مصحوبها الحال كقوله تعالى :

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ ﴾ (٢) أي: مع الحق ومُحَقًّا (٣).

وكذلك قول النبي ﷺ: «بَيْنَمَا امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذُّبُّ فَذَهَبَ بِابْنٍ إِحْدَاهُمَا . فَقَالَتْ هَذِهِ لِمَصَاحَبَتِهَا إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكَ أَنْتِ . وَقَالَتِ الْأُخْرَى إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكَ . فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَأَخْبَرَتْاهُ فَقَالَ اثْنُونِي بِالسُّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَكُمَا . فَقَالَتِ الصُّغْرَى لَا يَرَحْمُكَ اللَّهُ هُوَ ابْنُهَا . فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى » (٤).

أي ذهب الذئب مصطحبًا إياه ، وسياق الحال يرجح ذلك حيث لم يبق إلا ولد واحد للمراتين.

وجدير بالذكر أن السياق يربط الإيمان بالله ورسله وكتبه بحرف الجر الباء، فكثير من التراكيب التي وردت في صحيح مسلم يظهر فيها استعمال حرف الجر (الباء) مع الإيمان ، شأنه شأن نقيضه كفر (٥) ؛ لأن الباء بما تدل عليه من الملابس والمصاحبة والإصاق تخلع على فعل الإيمان وجود الأمن في ظلال من يؤمن به ، ويلتمس الحماية في صحبته والطمأنينة في ملابسته ، ولذلك فإن الإيمان لا يتعدى " بالباء" إلا في الإيمان بالله ورسله وكتبه (٦) .

(١) صحيح مسلم: ٧٠٩/٢، رقم الحديث: (١٠٢٢).

(٢) سورة النساء آية ١٧٠ .

(٣) شرح التسهيل: ١٥٠/٣ ، وينظر: الجني الداني ص: ٤٠.

(٤) سبق تخريجه ص: ٢٢٩.

(٥) دور الحرف في أداء معنى الجملة ص ٣٢٩.

(٦) من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، د. محمد الأمين الخضري، (مكتبة وهبي، ط: ١، ١٤٠٩هـ) —

ومن ذلك عن سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ قَالَ: «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمَّ»<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُقِلْ خَيْرًا أَوْ لَيْسُكَتُ»<sup>(٢)</sup>.

وقد تكون الباء للمقابلة بما يمليه السياق ويحتمله المعنى. فعن سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْتُ أَهْبُ لَكَ نَفْسِي. فَنَظَرَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَصَعَّدَ النَّظَرَ فِيهَا وَصَوَّبَهُ، ثُمَّ طَاطَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْسَهُ، فَلَمَّا رَأَتْ الْمَرْأَةُ أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ فِيهَا شَيْئًا جَلَسَتْ. فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ فَزَوِّجْنِيهَا. فَقَالَ: «فَهَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ؟». فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ: «اذْهَبْ إِلَى أَهْلِكَ فَانظُرْ هَلْ تَجِدُ شَيْئًا». فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا وَجَدْتُ شَيْئًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «انظُرْ وَلَوْ خَاتِمًا مِنْ حَدِيدٍ». فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ. فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا خَاتِمًا مِنْ حَدِيدٍ. وَلَكِنْ هَذَا إِزَارِي - قَالَ سَهْلٌ مَا لَهُ رِذَاءٌ - فَلَهَا نَصْفُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَصْنَعُ بِإِزَارِكَ إِنْ لَبِسْتَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا مِنْهُ شَيْءٌ، وَإِنْ لَبِسْتَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ مِنْهُ شَيْءٌ». فَجَلَسَ الرَّجُلُ حَتَّى إِذَا طَالَ مَجْلِسُهُ قَامَ، فَرَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُوَلِّيًّا، فَأَمَرَ بِهِ فَدُعِيَ فَلَمَّا جَاءَ قَالَ: «مَاذَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ؟». قَالَ مَعِيَ سُورَةٌ كَذَا وَسُورَةٌ كَذَا - عَدَّدَهَا. فَقَالَ: «تَقْرَأُهَا عَنْ ظَهْرِ قَلْبِكَ؟». قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «اذْهَبْ فَقَدْ مَلَكْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ»<sup>(٣)</sup>.

قيل إن الباء سببية، وهي التي تصلح غالبًا في موضعها (اللام)<sup>(٤)</sup>. نحو قوله سبحانه

وتعالى: ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمْ الْعِجَلِ﴾<sup>(٥)</sup>

(١) صحيح مسلم: ٦٥/١ رقم الحديث: (٣٨).

(٢) المرجع السابق: ٦٨/١ رقم الحديث: (٤٧).

(٣) المرجع السابق: ١٠٤١/٢ رقم الحديث: (١٤٢٥).

(٤) شرح التسهيل: ١٥٠/٣، وينظر: الجني الداني ص: ٣٨.

(٥) سورة البقرة آية: ٥٤.

ولا يجوز أن تكون ( الباء ) سببية " ولو كان معناها ما تأوله بعض أهل العلم من أنه إنما زوجه إياها لحفظه القرآن تفضيلاً له؛ لجعلت المرأة كالموهوبة بلا مهر، وهذه خصوصية ليست لغير النبي صلى الله عليه وسلم " (١).

والقرطبي يؤكد دور السياق في ذلك حيث يقول: "وقول المخالف: إن الباء بمعنى السلام ليس بصحيح لغة ولا مساقاً" (٢).

إذن رُدَّت الأقوال السابقة بأن ( الباء ) هنا لا تكون بمعنى ( اللام )، بل هي بمعنى العوض، وهذا الذي يؤيده السياق، وإلاً لم يكن لسؤال النبي ﷺ إياه: ( هل معك من القرآن شيء ؟ ) فائدة، إذ يجوز نكاح من يحسن القرآن ومن لا يحسنه (٣).

إذن فالباء في "بما معك" باء العوض والمقابلة كما تقول: خذ هذا بهذا، أي: عوضاً عنه (٤) وهي الباء "الداخلة على الأعواض، نحو قوله: اشتريته بألف، وكافأت إحسانه بضعف وقولهم: هذا بذاك" (٥)، وأكد ابن مالك أنها الباء الداخلة على الأثمان والأعواض نحو اشتريت الفرس بألف (٦)

ويقول الخطابي بذلك أيضاً: "و(الباء) في قوله: (بما معك) : باء التعويض . كما تقول : بعتك هذا الثوب بدينار أو بعشرة دراهم " (٧).

والحكم على الباء من حيث زيادتها وغير زيادتها بينها السياق أيضاً لتأثيرها في معنى الحديث كما في حديث موسى والخضر قال رسول الله ﷺ: " فَيَيْنَمَا هُمَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ إِذَا غُلَامٌ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ، فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ، فَأَقْتَلَعَهُ بِيَدِهِ، فَقَتَلَهُ . فَقَالَ

(١) معالم السنن: ١٨١/٣، وينظر: شرح الطيبي: ٣١٨/٦.

(٢) المفهم ١٣١/٤.

(٣) ينظر: معالم السنن: ١٨١/٣.

(٤) المفهم ١٣١/٤.

(٥) مغني اللبيب ١٢١/١، وينظر: رصف المباني ص: ١٤٦.

(٦) شرح التسهيل: ١٥١/٣.

(٧) معالم السنن: ١٨١/٣.

مُوسَى: "أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بَعِيرٍ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا". قَالَ: "أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا" (١).

قال أبو البقاء: (فأخذ برأسه): "في الباء وجهان أحدهما: هي زائدة أي أخذ رأسه، والثاني: ليست زائدة؛ لأنه ليس المعنى أنه تناول رأسه ابتداءً، وإنما المعنى جره إليه برأسه ثم اقتلعه، ولو كانت زائدة لم يكن لقوله اقتلعه معنى زائد على أخذه. (٢).

ويظهر دور السياق بوضوح حينما يحتمل الحرف أكثر من وظيفة في السياق الذي يرد فيه، فالفاء حرف من حروف المعاني المفردة، ووجه السياق معانيه التي أوصلها أهل اللغة إلى عشرة، وبعضهم إلى ثمانية، ومعانيها تدور حول: العاطفة، أو السببية المحضة، أو الرابطة بين الشرط والجزاء، أو المؤكدة أو الزائدة، أو بمعنى (رُبَّ)، أو الاستثنائية، أو بمعنى (إلى) (٣).

يقول ابن جني: "واعلم أن الفاء إذا وقعت في أوائل الكلم غير مبنية من أصلها، فإنها في الكلام على ثلاثة أضرب: ضرب تكون فيه للعطف والإتباع جميعاً، وضرب تكون فيه للإتباع جميعاً، وضرب تكون فيه للإتباع مجرداً من العطف، وضرب تكون زائدة دخولها كخروجها، إلا أن المعنى الذي تختص به وتُنسب إليه هو الإتباع، وما سوى ذلك فعارض غير ملازم لها" (٤).

فقول ابن جني "عارض غير ملازم لها" دلالة قوية على أن للسياق أثراً بارزاً في الوصول إلى المعنى العارض المراد منها.

ومن ذلك يرشدنا السياق إلى دلالة الفاء على الترتيب ففي الحديث عن عائشة زوج النبي ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أُحُدٍ" فَقَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ. إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي

(١) صحيح مسلم: ٤/١٨٤٩ رقم الحديث: (٢٣٨٠).

(٢) إعراب الحديث النبوي ص: ٤٧.

(٣) ينظر: الأزهية ص: ٢٤١، ووصف المباني ص: ٣٧٦-٣٨٢، والجني الداني ص: ٧٢، ومغني اللبيب: ١/١٧٣.

(٤) سر صناعة الإعراب ص: ٢٥١.

عَلَى ابْنِ عَبْدِيَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَاَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَيَّ وَجْهِي فَلَمْ أُسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ<sup>(١)</sup> فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ فَنَادَانِي، فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، قَالَ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمْ عَلَيَّ .  
...»<sup>(٢)</sup>.

(فلم يجبني إلى ما أردت) أن (الفاء) تدل على الترتيب لفظاً ومعنى ، ومعنى ذلك أن المعطوف بها يكون لاحقاً لما قلبها ، فإذا قلت : ( قام زيد فعمر ) ، كان المعنى أن قيام زيد كان قبل قيام عمرو<sup>(٣)</sup> . فـ(الفاء) أفادت الترتيب اللفظي والمعنوي ، فعدم الإجابة كان بعد دعوة زعماء الطائف والمحاولة لإقناعهم بأمر الدعوة إلى الله والدفاع عن هذا الدين ، كما أفادت الفاء سرعة الرد بالرفض وهو ما تدل عليه من معنى التعقيب<sup>(٤)</sup> ، فهم لم يفكروا ويعطوا لأنفسهم فرصة التبصر والتمعن لعلهم يتبينون حقيقة هذه الدعوة وما جاء به في هذه الرسالة.

ثم قال صلى الله عليه وسلم : "فانطلقت ، فرفعت ، فنظرت ، فناداني ، فقال "ففي هذه الأفعال الفاء للترتيب مع التعقيب ، ف"الفاء تضم الشيء إلى الشيء كما فعلت الواو ، غير أنها تجعل ذلك متسقاً بعضه في إثر بعض" .<sup>(٥)</sup>

ويشير ابنُ السيرافي-رحمه الله-(ت:٣٨٥هـ) إلى دلالة الفاء على التعقيب بقوله : " تفسير الفاء التي للعطف : من شأنها أن يكون المعنى الذي اشترك فيه المعطوف و المعطوف عليه حاصلاً للمعطوف بعد حصوله للمعطوف عليه بلا مُهْلَةٍ فَصْلٍ ، ويكون حصوله للثاني عُقْبَ حَصُولِهِ لِلأَوَّلِ ، نحو قولك : زيدٌ آتِيكَ فَمُحَدِّثُكَ ، أي يحصل الحديث

(١) قرن الثعالب هو: قريب من قرن المنازل ، وهو ميقات أهل العراق ، وهو على يوم من مكة ينظر: المفهم : ٦٥٤/٣

(٢) صحيح مسلم: ٤٢٠/٣ رقم الحديث: (١٧٩٥).

(٣) ينظر : رصف المباني ص: ٣٧٧.

(٤) ذكر ابن هشام أن الفاء العاطفة تفيد ثلاثة أمور: الترتيب، والتعقيب، والسببية. ينظر: مغني اللبيب: ١٧٣/١.

(٥) الكتاب : ٢١٧ / ٤ .

من قبله بعد إتيانه بلا فصل ، ولا يجوز أن يكون الحديث الذي أخبرت به عنه حصل قبل الإتيان ، ولا في الحال التي حصل فيها الإتيان <sup>(١)</sup>.

وأفاد السياق مجيئها للترتيب في قول أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ أتى بلبن قد شيب بماء وعن يمينه أعرابي وعن يساره أبو بكر فشرب ثم أعطى الأعرابي وقال: «الأيمن فالأيمن» <sup>(٢)</sup>.

وهي عند الأصوليين كذلك؛ لأن الفاء وثم موضوعان للترتيب المقيّد بالتعقيب أو التراخي <sup>(٣)</sup>.

والفاء وإن كانت للتعقيب فإنها تخرج لمعان أخرى حسب السياق الذي ترد قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فَجَعَلَتِ الدَّوَابُّ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ؛ فَأَنَا أَخَذُ بِحُجْرِكُمْ، وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهِ» <sup>(٤)</sup>.

قوله : ( فَأَنَا أَخَذُ بِحُجْرِكُمْ ) ، الفاء فيه فصيحة كما في قوله تعالى: ﴿ أَيَحِبُّ

أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ <sup>(٥)</sup> فإنه تعالى : لما سأل بقوله :

﴿ أَيَحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ . فأجابوا : لا ، قال : فإذا كان

كذلك فكرهتموه . وكذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما بين مثله ومثل الناس ، كأنه قيل : إذا صح هذا التمثيل وأنا مثل المستوقد وأنتم كالفراس تقحمون في النار فأنا أخذ بحجركم <sup>(٦)</sup> .

ويؤكد السياق في موضع آخر وقوع الفاء تفسيرية ففي حديث الزبير - رضي الله عنه - أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته أنها قالت : كان أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حُبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه - وهو التعبّد - الليالي أولات العدد

(١) شرح أبيات سيبويه ، لأبي محمد السيرافي ، تحقيق: د. محمد علي سلطاني ، (بيروت ، دمشق: دار المأمون للتراث ، ١٩٧٩م) ١٤٥/١ ، ١٤٦ .

(٢) صحيح مسلم : ١٦٠٣/٣ ، رقم الحديث : (٢٠٢٩) .

(٣) الإحكام ٩٠/١ .

(٤) صحيح مسلم : ١٧٨٩/٤ رقم الحديث : (٢٢٨٤) .

(٥) سورة الحجرات آية : ١٢

(٦) عقود الزبرجد : ٤٧٥/٢ .

قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدَ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى فَجَّهَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءَ، فَجَاءَهُ الْمَلِكُ فَقَالَ اقْرَأْ . قَالَ : « مَا أَنَا بِقَارِيٍّ - قَالَ - فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ » (١).

فالفاء جاءت بعد الإجمال لتربطه بما وقع تفصيلاً لما قبله في قوله: (فجاءه الملك) وتسمى التفسيرية وليست التعقيبية ، لأن مجيء الملك ، ليس بعد مجيء الوحي حتى يعقب به ، بل هو نفسه . ولا يلزم من هذا التقدير أن يكون من باب تفسير الشيء بنفسه ، بل التفسير عين المفسر به من جهة الإجمال وغيره من جهة التفصيل (٢).

وقال الكرماني: ﴿ فَتَوْبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ (٣) أيضاً لأنه مجيء الملك.. إلخ ، تفصيل للمحمل الذي هو مجيء الحق . ولا شك أن المفصل تفسير المحمل لأن قوله تعالى ﴿فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ الفاء فيه تسمى التفسيرية نحو قوله تعالى : " فاقتلوا " إذ القتل نفس التوبة ، وتسمى بالفاء التفصيلية أيضاً؛ لأنه مجيء الملك..... إلخ : تفصيل للمحمل الذي هو مجيء الحق ، ولا شك أن المحمل تفسيره المفصل (٤).

وقد يصرف السياق الفاء لمعنى الشرط فعن جابر أن الطفيل بن عمرو الدوسي أتى النبي ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ لَكَ فِي حَصْنِ حَصِينٍ وَمَنْعَةٍ - قَالَ حَصْنٌ كَانَ لِدَوْسٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ - فَأَبَى ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ لِلَّذِي ذَخَرَ اللَّهُ لِلْأَنْصَارِ فَلَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ هَاجَرَ إِلَيْهِ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَهَاجَرَ مَعَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ فَاجْتَوَوْا الْمَدِينَةَ (٥) فَمَرَضَ فَجَزَعَ فَأَخَذَ مَشَاقِصَ لَهُ فَقَطَعَ بِهَا بَرَاجمَهُ فَشَخَبَتْ يَدَاهُ حَتَّى مَاتَ فَرَأَهُ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فِي مَنَامِهِ فَرَأَهُ وَهَيْئَتُهُ حَسَنَةً وَرَأَهُ مُعْطِيًا يَدَيْهِ فَقَالَ لَهُ مَا صَنَعَ بِكَ رَبُّكَ فَقَالَ غَفَرَ لِي

(١) صحيح مسلم ١/١٣٩-٤٠ رقم الحديث: (١٦٠).

(٢) عمدة القارئ: ٦٧/٣.

(٣) سورة البقرة آية: ٥٤.

(٤) ينظر: صحيح البخاري بشرح الكرماني ٣/١٤٠.

(٥) اجتووا المدينة: معناه كرهوا المقام بها لضجر ونوع من السقم، قال الجوهري: اجتويت البلد إذا كرهت المقام به، وإن كنت في نعمة، قال الخطابي: وأصله من النجوى، وهو داء يصيب الجوف .



بِهَجْرَتِي إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ فَقَالَ مَا لِي أَرَاكَ مُغَطِّياً يَدَيْكَ قَالَ قِيلَ لِي لَنْ نُصَلِّحَ مِنْكَ مَا أَفْسَدْتَ .  
فَقَصَّهَا الطُّفَيْلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «اللَّهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاعْفِرْ»<sup>(١)</sup> .

قال الرضي: "تدخل الفاء على ما هو جزاء مع تقدم كلمة الشرط نحو: إن لقيته فأكرمه، ومن جاءك فاعطه، وبدونها نحو: زيد فاضل فأكرمه، وتعريفه بأن يصلح تقدير إذا الشرطية قبل الفاء، وجعل مضمون الكلام السابق شرطها، فالمعنى في مثالنا: إذا كان كذا فأكرمه، وهو كثير في القرآن المجيد وغيره وقال تعالى: ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾<sup>(٢)</sup> قَالَ فَأَخْرَجَ مِنْهَا ﴿<sup>(٣)</sup> أَي: إذا كان عندك هذا الكبر فأخرج، و﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي ﴾<sup>(٤)</sup> أَي: إذا كنت لعنتني فأنظرنني، ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾<sup>(٥)</sup> أَي: إذا اخترت الدنيا على الآخرة فإنك من المنظرين، قال فبعزتك، أي إذا أعطيتني هذا فبعزتك لأغوينهم<sup>(٥)</sup>، كذا هذا الحديث تقديره: اللهم إن كنت غفرت لسائر أعضائه فاعفِر وليديه"<sup>(٦)</sup>

قال الطيبي: " قوله ( وليديه فاعفِر ) عطف من حيث المعنى على قوله : ( وقيل لي : لن نصلح منك ما أفسدت ) لأنَّ التقدير : قيل لي غفرنا لك سائر أعضائك إلا ( يدك ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( اللهم وليديه فاعفِر ) اللام متعلق بقوله : ( فاعفِر ) والفاء داخلة لمعنى الشرط ، كأنه قيل : وما كان فلا تحرمه غفرانك " <sup>(٧)</sup> .

(١) صحيح مسلم: ١٠٩/١، رقم الحديث: (١١٦).

(٢) سورة ص آية: ٧٧-٧٨.

(٣) سورة ص آية: ٧٩.

(٤) السورة السابقة آية: ٨٠.

(٥) ينظر: شرح الكافية: ٣٦٦/٢.

(٦) عقود الزبرجد: ٢٩١/١.

(٧) شرح الطيبي ٧ / ٥٨ .

قال ابن جني : (( وإنما اختاروا الفاء هنا من قَبْلِ أَنْ الجزاءَ سبيلُهُ أن يقع ثاني الشَّرْطِ ، وليس في جميع حروف العطف حَرْفٌ يوجد هذا المعنى فيه سوى الفاء . ) (١)

فمن هنا قد تخرج الفاء عن دلالة الترتيب الزمني؛ لتؤدي دلالة أخرى يقتضيها السياق ؛ ففي كل موضع تستعمل فيه هذا الاستعمال تُفهم من السياق القرينة المقالية أو الحالية التي تُعين المتلقي على فهم دلالة الفاء ، ولأمن لبسِ دلالة الترتيب الزمني التي هي الأصل فيها (٢).

ومجيئها زائدة يفسره السياق أيضاً؛ لأنه بحذفها لا يختلف المعنى بل يبقى كما هو قال رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : « بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ سَبَطُ الشَّعْرِ بَيْنَ رَجُلَيْنِ يَنْطِفُ رَأْسُهُ مَاءً - أَوْ يُهْرَاقُ رَأْسُهُ مَاءً - قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا ابْنُ مَرْيَمَ . ثُمَّ ذَهَبَتْ أَلْتَفَتْ، فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسِيمٌ، جَعَدُ الرَّأْسِ، أَعْوَرُ الْعَيْنِ، كَانَ عَيْنُهُ عِنَبَةً طَافِيَةً . قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الدَّجَالُ . أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبْهًا ابْنُ قَطَنِ » . (٣).

قال ابن مالك : الفاء في قوله: "إِذَا" زائدة كالأولى من قوله تعالى: "فبذلك فليفرحوا" وكالفاء التي قبل ثم في قول زهير؛ فثم إذا أصبحت غادياً (٤)

وقد تتكرر الفاء في الحديث الواحد، ويبرز السياق معنى كل واحدة على حدة ومن ذلك عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأَتَىٰ بِهِ، فَعَرَفَهُ نَعْمَةً فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ . قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنَّ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ . ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَيَّ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ» (٥).

(١) سر صناعة الإعراب: ٢٥٤/١ .

(٢) أساليب العطف في القرآن الكريم ، د،مصطفى حميدة : (لبنان : بيروت : مكتبة لبنان ناشرون ، مصر : القاهرة : الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان ، دار نوبار للطباعة ، ط: ١، ١٩٩٩ ) ص: ١٢٨ .

(٣) صحيح مسلم: ١٥٦/١ رقم الحديث: (١٧١).

(٤) الشاهد لزهير كما جاء في الدرر اللوامع على همع الهوامع، أحمد الأمين الشنقيطي، (القاهرة: المطبعة الجمالية) ١٧٢/٢، وصدر البيت (أراني إذا مابت بتّ على الهوى) ينظر: همع الهوامع: ٢٣٥/٥ .

(٥) صحيح مسلم: ١٥٤/٣ رقم الحديث: (١٩٠٥).

قال الطيبي: (الفاء) في (فعرفه) للتعقيب، وفي (فعرفها) للتسبيب، وفي (فما عملت؟)، جزاء شرط محذوف هو مقول القول، أي إذا كان مقرراً عندك أن تلك النعمة الموجبة للشكر مني فما عملت في حق تلك النعمة<sup>(١)</sup>.

وهذه المعاني للفاء لولا السياق وغيره من القرائن لما ظهر معناها من بين المعاني الأخرى. ومن حروف المعاني: اللام حرفٌ أحادي من حروف المعاني، جاء عاملاً وغير عامل<sup>(٢)</sup>. فاللام العاملة قد تكون جارة، أو جازمة وهذه يعينها السياق بمعونة القرائن الأخرى. وأصل لام الجر أن تكون مفتوحة عند اتصالها بالاسم الظاهر؛ لأنها حرف أحادي فيضطر المتكلم إلى تحريكه؛ لأنه لا يُبتدأ بساكن، وحرك بالفتح لأنه أخف الحركات، و به يحصل الغرض، ولا حاجة إلى تكلف ما هو أثقل منه، فالأصل أن تكون لام الجر مفتوحة إلا أنها كُسرت للفرق بينها وبين لام الابتداء<sup>(٣)</sup>.

والسياق حاضرٌ في بيان أنواع اللامات الأخرى كلام الجواب، أو اللام المؤكدة، أو اللام الموطئة<sup>(٤)</sup> وغيرها<sup>(٥)</sup>.

وقد يوجه السياق اللام لمعنى اللام الجازمة، وهي لام الأمر - أو ما خرج من معنى الأمر إلى الدعاء أو الوعيد - التي تدخل على الفعل المستقبل فتحزمه، وهي تدخل على الفعل المضارع الغائب، وفي دخولها على المتكلم وحده أو مع غيره خلاف بين العلماء، أمّا فعل المخاطب فالغالب عليه مجيئه بغير لام، أي باستعمال صيغة فعل الأمر، وقد جاء باللام وهو نادر<sup>(٦)</sup>.

فعن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَأْخُذْ دَاخِلَةَ إِزَارِهِ، فَلْيَنْفُضْ بِهَا فِرَاشَهُ، وَلْيَسِّمْ اللَّهَ، فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا خَلْفَهُ بَعْدَهُ عَلَى فِرَاشِهِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ

(١) شرح الطيبي: ٤٠٠/١.

(٢) أحاديث الدعاء في الصحيحين (دراسة لغوية) رسالة دكتوراه، د. محمد بن سلمان الرحيلي، (المملكة العربية السعودية: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢٥هـ - ١٤٢٦هـ) ص: ٤٧١.

(٣) يُنظر: شرح المفصل ٤/٤٨٠، وأحاديث الدعاء في الصحيحين ص: ٤١٧.

(٤) سماه الزمخشري بالموطئة للقسم ينظر: الكشاف ١/١٧٩.

(٥) ينظر: شرح التسهيل: ٣/١٤٤، ووصف المباني ص: ٢٥٧، ٢٥٨، والجني الداني ص: ٢٢٨.

(٦) يُنظر: اللامات، لأبي القاسم الزجاجي، تحقيق: مازن المبارك، (بيروت: دار الفكر: ١٤٠٥هـ - ١٩٩٠م) ص: ٨٨،

واللامات، علي بن محمد الهروي، تحقيق: د. أحمد عبد المنعم الرصد، (القاهرة: مطبعة حسان ١٤٠٤هـ) ص: ١٥٦.

يَضْطَجِعَ فَلْيَضْطَجِعْ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، وَيُقِيلُ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبِّي، بِكَ وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»<sup>(١)</sup>.

قوله " فَلْيَأْخُذْ - فَلْيَنْفُضْ - وَلْيَسِّمْ - فَلْيَضْطَجِعْ - وَيُقِيلْ " اللام لام الأمر، يظهر ذلك من السياق حيث يأمرنا صلى الله عليه وسلم بهذا التوجيه النبوي وهو نفذ الفراش لما في ذلك من فوائد صحية، والتسمية، والاضطجاع على الشق الأيمن، وقول دعاء النوم .

وعن أبي موسى قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَتَاهُ طَالِبُ حَاجَةٍ أَقْبَلَ عَلَيَّ جُلْسَانِهِ، فَقَالَ: « اشْفَعُوا فَلْتَوْجُرُوا، وَلْيَقْضِ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أَحَبَّ »<sup>(٢)</sup>.

مع أن هذه اللام لام الأمر إلا أن السياق لا يوجه معناها لذلك تأدباً مع رب العزة والجلال، حيث قد تجعل الأمر على سبيل الدعاء أو الخبر. قال القرطبي: "هكذا صحت الرواية هنا وليقض باللام، ولا يصح أن تكون لام كي كذلك، ولا يصح أيضاً أن تكون لام الأمر؛ لأن الله تعالى لا يؤمر وكان هذه الصيغة وقعت موقع الخبر، ويحتمل أن تكون بمعنى الدعاء؛ أي: اللهم اقض، أو، الأمر هنا بمعنى الخبر؛ أي: إن عرض المحتاج حاجة علي فاشفعوا له إلي؛ فإنكم إذا شفעתم حصل لكم الأجر، سواء قبلت شفاعتكم أو لا، ويجري الله على لسان نبيه ما شاء من موجبات قضاء الحاجة أو عدمها"<sup>(٣)</sup>.

ثم إن السياق كفيلاً ببيان المعاني الجزئية التي قد يحتملها (اللام). فقد ذكر النحاة لها معانٍ متعددة استقصوها من لغة العرب<sup>(٤)</sup>؛ ولعل أكثر من توسع في معاني اللام الجارة المرادي في كتابه (الجنى الداني)؛ حيث وصلت إلى ثلاثين معنى. ومن أهمها: الاستحقاق الاختصاص، الملك، شبه التملك، التعليل، موافقة (إلى)، موافقة (على)، وموافقة

(١) صحيح مسلم ٤/٢٠٨٤، ٢٠٨٥، رقم الحديث: (٢٧١٤).

(٢) المرجع السابق: ٤ / ٢٠٢٦ رقم الحديث: (٢٦٢٧).

(٣) المفهم ٦/٦٣٣. الكواكب الدراري: ١٤ / ١٢٠.

(٤) ذكر الرماني في كتابه (معاني الحروف)، تحقيق: عبدالفتاح شليبي، (المملكة العربية السعودية، جدة، ط: ٢،

١٤٠١هـ، ١٩٨١م) معنيين فقط، في حين يذكر المالقي في كتابه (رصف المباني) ثمانية معانٍ، ص: ٢١٨، ويتوسع

ابن هشام في كتابه (معنى اللبيب) حتى بلغت هذه المعاني اثنان وعشرون معنى: ١/٢٣٣.

(في)، و(مع)، وموافقة(من)، وموافقة(عن). وغيرها كـ(عند)، وبعده، والنفي، والصيرورة والقسم، والتعجب، والتوكيد، والتعدية<sup>(١)</sup>.

وذهب المرادي إلى أن لام الجر تفيد الاختصاص " والظاهر أن أصل معانيها الاختصاص وأما الملك فهو نوع من أنواع الاختصاص، وهو أقوى أنواعه، وكذلك الاستحقاق؛ لأن من استحق شيئاً فقد حصل له به نوع اختصاص " <sup>(٢)</sup>.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ <sup>(٣)</sup>، قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَعَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَزَعَتْ مُوقَهَا <sup>(٤)</sup>، فَاسْتَقَتَ لَهُ بِهِ، فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ، فَغَفَرَ لَهَا بِهِ <sup>(٥)</sup>»

إن اللام " في قوله: " فَغَفَرَ لَهَا " هنا تؤدي معنى الاختصاص، حيث لكل حرف معناه الخاص الذي يوجه معنى الفعل توجيهها معينا حسب سياقه، ففي التركيب الأول " فَغَفَرَ لَهَا " به " اللام " تفيد الاختصاص والتركيب يوحى بغفران الله لتلك البغي واختصاصه بالغفران دون سواه، وقد استحقت ذلك بما قامت به من إحياء نفس قد شارفت على الموت والهلاك بإذن الله، وهذا المعنى لا ينهض به إلا حرف (اللام).

ويظهر من خلال السياق معاني كثيرة للام ففي قول النبي ﷺ: « صُومُوا لِرُؤْيَيْهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَيْهِ فَإِنْ غُمِّيَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا الْعَدَدَ » <sup>(٦)</sup>.

إن (اللام) في قوله صلى الله عليه وسلم : ( صوموا لرؤيته .... ) لام التعليل <sup>(٧)</sup>، والمعنى مستقبلي لها <sup>(٨)</sup>.

(١) الجني الداني ص: ٩٦.

(٢) المرجع السابق: ص: ٩٦.

(٣) الركيّة: البئر غير المطوية. المفهم: ٤/٦٦٩.

(٤) الموق: هو الخف، فارسيّ معرّب، ينظر: المنهاج: ١٤/٤٦١.

(٥) سبق تخريجه ص: ٢٨٤ من البحث.

(٦) سبق تخريجه ص: ٢٣٥ من البحث.

(٧) ينظر: المقتضب ١ / ٣٩، و ٢ / ٧ - ٤٤، و رصف المباني ٢٢٣.

(٨) ينظر: سبيل السلام ٢ / ٣٠٦.

والسياق لا يقبل هذا المعنى، فإذا كانت للتعليل هنا، فلا يلزم منها تقديم الصوم على الرؤية، فإذا قلت: (أكرم زيدًا لدخوله)، فلا يقتضي تقديم الإكرام على الدخول<sup>(١)</sup>.  
وقيل إن اللام تكون بمعنى الوقت، وهذا من معانيها المعروفة عند العرب<sup>(٢)</sup>،  
يقول الطيبي: "صوموا لرؤيته: اللام فيه للوقت كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ ﴾"<sup>(٣)</sup>

أي: وقت دلوها،"<sup>(٤)</sup>، ويظهر هذا المعنى في سياق قوله صلى الله عليه وسلم: "الصلاة لوقتها"<sup>(٥)</sup>. فالسياق يقبل هنا أن تكون "اللام للتوقيت"<sup>(٦)</sup>.

فالصلاة لا تقبل بعد خروج وقتها، والدليل توعد الله لمن فعل ذلك بالويل في قوله

تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۖ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾<sup>(٧)</sup>

أما القول بذلك في "صوموا لرؤيته" فقد يوقع في إشكال كما صرح بذلك ابن دقيق العيد: "وحمله على التأقيت لا بد فيه من احتمال تجوز وخروج عن الحقيقة؛ لأن وقت الرؤية وهو الليل محلاً للصوم"<sup>(٨)</sup>.

وما يرجحه السياق ويرضاه المعنى أن تكون هذه اللام بمعنى (بعد)، وهو ما قاله الكثير من أئمة النحاة<sup>(٩)</sup>، ومن معانيها المشهورة عند العرب أيضاً<sup>(١٠)</sup>، يقول ابن الشجري: "واستعملوها في مكان (بعد).... ومثله قوله عليه الصلاة والسلام: صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، أي: بعد رؤيته"<sup>(١١)</sup>.

(١) ينظر: إحكام الأحكام ٢ / ٣، وسبل السلام ٢ / ٣٠٦.

(٢) ينظر: الصاحي ص: ١٠٣، ورفص المباني ص: ٢٢٤، والجني الداني ص: ١٠١.

(٣) سورة الإسراء آية: ٧٨.

(٤) شرح الطيبي: ١٧١/٤.

(٥) سبق تخريجه ص: ٢٥٩ من البحث.

(٦) إكمال إكمال المعلم: ١ / ١٣٩.

(٧) سورة الماعون آية: ٤، ٥.

(٨) إحكام الأحكام ٢ / ٣.

(٩) ينظر: الصاحي ص: ٧٥، ومغني اللبيب: ١ / ٢٣٨.

(١٠) ينظر: رصف المباني: ٢٢٤، والجني الداني ص: ١٠١.

(١١) أمالي ابن الشجري: ٢ / ٦١٦، ٦١٧، وينظر: الصاحي ص: ٧٥، الجني الداني ص: ١٠١.

ومن حروف المعاني الأحادية الواو، وذكر النحاة لها وظائف ومعاني متعددة<sup>(١)</sup>.  
تعد الواو أم حروف العطف؛ لكثرة مجالها فيه، فالعطف أصل أقسامها، وأكثرها استعمالاً<sup>(٢)</sup>.

واختلف النحاة في كون الواو العاطفة للجمع المطلق أم للترتيب، والصحيح ما ذهب إليه جمهور النحويين من أنها لمطلق الجمع<sup>(٣)</sup>، ولا تفيد الترتيب بأصل وضعها، وإذا فهم ترتيب فهو بسبب أمر خارج عن الواو وليس منها<sup>(٤)</sup>.  
وقوله بسبب أمر خارج عن الواو دليل واضح على دور القرائن في الكشف عن معنى الواو بما فيها السياق.

وليس المقصود عند العلماء بـ(الجمع) اجتماع المعطوف و المعطوف عليه في الفعل في زمان أو في مكان، أو أنهما يجتمعان معا في حالة واحدة، بل المقصود أنهما يجتمعان في: كونهما محكوماً عليهما، كما في: (جاءني زيد وعمرو) أو في كونهما حُكْمين على شيء، نحو: (زيد قائم وقاعد)، أو في حصول مضمونيهما، نحو: (قام زيد وقعد عمرو)<sup>(٥)</sup>.

ومن ذلك عن جابر بن عبد الله قال أتى رجل رسول الله ﷺ بالجعرانة منصرفه من حنين وفي ثوب بلال فضة ورسول الله ﷺ يقبض منها يعطي الناس فقال يا محمد اعدل . قال: «وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ لَقَدْ خَبِتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ» . فقال عمرُ بنُ الخطَّابِ -رضي الله عنه- دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَقْتُلْ هَذَا الْمُنَافِقَ . فقال: «مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي، إِنْ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ»<sup>(٦)</sup> ..

فقد حكم على هذا الرجل وأصحابه بالنفاق، فهم مجتمعون على حالة واحدة.

(١) يُنظر : رصف المباني ص : ٤٧٣ ، والجني ص : ١٥٣ .

(٢) أحاديث الدعاء في الصحيحين ص : ٤٧٧ .

(٣) الجني الداني : ١٥٨ .

(٤) يُنظر : رصف المباني ص : ٤٧٣ ، والجني الداني ص : ١٥٨ ، ومغني اللبيب : ٤٠٨/١ .

(٥) شرح الكافية : ٣٦٣/٢ .

(٦) صحيح مسلم : ٧٤٠/٢ رقم الحديث : (١٠٦٣) .

فمراد النحاة بالجمع ألا تكون الواو لأحد الشئيين أو الأشياء كدلالة " أو " و " إمّا " (١)  
 (١) . وتشارك الفاء و " ثمّ " و " حتّى " الواو في أداء الجمع بهذا المفهوم ، إلا أنّ الجمع الذي  
 تفيده الفاء و " ثمّ " و " حتّى " جمع مقيدٌ بقيود ، في حين تفيد الواو مطلق الجمع .  
 قال سيويوه : " وإنما جئت بالواو لتضم الآخر إلى الأول وتجمعهما ، وليس فيه دليل على أن  
 أحدهما قبل الآخر " (٢)

فالمعاني مستفادة من السياق والقرائن الأخرى ، ولعل هذا هو السبب في وقوع الخلاف بين  
 الفريقين ، مما يؤدي إلى القول بأنها موضوعة في اللغة لجميع تلك المعاني ، أو أن يبحث عن  
 مسوغات ترجح وضعها لأحد المعنيين دون الآخر ، وهو ما يفرضه السياق بنوعيه (اللغوي وغير  
 اللغوي) (٣) .

على أن بعضهم جعل (مطلق الجمع) معنى تشترك في الدلالة عليه أكثر من واو؛ فهو لا  
 يختص بواو العطف ، بل هو معنى جامع لواو المفعول معه ، وواو الصرف ، وواو الحال ، وواو  
 (رُبّ) ، ولا يمنع هذا الاشتراك من انفراد كل واو بخواص تميزها عن غيرها (٤) .

ويتّضح من هذا أن النحاة متفقون على دلالة الواو على الجمع ، ولكنهم اختلفوا في الزمان  
 النحوي الدال عليه ذلك الجمع : أهو جمع مطلق غير محدد بزمن ، أم هو دال على الترتيب  
 الزمني ، أم هو دال على المصاحبة أو المعية في الزمن الواحد ؟

يقول د. مصطفى حميدة : " إنَّ النحاة الذين راحوا يلتمسون الزمن النحوي في الواو في ذاتها  
 وبمعزل عن السياق ، فقالوا بدلالاتها على الترتيب ، أو على المعية ، أو قالوا بتقسيم واو النسق  
 إلى نوعين ، كانوا - في رأبي - بعيدين عن طريق الوصول إلى حقيقة الزمان في دلالات  
 تركيبها . ذلك أن علاقة الزمان النحوي بين المتعاطفين بالواو لا يمكن فهمها إلا من خلال  
 السياق ، فلا دلالة في الواو في حدّ ذاتها على الزمن ، وإنما تفهم دلالة الجمع في الواو على  
 الزمان من القرائن المتاحة في السياق ، مقالا ومقامًا " (٥) .

(١) شرح الكافية: ٣٦٣/٢ .

(٢) المرجع السابق ٣٦٣/٢ .

(٣) أساليب العطف في القرآن الكريم ص: ٥١ .

(٤) الواو (دراسة نحوية ودلالية) ص: ٥٩ ، وينظر: الفصول ٢٣٣-٢٣٤ .

(٥) أساليب العطف في القرآن الكريم ص: ٥١ ، ٥٢ .



وعلى هذا، فإن النحاة الذين قالوا بدلالة الواو على مطلق الجمع ، كانوا على صواب لأنهم بإطلاق الجمع في دلالتها دون تحديد الزمن ، تركوا للقارئ في سياق المقال والمقام مهمة تحديد ذلك الزمن<sup>(١)</sup> .

وتظهر المعاني الأخرى للواو من خلال السياق ففي قول رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا تُوبَ لِلصَّلَاةِ فَلَا تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ وَأْتُوهَا وَعَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ يَعْمِدُ إِلَى الصَّلَاةِ فَهُوَ فِي صَلَاةٍ»<sup>(٢)</sup>.

الواو في " وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ" واو الحال، وجملة (وأنتم تسعون ) حال من ضمير الفاعل، وإنما أطلب بهذا التركيب مع إمكان الاختصار بأن يقال إذا أقيمت الصلاة فلا تسعوا لتصوير حال سوء الأدب، وأنه مناف لما هو أولى من الوفاء والسكينة ، ومن ثم عقبه بما ينبه على حسن الأدب من قوله وأتوها تمشون<sup>(٣)</sup> كقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾<sup>(٤)</sup>.

وقدرها النحويون بـ(إذ) من جهة أن الحال في المعنى ظرف للعاقل وتدخل على الجملة الإسمية نحو : جاء زيد ويده على رأسه وعلى الفعلية إذا تصدرت بـماض<sup>(٥)</sup>.

وفي حديث عائشة-رضي الله عنه-قال صلى الله عليه وسلم: "فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِهِ فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَنَتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيْلُ فَنَادَانِي فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ قَالَ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلِّمْ عَلَيَّ . . . ." <sup>(٦)</sup>.

(١) اساليب العطف في القرآن الكريم ص: ٥٢.

(٢) صحيح مسلم: ٤٢٠/١ رقم الحديث: (٦٠٥).

(٣) مكمل إكمال الإكمال ٢ / ٢٩٠ .

(٤) سورة الفرقان آية: ٦٣.

(٥) الجني الداني ص: ١٦٤

(٦) صحيح مسلم: ٤٢٠/٣ رقم الحديث: (١٧٩٥).

قوله "وأنا مهموم على وجهي" الجملة حالية، والواو واو الحال وقد تحمل الواو على معنى المعية بما يوجهه سياق الحديث ومن ذلك قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»<sup>(١)</sup>.

(وَالسَّاعَةُ) "لا يجوز فيه إلا النصب والواو فيه بمعنى مع، والمراد به المقاربة ولو رفع لفسد المعنى؛ لأنه يكون تقديره بعثت أنا وبعثت الساعة وهذا فاسد في المعنى، إذ لا يقال بعثت الساعة ولا في الوقوع لأنها لم توجد بعد"<sup>(٢)</sup>.

ويقصد بهذه الواو التي تأتي بمعنى (مع) حيث يظهر الفعل في الكلام، وينتصب الاسم بعد الواو، على أنه مفعول معه وذلك قولك: (ما صنعت وأباك؟) و (لو ثركت الثاقبة وفصيلها لرضعها) إنما أردت: (ما صنعت مع أبيك؟) فالفصيل مفعول معه والأب كذلك و(استوى الماء والخشبة) (أي: بالخشبة)<sup>(٣)</sup>.

ومما أبرز السياق معانيه الأداة (لو) قد تأتي لمعاني عدة: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةَ لِحَارَتِهَا وَلَوْ فَرَسَنَ شَاةً»<sup>(٤)</sup>.

يظهر السياق أن على المسلمة أن لا تحتقر شيئاً من الهدية لجارتها، ولو القليل. قال القرطبي: " (لو) في قوله: (ولو فرسن شاة) للتعليل، قال: وعادة العرب إذا أعيت في تعليل شيء ذكرت في كلامها ما لا يكون مقصوداً، ومنه هذا الحديث، وقوله: (ولو ظلّفا محرقاً) وقوله ﷺ "من بنى لله مسجداً ولو مثل مفحص قطة"<sup>(٥)</sup> وذلك القدر لا يكون مسجداً"<sup>(٦)</sup>.

ومنه قول امرئ القيس:

مِنَ الْقَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَوْ دَبَّ مُحْوَلٌ      مِنْ الذَّرِّ فَوْقَ الْإِثْبِ مِنْهَا لِأَثْرًا<sup>(٧)</sup>

(٦) المرجع السابق: ٤/٢٢٦٨ رقم الحديث: (٢٩٥١).

(١) إعراب الحديث النبوي: ص: ٨٨.

(٢) الكتاب: ١/٢٩٧، ٢٩٨.

(٣) صحيح مسلم: ٢/٧١٥ رقم الحديث (١٠٣١).

(٤) المسند: ٢/٢٢١.

(٥) المفهم: ١/٩٠٤، عقود الزبرجد: ٣/١٣٧.

(٦) البيت لأمرئ القيس في ديوانه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار المعارف، ط: ٤) ص: ٦٨.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم: (لوددنا لو صبر)<sup>(١)</sup>.

"لو" هنا بمعنى أن الناصبة للفعل كقوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ نَدَّهِنُ﴾<sup>(٢)</sup> ، ﴿وَدُّوا لَوْ

تَكْفُرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> وقد جاء بأن في قوله تعالى: ﴿أَيُّودٌ أَحَدَكُمُ أَنْ تَكُونَ لَهُ﴾<sup>(٤)</sup> وصبر

: بمعنى يصبر ، أي : وددنا أن يصبر<sup>(٥)</sup> .  
وفي قوله صلى الله عليه وسلم: "لو أنكم تطهرتم ليومكم هذا"<sup>(٦)</sup> .

وقد أفاد هذا الحديث الأمر بغسل الجمعة، كما ذكر - لأول مرة - التخريج المعتاد لتراكيب الأمر عرضاً بـ(لو)، أي كونها للتمني فلا حاجة للجواب ، أو أنها شرطية محذوفة الجواب<sup>(٧)</sup> .

قال صاحب الكتاب: "وقد تجيء (لو) في معنى التمني كقولك: لو تأتني فتحدثني كما

تقول: ليتك تأتيني"<sup>(٨)</sup> .

وقبله توقف ابن يعيش عند مثال التمني بـ"لو" هذا ، فقال : "والتمني نوع من الطلب ، والفرق بينه وبين الطلب أن الطلب يتعلق باللسان ، والتمني شيء يهجس في القلب يقره

التمني"<sup>(٩)</sup> . / انتهى

(١) صحيح مسلم : ٤ / ١٨٥١ رقم الحديث: (٢٣٨٠) .

(٢) سورة القلم آية: ٩ .

(٣) سورة النساء آية: ٨٩ .

(٤) سورة البقرة آية: ٢٦٦ .

(٥) إعراب القرآن الكريم: ٤٠٢/٣ .

(٦) صحيح مسلم : ٢ / ٥٨١ رقم الحديث (٨٤٦) .

(٧) المفهم : ٨٩/٤ .

(٨) شرح المفصل: ١٢٤/٥ .

(٩) المرجع السابق : ١١/٩ .

## المطلب الثاني الاشتراك في الأسماء

إن من أهم ما يحقق العمل بالسياق في المشترك اللفظي جمع النصوص الواردة في موضوع واحد والربط بينها فعلى سبيل المثال :

أولاً: اليد: وردت كلمة ( اليد ) في مواضع كثيرة من صحيح مسلم بمعان مختلفة ، فتارة بمعنى الجارحة المعروفة ، وتارة بمعنى النعمة والإحسان ، وتارة بمعنى السلطة والملك ، والسياق هو الذي يرجح أحد هذه المعاني من ذلك أن النبي ﷺ يقول: « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ »<sup>(١)</sup>.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أسرعن لحاقاً بي أطولكن يداً، قالت: فكمن يتناولن أيتهن أطول يداً، قالت: فكانت أطولنا يداً زينب ؛ لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق".<sup>(٢)</sup>

وعن المعرور بن سويد-رضي الله عنه- قال رأيت أبا ذرٍّ وعليه حلةٌ وعلى غلامه مثلها فسألته عن ذلك قال فذكر أنه ساب رجلاً على عهد رسول الله ﷺ فغيره بأمه - قال - فأتى الرجل النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال النبي ﷺ: « إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ وَخَوْلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدَيْهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيَلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ عَلَيْهِ »<sup>(٣)</sup>.

فالسياق هو المحدد الأساسي للمعاني التي تحمل أكثر من معنى في الأحاديث السابقة والمعنى يجعل بعضها أقرب إلى الصواب من بعض، وليس ثم دليل في سياقها الخارجي من آية أخرى، أو حديث، أو إجماع يُستند إليه في اختيار واحد منها، فيلزم والحالة هذه ويحسن أن يُتوجه إلى سياق الحديث الداخلي؛ بغية استنطاقه؛ "كأن التركيب النفيس أشبه بقطعة من

(١) صحيح مسلم: ١/ ٦٥ رقم الحديث: (٣٨)

(٢) المرجع السابق: ٤/ ١٩٠٧ رقم الحديث (٢٤٥٢)

(٣) المرجع السابق: ٣/ ١٢٨٣ رقم الحديث (١٦٦١).

معدن نفيس تعطي ألواناً متكاثرة كلما أدرتها إدارة جديدة، والسياق هو القوة التي تحرك هذه القطعة لتشيع من ألوانه ما يراد إشعاعه"<sup>(١)</sup>.

وبالنظر في معاجم اللغة فمعنى اليد: الكف ، قال أبو إسحاق: اليد من أطراف الأصابع إلى الكف"<sup>(٢)</sup>.

وهو المقصود بالمعنى في الحديث الأول "مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ" حيث اليد هي الأداة التي يؤذي بها المسلم أخيه، وهي التي يبطش بها وكفها سلامة من الأذى. وكذلك المعنى في قوله: "لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق".

وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم على هذا المعنى في عدة مواضع منها قوله تعالى:

﴿لَيْنُ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾<sup>(٣)</sup>.

أما اليد في قوله: "أطولكن يداً" فتعني النعمة والإحسان، فمن معاني اليد: النعمة والإحسان تصنع والمنة والصنيعة، وإنما سميت يداً لأنها تكون بالإعطاء، والإعطاء إنالة باليد ... والجمع أيد جمع الجمع، ويدي ويدي في النعمة خاصة، قال الأعشي:

فَلَنْ أَذْكَرَ النَّعْمَانَ إِلَّا بِصَالِحٍ فَإِنَّ لَهُ عِنْدِي يَدَيَا وَأَنْعَمًا

قال الليث: "اليد النعمة السابعة"<sup>(٤)</sup> يقولون: أسديت إليه يداً أي: نعمة"<sup>(٥)</sup>.

إذا قوله أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً يريد: "أسمحكن وأفعلكن للمعروف وأكثركن صدقة، يقال: فلان طويل اليد وطويل الباع إذا كان سمحاً جواداً، وضده قصير اليد وجعد البنان، وقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ...»<sup>(٦)</sup> من هذا أيضاً، ويكون إشارة إلى القبول والإنعام عليه"<sup>(٧)</sup>.

(١) دلالات التراكيب. ص: ٢٣٨.

(٢) لسان العرب مادة ( ي د ي )

(٣) سورة المائدة آية : ٧٤.

(٤) لسان العرب مادة ( ي د ي ) .

(٥) ما اتفق لفظه واختلف معناه، هبة الله ابن الشجري، تحقيق: احمد حسن (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ١٩٩٦، ١م) ص: ٣٤٦.

(٦) صحيح مسلم ٤/٢١١٣ رقم الحديث: (٢٧٥٩).

(٧) مشارق الأنوار على صحاح الآثار ٢/٣٠٣.

أما في قوله ﷺ: « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَسُبُّ ابْنُ آدَمَ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ »<sup>(١)</sup>.

ف"اتفق المسلمون أهل السنة والجماعة أن اليد هنا ليست بجراحة ولا جسم ولا صورة ونزهوا الله تعالى عن ذلك إذ هي صفات المحدثين، واثبتوا ما جاء من ذلك وآمنوا به ولم ينفوه وذهب كثير من السلف إلى الوقوف هنا، ولا يزيدون ويسلمون، ويكفون علم ذلك إلى الله ورسوله عليه الصلاة والسلام"<sup>(٢)</sup>.

وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم في أكثر من موضع بهذا المعنى ولكن بتأويل وتفسير

كلمة (يد) بعدة معان منها ( النعمة )، فمثلا قوله تعالى: ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾<sup>(٣)</sup> قيل: منها نصرته ونعمته.

وأما الحديث الثالث: "تحت أيديكم" فالمقصود به السلطة والملك، قال ابن منظور: اليد: الملك، يقال: هذه الصنعة في يد فلان أي في ملكه، ولا يقال في يدي فلان<sup>(٤)</sup> للحوز والملك، يقال: هذا في يد فلان أي في حوزة وملكه، وقولهم وقع في يد عدل<sup>(٥)</sup>. فتطلق اليد على الملك؛ لأن اليد مظهر الملك والاستيلاء ويتوسع في هذا فيقال: الخير بيد الله سبحانه<sup>(٦)</sup> يقال: ما لك عليه يد أي: ولاية، وهذا ملك يده ويمينه وهذه الدار في يده<sup>(٧)</sup>. فتاولوا اليد على القدرة وعلى المنة، والنعمة، والقوة، والملك، والسلطان، والحفظ، والوقاية، والطاعة، والجماعة بحسب ما يليق تأويلها بالموضع الذي أتت به<sup>(٨)</sup>. فقول القاضي عياض السابق: "بحسب ما يليق تأويلها بالموضع الذي أتت به" إشارة واضحة إلى اعتبار السياق في إظهار المعنى.

(١) صحيح مسلم ١٧٦٢/٤ رقم الحديث: (٢٢٤٦).

(٢) مشارق الأنوار على صحاح الآثار: ٣٠٣/٢.

(٣) سورة الفتح آية: ١٠.

(٤) لسان العرب مادة ( ي د ي ) .

(٥) المفردات ص: ٥٥٢ .

(٦) معجم ألفاظ القرآن: ٦ / ٣٠٤ .

(٧) أساس البلاغة مادة: (أ ي د) .

(٨) مشارق الأنوار على صحاح الآثار: ٣٠٣/٢.

وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم بهذا المعنى في عدة مواضع منها قوله تعالى:

﴿ فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾<sup>(١)</sup>

اليمين من المشترك اللفظي الذي يفصل فيه السياق (اليمين)، وجاء منه في الحديث عن رسول الله ﷺ قال: « جَاوَرْتُ بِحِرَاءِ شَهْرًا فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي نَزَلْتُ فَاسْتَبَطَنْتُ بَطْنَ الْوَادِي، فَتَوَدِدْتُ، فَنَظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي فَلَمْ أَرِ أَحَدًا، ثُمَّ تُودِدْتُ فَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرِ أَحَدًا، ثُمَّ تُودِدْتُ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا هُوَ عَلَى الْعَرْشِ فِي الْهَوَاءِ - يَعْنِي جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَأَخَذْتَنِي رَجْفَةً شَدِيدَةً فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: دَثُرُونِي . فَدَثُرُونِي

فَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ<sup>(٢)</sup> ﴿ يَأْتِيهَا الْمُدَّثِرُ ﴾<sup>(٣)</sup> قَرَفَانْدِرٌ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ

فَكَبِيرٌ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهَّرٌ ﴿٣﴾ ..<sup>(٣)</sup>

فاليمين هنا بمعنى الجهة اليمنى . جاء في اللسان: اليمين نقيض اليسار والعرب تقو : أخذ فلان يمينا وأخذ يساراً<sup>(٤)</sup> ويقال جلس عن يمينه أي في جهة يمينه، وكذلك يقال: جلس ذات اليمين أي في هذه الجهة<sup>(٥)</sup> .

وقد وردت بنفس المعنى في القرآن الكريم في عدة مواضع منها قوله تعالى: ﴿ قَالُوا

إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴾<sup>(٦)</sup>

ومن ذلك أيضاً قوله ﷺ : « إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ »<sup>(٧)</sup>

(١) سورة البقرة آية: ٢٣٧ .

(٢) صحيح مسلم : ١ / ١٤٤ رقم الحديث ( ١٦١ ) .

(٣) سورة المدثر آية: ١، ٢، ٣، ٤ .

(٤) لسان العرب مادة ( ي م ن )

(٥) المفردات مادة ( ي م ن ) ص: ٥٥٤ .

(٦) سورة الصافات آية : ٢٨ .

(٧) صحيح مسلم: ٣ / ١٥٩٨ رقم الحديث ( ٢٠٢٠ ) .

وقوله ﷺ: « سَبَعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَابٌ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّبَا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالَ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ . وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ » .<sup>(١)</sup>

جاء في اللسان : يمين الإنسان وغيره : يده اليمنى ، والجمع أيمان وأيمن ويمائن .. قال ابن الأثير : كل ما جاء في القرآن والحديث من إضافة اليد واليمين وغير ذلك من أسماء الجوارح إلى الله عز وجل فإنما هو على سبيل المجاز والإستعارة ، والله متره عن التشبيه والتجسيم<sup>(٢)</sup> واليمين أصله الجارحة<sup>(٣)</sup> .

وقد وردت اللفظة في القرآن الكريم بهذا المعنى في عدة مواضع منها قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسَى ﴾<sup>(٤)</sup> .

والمعنى الثالث القسم والحلف وسبق ذكره في الترادف.

ومن ذلك (الساعة) حيث يوجه السياق معنى الساعة في قول رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ - أَوْ أَمْسَيْتُمْ - فَكُفُّوا صَبِيَانَكُمْ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنْ اللَّيْلِ فَخَلُّوهُمْ وَأَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُعْلَقًا وَأَوْكُوا قَرَبَكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ وَخَمِّرُوا آبِنَتَكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ وَلَوْ أَنْ تَعْرَضُوا عَلَيْهَا شَيْئًا وَأَطْفِقُوا مَصَابِيحَكُمْ »<sup>(٥)</sup> .

إلى: جزء من أجزاء الليل والنهار، والجمع ساعات وسياح، وتصغيرها سويعة والساعة في الأصل تطلق بمعنيين، أحدهما أن تكون عبارة عن جزء من أربعة وعشرين جزءا هي مجموع اليوم واللييلة ، والثاني: أن تكون عبارة عن جزء قليل من النهار أو الليل<sup>(٦)</sup>، وقد وردت هذه

(١) صحيح مسلم : ٧١٥/٢ رقم الحديث ( ١٠٣١ ) .

(٢) لسان العرب مادة ( ي م ن ) .

(٣) المفردات مادة( ي م ن ) ص: ٥٥٤ .

(٤) سورة طه آية : ١٧ .

(٥) صحيح مسلم: ١٥٩٥ / ٣ رقم الحديث ( ٢٠١٢ ) .

(٦) لسان العرب ( س و ع )



اللفظة في القرآن الكريم بهذا المعنى في مواضع شتى منها قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا

يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ووجهها السياق في حديث أخر إلى يوم بعينه في قول الرسول الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا»<sup>(٢)</sup>.

فالساعة: الوقت الذي تقوم فيه القيامة ، والساعة اسم للوقت الذي يصعق فيه العباد، والوقت الذي يبعثون فيه وتقوم فيه القيامة ، سميت ( ساعة ) لأنها تفاجأ الناس في ساعة فيموت الخلق كلهم عند الضمة الأولى . وقال الزجاج : معنى الساعة في كل القرآن الكريم : الوقت الذي تقوم فيه القيامة ، يريد أنها ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم ، فلقلة الوقت الذي تقوم فيه سماها ساعة<sup>(٣)</sup>.

وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم بهذا المعنى في عدة مواضع منها قوله تعالى :

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْصِرُنَا عَلَيَّ مَا فَرَطْنَا فِيهَا﴾<sup>(٤)</sup>.

### الهدى:

و من الأسماء التي يوجه معناها السياق قَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «مَا كَانَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ كَانَ لَهُ حَوَارِيُّونَ يَهْتَدُونَ بِهَدْيِهِ وَيَسْتُنُونَ بِسُنَّتِهِ»<sup>(٥)</sup>.

فلان يهدي هدي فلان : أي يفعل مثله ويسير سيرته، وما أحسن هديه أي: سمته وسكونه، و فلان حسن الهدى أي: الطريقة والسيرة<sup>(٦)</sup>

ولم ترد هذه اللفظة في القرآن الكريم بهذا المعنى .

(١) سورة الأعراف آية : ٣٤.

(٢) صحيح مسلم : ١/ ٣٧١ رقم الحديث: (١٥٧).

(٣) لسان العرب (س و ع) .

(٤) سورة الأنعام آية : ٣١.

(٥) صحيح مسلم : ١ / ٧٠ رقم الحديث: (٥٠).

(٦) لسان العرب مادة ( ه د ي )

ويوجهها السياق لمعنى آخر في موضع آخر منها : عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا قَالَتْ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ فَمِنَّا مَنْ أَهَلَ بِعُمْرَةٍ وَمِنَّا مَنْ أَهَلَ بِحَجٍّ حَتَّى قَدِمْنَا مَكَّةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " مَنْ أَحْرَمَ بِعُمْرَةٍ وَلَمْ يُهْدِ فَلْيَحِلِّلْ وَمَنْ أَحْرَمَ بِعُمْرَةٍ وَأَهْدَى فَلَا يَحِلُّ حَتَّى يَنْحَرَ هَدْيَهُ وَمَنْ أَهَلَ بِحَجٍّ فَلْيُتِمَّ حَجَّهُ " . (١)

والهدى هنا: ما أهدي إلى مكة من النعم، الواحدة هدية وهدية (٢) والهدى: مختص بما يهدي إلى البيت.

فالهدى هو ما يهدي ويساق على البيت الحرام من الإبل والبقر لينحر ويذبح هناك ويتصدق بلحومه ، وهو أيضا ما يلزم الناسك ذبحه في الحرم من الإبل والبقر والغنم لأمر وقع في بعض شئون النسك أو لقتل الصيد (٣)

وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم بهذا المعنى في عدة مواضع منها قوله تعالى :

﴿ فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِفُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ۗ ﴾ (٤)

واللفظتان من أصل اشتقاقي واحد لذلك قيل: "إن الفيصل بين الفرق بين المشترك

اللفظي يرجع إلى الصيغة والاشتقاق والسياق" (٥).

ومن الأدوات المشتركة التي يبين السياق معناها (ما) ولها معاني كثيرة:

- أن تكون استفهاماً مثل: ما صنعت؟.
- أن تكون بمعنى الجزاء وتسمى شرطية مثل: (ما تصنع أصنع).

(١) صحيح مسلم : ٢ / ١٩٠٢ رقم الحديث ( ١٢٢٩ ) .

(٢) لسان العرب مادة ( ه د ي )

(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم ص ١٩٥ .

(٤) سورة البقرة آية : ١٩٦ .

(٥) الكلمة (دراسة معجمية) ص: ١٢٨ .

- موصولة بمعنى الذي لغير العاقل كقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾<sup>(١)</sup> وقد

تستعمل ما في موضع من للعاقل كقوله تعالى ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

ومن ذلك قَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحَى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَلَا أُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا»<sup>(٣)</sup>.

يبين السياق أن معنى (ما) موصولة، قال الشيخ أكمل الدين: (ما) في قوله (ما) كانت) موصولة أي: التي كانت<sup>(٤)</sup>.

وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ جَلَسَ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً فَتَعَاهَدَنَ وَتَعَاقَدَنَ أَنْ لَا يَكْتُمَنَّ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئًا قَالَتِ الْأُولَى: زَوْجِي لَحْمٌ جَمَلٌ غَثٌّ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ وَعَرٍ لَا سَهْلٌ فَيُرْتَقَى وَلَا سَمِينٌ فَيُنْتَقَلُ ..... قَالَتِ الْعَاشِرَةُ: زَوْجِي مَالِكٌ وَمَا مَالِكٌ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ لَهُ إِبِلٌ كَثِيرَاتُ الْمَبَارِكِ قَلِيلَاتُ الْمَسَارِحِ إِذَا سَمِعْنَ صَوْتَ الْمِزْهَرِ أَيْقَنَنَّ أَنَّهُنَّ هَوَالِكٌ<sup>(٥)</sup>.

يوجه السياق معنى (ما) الاستفهام الذي يراد به التعظيم والمدح.

فـ(ما) هنا، مثل قوله تعالى: ﴿مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾<sup>(٦)</sup> و﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾<sup>(٧)</sup>

عَنْ ابْنِ شِمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ، قَالَ حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ . فَبَكَى طَوِيلًا، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ؛ فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ أَمَا بَشَرَكُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَذَا؟ أَمَا بَشَرَكُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَذَا؟ قَالَ: فَأَقْبَلَ بَوَجْهِهِ . فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا نَعُدُّ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ إِيَّيْ قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلَاثٍ لَقَدْ رَأَيْتَنِي، وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنِّي وَلَا

(١) سورة الشمس آية: ٥.

(٢) سورة النحل آية: ٩٦، المقتضب: ٨٢، ٨٩/١.

(٣) صحيح مسلم: ٤/٢٢٦٠ رقم الحديث (٢٩٤١).

(٤) عقود الزبرجد: ٨١/٢.

(٥) صحيح مسلم: ٤/١٨٩٦ - ١٨٩٩ رقم الحديث (٢٤٤٨).

(٦) سورة الواقعة آية: ٢٧.

(٧) سورة القارعة آية: ٢.

أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدْ اسْتَمَكَنْتُ مِنْهُ فَقَتَلْتُهُ فَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلَأُبَايِعَكَ . فَبَسَطَ يَمِينَهُ - قَالَ - فَقَبَضْتُ يَدِي . قَالَ " مَا لَكَ يَا عَمْرُو..... " (١).

فالذي يظهر من السياق أن (ما) في قول عمرو بن العاص: " إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ " موصولة.

قال أبو البقاء: " (شهادة) مرفوع لا غير، لأنه خبر (إن) تقديره: إن أفضل الأشياء شهادة أن لا إله إلا الله. و (ما) بمعنى الذي. و (نعد) صلتها، والعائد محذوف. أي: نعه، ولا يجوز أن ينصب شهادة بنعد لأنه يصير من صلة الذي، فيحتاج إلى خبر، وليس في اللفظ خبر، ولا لتقديره معنى " (٢).

عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرَعَ نَعَالِهِمْ » . قَالَ « يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ ؟ » . قَالَ « فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ » (٣).

فما هنا استفهامية، بدليل حاجتها إلى إجابة وهو قوله ﷺ: " فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ » .

وما أصلاً وضعت لغير العاقل، وقد ظهر في السياق استخدامها للعاقل، ويظهر ذلك جلياً واضحاً من سياق الحديث حيث خاطب الرسول ﷺ الصحابة وهم يعقلون في هذا الحديث عن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ » . قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ . فَقَالَ « إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ » (٤).

(١) صحيح مسلم : ١/١١٢، رقم الحديث: (١٢١).

(٢) إعراب الحديث النبوي ص: ٣٠٦.

(٣) صحيح مسلم : ٤/٢٢٠٠، ٢٢٠١ رقم الحديث ( ٢٨٧٠ ) .

(٤) المرجع السابق : ٤/١٩٩٧ رقم الحديث ( ٢٥٨١ ) .

وقوله : « أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ؟ » ، كذا صحت الرواية ب ( ما ) فقد وضعت هنا على من يعقل ، وأصلها لما لا يعقل .

والمفلس : اسم فاعل من أفلس ، إذا صار مفلساً ، أي : افتقر ، وكأنه صارت دراهمه فلوساً .<sup>(١)</sup>

وقد جاء ذلك في القرآن الكريم كقوله تعالى ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِمَّنِ الْنِسَاءِ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقد يوجه السياق معنى ( ما ) لمعنى ( ليس ) قال ﷺ : " مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا : اللَّهُمَّ أَعْطِ مَنْفَقًا خَلْفًا ، وَيَقُولُ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْسِكًا تَلْفًا " <sup>(٣)</sup> .

ومثله قوله ﷺ : " مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنْ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ " <sup>(٤)</sup> . يظهر السياق أن ( ما ) في الحديثين السابقين بمعنى ( ليس ) . وتقديره حسب المعنى : ليس يوم موصوف بهذا الوصف يتزل فيه أحد إلا ملكان يقولان : كيت وكيت ، فحذف المستثنى منه ودلّ عليه بوصف الملكين يتزلان " <sup>(٥)</sup> .

وفي الحديث الثاني أي : ليس يوم أكثر إعتاقاً منه يوم عرفة " <sup>(٥)</sup> .

وفي حديث حذيفة قال : حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَفْعِ الْأَمَانَةِ قَالَ : « يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْوَكْتِ ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجَلِّ كَجَمْرِ دَخَرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَتَنْفِطُ فَتَرَاهُ مُتَبَرِّأً وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ - ثُمَّ أَخَذَ حَصَى فَدَخَرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ - فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ لَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا . حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ مَا أَجْلَدُهُ مَا أَظْرَفُهُ مَا أَعْقَلُهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ » <sup>(٦)</sup> .

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم : ٧٥/١ - ٧٦ .

(٢) سورة النساء آية : ٢٢

(٣) صحيح مسلم : ٢ / ٩٨٣ رقم الحديث ( ١٣٤٨ ) .

(٤) ينظر : شرح الطيبي : ٨٥/٤ ، ٨٦ .

(٥) المرجع السابق : ٣١٤/٥ .

(٦) صحيح مسلم : ١ / ١٢٦ ، رقم الحديث : ( ١٤٣ ) .

فقوله " مَا أَجْلَدُهُ مَا أَظْرَفُهُ مَا أَعْقَلُهُ " يبين السياق كون (ما) تعجبية ، فهم في ذلك الزمان يتعجبون من عقله وانفراده بالإمانة.

فالسباق لم يغب في أحاديثه صلى الله عليه وسلم، وهو بدوره أوصل كل المعاني التي أرادها خير البرية.

المطلب الثالث

الاشتراك في الأفعال

إن الطريق الأمثل للوصول إلى المعاني المرادة في الأفعال المشتركة هو الاحتكام إلى السياق ومن تلك المعاني التي أبرزها السياق. (قبض) فالمعنى الأول لها : ضم وجمع : فَعَنُ عَلِيٌّ بِنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُعَاوِيَّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: رَأَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَأَنَا أَعْبَثُ بِالْحَصَى فِي الصَّلَاةِ فَلَمَّا انْصَرَفَ نَهَانِي فَقَالَ اصْنَعْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصْنَعُ . فَقُلْتُ وَكَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصْنَعُ قَالَ كَانَ إِذَا جَلَسَ فِي الصَّلَاةِ وَضَعَ كَفَّهُ الْيُمْنَى عَلَى فَخِذِهِ الْيُمْنَى وَقَبَضَ أَصَابِعَهُ كُلَّهَا وَأَشَارَ بِإصْبَعِهِ الَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ وَوَضَعَ كَفَّهُ الْيُسْرَى عَلَى فَخِذِهِ الْيُسْرَى (١).

وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ في قصة سارة مع الجبار: " فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَأَتَتْ بِهَا فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الصَّلَاةِ فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ لَمْ يَتَمَالِكْ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا فَقَبِضَتْ يَدَهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً فَقَالَ لَهَا ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي وَلَا أَضْرُكَ . فَفَعَلَتْ فَعَادَ فَقَبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَةِ الْأُولَى، فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ فَفَعَلَتْ، فَعَادَ فَقَبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ فَقَالَ ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي فَلَكَ اللَّهُ أَنْ لَا أَضْرُكَ " (٢).

قبضت الشيء: جمعته وزويته (٣). والقبض: خلاف البسط، وعن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» (٤).

(١) صحيح مسلم: ٤٠٨/١، رقم الحديث: (٥٨٠).

(٢) المرجع السابق: ٤/١٨٤٠، ١٨٤١ رقم الحديث: (٢٣٧١).

(٣) الصحاح مادة: (ق ب ض) .

(٤) صحيح مسلم: ٤/٢١١٣، رقم الحديث: (٢٧٥٩).

وقبض الطائر جناحه: جمعه<sup>(١)</sup>، وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم بهذا

المعنى في عدة مواضع منها: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْضُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾<sup>(٢)</sup>

ويقودها السياق لمعنى الأخذ والاستلام في حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْجِعْرَانَةِ مُنْصَرَفَةً مِنْ حُنَيْنٍ وَفِي ثَوْبٍ بِلَالٍ فَضَةٌ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْبِضُ مِنْهَا يُعْطِي النَّاسَ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ اعْدِلْ . قَالَ « وَيَلْكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ اَعْدِلُ لَقَدْ خَبِتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ اَعْدِلُ »<sup>(٣)</sup> .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَنْ ابْتِغَى طَعَامًا فَلَا يَبِغُهُ حَتَّى يَقْبِضَهُ »<sup>(٤)</sup> .

قبضت الشيء قبضاً: أخذته، والقبض: تناول للشيء بيدك ملامسة، والقبضة: ما أخذت بجمع كفك كله، قال ابن الإعرابي: القبض: قبولك المتاع وإن لم تحوله<sup>(٥)</sup> . وقبض اليد على الشيء جمعها بعد تناوله<sup>(٦)</sup> .

وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم بهذا المعنى في عدة مواضع منها قوله

تعالى: ﴿فَقَبِضَتْ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾<sup>(٧)</sup>

ووردت بمعنى تميت في قوله ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَالُ فِي أُمَّتِي فَيَمُكُّهُ أَرْبَعِينَ - لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا - فَيَبِغُ اللَّهُ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةٌ بِنُ مَسْعُودٍ فَيَطْلُبُهُ فَيَهْلِكُهُ ثُمَّ يَمُكُّ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عِدَاوَةٌ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قَبْلِ الشَّامِ فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبِضَتْهُ حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبَدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ»<sup>(٨)</sup>

(١) ينظر: لسان العرب مادة: (ق ب ض) .

(٢) سورة البقرة آية ٢٤٥ .

(٣) صحيح مسلم : ٢ / ٧٤٤ رقم الحديث ( ١٠٦٤ )

(٤) المرجع السابق:

(٥) لسان العرب مادة: (ق ب ض) .

(٦) المفردات ص: ٣٩٢، مادة: ق ب ض) .

(٧) سورة طه آية: ٩٦ .

(٨) صحيح مسلم : ٤ / ٢٢٥٨ - ٢٢٥٩ رقم الحديث ( ٢٩٤٠ ) .



فـ "قبض فلان أي مات" (١).

ولم ترد هذه اللفظة في القرآن الكريم بهذا المعنى والله أعلم.

وقد تكون بمعنى (يترع) عَنْ حُدَيْفَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَفْعِ الْأَمَانَةِ قَالَ: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتَقْبُضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ فَيَظِلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتَقْبُضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ فَيَظِلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ كَحَجَرٍ دَخَرَجْتُهُ عَلَى رِجْلِكَ فَانْفِطَ فَتَرَاهُ مُتَنَبِّراً وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ - ثُمَّ أَخَذَ حَصَى فَدَخَرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ - فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَّبِيعُونَ لَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ إِنَّ فِي بَنِي فُلَانَ رَجُلًا أَمِينًا. حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ مَا أَجْلَدَهُ مَا أَظْرَفَهُ مَا أَعْقَلَهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ» (٢).

وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَرِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» (٣).

قد بين في الحديث كيفية رفع العلم وأنه يقبض ويترع لا بمحوه من الصدور بل بموت العلماء، ويتعاطى الجهال مناصب العلماء في الفتيا والتعليم فيفتون بالجهل ويعلمونه فينتشر الجهل (٤).

ومن الأفعال (يقضي)، فقد فرّق السياق بين معانيها، فهو مشترك بين عدد من المعاني فعن أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ: إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَاللَّهُ الْمَوْعِدُ كُنْتُ رَجُلًا مَسْكِينًا أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى مِلءِ بَطْنِي، وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَشْعَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ، يَشْعَلُهُمُ الْقِيَامُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يَسْطُ ثَوْبُهُ فَلَنْ يَنْسَى شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي». فَبَسَطْتُ ثَوْبِي حَتَّى قَضَى حَدِيثَهُ ثُمَّ ضَمَمْتُهُ إِلَيَّ فَمَا نَسِيتُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ. (٥).

(١) الصحاح مادة: (ق ب ض) .

(٢) سبق تخريجه ص: ٣١٢ من البحث.

(٣) صحيح مسلم: ٤/٢٠٥٨ .

(٤) إكمال إكمال المعلم: ٧/١٠٧ .

(٥) صحيح مسلم ٤/١٩٣٩، رقم الحديث: (٢٤٩٢).

عَنْ عَتَبَانَ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَلَقَيْتُ عَتَبَانَ فَقُلْتُ حَدِيثُ بَلْعَنِي عَنْكَ قَالَ أَصَابَنِي فِي بَصْرِي بَعْضُ الشَّيْءِ فَبَعَثْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنِّي أَحِبُّ أَنْ تَأْتِيَنِي فَتُصَلِّيَ فِي مَنْزِلِي فَأَتَّخِذَهُ مُصَلِّيًّا - قَالَ - فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ وَمَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِهِ فَدَخَلَ وَهُوَ يُصَلِّي فِي مَنْزِلِي، وَأَصْحَابُهُ يَتَحَدَّثُونَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ أَسْنَدُوا عَظْمَ ذَلِكَ وَكَبْرَهُ إِلَى مَالِكِ بْنِ دُخَشِيمٍ قَالُوا وَدُّوا أَنَّهُ دَعَا عَلَيْهِ فَهَلَكَ وَوَدُّوا أَنَّهُ أَصَابَهُ شَرٌّ . فَقَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّلَاةَ وَقَالَ: « أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ » . قَالُوا: إِنَّهُ يَقُولُ ذَلِكَ وَمَا هُوَ فِي قَلْبِهِ . قَالَ: « لَا يَشْهَدُ أَحَدٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَيَدْخُلَ النَّارَ أَوْ تَطْعَمَهُ »<sup>(١)</sup> .

قضاء الشيء: إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه، قال الأزهري: القضاء في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه وكل ما أحكم علمه أو أتم أو أنفذ أو أمضى فقد مُضي .. وقد يكون بمعنى الفراغ تقول: قضيت حاجتي .. وقضي فلان صلاته أي فرغ منها<sup>(٢)</sup> وقضى الأمر يقضيه: عمله أو أداه كاملاً<sup>(٣)</sup> .

وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم بهذا المعنى في عدة مواضع منها قوله تعالى: ﴿

فَإِذَا قُضِيَتْمْ مَنَسِكَكُمُ فَاذْكُرُوا اللَّهَ ۖ﴾<sup>(٤)</sup>

والمعنى الثاني يوضحه سياق الحديث فعن أم سلمة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مِمَّا أَسْمَعُ مِنْهُ فَمَنْ قَطَعْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَحِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ بِهِ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ »<sup>(٥)</sup> .

(١) صحيح مسلم: ٤/١٩٣٩، رقم الحديث: (٢٤٩٢).

(٢) ينظر: لسان العرب مادة: (ق ض ي)

(٤) معجم ألفاظ القرآن: ٥١/٥.

(٤) سورة البقرة آية: ٢٠٠.

(٥) صحيح مسلم: ٣/١٣٣٧، رقم الحديث: (١٧١٣).

فأقضي بمعنى فأحكم. فالقضاء: الحكم، يقال قضى يقضي فهو قاض، إذا حكم وفصل وقضى عليه يقضي قضاءً أو قضية<sup>(١)</sup>.. وقضى بين المتخاصمين، حكم أو فصل وقضى الله شيء، أوجبه وأمر به<sup>(٢)</sup>.

وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم بهذا المعنى في عدة مواضع منها قوله تعالى:

وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴿٣﴾

وجاءت بمعنى أدى فعن خباب قال كان لي على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضاه فقال لي لن أقضيك حتى تكفر بمحمد - قال - فقلت له إنني لن أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث. قال وإنني لمبعوث من بعد الموت فسوف أقضيك إذا رجعت إلى مال ووكد. قال وكيع كذا قال الأعمش قال فنزلت هذه الآية (أفرايت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً) إلى قوله (ويأتينا فرداً)<sup>(٤)</sup>.

قضى الغريم دينه قضاءً: أداه، من القضاء وهو انقطاع الشيء وتمامه، وقضى فلان دينه، تأويله: أنه قطع ما لغريمه عليه وأداه وقطع ما بينه وبينه<sup>(٥)</sup>.

ولم يرد هذه اللفظة في القرآن الكريم بهذا المعنى.

وقد تأتي بحسب السياق بمعنى (مات) فعن عائشة - رضي الله عنه - قالت: كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى منا إنسان مسح يمينه ثم قال «أذهب البأس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً». فلما مرض رسول الله ﷺ وثقل أخذت يده لأصنع به نحو ما كان يصنع فانتزع يده من يدي ثم قال: «اللهم اغفر لي واجعلني مع الرفيق الأعلى». قالت: فذهبت أنظر فإذا هو قد قضى<sup>(٦)</sup>.  
قضى بمعنى مات.

(١) ينظر: لسان العرب مادة: (ق ض ي)

(٢) معجم ألفاظ القرآن ٥ / ٥١ .

(٣) سورة الإسراء آية: ٢٣

(٤) صحيح مسلم: رقم الحديث: (٢٧٩٥).

(٥) لسان العرب مادة: (ق ض ي).

(٦) صحيح مسلم ٤/١٧٢١، ١٧٢٢، رقم الحديث: (٢١٩١).

وجاء بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ﴾<sup>(١)</sup>.

-وجاء الفعل يعود لمعانٍ يفسرها السياق منها : أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: حَمَلْتُ عَلَىٰ فَرَسٍ عَتِيقٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَضَاعَهُ صَاحِبُهُ فَظَنَنْتُ أَنَّهُ بَائِعُهُ بِرُخْصٍ فَسَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: « لَا تَبْتَعُهُ وَلَا تُعْذُ فِي صَدَقَتِكَ فَإِنَّ الْعَائِدَ فِي صَدَقَتِهِ كَالْكَلْبِ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ »<sup>(٢)</sup>.

وعن أنس عن النبي ﷺ قال: « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حِلَاوَةَ الْإِيمَانِ، مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ »<sup>(٣)</sup>.

عاد إليه يعود عودة وعودا : راجع، وقد عاد له بعدما كان أعرض عنه ، وعاد إليه وعليه عودا وعيادا وإعادة<sup>(٤)</sup>

ومع تأكيد السياق لهذا المعنى، فهناك رواية أخرى بنفس المعنى للإشارة إليه.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ كَانَ يُحِبُّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَمَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَمَنْ كَانَ أَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْجَعَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ »<sup>(٥)</sup>.

وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم بهذا المعنى في عدة مواضع منها قوله تعالى :

﴿وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ﴾<sup>(٦)</sup>.

وفي حديث آخر بمعنى يزور المريض، من ذلك عن مصعب بن سعد عن أبيه -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ دَخَلَ عَلَىٰ سَعْدٍ يَعُودُهُ بِمَكَّةَ فَبَكَى قَالَ: « مَا يُبْكِيكَ؟ ». فَقَالَ: قَدْ

(١) سورة الأحزاب آية: ٢٣.

(٢) صحيح مسلم: ١٢٣٩/٣، رقم الحديث: (١٦٢٠).

(٣) المرجع السابق: ٦٦/١، رقم الحديث: (٤٣).

(٤) ينظر: لسان العرب مادة: (ع و د)

(٥) صحيح مسلم: ٦٦/١، رقم الحديث: (٤٣).

(٦) سورة الأنفال آية: ١٩.

## المبحث الثالث

أثر السياق في الأضداد وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأضداد في الحروف.

المطلب الثاني: الأضداد في الأسماء.

المطلب الثالث: الأضداد في الأفعال.

## المبحث الأول الأضداد في الحروف

الضد هو: كل شيء ضاداً شيئاً ليغلبه<sup>(١)</sup> ويقال: لقي القوم أضدادهم وأندادهم أي: أقرانهم<sup>(٢)</sup>.

وفي المصباح المنير: الضد هو النظير والكفاء. والجمع أضداد. والضد خلافه. و (ضادّه) (مضادّة) إذا باينه مخالفة، و (المتضادان) اللذان لا يجتمعان كالليل والنهار<sup>(٣)</sup>. والتضاد أن يطلق اللفظ الواحد على المعنى وضده<sup>(٤)</sup>، غير أن اللفظ من الأضداد له معنيان أحدهما نقيض الآخر، أي أن الاختلاف بينهما اختلاف تضاد لا اختلاف تنوع وتغاير كما هي الحال في المشترك اللفظي<sup>(٥)</sup>.

وقد يطلق الأضداد على لفظين مختلفين نطقاً ومتضادين معنى كالشاشة والعبوس والمقبل والمدبر<sup>(٦)</sup>.

وعدّ بعضهم الأضداد من المشترك اللفظي، بما أنها تعني في اصطلاح اللغويين العرب الكلمات التي يدل كل منها على معنيين متباينين، أو متعاكسين متناقضين، مثل لفظة (جون) التي تدل على الأسود والأبيض، و (المولى) التي تطلق على العبد والسيد.....

(١) لسان العرب مادة (ض د)، وتاج العروس من جواهر القاموس، محمد الزبيدي، تحقيق: د. عبد العزيز مطر، (مطبعة حكومة الكويت، ١٩٧٠م) مادة: (ض د) ٠

(٢) الألفاظ الكتابية، عبد الرحمن الهمداني (لبنان: بيروت: المكتب الإسلامي، دار الهدى للطباعة والنشر) مادة: (ض د) ص: ٢٩٦، ٢٩٨.

(٣) المصباح المنير ص: ١٨٩.

(٤) ينظر: الأضداد في اللغة ص: ٩٩، وعلم الدلالة ص: ١٩١.

(٥) ينظر: فقه اللغة العربية، كاصد الزبيدي، (منشورات جامعة الموصل، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) ص: ١٥٢.

(٦) الألفاظ الكتابية ص: ٢٩٦.

و (الجلل) التي تطلق على الكبير والصغير ، و (الزوج) التي تطلق على الرجل وعلى المرأة فيقال : " الرجل زوج المرأة والمرأة زوج الرجل ... " (١).

فهذه الكلمات وأمثالها تجري كما ينص السيوطي : "بجري الحروف التي تقع على المعاني المختلفة وإن لم تكن متضادة، فلا يعرف المعنى المقصود منها إلا بما يتقدم الحروف ويتأخر بعده مما يوضح تأويله" (٢). لما تنطوي عليه من تعدد أو اختلاف المعنى .

قوله السابق يؤكد مدى اهتمام العلماء القدماء بالسياق، وتطيفه على الدراسات اللغوية.

والضد كما تحدث عنه بعض اللغويين العرب لا يعني النقيض أو العكس بصفة مطلقة فهناك أصناف عدت من الأضداد ، مع أنها لا تفيد معنى التناقض أو العكس ، وإنما يدل كل لفظ منها على معنيين متباينين يربط بينهما رابط معين من قريب أو بعيد ، كما يحصل لكثير من باقي الألفاظ المشتركة المعاني ، مثال ذلك : كلمة (الظعينة) التي تدل على الهودج وعلى المرأة في الهودج ، و كلمة (الكأس) التي تطلق على الإناء ذاته وعلى ما فيه من الشراب (٣).

ومما بين السياق أن في معناه دلالة على الضدين؛ حديث أبي حميد الساعدي -رضي الله عنه- قال: استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأزدي على صدقات بني سليم يدعى ابن الأبيية فلما جاء حاسبه قال هذا مالكم وهذا هدية . فقال رسول الله ﷺ: « فهاً جلس في بيت أهلك وأملك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً » . ثم خطبنا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: « أما بعد فإنني استعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله فيأتي فيقول هذا مالكم وهذا هدية أهديت لي . أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً والله لا يأخذ أحد منكم منها شيئاً بغير حقه إلا لقي الله تعالى يحمله يوم القيامة فلا عرف أحد منكم لقي الله يحمله بغيراً له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر » . ثم رفع يديه حتى رئي بياض إبطيه ثم قال « اللهم هل بلغت » (٤) .

(١) كتاب الأضداد، ص ٣٧٤ . يحتوي هذا الكتاب على (٣٥٧) من الأضداد، المزه: ١/٣٨٧ ..

(٢) المزه في علوم اللغة ، ١/٣٩٩ .

(٣) لمزيد من التفصيل حول هذه المسألة ينظر د . احمد عبد الرحمن حماد ، عوامل التطور اللغوي ، دراسة في نمو

وتطور الثروة اللغوية ( بيروت : دار الأندلس، ١٤٠٣/١٩٨٢ )، ص ص ٧١ - ٨٤ .

(٤) صحيح مسلم: ٣/١٤٦٣، ١٤٦٤، رقم الحديث: (١٨٣٢) .

قال سيويه بأن (هل) بمعنى (قد)، إلا أنهم تركوا الألف قبلها؛ لأنها لا تقع إلا في الاستفهام<sup>(١)</sup>.

وقد جاءت كذلك في حديث أفصح الناطقين -صلى الله عليه وسلم- فهو لا يطلب من الصحابة الإجابة<sup>(٢)</sup> ولكنه يشهد ربّ الأرض والسماء على تبليغ الرسالة، وتأدية الأمانة. وعن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - يقول: "كَانَ النَّاسُ يُسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ، وَشَرٌّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ قَالَ: « نَعَمْ » فَقُلْتُ هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ قَالَ: « نَعَمْ وَفِيهِ دَخْنٌ ». قُلْتُ وَمَا دَخْنُهُ؟ قَالَ: « قَوْمٌ يَسْتُنُونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ ». فَقُلْتُ هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ قَالَ: « نَعَمْ دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا ». فَقُلْتُ: « يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا ». قَالَ: « نَعَمْ قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا ». قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ قَالَ: « تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ »<sup>(٣)</sup>.

تكررت في حديث الصحابي (هل) ثلاث مرات، وجميعها يظهرها السياق بجلاء ووضوح دالة على الاستفهام وهي:

فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: « نَعَمْ » فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: « نَعَمْ وَفِيهِ دَخْنٌ ».

فَقُلْتُ هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: « نَعَمْ دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا ».

فهو يستفهم عن أمور يجهلها، ومعلم الإنسانية -صلى الله عليه وسلم- يبين له ويفسر. إذن هل "تكون استفهاماً، وتكون للتحقيق بمعنى "قد". يقول ابن الأنباري: "تكون استفهاماً عن ما يجهله الإنسان ولا يعلمه، فيقول: هل قام عبد الله؟ ملتصقاً للعلم وزوال الشك. وتكون "هل" بمعنى "قد" في حال العلم واليقين وزوال الشك. فأما كونها على الاستفهام فلا يحتاج فيه إلى شاهد. وأما كونها على معنى "قد" فشاهده قول الله عز وجل:

(١) الكتاب: ٣/١٨٩، وشرح المفصل: ١٠١/٥.

(٢) صحيح مسلم ٣/١٤٧٥. رقم الحديث (١٨٤٧).



﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ﴾<sup>(١)</sup> قال جماعة من أهل العلم، معناه: قد أتى على الإنسان<sup>(٢)</sup>.

و(أو) يوجهها السياق أن تكون بمعنى الشك، أو تكون معطوفة في الشيء المعلوم الذي لاشك فيه، وجعلها ابن الأنباري من الأضداد<sup>(٣)</sup>.

ومما وجهه السياق بالشك قوله ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَالُ فِي أُمَّتِي فَيَمُكُّثُ أَرْبَعِينَ - لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا - فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ غُرُورَةٌ بِنُ مَسْعُودٍ فَيَطْلُبُهُ فَيَهْلِكُهُ ثُمَّ يَمُكُّثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عِدَاوَةٌ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِّنْ قِبَلِ الشَّامِ فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِّنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبِضَتْهُ حَتَّىٰ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّىٰ تَقْبِضَهُ»<sup>(٤)</sup>.

فالرسول - صلى الله عليه وسلم - شك ولا يعلم المدة التي سيمكثها الدجال في الأرض ولكنه متيقن أنه لن يبقى على وجه الأرض من في قلبه مقدار الررة من خير أو إيمان إلا أماته.

ومما جاء من السياق في العطف على ما هو معلوم، في الحديث عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ». قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَنْفُسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا». قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ. قَالَ: «تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ». قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: «أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ؟» قَالَ: «تَكْفُ شَرَكٌ عَنِ النَّاسِ؛ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ»<sup>(٥)</sup>.

وقد يقود السياق بعض الحروف للتضاد، مع أنها في الأصل ليست كذلك، ومن ذلك عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَوْ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ شَكََّ الْأَعْمَشُ، قَالَ: لَمَّا كَانَتْ غُرُورَةٌ تَبُوكُ أَصَابَتِ النَّاسَ مَجَاعَةٌ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَذْنَتْ لَنَا فَفَنَحَرْنَا نَوَاضِحَنَا فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "افْعَلُوا"، قَالَ: فَجَاءَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ

(١) سورة الإنسان آية: ١.

(٢) الأضداد ص: ١٢٣.

(٣) المرجع السابق ص:

(٤) صحيح مسلم ٤/ ٢٢٥٨ - ٢٢٥٩ رقم الحديث (٢٩٤٠).

(٥) سبق تخريجه ص: ٥٤.

إِنَّهُمْ فَعَلُوا قَلَّ الظُّهُرُ ، وَلَكِنَّ اذْعُهُمْ بِفَضْلِ أَرْوَادِهِمْ ، ثُمَّ اذْعُ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَةِ ، فَلَعَلَّ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ خَيْرًا ، قَالَ : فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّطْعَ فَبَسَطَ ، ثُمَّ دَعَاها بِفَضْلِ أَرْوَادِهِمْ ، قَالَ : فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ الذَّرَّةِ ، وَالْآخِرُ يَجِيءُ بِكَفِّ التَّمْرِ ، وَالْآخِرُ بِالْكَسْرَةِ ، حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النَّطْعِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ : ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِ بِالْبَرَكَةِ ، ثُمَّ قَالَ : " خذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ " ، قَالَ : فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي الْعَسْكَرِ وَعَاءً إِلَّا مَلْئُوهُ ، قَالَ : وَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ، وَفَضَلَتْ مِنْهُ فَضْلَةٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ لَا يَلْقَى بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍ فَيُحْجَبُ عَنِ الْجَنَّةِ " (١).

وَعَنْ عِتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَلَقَيْتُ عِتْبَانَ فَقُلْتُ حَدِيثُ بَلْعَنِي عَنْكَ قَالَ أَصَابَنِي فِي بَصَرِي بَعْضُ الشَّيْءِ فَبَعَثْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنِّي أَحِبُّ أَنْ تَأْتِيَنِي فَتُصَلِّيَ فِي مَنْزِلِي فَاتَّخَذَهُ مُصَلِّيًّا - قَالَ - فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَمَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِهِ فَدَخَلَ وَهُوَ يُصَلِّي فِي مَنْزِلِي وَأَصْحَابُهُ يَتَحَدَّثُونَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ أَسْنَدُوا عَظْمَ ذَلِكَ وَكَبْرَهُ إِلَيَّ مَالِكُ بْنُ دُخَشِيمٍ قَالُوا وَدُّوا أَنَّهُ دَعَا عَلَيْهِ فَهَلَكَ وَوَدُّوا أَنَّهُ أَصَابَهُ شَرٌّ . فَقَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّلَاةَ وَقَالَ « أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ » . قَالُوا إِنَّهُ يَقُولُ ذَلِكَ وَمَا هُوَ فِي قَلْبِهِ . قَالَ « لَا يَشْهَدُ أَحَدٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ فَيَدْخُلَ النَّارَ أَوْ تَطْعَمَهُ » (٢).

فقوله: " دَعَا عَلَيْهِ بِالْبَرَكَةِ " نفس المعنى في " ثُمَّ اذْعُ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَةِ " ، فهو الدعاء لصالحهم، ونقيضها في الحديث الثاني: " وَدُّوا أَنَّهُ دَعَا عَلَيْهِ فَهَلَكَ " فهو الدعاء عليه، وليس له، وقد فهم من استخدام حرفي الجر: (اللام) و(على). يقول د. محمد الأمين الخضري: " وهما نقيضان أي: (اللام وعلى) فيما جرى به لسان العرب من استخدام (اللام) فيما يعود بالنفع، وعلى فيما يجلب الضرر، انطلاقاً من معنى الاختصاص والملك والاستحقاق في اللام، ومعنى العلو على الشيء والاستيلاء عليه والقهر له في (على)؛ ومن ثم قوبل بينهما في قوله تعالى: " لها ما كسبت ..... " (٣).

(١) صحيح مسلم ٥٦/١، ٥٧. رقم الحديث (٢٧).

(٢) المرجع السابق: ١٩٣٩/٤، رقم الحديث: (٢٤٩٢).

(٣) سورة البقرة آية: ٢٨٦، من أسرار حروف الجر في القرآن الكريم ص: ٨٣.

والذي يراه البحث علاوة على كلام الدكتور أن (على) من الأضداد حيث ظهر ذلك في الحديث الأول.

ومما سبق يظهر مدى تأثير السياق على الأحرف في التراكيب، والتي قد يفهم منه معنى التضاد.

## المبحث الثاني الأضداد في الأسماء

للسياق دور في إيضاح معاني الألفاظ والقول بتضادها؛ ومما جاء من ذلك في الأسماء:  
- كلمة المسيح تولى السياق توجيه معناها فعن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال: «أَرَانِي لَيْلَةً عِنْدَ  
الْكَعْبَةِ فَرَأَيْتُ رَجُلًا آدَمَ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَأَيْتَ مِنْ أَذْمِ الرِّجَالِ، لَهُ لِمَّةٌ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَأَيْتَ  
مِنَ اللَّمَمِ، قَدْ رَجَّلَهَا فَهِيَ تَقْطُرُ مَاءً، مُتَكِمًا عَلَى رَجُلَيْنِ - أَوْ عَلَى عَوَاتِقِ رَجُلَيْنِ - يَطُوفُ  
بِالْبَيْتِ فَسَأَلْتُ مَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ: هَذَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ . ثُمَّ إِذَا أَنَا بِرَجُلٍ جَعَدَ قَطَطُ أَعْوَرِ  
الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، فَسَأَلْتُ مَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ: هَذَا الْمَسِيحُ الدَّجَالُ» (١).

فهنا أظهر السياق تسمية عيسى - عليه السلام - بالمسيح، وكذلك أطلق على الدجال بالمسيح.  
فـ " الْمَسِيحُ : الصِّدِّيقُ ، وَبِهِ سُمِّيَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : وَالْمَسِيحُ الْأَعْوَرُ ، وَبِهِ  
سُمِّيَ الدَّجَالُ ، وَقَالَ شَمْرٌ : سُمِّيَ عِيسَى الْمَسِيحَ لِأَنَّهُ مُسِحَ بِالْبِرْكَةِ .

وعن أبي الهيثم أنه قال : الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ : الصِّدِّيقُ ، وَضَدَ الصِّدِّيقِ الْمَسِيحُ الدَّجَالُ أَي  
الضَّالُّ الْكَذَّابُ ، خَلَقَ اللَّهُ الْمَسِيحَيْنِ أَحَدَهُمَا ضِدَّ الْآخَرِ ، فَكَانَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ يُبْرِئُ  
الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَيُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَكَذَلِكَ الدَّجَالُ يُحْيِي الْمَيِّتَ ، وَيَمِيتُ الْحَيَّ  
، وَيُنْشِئُ السَّحَابَ ، وَيُنْبِتُ النَّبَاتَ ، فَهِيَ مَسِيحَانِ : مَسِيحُ الْهُدَى ، وَمَسِيحُ الضَّلَالَةِ قَالَ  
لِي الْمُنْذِرِيُّ : فَقُلْتُ لَهُ بَلْغَنِي أَنَّ عِيسَى إِنَّمَا سُمِّيَ مَسِيحًا ، لِأَنَّهُ مُسِحَ بِالْبِرْكَةِ ، وَسُمِّيَ  
الدَّجَالُ مَسِيحًا ، لِأَنَّهُ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ ، فَأَنْكَرَهُ وَقَالَ : إِنَّمَا الْمَسِيحُ ضِدُّ الْمَسِيحِ ، يُقَالُ مَسَحَهُ  
اللَّهُ أَيَّ خَلَقَهُ خَلْقًا حَسَنًا مُبَارَكًا (٢).

(١) صحيح مسلم : ١/١٥٤ ، ١٥٥ رقم الحديث : (١٦٩).

(٢) تهذيب اللغة مادة : (م س ح).

- من ذلك أيضاً كلمة السحر التي بينها السياق في الحديث النبوي لمعنيين متضادين :

فالحديث الأول أن رسول الله ﷺ قال: « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ » . قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: « الشِّرْكَ بِاللَّهِ، وَالسُّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْعَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ »<sup>(١)</sup> .

والحديث الثاني قال رسول الله ﷺ: « إِنْ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَقَصَرَ خُطْبَتُهُ مِثْنَةٌ مِنْ فِقْهِهِ، فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ، وَأَقْصِرُوا الْخُطْبَةَ، وَإِنْ مِنْ الْبَيَانِ سِحْرًا »<sup>(٢)</sup> .

قال ابن الأنباري: " والسَّاحِر من الأضداد، يقال: ساحر للمذموم المفسد، ويقال: ساحر للممدوح العالم"<sup>(٣)</sup> .

و للعلماء في معنى هذا الحديث قولين ، بناء على فهم كل منهم لقول النبي صلى الله عليه وسلم.

فالقول الأول هو: جاء هذا الحديث في معرض ذم البلاغة، إذ شبهها النبي صلى الله عليه وسلم بالسحر ، والسحر محرم مذموم ، وذلك لما فيها من تصوير الباطل في صورة الحق واستدلوا على ذلك بإدخال مالك له في موطنه في باب ما يكره من الكلام<sup>(٤)</sup> .  
القول الثاني: إن الحديث جاء على وجه المدح والحث على تحيير الألفاظ ، والتأنق في الكلام. قال الخطابي: " مما لا ريب فيه أنه جاء على وجه المدح له ، وكذلك مصراعه الذي يازائه لأن عادة البيان غالباً أن القرينين نظماً لا يفترقان حكماً "<sup>(٥)</sup> .

والذي يقبله السياق هو القول الثاني فهو ما يوجه المعنى، ولعل سياق الحال يضرب بسهم وافر للوصول إلى المعنى الصحيح، وقد قال ابن عبد البر: وأبي جمهور أهل الأدب والعلم بلسان العرب إلا أن يجعلوا قوله صلى الله عليه وسلم: (( إن من البيان لسحراً )) مدحاً

(١) صحيح مسلم : ١/٩٢، رقم الحديث: (٨٩).

(٢) المرجع السابق : ٢/٥٩٤ رقم الحديث: (٨٦٩).

(٣) الأضداد ص: ٢٠٨.

(٤) ينظر : معالم السنن : ٤/ ١٣٦ .

(٥) ينظر : المرجع السابق ٤/ ١٣٧ .



قال الشيخ ولي الدين العراقي: "الذي يظهر لي أنه إنما أتى بقوله (الذي لا يجري) بعد (الدائم)؛ لأن الدائم من الأضداد يطلق على الجاري أيضاً كما نقله القاضي عياض في المشارق والأنباري .

و كلمة مولى وجه السياق معناها إلى معنيين متضادين؛ فالأول قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « إِذَا أَدَّى الْعَبْدُ حَقَّ اللَّهِ وَحَقَّ مَوْلِيهِ كَانَ لَهُ أَجْرَانِ »<sup>(١)</sup>.  
والثاني: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ اسْقِ رَبِّكَ أَطْعِمِ رَبِّكَ وَضِيَّ رَبِّكَ . وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ رَبِّي . وَلَيَقُلْ سَيِّدِي مَوْلَايَ وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ عَبْدِي أُمَّتِي . وَلَيَقُلْ فَتَايَ فَتَاتِي غُلَامِي »<sup>(٢)</sup>.

ففي الحديث الأول المولى : مولى النعمة وهو المعتق أنعم على عبده بعتقه ، والمولى في الدين هو الولي والمولى الذي يلي عليك أمرك<sup>(٣)</sup> والمولى : المنعم<sup>(٤)</sup> والمولى للمرء هو الذي يقوم ويعينه ، والجمع موالي<sup>(٥)</sup>

وفي الحديث الثاني: المولى : المعتق ، انتسب بنسبك ، والمولى مولى المولاة وهو الذي يسلم على يديك ويواليك ، والجمع موالي<sup>(٦)</sup> والمولى المنعم عليه<sup>(٧)</sup>

وامتلاً صحيح مسلم بالأضداد التي جرت على لسان أفصح الخلق فعن أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رضي الله عنه - عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي

(١) صحيح مسلم ١٢٨٥/٣، رقم الحديث: (١٦٦٦).

(٢) المرجع السابق: ١٧٦٥/٤، رقم الحديث: (٢٢٤٩).

(٣) لسان العرب مادة ( و ل ي )

(٤) ثلاثة كتب في الأضداد للأصمعي والسجستاني ولابن السكيت، ويليهما ذيل الأضداد للصغاني، (لبنان: بيروت: دار

الكتب العلمية، ١٩١٢م) ص : ٢٤ .

(٥) معجم ألفاظ القرآن الكريم ٦ / ٢٩٣ .

(٦) لسان العرب مادة ( و ل ي )

(٧) ثلاثة كتب في الأضداد ص ٢٤ .

وَحَطَّيْ وَعَمْدِي وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا  
أَعْلَنْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»<sup>(١)</sup>.

وواضح من السياق التضاد في جدي وهزلي ؛ حيث ذكر ابن السكيت: الجد والهزل من الأضداد<sup>(٢)</sup>.

والتضاد في الصدق والكذب في قوله ﷺ: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى  
الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ صِدْقًا وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ  
يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ كَذَابًا»<sup>(٣)</sup>.

والكثير الكثير من الأضداد التي يوجهها السياق لهذه المعاني.

(١) صحيح مسلم: ٤/٢٠٨٧، رقم الحديث: (٢٧١٩).

(٢) الألفاظ الكتابية ص: ٢٩٧.

(٣) صحيح مسلم: ٤/٢٠١٢، ٢٠١٣، رقم الحديث: (٢٦٠٧).



### المبحث الثالث

### الأضداد في الأفعال

إن مجالات السياق في الكشف عن غموض المعنى متعددة وحاضرة في أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومما رصده السياق في الأفعال الفعل (بيع) حيث جاء لمعنيين متضادين :

الأول عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: « إِذَا تَبَايَعَ الرَّجُلَانِ فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا وَكَانَا جَمِيعًا أَوْ يُخَيَّرُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ فَإِنْ خَيْرَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ فَتَبَايَعَا عَلَى ذَلِكَ فَقَدْ وَجَبَ الْبَيْعُ وَإِنْ تَفَرَّقَا بَعْدَ أَنْ تَبَايَعَا وَلَمْ يَتْرُكْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا الْبَيْعَ فَقَدْ وَجَبَ الْبَيْعُ »<sup>(١)</sup>.

المعنى الأول: البيع المعروف فقد ورد في عدد كبير من الأحاديث النبوية.

يقول ابن الأنباري ( بعت ) من الأضداد ، يقال : بعت الشيء ، على المعنى المعروف عند الناس<sup>(٢)</sup>.

وقال صلى الله عليه وسلم: " .. ولا يبيع حاضر، لباد " <sup>(٣)</sup>.

وقال صلى الله عليه وسلم: " لا يبيع الرجل على بيع أخيه ، ولا يخطب على خطبة أخيه إلا بإذنه " <sup>(٤)</sup>.

المعنى الثاني: (ضد الشراء) " والبيع ( الشراء ) أيضا وهو من الأضداد ... بعت الشيء : شريته أبيعُه بيعا ومبيعا ، وهو شاذ وقياسه مُباعا<sup>(٥)</sup> فالبيع هو استبدال مال بمال على صفة مخصوصة ... وربما سمي الشراء بيعاً عند العرب<sup>(٦)</sup>.

(١) صحيح مسلم: ١١٦٣/٣، رقم الحديث: (١٥٣١).

(٢) الأضداد ص: ١٢٢.

(٣) صحيح مسلم : ١١٥٧ / ٣ ، رقم الحديث : (١٥٢٠) .

(٤) صحيح مسلم : ١٠٣٢ / ٢ ، رقم الحديث ( ١٤١٢ ) .

(٥) لسان العرب مادة ( ب ي ع ) .

(٦) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، عبدالرحمن بن الجوزي، تحقيق: محمد الراضي، (لبنان: بيروت:

مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٩٨٤م) ص: ١٤٩ .

ويقول ابن الأنباري : " وبعث الشيء : إذا ابتعته ، وقيل لجرير : من أشعر الناس ، قال : الذي يقول :

وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَبِعْ لَهُ      بَتَاتًا وَلَمْ تَضْرِبْ لَهُ وَقْتَ مَوْعِدِ

أراد : من لم تشتتر له ، والبتات : الزاد ، وقال الفراء : سمعت أعرابياً يقول : بَعُ لي تَمْرًا بدرهم ، أي : اشتر لي تَمْرًا<sup>(١)</sup> .

وقال أبو زيد وأبو عبيدة : يقال بعث الشيء إذا بعته من غيرك وبعته إذا اشتريته . قال كثير :

فِيَا عَزُّ لَيْتَ النَّأْيُ إِذْ حَالَ بَيْنَنَا      وَبَيْنَكَ بَاعَ الْوَدِّ مِنْكَ تَاجِرٌ<sup>(٢)</sup>

يقول : اشترى منك الود ، ويقال : بعث الشيء وأخذت ثمنه إذا أخرجته من يدي ، وبعض العرب يقول : بعث الشيء اشتريته<sup>(٣)</sup> .

وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم في عدة مواضع ولكن على لفظة

الاسم وهو ( البيع ) وليست بلفظة الفعل ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا

الْبَيْعُ مِثْلَ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾<sup>(٤)</sup> .

-ومن الأفعال التي وجهها السياق في أحاديث مختلفة لمعنيين متضادين (يضع) والمعنيان هما:

المعنى الأول : أسقط ومحا ، وردت بهذا المعنى في عدة مواضع من الأحاديث النبوية قال قوله

ﷺ : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ حَكَمًا مُقْسِطًا؛ فَيَكْسِرَ

الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ»<sup>(٥)</sup> .

(١) الأضداد لابن الأنباري ص ٧٣ .

(٢) البيت من البحر الطويل الأضداد للأصمعي ص: ٣٠٠ .

(٣) ثلاثة كتب في الأضداد ص ٢٩ .

(٤) سورة البقرة آية : ٢٧٥ .

(٥) سبق تخريجه ص: ١٠ من البحث .

وضع عنه الدين والدم وجميع أنواع الجناية ، يضعه وضعاً : أسقطه عنه ، وفي الحديث ( إن كنت وضعت الحرب بيننا وبينه ) أي أسقطتها<sup>(١)</sup> ووضع الله عنك همك وكربك : نفاه عنك ، ووضع عنك الذنب : عفا عنك<sup>(٢)</sup>

وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم بهذا المعنى في عدة مواضع منها قوله تعالى ﴿ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ﴾<sup>(٣)</sup>

المعنى الثاني : أثبت :وردت هذه اللفظة في عدة مواضع قال النبي صلى الله عليه وسلم : " لا تزال جهنم يلقى فيها؛ وتقول: " هل من مزيد" حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فيتروى بعضها إلى بعض وتقول : قط قط " .<sup>(٤)</sup>

الوضع : ضد الرفع ، وضعه يضعه وضعاً ، وضع الشيء في المكان : أثبت فيه<sup>(٥)</sup> . ويقال : وضع الشيء في هذا المكان جعله فيه وأثبته ، ويقال من هذا : وضع الشيء : أثبته وقرره<sup>(٦)</sup> وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم بهذا المعنى في عدة مواضع منها قوله ﴿ وَالْأَرْضَ وَوَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾<sup>(٧)</sup>

والسياق هو المؤثر الأول في بيان المعاني في الأحاديث حتى لو لم تكن متضادة في حالة الأفراد فمن ذلك أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ « وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ . أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذُنُوبِي فَاعْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعاً إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ وَاصْرِفْ عَنِّي

(١) لسان العرب مادة ( و ض ع ) .

(٢) معجم ألفاظ القرآن ٦ / ٢٥٦ .

(٣) سورة الشرح آية : ٢ .

(٤) صحيح مسلم: ٤٠٠/٢١٨٨ رقم الحديث: (١٨٤٨) .

(٥) لسان العرب ( و ض ع )

(٦) معجم ألفاظ القرآن : ٦ / ٢٥٦ .

(٧) سورة الرحمن آية : ١٠ .

سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ لَبِيتُكَ وَسَعَدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ  
إِلَيْكَ أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» (١)

فالفعل اهد هنا يضاد الفعل اصرف ، وأحسن يضاد سيء ويلاحظ هنا أن الفعل اصرف لا يضاد الفعل اهد حرفياً ولكن لما كان الفعل "اهد" منصبا على ضمير المتكلم ومن الأدب النبوي ، والدوق الرفع ألا يصب الصرف على نفسه جعله إلى سيء الأخلاق ، ومعلوم أن الإنسان إذا صرف عن شيء أو صرف شيء عنه لم يهد إليه ، فيكون التضاد من خلال المعنى المقتبس. فبالأساس الذي تقوم عليه الدلالة هو المعنى، لأنه يخضع للسياق الذي ورد فيه.

وفي يحب ويغض تضاد، «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ إِنِّي أَحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ - قَالَ - فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ . فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ - قَالَ - ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ . وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ إِنِّي أَبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ - قَالَ - فَيَبْغِضُوهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ - قَالَ - فَيَبْغِضُونَهُ ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبُغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ» (٢).

وفي افترقا واجتمعا تضاد فعن النبي ﷺ قال «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَبَا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالَ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ . وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» (٣).

ولعل في هذه الكثرة في ذلك ما يكشف عن قيمة السياق، ودوره في أداء المعاني.

(١) صحيح مسلم: ٥٣٤/١، ٥٣٥، رقم الحديث: (٧٧١).

(٢) صحيح مسلم: ٢٠٣٠/٤، رقم الحديث (٢٦٣٧).

(٣) المرجع السابق: ٧١٥/٢ رقم الحديث (١٠٣١).

ويقول أكثر أئمة اللغة بوجود التضاد في كلام العرب، ومن هؤلاء الخليل، وسيبويه، وقطرب وغيرهم<sup>(١)</sup>. بل عدها ابن فارس من سنن العرب<sup>(٢)</sup>.

فمهما أنكر البعض هذه الظاهرة، وبالغ آخرون بالقول بكثرتها، فبعد استقراء كلام نينا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كان ذلك حجة بالغة على من أنكر الأضداد، بل هي موجودة " ليس في اللغة العربية وحدها ، وإنما في اللغات السامية على عمومها، والنصوص الموروثة ونشاطات هذه اللغات على اختلافها تجسدها"<sup>(٣)</sup>.

ثم إن من أهم الأسباب التي دفعت اللغويين إلى التأليف في الأضداد ، هو ورود طائفة منها في القرآن الكريم، وقد صرح بذلك أبو حاتم السجستاني (ت: نحو ٢٥٥ هـ) في مقدمة كتابه في الأضداد ، حيث قال : " حملنا على تأليفه أنا وجدنا من الأضداد في كلامهم والمقلوب شيئاً كثيراً ، فأوضحنا ما حضر منه إذا كان يجيء في القرآن (الظن) يقيناً وشكاً " و(الرجاء) خوفاً وطمعاً ، وهو مشهور في كلام العرب "<sup>(٤)</sup>

وأعطى أمثلة على ذلك : في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ ﴿٥﴾ مدح الشاكين في لقاء ربهم وإنما المعنى (يستيقنون) ، وكذلك في صفة ((من أوتي كتابه بيمينه من أهل الجنة ﴿ هَآؤُمْ أَقْرَأُ وَأَكْتَبِيَّةٌ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ ﴿٦﴾ يريد (إني أيقنت) " ولو كان شاكاً لم يكن مؤمناً، وأما قوله: "قلتم ما ندري ما أساعة ﴿٧﴾ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا ﴿٧﴾

(١) ينظر /كمال، د. يحيى، التضاد في ضوء اللغات اللغات السامية(بيروت، ١٩٧٥م) ص: ١٨.

(٢) ينظر:الصاحبي ص: ١١٧.

(٣) ينظر د. يحيى كمال ، التضاد في ضوء اللغات اللغات السامية : دراسة مقارنة ( بيروت : دار النهضة العربية ١٩٧٥م) .

(٤) الأضداد له ص: ٧٢.

(٥) سورة البقرة آية: ٤٥-٤٦.

(٦) سورة الحاقة آية: ١٩-٢٠.

(٧) الجاثية آية: ٣٢.

فهؤلاء شكّاكٌ كُفارٌ<sup>(١)</sup>. والقارىء للأحاديث النبوية يرى الكم الهائل الذي جاء على لسان سيد المرسلين والآخرين مما يؤيد وجود هذه الظاهرة التي لولا السياق وغيره من القرائن لم تبرز بمعاني مختلفة.

وبعد ذلك كله لابد من تطبيق نظرية السياق في كل الدراسات اللغوية والفقهيّة؛ فإهماله يؤدي إلى الغموض في فهم المعنى المراد.

ورفض القول القائل باستبعاد السياق من الدراسة الدلالية، فمن قالوا بذلك فقد تصدى لهم (بالم) قائلاً: "من السهل أن نسخر من النظريات السياقية - مثلما فعل بعض العلماء، وأن نرفضها باعتبارها غير عملية. لكن من الصعب أن نرى كيف يمكننا أن نرفضها دون إنكار الحقيقة الواضحة التي تقول بأن معنى الكلمات و الجمل يرتبط بعالم التطبيق"<sup>(٢)</sup>. وفي مقابل ذلك يبالغ البعض بأنه "الكلمات لا معنى لها على الإطلاق خارج مكانها في النظم"<sup>(٣)</sup>.

وفي هذا بعد بالسياق عن دوره ووظيفته؛ والطريق الوسط في ذلك أن يجعل السياق في منزلته دون أن يقدم على غيره من العوامل الأخرى من صوتية وصرفية ونحوية.

(١) الأضداد ص: ٧٢.

(٢) أعضاء على الدراسات اللغوية المعاصرة، د. نايف خرما، (الكويت: سلسلة عالم المعرفة، ط: ١٩٧٩، م٢). ص: ٢٩. نقلاً عن بالم: علم الدلالة ٨٠.

(٣) دور الكلمة في اللغة ص: ٥٧.

العلماء

الحمد لله الذي نزل أحسن الحديث، وأودع درر بيانه في محكم الحديث، والصلاة والسلام على من علمنا معاني الحياة، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.  
أما بعد:

فقد تكوّن هذا البحث (أثر السياق في توجيه المعنى) دراسة تطبيقية في صحيح مسلم من: مقدمة وتمهيد وأربعة فصول، وقد استخلصت منها نتائج هذا البحث مرتبة كالتالي:

### أولاً: نتائج التمهيد:

١- إن تدبر معاني النصوص الشرعية وإدراك مقاصدها ودلالاتها، وفهم أحكامها ومداركها يسهم السياق فيها إسهامًا كبيرًا .

٢- إن المعنى اللغوي للسياق يلتقي مع معناه الاصطلاحي، فكلٌّ منهما يهدف إلى الوصول إلى غاية محددة، فالسياق في معناه اللغوي هو التابع للوصول إلى شيء معين، والسياق كمصطلح هو الوصول إلى فهم معاني الألفاظ الماثرة في الخطاب.

٣- أسبقية علماء العربية للحديث عن السياق والاعتداد به منذ القرن الأول الهجري ابتداءً بما روى مسلم بن يسار - رحمه الله - (ت: ١٠٠هـ)، ومرورًا متأنياً بأراء الخليل وتلميذه سيبويه، وانتهاءً بعلمائنا الحديثين كتمام حسّان.

٤- إن علاقة المعنى بالسياق علاقة قوية، فهما حقيقتان متحدتان، والعناية بأحدهما عناية بالآخر، والاهتمام يجب أن يقسم بالتساوي بينهما إذ ليست منزلة المعنى دون منزلة السياق والعكس صحيح.

٥- المكانة العالية التي احتلها صحيح مسلم بين مصنفات الحديث، وتأتي أهميته لاحتوائه على الأصل الثاني للتشريع في الإسلام، وهو المفسر للأصل الأول، مما يعنى ارتباط فهم الحديث بحياة الأمة، وأهمية النتائج التي تترتب على فهمه.

### ثانياً: نتائج الفصل الأول (أثر السياق في المستوى الصوتي):

١- إن دراسة الصوت اللغوي في إطار علاقاته السياقية أي ما يسمى بالسياق الصوتي، توجه المعنى المراد، ولا عبرة لمن يقول: إنه لا قيمة للعبارات بعيدة عن سياقها، بل المعنى المعجمي معنى حاضر، وقد يقرره السياق داخل التركيب، أو يكون له معنى آخر بما يفرضه السياق.



٢- إن القول بالقيمة التعبيرية للصوت الواحد لا يكون إلا بمعونة السياق، ومهما يكن من أمر إثبات هذه القضية أو إنكارها أو الوقوف منها موقفا وسطا فإن ذلك لا يكون إلا عند النظر في السياق حين تدرج هذه الأصوات في جمل ليعرف المراد منها. ولعل علماء العربية عندما قالوا بذلك كانوا يتحدثون عن نظرية الفونيم بمفهومها الحديث، وهي أن الفونيم هو أصغر وحدة صوتية عن طريقها يمكن التفريق بين المعاني. فكثير من ألفاظ اللغة تتحد من حيث مكوناتها وتختلف في وحدة صوتية صغرى يتغير بموجبها معنى هذه الكلمات بما يفرضه السياق.

٣- إن الحديث في أثر السياق والتنغيم دليل على أن علماء العربية طرّقوا باب الموضوعات التي تعتبر من منجزات علم اللغة الحديث، وبذلك تحفظ لهم براعتهم وأسبقيتهم في هذا المجال.

### ثالثاً: نتائج الفصل الثاني (أثر السياق في المستوى الصرفي):

١- إن الوحدات الصرفية للأفعال المزيدة تحمل معاني متعددة؛ لكن أصلها الاشتقاقي والصيغة التي صيغت بها لا تكفي غالباً لتحديد معناها تحديداً تاماً دقيقاً؛ و المورفيم بوصفه أصغر وحدة لغوية تدل على معنى لا يمكن بيان هذا المعنى إلا من خلال السياق مع تضافر الجهود.

٢- إن الوحدات الصرفية للمشتقات في العربية تستمد معناها من السياق، فيؤثر فيها ويتأثر بها؛ ومما أثيرى الدراسة مايلي:

أ) إن اسم الفاعل يحمل معنى الحدوث والثبوت، وجاء لمعنى الاستمرار في صحيح مسلم والفيصل في ذلك هو السياق وغيره من القرائن.

ب) إن الوحدة الصرفية (أفعل): هي صيغة التفضيل، وقد تخرج عن التفضيل، أو تكون بمعنى صيغة صرفية أخرى كـ (مفعول) بفضل السياق.

ج) الأصل في صيغة ( مَفْعَل ) أن تكون للزمان والمكان ولكن قد يبرزها السياق في ثوب جديد، وتوجه لمعنى المبالغة، أي أنها ليست أصلية في المبالغة، بل محولة عن المكان والزمان وهذا ما يشهد به السياق.

د) إن الوحدة الصرفية (فَعْلان) من الصيغ المشتركة بين الصفة المشبهة والمبالغة، والسياق فصل بين هذه المعاني.

٣- إن تقسيم النحاة للأفعال على أنها صيغ وألفاظ تدل على زمن ما، هو جزء من معنى الصيغة لا على زمن معين، وأن السياق والقرائن اللفظية والحالية هي وحدها التي تعين الدلالة الزمنية وتحدها، وقد أرشد السياق إلى أن الصيغ الصرفية للزمن الفعلي التي وضعها القدماء قد تخرج عما وضعت له لمعاني أخرى اقتضاها السياق وتطلبها المعنى.

### رابعاً: نتائج الفصل الثالث (أثر السياق في المستوى النحوي):

١- إن البحث لم يكن معنياً بمجرد الإسقاط لجزء من الكلام أو كله بقدر ما كان يعنيه إبراز دور السياق الفاعل في الحذف الذي ينسب إلى مضمون الحديث الشريف وتركيب اللغة على وفق قياسات وتقديرات النحويين، ولا يعني أن ثمة شيئاً كان موجوداً ثم حذف، وإنما هو أسلوب آثره من أوتي جوامع الكلم لإيصال المعنى الذي يريده بأعين عبارة وأوجزها.

٢- إن الوصول إلى المقدم والمؤخر فائدة من فوائد الأخذ بالسياق، وثمره يانعة من ثمراته؛ خصوصاً عند أمن اللبس.

٣- من المسائل التي يكثر حولها الخلاف عود الضمائر وعود الضمائر لا يجليها إلا السياق.

٤- إن توجيه الإعراب كان يضيء على الكلمة وظيفتها الإعرابية بحسب ما يقتضيه السياق ويفرضه المعنى؛ فالسياق له الأثر البالغ في توجيه الإعراب، ففي عهد الرسول صلى الله عليه وسلم لم يظهر علم النحو والصرف، ولم يكن ماثلاً أمام الصحابة-رضوان الله عليهم- غير السياق بنوعيه اللغوي وغير اللغوي.

٥- إن علاقة الإخراج قرينة معنوية على إرادة "باب المستثنى" فالمستثنى يخرج من علاقة الإسناد حين نفهم هذه القرينة المعنوية من السياق.

٦- إن المعاني التي تؤديها الأدوات جميعاً هي نوع التعبير عن علاقات في السياق، وواضح أن التعبير عن العلاقة معنى وظيفي لا معجمي يعين المراد خارج السياق؛ لأن الأدوات تحتاج إلى الضمائم، أو بعبارة أخرى ذات افتقار متأصل إلى السياق. لذلك النحاة أصروا على تعيين متعلق خاص للحار والمجرور في الإعراب.

والعلاقة بين الفعل وحرف الجر من أوثق العلاقات، وأكثرها تعاضداً، وأوثقها ترابطاً؛ ولعل ذلك ما جعل النحاة يطلق مصطلح "التعلق" للتعبير عن هذه العلاقة. ويبقى الفعل عام الدلالة، حتى تأتي الحروف فتخصص دلالاته في معنى محدد، ومن هنا تكتسب الحروف المركبة مع الأفعال أهمية بالغة.

٧- للسياق دوره في ترجيح الأوجه الإعرابية، أو رفض أحدهما، أو قبول الحالتين.

٨- قد يعود الضمير في التركيب على مقدم، أو متأخر، وقد يعود على غير مذكور. بما يوجهه السياق، وغيره من القرائن، وفي هذا المبحث يظهر بعض ثمره التقاء العلمين علم اللغة والفقه.

### خامساً: نتائج الفصل الرابع (أثر السياق في العلاقات الدلالية):

١- الترادف واقع في اللغة كما جاء في حديث أشرف الأنبياء والمرسلين، وإن كان لا يقع في كل موضع، كما أنه لا يعني اتفاق المعنى بين الحرفين، ولكن يبقى لكل حرف معناه؛ لذا قيده النحاة بشروط منعاً للخلط.

٢- إن قدرة الكلمة على التعبير عن الفكر أو المعاني المتعددة وتأهيلها للقيام بعدد من الوظائف المختلفة في حد ذاتها دليل على حيوية اللغة ورواجها.

٣- للسياق دور كبير في إيضاح معاني الألفاظ والقول بتضادها واشتراكها وترادفها.

### وهناك نتائج عامة نوجزها فيما يلي:

إن السياق أحد الجوانب الدلالية التي تحدث فيها العرب و فطنوا لها؛ ولكنهم لم يفرّدوا لها مؤلفاً مستقلاً؛ بل لقد عرف علماؤنا القدماء من نحويين وأصوليين دور السياق الفاعل في إبراز المعاني، وحفظوا لهذا السياق مكانته، فقد عبروا عن السياق بكلام آخر كله يجتمع ليصب في هذا قالب منها: (وما سوى ذلك فعارض غير ملازم لها)، (وإذا فهم ترتيب فهو بسبب أمر خارج عن الواو وليس منها)، (فحوى الكلام)، (إلا في مواضع قويت فيها الدلالة)، (على حسب الأحوال الداعية إليه والمسوغة له)، (ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه...، لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية دون الآخر)، (وقرينة الحال القوية التي لا يلتبس معها معنى بمعنى)، (ومن أقوال الأصوليين: (بحسب ما يليق تأويلها بالموضع الذي أتت به)، (وقول المخالف: إن الباء بمعنى اللام ليس بصحيح لغة ولا مساقاً)، من خلال ذلك نصل إلى أن السياق نظرية عربية، وليست مسألة فيرثية كما يظن البعض،

- للسياق دور بارز وواضح في جميع أنواع المشترك اللفظي في اللغة، سواء أكان ذلك في المعاني الجزئية للصيغ الصرفية، أما في معانيها التي تشترك فيها مع غيرها من الصيغ، أو الحروف والأسماء والأفعال المشتركة المعاني.

- إن العلاقات الدلالية تتصل اتصالاً مباشراً بالسياق ولولاه لما كُشف عن معناه.

- من العجيب أن البحث الدلالي في الحديث النبوي الشريف لا يتوقف عند حد، بحيث يكرر اللاحق كلام السابق، بل وجد الكثير عند المتقدمين والمحدثين من اللغويين.

- البعض يقول: "لا قيمة للمفردات أو العبارات بعيدة عن سياقها، فلا بد من دراسة المفردات والعبارات التي يوجهها المتكلم داخل السياق، ومن خلال الظروف المحيطة به، ومن خلال زمان ومكان التخاطب، لكي تتضح مقاصد المتكلم والمعاني المطلوب إيصالها للمخاطب والتي يرمي إليها المتكلم"<sup>(١)</sup>.

قد يصدق هذا القول على معرفة الصحابة للحديث في عهده صلى الله عليه وسلم - عندما كان بين ظهراينهم، يرون طريقة أدائه، ويشاهدون معه المواقع بأسرها فيصلون إلى معاني الألفاظ ومقاصدها.

والذي يؤيد هذا القول عدم ظهور علمي النحو والصرف وعلم الأصوات والدلالة، فالسياق بنوعيه هو المرجح الأول للمعاني، أما بعد عصر الرسول - صلى الله عليه وسلم - أصبح السياق لا ينفصل عن القرائن الأخرى، التي تعضده وتسانده.

- ظهر في هذا البحث بعض ثمرات التقاء علوم اللغة بعلم الفقه، حيث ظهر ذلك واضحاً جلياً في اعتداد الفريقين بالسياق، وقد أبدى علماء النحو إعجابهم بقواعد المحدثين والأصوليين.

- إن حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أفصح كلام بعد كلام الله - سبحانه وتعالى - والواجب أن تستنبط منه القواعد؛ لا أن يحكم عليه بأنه: "كان القياس في وقتها"؛ بل الحديث يقاس عليه، ولا يخضع لقواعد النحاة، فهو كلام من لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

(١) التصور التداولي للخطاب اللساني عند ابن خلدون ص: ٨٣.

وأما عن التوصيات : فهي الاهتمام بالدراسات اللسانية حول السنة النبوية في المستويات المختلفة الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية.

وأخيراً فهذا ما فتح المولى به ، فله الحمد أولاً وآخراً ، وظاهراً وباطناً ، ونسأله السداد والهداية لما يحب ويرضى ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ، وسلّم تسليماً كثيراً .

# فهرس المصادر والمراجع .

## أولاً: القرآن الكريم.

## ثانياً: الرسائل العلمية:

- ١- أحاديث الدعاء في الصحيحين (دراسة لغوية) رسالة دكتوراه، د. محمد بن سلمان الرحيلي، (المملكة العربية السعودية: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢٥هـ - ١٤٢٦هـ)،
- ٢- الاستفهام في الصحيحين خصائصه التركيبية ومعانيه البلاغية (دراسة بلاغية تحليلية)، د. عبد العزيز بن صالح العمار، (المملكة العربية السعودية: الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٤هـ).
- ٣- الأمر في صحيح البخاري (دراسة نحوية تطبيقية)،، مها بنت صالح الميمان (رسالة دكتوراه، جامعة الملك سعود، قسم اللغة العربية وآدابها، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م).
- ٤- بلاغة السؤال والجواب في صحيح البخاري، عبد الرحمن أحمد الصبان، (رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم الدراسات اللغوية في معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية).
- ٥- تعدد الرواية في كتب غريب الحديث وأثره في الدلالة (دراسة وصفية)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في أصول اللغة، (المملكة العربية السعودية، الجامعة الإسلامية، ت: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- ٦- دلالة السياق، د. ردة الله بن ردة الطلحي، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى: معهد البحوث، ١٤٢٤هـ).
- ٧- دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث (دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق)، د. عبدالفتاح عبدالعليم البركاوي، (القاهرة: دار المنار، ط: ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م) ..

٨- دور الحرف في أداء معنى الجملة، الصادق خليفة راشد، (رسالة دكتوراه، منشورات جامعة قاروننس).

٩- السياق وأثره في الدرس اللغوي ( دراسة في ضوء علم اللغة الحديث ) د. إبراهيم محمود خليل، (رسالة دكتوراه مقدمة إلى قسم اللغة العربية بالجامعة الأردنية) ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م).

١٠- الصفة المشبهة في العربية (دراسة وصفية تاريخية في ضوء علم اللغة الحديث)، عبد العظيم العجمي، (رسالة دكتوراه، آداب بني سويف، ١٩٩٩ م).

١١- منزلة المعنى في النحو العربي، د. لطيفة النجار، (رسالة دكتوراه بالجامعة الأردنية مقدمة إلى قسم اللغة العربية - ١٩٩٥ م).

١٢- نظرية السياق بين القدماء والمحدثين (دراسة لغوية نحوية دلالية)، د. عبد النعيم خليل، (الأسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط: ١، ٢٠٠٧ م).

١٣- الواو دراسة نحوية دلالية في المصطلح والوظيفة، عادل معتوق العيثان، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، ١٤٢٤ هـ).

### ثالثاً: الكتب المطبوعة:

١- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (لبنان: بيروت: صيدا، المكتبة العصرية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م).

٢- الأخطاء الشائعة في استعمال حروف الجر، د. محمود إسماعيل عمار، (المملكة العربية السعودية: الرياض: دار عالم الكتب، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م).



- ٣- أثر الوقف على الدلالة التركيبية، د. محمد حبص، (دار الثقافة العربية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).
- ٤- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: رجب عثمان محمد، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط: ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م).
- ٥- الأزهية في علم الحروف، علي بن محمد الهروي، تحقيق: عبدالمعين الملوحي، (سوريا: دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).
- ٦- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، العز بن عبدالسلام، (سوريا: دمشق: دار الفكر).
- ٧- الأشباه والنظائر في النحو، عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: د. فايز ترحيني، (لبنان: بيروت: دار الكتاب العربي، ط: ٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).
- ٨- أساس البلاغة، جار الله الزمخشري، تحقيق: الأستاذ: عبد الرحيم محمود، (لبنان: بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
- ٩- أساليب العطف في القرآن الكريم، د. مصطفى حميدة، (لبنان: بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، مصر: القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، دار نوبار للطباعة، ط: ١، ١٩٩٩).
- ١٠- أسباب تعدد الروايات في الحديث النبوي الشريف، د. شريف محمود القضاة، (الجامعة الأردنية).
- ١١- أسس علم اللغة، ماريوباي، ترجمة: د. أحمد مختار، (القاهرة: عالم الكتب، ط: ٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م).
- ١٢- إصلاح المنطق، يعقوب بن السكيت، تحقيق: أحمد شاكر، عبدالسلام هارون، (القاهرة: دار المعارف، ط: ٤).

- ١٣- أصول السرخسي، لأبي سهل السرخسي، تحقيق: أبو الوفا الأفغاني، (لبنان: بيروت: دار المعرفة).
- ١٤- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط: ٥، ١٩٧٩ م).
- ١٥- الأصول في النحو محمد بن سراج، تحقيق: عبد الحسين القتلي ( لبنان: بيروت، مؤسسة الرسالة، ط: ٢ ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ).
- ١٦- الأضداد، محمد الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت: المكتبة العصرية ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م).
- ١٧ - أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، د. نايف خرما، (الكويت: سلسلة عالم المعرفة، ط: ٢، ١٩٧٩ م).
- ١٨- إعراب الحديث النبوي، لأبي البقاء العكبري، تحقيق: عبدالإله نبهان، (لبنان: بيروت: دار الفكر، ط: ١، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م).
- ١٩- أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، د. فاضل مصطفى الساقى، (القاهرة: مكتبة الخانجي ، ١٩٧٧ م).
- ٢٠- الألفاظ الكتابية، عبد الرحمن الهمداني (لبنان: بيروت: المكتب الإسلامي، دار الهدى للطباعة والنشر).
- ٢١- الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى لأبي الحسن الرماني، تحقيق ودراسة: فتح الله صالح المصري، (الوفاء للطباعة والنشر، ١٩٨٧ م).
- ٢٢- الآمال الشجرية، هبة الله الشجري، (لبنان: بيروت: دار المعرفة).
- ٢٣- الأنوار الكاشفة لما في كتاب (أضواء على السنة) من الزلل والتضليل والمجازفة، عبدالرحمن المعلمي، (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٧٨ هـ).
- ٢٤- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري، (بيروت: صيدا: المكتبة العصرية، .
- ٢٥- إيضاح في علل النحو، لأبي القاسم الزجاجي، تحقيق: مازن المبارك، (لبنان: دار النفائس، ط: ٣، ١٩٧٩ م).

- ٢٦- بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزية، تحقيق: علي محمد العمران، إشراف: بكر عبدالله أبو زيد، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ط: ١، ١٤٢٥هـ).
- ٢٧- البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير، تحقيق: د. عبد الله عبد المحسن التركي (دار هجر: مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، ط: ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).
- ٢٨- البسيط في شرح جمل الزجاجي، لأبي الربيع الأشيبلي، تحقيق: د. عياد عيد الثبيتي، (لبنان: بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط: ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٥م).
- ٢٩- بناء الأسلوب في شعر الحدائق، د. محمد عبدالمطلب، (مصر: القاهرة، دار المعارف، ط: ١، ١٩٩٣م).
- ٣٠- بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين، د. عودة خليل، (الأردن: دار البشير، ط: ١، ١٤١٤هـ).
- ٣١- البيان في روائع القرآن، د. تمام حسّان، (القاهرة: مكتبة الأسرة، ٢٠٠٣م).
- ٣٢- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد الزبيدي، تحقيق: د. عبد العزيز مطر، (مطبعة حكومة الكويت، ١٩٧٠م).
- ٣٣- تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٣ هـ، الخطيب البغدادي (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية)
- ٣٤- تجديد النحو: د. شوقي ضيف، (مصر: القاهرة: دار المعارف).
- ٣٥- تحفة الأحوزي بشرح جامع الترميذي، محمد المبار كفوري، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، (دار الفكر: ط: ٣، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
- ٣٦- تحليل الخطاب، جيليان براون، ترجمة وتعليق: د. محمد لطفي الزليطني ود. منير التريكي، (الرياض: جامعه الملك سعود، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).
- ٣٧- تحليل الخطاب النبوي الشريف، د. حسام أحمد قاسم، (القاهرة: دار الآفاق العربية، ط: ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).
- ٣٨- تحويلات الطلب ومحددات الدلالة (مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف)، د. حسام أحمد قاسم، (القاهرة: دار الآفاق العربية، ط: ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).

- ٣٩- تدريب الراوي شرح تقريب النواوي، عبدالرحمن السيوطي، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، (لبنان: بيروت: دار إحياء السنة النبوية، ط: ٢، ١٣٩٩هـ).
- ٤٠- تذكرة الحفاظ، الذهبي، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي، (دار إحياء التراث العربي).
- ٤١- التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزى الكلبي، (لبنان: بيروت: دار الكتاب العربي، ط: ٢، ١٣٩٣م).
- ٤٢- التضاد في ضوء اللغات السامية: دراسة مقارنة، د. رجحي كمال، (بيروت: دار النهضة العربية ١٩٧٥م).
- ٤٣- التطبيق النحوي، د. عبده الراجحي، (لبنان: بيروت: دار النهضة العربية، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م).
- ٤٤- التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر، تحقيق د. رمضان عبد التواب، (القاهرة، ١٩٨٢م).
- ٤٥- تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: د. عبد الرزاق المهدي (لبنان: بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط: ١٤٢٣، ١-٢٠٠٢م).
- ٤٦- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، (لبنان: بيروت: دار المعرفة، ط: ٣، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م).
- ٤٧- التمهيد في علم التجويد، لحمد الجزري، تحقيق: غانم قدوري حمد (مؤسسة الرسالة ط: ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).
- ٤٨- تناوب حروف الجر في لغة القرآن الكريم، د. محمد حسن عواد، (الأردن: عمان: دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط: ١، ١٩٨٢م).
- ٤٩- تهذيب الأسماء واللغات، يحيى بن شرف النووي، (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية).
- ٥٠- تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، (دار الفكر للطباعة والنشر، ط: ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).

- ٥١- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف المزي، تحقيق: د. بشار عواد، (مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٩٩٨ م).
- ٥٢- تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، إشراف: محمد مرعب، علق عليه: عمر سلامي، عبدالكريم حامد، (لبنان: بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط: ١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م).
- ٥٣- تيسير الصرف، لأبي محمد عبدالرحمن، (مكة المكرمة: مكتبة إحياء التراث الإسلامي).
- ٥٤- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي والجرجاني، الرماني، تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول، (مصر: دار المعارف: ط: ١٩٨٦، ٢٠٠٢م).
- ٥٥- ثلاثة كتب في الأضداد للأصمعي والسجستاني ولابن السكيت، ويليهما ذيل الأضداد للصغاني، (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩١٢ م).
- ٥٦- جامع البيان عن تأويل أي القرآن، محمد الطبري. تحقيق: مكتب التبيان للدراسات الإسلامية وتحقيق التراث (حسن أبو الخير وآخرون)، (القاهرة: دار ابن الجوزي، ط: ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).
- ٥٧- الجامع الصحيح للبخاري، تحقيق: عبدالقادر شيبه الحمد، (المملكة العربية السعودية، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).
- ٥٨- الجامع المفهرس لألفاظ صحيح مسلم، د. سعد المرصفي، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- ٥٩- جدل اللفظ والمعنى (دراسة في دلالة الكلمة العربية) د. مهدي أسعد عرار، (الأردن: عمّان: دار وائل للنشر والتوزيع، ط: ٢٠٠٢، ١م).
- ٦٠- الجملة العربية والمعنى، د. فاضل صالح السامرائي، (الأردن: عمّان: دار الفكر: ط: ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).
- ٦١- جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري، (لبنان: بيروت: صيدا: المكتبة العصرية، ط: ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).

- ٦٢- الجني الداني في حروف المعاني ، تحقيق : د.فخر الدين قباوة ، وأ.محمد نديم فاضل  
(بيروت : منشورات دارالآفاق الجديدة ، ط:٢ ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).
- ٦٣- حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، محمد بن الصبان،  
(لبنان:بيروت: دار الكتب العلمية، ط:١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م).
- ٦٤- حجة الله البالغة، شاه ولي الدين الدهلوي،(لبنان:بيروت:دار المعرفة للطباعة والنشر).
- ٦٥- الحديث النبوي مصطلحه ،بلاغته ، كتبه ، محمد بن لطفى  
الصباغ،(لبنان:بيروت:المكتب الإسلامي، ط:٥، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م).
- ٦٦- الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية،محمد أبو  
زهو،(لبنان:بيروت:دار الكتاب العربي).
- ٦٧- الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين، هادي عطية  
مطر،(لبنان:بيروت:عالم الكتب :مكتبة النهضة العربية ، ط:١، ١٩٨٦م).
- ٦٨- الخصائص ،لأبي الفتح ابن جني، تحقيق :محمد علي النجار ،(لبنان: بيروت :دار  
الكتاب العربي).
- ٦٩- دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح ،( دار العلم للملايين، ط:١٩٨٣،١م).
- ٧٠- دراسة الصوت اللغوي، د. مختار عمر (القاهرة : عالم الكتب ، ١٤٢٥ هـ  
-٢٠٠٤م).
- ٧١- الدرر اللوامع على همع الهوامع، أحمد الأمين الشنقيطي،(القاهرة:المطبعة الجمالية).
- ٧٢- دلائل الإعجاز في علم المعاني ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : الشيخ محمد رشيد  
رضا ( لبنان :بيروت: دار الكتب العلمية: ط:١، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م ).
- ٧٣- دلالات التراكيب(دراسة بلاغية)، محمد أبو موسى، ( القاهرة: مكتبة وهبة، ط:٢،  
١٤٠٨هـ-١٩٨٧م).
- ٧٤- دلالة السياق، د.ردة الله بن ردة الطلحي، ( مكة المكرمة:جامعة أم القرى:معهد  
البحوث، ١٤٢٤هـ)

- ٧٥\_ الدلالة اللغوية عند العرب ، د. عبد الكريم مجاهد ، ( دار الضياء ).
- ٧٦- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد الشافعي، (لبنان: دار الفكر، الطبعة الأخيرة، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م).
- ٧٧- ديوان علقمة بن عبدة، تحقيق: سعيد مكارم، (لبنان: بيروت: دار صادر، ط: ١، ١٩٩٦م).
- ٧٨- ديوان أبي دؤاد الآيادي ، نشر جوستاف جرونيام ، ترجمة: إحسان عباس، (لبنان: بيروت: منشورات مكتبة الحياة، ط: ١، ١٩٥٩م)
- ٧٩- ديوان امرئ القيس ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار المعارف، ط: ٤)
- ٨٠- ديوان جران العود، صنعه: أبي جعفر بن حبيب، تحقيق: حمود القيسي، (منشورات وزارة الإعلام والثقافة العراقية، ط: ١، ١٩٨٢م) .
- ٨١- ديوان حاتم الطائي، تحقيق: أحمد رشاد، (لبنان: دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)
- ٨٢- ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق: علي حسن فاعور، (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- ٨٣- ديوان عمر بن أبي ربيعة (لبنان: بيروت: دار صادر).
- ٨٤- ديوان الفرزدق، (لبنان: بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).
- ٨٥- ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق: فوزي عطوي، (لبنان: بيروت: الشركة اللبنانية للكتاب، ١٩٩٦م)
- ٨٦- دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمه وقدم له وعلق عليه: د. كمال بشر. (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، ط: ١٢).
- ٨٧- الرسالة، محمد الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر (دار الفكر).

- ٨٨- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرقة، محمد الكتاني، (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ٢، ١٤٠٠هـ).
- ٨٩- رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق: أحمد محمد الخراط، (دمشق: منشورات مجمع اللغة العربية ١٣٩٤ هـ).
- ٩٠- زمن الفعل في اللغة العربية -قرائنه وجهاته، عبد الجبار توامة، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٩٤م).
- ٩١- الزمن في القرآن الكريم -دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه (القاهرة: دار الفجر: ط: ١، ١٩٩٧م).
- ٩٢- الزمن في النحو العربي، د. كمال بدري، (المملكة العربية السعودية، الرياض: ط: ١، ١٤٠٤هـ).
- ٩٣- الزمن واللغة، مالك المطليبي، (مصر: الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٦م)
- ٩٤- سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، محمد الصنعاني، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، إبراهيم الجمل، (دار الكتاب العربي، ط: ٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).
- ٩٥- سر صناعة الإعراب، ابن جني، تحقيق مصطفى السقا ومحمد الزفزاف إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين. القاهرة، نشر مصطفى الحلبي، سنة ١٩٥٤.
- ٩٦- سنن أبي داود، سليمان السجستاني، تحقيق: صدقي العطار، (دار الفكر، ط: ٢، ١٩٩٨م).
- ٩٧- سياق الحال في الدرس الدلالي (تحليل وتطبيق)، فريد عوض، (مكتبة النهضة المصرية).
- ٩٨- سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، صالح السمر، (مؤسسة الرسالة، ط: ٦، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).



- ٩٩- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل المصري تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت: صيدا: المكتبة العصرية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).
- ١٠٠- شرح أبيات سيويه، لأبي محمد السيرافي، تحقيق: د. محمد علي سلطاني، (بيروت، دمشق: دار المأمون للتراث، ١٩٧٩م)
- ١٠١- شرح التسهيل، ابن مالك الأندلسي، تحقيق: د. عبدالرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، (القاهرة: هجر للطباعة والتوزيع، ط: ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م).
- ١٠٢- شرح التصريح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد الأزهرى، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).
- ١٠٣- شرح ديوان الحماسة، المرزوقي، تحقيق: أحمد أمين، (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٧م).
- ١٠٤- شرح شاقية ابن الحاجب، رضي الدين الاسترأبادي، تحقيق: محمد نور الحسن وآخرون، (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م).
- ١٠٥- شرح شذور الذهب، محمد عبدالمنعم الجوجري، تحقيق: د. نواف جزاء الحارثي، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ط: ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م).
- ١٠٦- شرح الطيبي على المشكاة المصابيح المسمى الكاشف عن حقائق السنن الحسين الطيبي، تحقيق: أبو عبد الله محمد علي سمك، (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- ١٠٧- شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد (لبنان: بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط: ١١، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م).

- ١٠٨- شرح المفصل للزمخشري، ابن يعيش الموصللي، تحقيق: د.إميل بديع يعقوب، (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- ١٠٩- شرح مشارق الأنوار على صحاح الآثار، القاضي عياض، (القاهرة: دار التراث).
- ١١٠- شرح المقرب المسمى (التعليقة)، ابن النحاس، تحقيق: د.خيري عبدالراضي، (المدينة المنورة: مكتبة دار الزمان، ط: ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).
- ١١١- شرح الملوكي في التصريف، ابن يعيش، تحقيق: فخرالدين قباوة، (سوريا: حلب: المكتبة العربية، ط: ١، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م).
- ١١٢- الشرط في القرآن، عبدالسلام المسدي، ومحمد الهادي الطرابلسي، (ليبيا، تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٠م).
- ١١٣- شعر الكميت بن زيد الأسلمي، جمع: د. محمد داود سلوم، (لبنان: بيروت: عالم الكتب، ط: ٢، ١٤١٧هـ).
- ١١٤- الصاجي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس، تحقيق: أحمد حسن بسج، (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).
- ١١٥- صحيح مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م).
- ١١٦- صحيح مسلم بشرح الإمام النووي المسمى (المنهاج)، محي الدين النووي، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا (لبنان: بيروت: دار المعرفة).

- ١١٧- صحيح مسلم مع شرحه المسمى: إكمال إكمال المعلم، محمد الأبي، وشرحه المسمى: مكمل إكمال الإكمال، محمد السنوسي، (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية).
- ١١٨- الصوتيات والفونولوجيا، مصطفى حركات، (لبنان: بيروت، صيدا، المكتبة العصرية، ط: ١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م).
- ١١٩- صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمائته من الإسقاط والسقط، عثمان بن الصلاح، تحقيق: موفق بن عبدالله، (لبنان: بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط: ٢، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٧ م).
- ١٢٠- الصيغة الصرفية دراسة تحليلية، أحمد كشك، (دار الثقافة العربية، ١٩٩٢ م).
- ١٢١- ظاهرة التحويل في الصيغ الصرفية، د. محمود سليمان ياقوت، (الإسكندرية، ١٩٨٦ م)،
- ١٢٢- العباب الزاخر واللباب الفاخر، الحسن الصغاني، تحقيق: محمد آل ياسين، (العراق: دار الرشيد، ١٩٨٠ م).
- ١٢٣- العبر في خبر من غير، الذهبي، تحقيق: أبو هاجر محمد زغلول (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية).
- ١٢٤- العدة على إحكام الأحكام للعلامة الصنعاني، شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد، (المطبعة السلفية ١٣٧٩ هـ)
- ١٢٥- العربية وعلم اللغة النبوي (دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث)، (الأسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ط: ١، ١٩٨٨ م).
- ١٢٦- العربية والفكر النحوي (دراسة في تكامل العناصر وشمول النظرية)، د. ممدوح عبد الرحمن، (دار المعرفة الجامعية: ١٩٩٩ م)

- ١٢٧- عقيدة السلف أصحاب الحديث أو الرسالة في اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث والأئمة، لأبي عثمان إسماعيل الصابوني، تحقيق: بدر البدر، (الدار السلفية، ط: ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).
- ١٢٨- علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، (القاهرة: عالم الكتب، ط: ٢، ١٩٨٨م).
- ١٢٩- علم الصوتيات، د. عبد العزيز علام، د. عبدالله ربيع (المملكة العربية السعودية: الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)
- ١٣٠- علم اللغة بين التراث والمعاصرة، مدكور عاطف، (القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٧م)
- ١٣١- علم اللغة العام (القسم الثاني الأصوات )، ( مصر: دار المعارف ، ط: ٢ ، ١٩٨٦م ) .
- ١٣٢- عوامل التطور اللغوي ، دراسة في نمو وتطور الثروة اللغوية ( بيروت : دار الأندلس، ١٩٨٢/١٤٠٣).
- ١٣٣- علم الدلالة ، بالمر، ترجمة: د. صبري إبراهيم السيد ، ( دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٩ م).
- ١٣٤- علم الدلالة بين النظر والتطبيق، د. أحمد نعيم الكراعين، (لبنان: بيروت: ط: ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).
- ١٣٥- علم الأصوات ، د. محمد أحمد محمود ، (دار إشبيليا للنشر والتوزيع ، ط: ١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م).
- ١٣٦- علم اللغة مقدمة القاريء العربي، د. محمود السعران (بيروت: دار النهضة العربية).
- ١٣٧- عقود الزبرجد في إعراب الحديث النبوي، عبدالرحمن السيوطي، تحقيق: د. سلمان القضاة، (لبنان: بيروت: دار الجيل، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).
- ١٣٨- عمدة القاريء شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، تحقيق: (دار الكتب العلمية، ط: ٢٠٠١م)

- ١٣٩- فاتحة الإعراب في إعراب الفاتحة، الاسفرايني، تحقيق: عفيف عبدالرحمن، (منشورات جامعة اليرموك، ١٩٨١م).
- ١٤٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز بن بن عبد الله باز ومحب الدين الخطيب رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها: محمد فؤاد عبد الباقي (دار الفكر).
- ١٤١- فتح الملهم شرح صحيح مسلم، شبير أحمد الديوبندي، (الهند: مكتبة الحجاز).
- ١٤٢- الفروسية المحمدية، ابن قيم الجوزية، تحقيق: زائد النشيري، إشراف: بكر أبو زيد، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ط: ١، ١٤٢٨هـ).
- ١٤٣- الفروق في اللغة، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، (لبنان: بيروت: ط: ٥، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).
- ١٤٤- الفعل زمانه وأبنيته: د، إبراهيم السامرائي، (لبنان: بيروت: مؤسسة الرسالة، ط: ٣، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).
- ١٤٥- الفعل والزمن، عصام نور الدين، (لبنان: صيدا: المؤسسة الجامعية، المكتبة العميرية، ط: ١، ١٩٦٤م).
- ١٤٦- الفعليات، د. محمود عبدالسلام شرف الدين، (مصر: القاهرة: ١٩٨٠م).
- ١٤٧- الفعلية في العربية، (موقع المنشاوي للدراسات والبحوث، ٢٠٠٣، ٢٠٠٤م).
- فقه اللغة العربية، كاصد الزبيدي، (منشورات جامعة الموصل، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
- ١٤٨- فقه اللغة من قضايا الدلالة، د. عيد محمد الطيب، (مصر: القاهرة: مكتبة النهضة المصرية).

- ١٤٩- فقه اللغة وخصائص العربية (دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التحدد والتوليد)، محمد المبارك، (دار الفكر)
- ١٥٠- في أصول النحو، سعيد الأفغاني، (منشورات جامعة البعث، ١٩٩١م).
- ١٥١- في النحو العربي نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي، (لبنان: صيدا: المكتبة العصرية: ط: ١، ١٩٦٤م).
- ١٥٢- في نحو اللغة وتراكيبها، د. خليل أحمد عميره، (المملكة العربية السعودية: جدة: عالم المعرفة، ١٩٨٤م). ١٩٤٤م.
- ١٥٣- القاموس المحيط، محمد الفيروز آبادي، تحقيق: محمد المرعشلي، (لبنان: بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط: ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)
- ١٥٤- قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين بن علي الحربي. (المملكة العربية السعودية: الرياض: دار القاسم، ط: ١، ١٤١٧هـ).
- ١٥٥- كتاب أسرار العربية، لأبي البركات الأنباري، تحقيق: د. فخر صالح قدراة، (لبنان: بيروت: دار الجيل، ط: ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).
- ١٥٦- كتاب التعريفات، الشريف الجرجاني، (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- ١٥٧- اللامات، لأبي القاسم الزجاجي، تحقيق: مازن المبارك، (بيروت: دار الفكر: ١٤٠٥هـ - ١٩٩٥م)
- ١٥٨- الكافية في النحو، ابن الحاجب المالكي، (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).
- ١٥٩- الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، (عالم الكتب، ط: ٣، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).

- ١٦٠- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جبار الله الزمخشري، (لبنان: بيروت: دار المعرفة).
- ١٦١- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، (لبنان: بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م).
- ١٦٢- الكلمة (دراسة لغوية معجمية)، د. حلمي خليل، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦م).
- ١٦٣- الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، لأبي البقاء اللغوي، تحقيق: د. عدنان درويش، محمد المصري، (لبنان: بيروت: مؤسسة الرسالة، ط: ٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).
- ١٦٤- الكوكب الدرّي على جامع الترمذي، رشيد بن أحمد الأنصاري، ندوة العلماء، الهند، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م).
- ١٦٥- لسان العرب، محمد بن منظور، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، (لبنان: بيروت: دار إحياء التراث العربي-مؤسسة التاريخ العربي، ط: ٣، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م).
- ١٦٦- اللامات، علي بن محمد الهروي، تحقيق: د. أحمد عبد المنعم الرصد، (القاهرة: مطبعة حسان ١٤٠٤هـ).
- ١٦٧- اللمع في العربية، لأبي الفتح بن جني، تحقيق: حامد المؤمن، (لبنان: بيروت: عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط: ٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).
- ١٦٨- اللغة، فندريس، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص.

- ١٦٩- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسّان، (المغرب: الدار البيضاء، دار الثقافة).
- ١٧٠- اللغة والدلالة آراء ونظريات، عدنان بن ذريل.
- ١٧١- ما اتفق لفظه واختلف معناه، المبرد، تحقيق: عبد العزيز الميمني، (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٥٠هـ).
- ١٧٢- ما اتفق لفظه واختلف معناه، هبة الله ابن الشجري، تحقيق: أحمد حسن (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ١٩٩٦، ١م).
- ١٧٣- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت: صيدا: المكتبة العصرية، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م).
- ١٧٤- مجمع الأمثال، الميداني، تحقيق: نعيم حسين، (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ٢، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
- ١٧٥- مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، محمد طاهر، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ط: ٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).
- ١٧٦- مجمل اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: زهير عبدالحسن، (لبنان: بيروت: مؤسسة الرسالة، ط: ٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).
- ١٧٧- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإفصاح عنها، لأبي الفتح ابن جني، تحقيق: علي النجدي، د. عبد الفتاح شلبي).
- ١٧٨- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، علي بن سيدة، تحقيق: عبدالستار أحمد وآخرون، (مصر: شركة مصطفى البابي الحلبي، ط: ١، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م).
- ١٧٩- المدخل إلى توثيق السنة، رفعت فوزي، (مصر: مؤسسة الخانجي، ط: ١، ١٩٧٨م).



- ١٨٠- مدخل إلى دراسة الجملة العربية ( لبنان : بيروت : دار النهضة العربية ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- ١٨١- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د. رمضان عبد التواب (القاهرة : مكتبة الخانجي ، ط: ٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
- ١٨٢- المزهري في علوم اللغة وأنواعها ، عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق : محمد أحمد جاد المولى (دار أحياء الكتب العربية ، عيسى بابي الحلبي وشركاه).
- ١٨٣- المستدرک علی الصحیحین فی الحدیث، لأبي عبدالله النيسابوري، (لبنان: بيروت: ط: ١، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) .
- ١٨٤- المستصفي في علم الأصول، محمد الغزالي، تحقيق: عبد السلام الشافعي، لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ١٤١٣، ١هـ - ١٩٩٣م).
- ١٨٥- المسند، الإمام أحمد بن حنبل، شرحه: أحمد محمد شاکر (مصر: دار المعارف للطباعة والنشر، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م).
- ١٨٦- المصباح المنير ، أحمد الفيومي المقرئ، (لبنان: صيدا، المكتبة العصرية، ط: ٢، ١٩٩٧م).
- ١٨٧- معالم السنن شرح أبي داود، لأبي سليمان الخطابي، تحقيق: عبد السلام الشافعي، (لبنان: دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م).
- ١٨٨- معاني الأبنية في العربية، د. فاضل صالح السامرائي، (لبنان: بيروت، ١٩٨١م).
- ١٨٩- معاني الحروف، الرماني، تحقيق: عبدالفتاح شلبي، (المملكة العربية السعودية، جدة، ط: ٢، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م)
- ١٩٠- معاني القرآن، الفراء، (لبنان: بيروت: عالم الكتب، ط: ٢، ١٩٨٠م) .
- ١٩١- معجم ألفاظ القرآن الكريم، محمد علي النجار، (القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٩٥٣م).

- ١٩٢- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، قام بالإخراج: د. إبراهيم أنيس وآخرون ،  
وأشرف على الطبع : حسن علي عطية وآخرون (ط:٢).
- ١٩٣- معجم الأوزان الصرفية، إميل بديع يعقوب، (لبنان: بيروت: عالم الكتب، ط:١،  
١٤١٣هـ-١٩٩٣م).
- ١٩٤- معجم علم اللغة النظري، د. محمد علي الخولي، (مكتبة لبنان).
- ١٩٥- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي (عن الكتب الستة وعن مسند الدارمي وموطأ  
مالك ومسند أحمد بن حنبل) رتبته ونظمه ليف من المستشرقين  
ونشره: د. أ. ي. ونسك، ود. ي. ب. منسج (مطبعة بريل في مدينة ليدن سنة: ١٩٤٣م).
- ١٩٦- معجم النحو ، عبد الغني الدقر، (مؤسسة الرسالة، ط:٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م)
- ١٩٧- المعنى وظلال المعنى (أنظمة الدلالة في العربية ) د. محمد محمد يونس ، (لبنان :  
بيروت : دار المدار الإسلامي ، ط:٢ ، ٢٠٠٧ م ).
- ١٩٨- المغني ، ابن قدامه ، تحقيق : عبد الله عبد المحسن التركي د. عبد الفتاح محمد حلو  
(المملكة العربية ، الرياض: دار عالم الكتب، ط: ٤ ، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م) .
- ١٩٩- المغني الجديد في علم الصرف، د. محمد خير حلواني، (لبنان: : دار الشرق  
العربي).
- ٢٠٠- المغني في تصريف الأفعال، محمد عبد الخالق عزيمة ( القاهرة: دار  
الحديث، ط:١، ١٤١٦هـ / ١٩٩٧م ).
- ٢٠١- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام، تحقيق :محمد محي الدين عبد  
الحميد، (بيروت: صيدا: المكتبة العصرية: ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م).

- ٢٠٢- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، (لبنان: بيروت: دار المعرفة).
- ٢٠٣- المفصح المفهم والموضح الملهم لمعاني صحيح مسلم، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: وليد أحمد، (القاهرة: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط: ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).
- ٢٠٤- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس القرطبي، تحقيق: محي الدين ويب ستو وآخرون، (دمشق: بيروت: دار ابن كثير).
- ٢٠٥- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، (دار الكتب العلمية)
- ٢٠٦- المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القادر الجرجاني، (العراق: منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ط: ٢، ١٩٨٢م).
- ٢٠٧- المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني، (العراق: منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ط: ٢، ١٩٨٢م).
- ٢٠٨- المقتضب، محمد الميرد، تحقيق: حسن حمد، مراجعة: د. أميل يعقوب، (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)
- ٢٠٩- المقدمة، عبد الرحمن ابن خلدون المغربي، (الإسكندرية: دار ابن خلدون).
- ٢١٠- مقدمة لدراسة اللغة، د. حلمي خليل، (١٩٩٦م).
- ٢١١- مقدمة لدراسة فقه اللغة، د. محمد أحمد أبو الفرج، (بيروت: دار النهضة العربية، ط: ١، ١٩٦٩م).
- ٢١٢- مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نصنع المعجم الجديد، عبد الله العاليلي، (مصر: القاهرة: المطبعة العصرية).

٢١٣- المُقَرَّب ومعه (مُثَل المُقَرَّب) ابن عصفور الإشبيلي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م).

٢١٤- مكانة الخليل ابن أحمد في النحو العربي، د. جعفر عبابنة، الأردن: عمان: دار الفكر.

٢١٥- من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس (القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية، ط: ١٩٧٢، ٢م).

٢١٦- من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، د. محمد الأمين الخضري، (مكتبة وهبي، ط: ١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م).

٢١٧- المنجد في اللغة، لكراع النمل، تحقيق: د. أحمد هاشم، ضاحي عبد الباقي، (عالم الكتب).

٢١٨- من المسائل النحوية في الجامع الصحيح للإمام مسلم النيسابوري، د. شرف الدين علي الراجحي، (دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٣م).

٢١٩- من وظائف الصوت اللغوي (محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي)، د. أحمد كشك، (القاهرة: مطبعة المدينة، ط: ١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).

٢٢٠- المنصف (شرح كتاب التصريف للمازني)، لأبي الفتح ابن جني، تحقيق وتعليق: محمد عبد القادر أحمد (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م).

٢٢١- المنهل الحديث في شرح الحديث، د. موسى لاشين، تحقيق: د. عبدالعال أحمد، (دار التراث العربي).

٢٢٢- مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٥٥م).

٢٢٣- المنهج الصوتي للبنية العربية، عبد الصبور شاهين (بيروت: دار المعرفة د. ط، د. ت).

٢٢٤- منهجية فقه الحديث عند القاضي عياض في إكمال المعلم بفوائد مسلم، د. الحسين شواط، (المملكة العربية السعودية: الخبر، دار ابن عفان، ط: ١٤١٤، ٥١، ١٩٩٣م).

- ٢٢٥- نحو التيسير دراسة ونقد منهجي ، د.أحمد عبد الستار الجوارى ، (مطبعة  
المجمع العلمي العراقي - ١٩٨٤م).
- ٢٢٦- نحو الفعل، الجوارى، (العراق: بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٩٤هـ -  
١٩٧٤م).
- ٢٢٧- النحو والدلالة (مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي)، د.محمد حماسة، (القاهرة: دار  
غريب، ط: ١، ١٩٨٣م).
- ٢٢٨- النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، عباس  
حسن، (مصر: دار المعارف، ط: ٤).
- ٢٢٩- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، عبدالرحمن بن الجوزي، تحقيق: محمد  
الراضى، (لبنان: بيروت: مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٩٨٤م).
- ٢٣٠- النص و الخطاب والاتصال، د.محمد العبد، (القاهرة: الأكاديمية الحديثة للكتاب  
الجامعي ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).
- ٢٣١- نظرات في اللغة، محمود رضوان، (بني غازي: ط: ١، ١٩٧٦م).
- ٢٣٢- نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، نهاد  
الموسى، (عمّان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠م).
- ٢٣٣- النكت في تفسير كتاب سيبويه ، الأعلام الشتمري تحقيق : زهير عبد المحسن سلطان  
(الكويت: معهد المخطوطات العربية ، ط: ١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م).
- ٢٣٤- النهاية في غريب الحديث والأثر، محمد بن الأثير - تحقيق : محمود محمد الطناحي ،  
(لبنان : بيروت : دار الفكر ).

٢٣٥- وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان ، أحمد بن خلكان، تحقيق : د. إحسان عباس،  
(لبنان:بيروت : دار صادر ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م).

٢٣٦- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، عبدالرحمن السيوطي، تحقيق: أحمد شمس الدين،  
(لبنان:بيروت:دار الكتب العلمية، ط:١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)

#### رابعاً:الدوريات والمقالات:

١- (أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية ودور هذه النظرية في التوصل إلى  
المعنى)، محمد سالم صالح.

٢- التصور التداولي للخطاب اللساني عند ابن خلدون، نعمان بوقره، (مجلة الرافد، يناير،  
٢٠٠٦م).

٣-تصوير المعنى بجرس اللفظ في الحديث النبوي الشريف ، د. غالب محمد الشاويش ،  
مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد : ١٣ ذو القعدة ١٤١٥ هـ).

٤- التنعيم في إطار النظام النحوي، د.أحمد أبو يزيد الغريب ( مجلة جامعة أم القرى ،  
العدد:١٤، السنة:العاشرة ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م).

٥- جماليات تحوُّل الوحدة الصرفية لدى النُّحاة والبلاغيين، د. سامي عوض-عادل  
نعامة(مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية-سلسلة الآداب والعلوم  
الإنسانية،المجلد:(٢٨)،العدد(١)٢٠٠٦م).

٦- دلالة السياق وأثرها في الأساليب العربية، محمد أبو السعود،(مجلة كلية اللغة العربية  
بأسيوط، العدد: ٧، السنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

٧- دور التنغيم في تحديد معنى الجملة العربية، د. سامي عوض، عادل علي نعامة، ((مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية \_ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٢٨) العدد (١) ٢٠٠٦م)).

٨- صحيح الإمام مسلم (رؤية منظومية)، د. قاسم محمد غنام، (المؤتمر العربي الرابع حول المدخل المنظومي في التدريس والتعلم، إبريل ٢٠٠٤م).

٩- مدخل إلى علم اللغة الألسني، موريس أبو ناصر، (بيروت: مجلة الفكر العربي المعاصر، ع.ج رقم ١٨/١٩ ١٩٨٢م).

١٠- المعنى اللغوي وعناصر تحديده في ضوء الدرس اللغوي الحديث (مجلة البلقاء ج: ١، العدد: ٢).

١١- منهج السياق في فهم النص، د. عبدالرحمن بودرع، (وزارة الأوقاف القطرية: منشورات كتاب الأمة، العدد: ١١١، محرم ١٤٢٧هـ - فبراير ٢٠٠٦م).

# فهرس المحتويات



## فهرس المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
أ-ل	المقدمة
٢	التمهيد
٣	المبحث الأول : السياق :
٣	المطلب الأول : تعريف السياق لغة واصطلاحًا.
٧	المطلب الثاني : أهمية السياق.
١٣	المطلب الثالث : السياق في الدراسات اللغوية.
٢٠	المبحث الثاني : المعنى، وفيه مطلبان:
٢١	المطلب الأول: تعريف المعنى لغة واصطلاحًا.
٢٣	المطلب الثاني: المعنى في الدراسات اللغوية.
٢٩	المبحث الثالث: صحيح مسلم، وفيه ثلاثة مطالب:
٣٠	المطلب الأول: التعريف بمؤلف الصحيح.
٣٥	المطلب الثاني: التعريف بصحيح مسلم.
٣٨	المطلب الثالث: مميزات صحيح مسلم.
	الفصل الأول
٤٦	أثر السياق في المستوى الصوتي (الفونولوجي) في صحيح مسلم:
٤٧	المبحث الأول: أثر السياق في اختلاف الأصوات
٥٩	المبحث الثاني : أثر السياق في القيمة التعبيرية للصوت المفرد .
٧٢	المبحث الثالث: أثر السياق في التنعيم.

رقم الصفحة	الموضوع
٢٧٩	المبحث الثاني: أثر السياق في المشترك اللفظي:
٢٨٠	المطلب الأول: الاشتراك في الحروف.
٣٠٣	المطلب الثاني: الاشتراك في الأسماء.
٣١٤	المطلب الثالث: الاشتراك في الأفعال.
٣٢٢	المبحث الثالث: أثر السياق في الأضداد
٣٢٣	المطلب الأول: الأضداد في الحروف.
٣٢٩	المطلب الثاني: الأضداد في الأسماء.
٣٣٤	المطلب الثالث: الأضداد في الأفعال.
٣٤٠	الخاتمة.
٣٤٧	الفهارس الفنية وتشمل :
٣٤٨	فهرس الآيات القرآنية.
٣٦٥	فهرس الأحاديث النبوية والآثار.
٣٩٥	فهرس الأمثال.
٣٩٧	فهرس الشواهد الشعرية.
٤٠٠	فهرس المواد اللغوية.
٤٠٦	فهرس الأعلام .
٤٢١	فهرس الطوائف والقبائل
٤٢٤	فهرس المصادر والمراجع .
٤٥٠	فهرس المحتويات.